مجاني الأدب

في

حدائق العرب

جمع

احد الآباء اليسوعيين

مدرّس البيان في كلية القديس يوسف

الجزء الثالث

طُبع ثانيةً

في مطبعة الآباء اليسوعيين في بيروت

سنة ١٨٨٤

PJ
7631
C538
1913
V.3

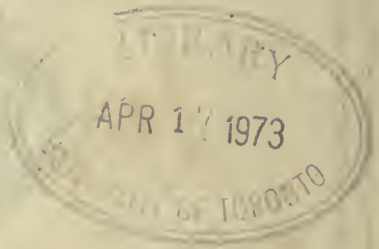

أَلْبَابُ ٱلْأَوَّلُ
فِي ٱلتَّدَيُّنِ

فِي كَمَالَاتِهِ تَعَالَى

إِنَّ ٱللهَ عَزَّ وَجَلَّ لَمْ يَزَلْ وَلَا يَزَالُ. هُوَ ٱلْكَبِيرُ ٱلْمُتَعَالِ. خَالِقُ ٱلْأَعْيَانِ
ٱلْآثَارِ. وَمُكَوِّرُ ٱلنَّهَارِ عَلَى ٱللَّيْلِ وَٱللَّيْلِ عَلَى ٱلنَّهَارِ. ٱلْعَالِمُ بِٱلْخَفِيَّاتِ.
مَا تَنْطَوِي عَلَيْهِ ٱلْأَرَضُونَ وَٱلسَّمَاوَاتُ. سَوَاءٌ عِنْدَهُ ٱلْجَهْرُ وَٱلْإِسْرَارُ.
مَنْ هُوَ مُسْتَخْفٍ بِٱللَّيْلِ وَسَارِبٌ بِٱلنَّهَارِ. أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ
ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ خَلَقَ ٱلْخَلْقَ بِقُدْرَتِهِ. وَأَحْكَمَهُمْ بِعِلْمِهِ وَخَصَّهُمْ
بِمَشِيئَتِهِ. وَدَبَّرَهُمْ بِحِكْمَتِهِ. لَمْ يَكُنْ لَهُ فِي خَلْقِهِمْ مُعِينٌ. وَلَا فِي
تَدْبِيرِهِمْ مُشِيرٌ وَلَا ظَهِيرٌ. وَكَيْفَ يَسْتَعِينُ مَنْ لَمْ يَزَلْ بِمَنْ لَمْ يَكُنْ. لَا
يَزَمُهُ لَمْ. وَلَا يُجَاوِرُهُ أَيْنَ. وَلَا تُلَاصِقُهُ حَيْثُ. وَلَا تَعُدُّهُ كَمْ. وَلَا
تَصِرُهُ مَتَى. وَلَا تُحِيطُ بِهِ كَيْفَ. وَلَا تُظْهِرُهُ قَبْلُ. وَلَمْ تَفْتُهُ بَعْدُ. وَلَمْ
تَمَعُهُ كُلُّ. وَصْفُهُ لَا صِفَةَ لَهُ. وَكَوْنُهُ لَا أَمَدَ لَهُ. وَلَا تُخَالِطُهُ ٱلْأَشْكَالُ
لصُّوَرُ. وَلَا تُغَيِّرُهُ ٱلْآثَارُ وَٱلْغِيَرُ. وَلَا تَجُوزُ عَلَيْهِ ٱلْمُمَاسَّةُ وَٱلْمُقَارَنَةُ.
تَسْتَحِيلُ عَلَيْهِ ٱلْمُحَاذَاةُ وَٱلْمُقَابَلَةُ. إِنْ قُلْتَ: أَيْنَ هُوَ. فَقَدْ سَبَقَ
مَكَانَ وُجُودُهُ. لَمْ يَفْتَقِرْ وُجُودُهُ إِلَى أَيْنَ. هُوَ بَعْدَ خَلْقِ ٱلْمَكَانِ. غَنِيٌّ
نَفْسِهِ كَمَا كَانَ قَبْلَ خَلْقِ ٱلْمَكَانِ. وَكَيْفَ يَحِلُّ فِي مَا مِنْهُ بَدَا. وَإِنْ
لْتَ: مَا هُوَ. فَلَا مَاهِيَّةَ لَهُ (مَا مَوْضُوعَةٌ لِلسُّؤَالِ عَنِ ٱلْجِنْسِ). وَٱلْقَدِيمُ

تَعَالَى لَا جِنْسَ لَهُ . وَإِنْ قُلْتَ كَمْ هُوَ . فَهُوَ وَاحِدٌ فِي ذَاتِهِ . مُتَفَرِّدٌ بِصِفَاتِهِ . وَإِنْ قُلْتَ : مَتَى كَانَ فَقَدْ سَبَقَ الْوَقْتَ كَوْنُهُ وَإِنْ قُلْتَ : كَيْفَ هُوَ . فَمَنْ كَيَّفَ الْكَيْفِيَّةَ لَا يُقَالُ لَهُ كَيْفَ . وَمَنْ جَازَتْ عَلَيْهِ الْكَيْفِيَّةُ جَازَ عَلَيْهِ التَّغْيِيرُ وَإِنْ قُلْتَ هُوَ . فَالْهَاءُ وَالْوَاوُ خَلْقُهُ . فَمَا تُصُوِّرَ فِي الْأَوْهَامِ . فَهُوَ بِخِلَافِهِ . وَلَا تُمَثِّلُهُ الْعُيُونُ . وَلَا تُخَالِطُهُ الظُّنُونُ . وَتَتَصَوَّرُهُ الْأَوْهَامُ . وَلَا يُحِيطُ بِهِ الْأَفْهَامُ . وَلَا تُقَدِّرُ قَدْرَهُ الْأَيَّامُ . وَلَا يَحْوِيهِ مَكَانٌ . وَلَا يُقَارِنُهُ زَمَانٌ . وَلَا يَحْصُرُهُ أَمَدٌ . وَلَا يَجْمَعُهُ عَدَدٌ . قُرْبُهُ كَرَامَتُهُ . وَبُعْدُهُ إِهَانَتُهُ . عُلُوُّهُ مِنْ غَيْرِ تَوَقُّلٍ . وَمَجِيئُهُ مِنْ غَيْرِ تَنَقُّلٍ . هُوَ الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ . وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ . الْقَرِيبُ الْبَعِيدُ . الَّذِي لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ وَأَشْهَدُ لَهُ بِالرُّبُوبِيَّةِ وَبِمَا شَهِدَ بِهِ لِنَفْسِهِ مِنَ الْأَسْمَاءِ الْحُسْنَى وَالصِّفَاتِ الْعُلَى

(سراج الملوك للطرطوشي)

الدعاء لله

٢ دَعَا أَعْرَابِيٌّ فَقَالَ : يَا عِمَادَ مَنْ لَا عِمَادَ لَهُ . وَيَا رُكْنَ مَنْ لَا رُكْنَ لَهُ . وَيَا مُجِيرَ الضَّعْفَى وَيَا مُنْقِذَ الْهَلْكَى . وَيَا عَظِيمَ الرَّجَاءِ أَنْتَ الَّذِي سَبَّحَ لَكَ سَوَادُ اللَّيْلِ وَبَيَاضُ النَّهَارِ . وَضَوْءُ الْقَمَرِ وَشُعَاعُ الشَّمْسِ . وَحَفِيفُ الشَّجَرِ وَدَوِيُّ الْمَاءِ . يَا مُحْسِنُ يَا مُجْمِلُ . اللَّهُمَّ إِنَّكَ أُنْسُ الْمُؤْنِسِينَ . الْمُتَوَكِّلِينَ عَلَيْكَ أَنْتَ شَاهِدُهُمْ وَغَائِبُهُمْ وَالْمُطَّلِعُ عَلَى ضَمَائِرِهِمْ . وَسِرِّي لَكَ مَكْشُوفٌ . وَأَنَا إِلَيْكَ مَلْهُوفٌ . إِذَا أَوْحَشَتْنِي الْغُرْبَةُ

آنسني ذكرك . وإذا أكبت على الغموم لجأت إلى الاستجارة بك . علما بأن أزمة الأمور كلها بيدك ومصدرها عن قضائك . فأقلني إليك مغفورا لي معصوما بطاعتك باقي عمري يا أرحم الراحمين

٣ لما ولي أبو بكر الخلافة صعد المنبر فحمد الله وأثنى عليه ثم قال : يا أيها الناس إني داع فأمنوا . اللهم إني غليظ فليني لأهل طاعتك بموافقة الحق ابتغاء وجهك والدار الآخرة . وارزقني الغلظة والشدة على أعدائك وأهل الدعارة والنفاق من غير ظلم مني لهم ولا اعتداء عليهم . اللهم إني شحيح فسخني في نوائب المعروف قصدا من غير سرف ولا تبذير ولا رئاء ولا سمعة . واجعلني أبتغي بذلك وجهك والدار الآخرة . اللهم ارزقني خفض الجناح ولين الجانب للمؤمنين . اللهم إني كثير الغفلة والنسيان فألهمني ذكرك على كل حال وذكر الموت في كل حين . اللهم إني ضعيف عند العمل بطاعتك فارزقني النشاط فيها والقوة عليها بالنية الحسنة التي لا تكون إلا بعزتك وتوفيقك . اللهم ثبتني باليقين والبر والتقوى وذكر المقام بين يديك والحياء منك . وارزقني الخشوع فيما يرضيك عني والمحاسبة لنفسي وإصلاح الساعات والحذر من الشبهات (العقد الفريد لابن عبد ربه)

٤ دعا بعضهم فقال : اللهم إني أسألك يا من احتجب بشعاع نوره عن نواظر خلقه . يا من تسربل بالجلال والكبرياء واشتهر بالتجبر في قدسه . يا من تعالى بالجلال والكبرياء في تفرد مجده . يا من انقادت

ٱلْأُمُورُ بِأَزِمَّتِهَا طَوْعًا لِأَمْرِهِ . يَا مَنْ قَامَتِ ٱلسَّمَاوَاتُ وَٱلْأَرْضُ مُجِيبَاتٍ لِدَعْوَتِهِ . يَا مَنْ زَيَّنَ ٱلسَّمَاءَ بِٱلنُّجُومِ ٱلطَّالِعَةِ وَجَعَلَهَا هَادِيَةً لِخَلْقِهِ . يَا مَنْ أَنَارَ ٱلْقَمَرَ ٱلْمُنِيرَ فِي سَوَادِ ٱللَّيْلِ ٱلْمُظْلِمِ بِلُطْفِهِ . يَا مَنْ أَنَارَ ٱلشَّمْسَ ٱلْمُنِيرَةَ وَجَعَلَهَا مَعَاشًا لِخَلْقِهِ . وَجَعَلَهَا مُفَرِّقَةً بَيْنَ ٱللَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ لِعَظَمَتِهِ . يَا مَنِ ٱسْتَوْجَبَ ٱلشُّكْرَ بِنَشْرِهِ سَحَائِبَ نِعَمِهِ . أَسْأَلُكَ بِمَعَاقِدِ ٱلْعِزِّ مِنْ عَرْشِكَ وَبِكُلِّ ٱسْمٍ هُوَ لَكَ سَمَّيْتَ بِهِ نَفْسَكَ وَٱسْتَأْثَرْتَ بِهِ فِي عِلْمِ ٱلْغَيْبِ عِنْدَكَ وَبِكُلِّ ٱسْمٍ هُوَ لَكَ أَثْبَتَّهُ فِي قُلُوبِ ٱلْحَافِّينَ حَوْلَ عَرْشِكَ وَأَسْأَلُكَ بِٱلْأَسْمَاءِ ٱلَّتِي تَجَلَّيْتَ بِهَا لِلْكَلِيمِ مُوسَى عَلَى ٱلْجَبَلِ ٱلْعَظِيمِ . فَلَمَّا بَدَا شُعَاعُ نُورِ ٱلْحُجُبِ مِنْ بَهَاءِ ٱلْعَظَمَةِ خَرَّتِ ٱلْجِبَالُ مُتَدَكْدِكَةً لِعَظَمَتِكَ وَجَلَالِكَ وَهَيْبَتِكَ وَخَوْفًا مِنْ سَطَوَاتِكَ رَاهِبَةً مِنْكَ . أَنْتَ ٱللَّهُ فَلَا إِلٰهَ إِلَّا أَنْتَ . وَأَسْأَلُكَ بِٱلِٱسْمِ ٱلَّذِي فَتَقْتَ بِهِ رَتْقَ عَظِيمِ جُفُونِ ٱلْعُيُونِ لِلنَّاظِرِينَ . ٱلَّذِي بِهِ تَدَبَّرْتَ حِكْمَتَكَ وَشَوَاهِدُ حُجَجِ أَنْبِيَائِكَ . يَعْرِفُونَكَ بِنَظَرِ ٱلْقُلُوبِ . وَأَنْتَ فِي غَوَامِضِ سَوَائِدِ ٱلْقُلُوبِ . أَسْأَلُكَ أَنْ تَصْرِفَ عَنِّي وَأَهْلِ خِزَانَتِي وَجَمِيعِ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَاتِ جَمِيعَ ٱلْآفَاتِ وَٱلْعَاهَاتِ وَٱلْأَعْرَاضِ وَٱلْأَمْرَاضِ وَٱلْخَطَايَا وَٱلذُّنُوبِ . وَٱلشَّكَّ وَٱلْكُفْرَ وَٱلنِّفَاقَ وَٱلشِّقَاقَ وَٱلضَّلَالَةَ وَٱلْجَهْلَ وَٱلْمَقْتَ وَٱلْغَضَبَ وَٱلْعُسْرَ وَٱلضِّيقَ وَفَسَادَ ٱلضَّمِيرِ وَحُلُولَ ٱلنِّقْمَةِ وَشَمَاتَةَ ٱلْأَعْدَاءِ وَغَلَبَةَ ٱلرِّجَالِ إِنَّكَ سَمِيعُ ٱلدُّعَاءِ لَطِيفٌ

(الكشكول لبهاء الدين العاملي)

منتخب من قصيدة عليّ بن ابي طالب في المناداة

٥ يَا سَامِعَ ٱلدُّعَاءِ . يَا رَافِعَ ٱلسَّمَاءِ . يَا دَائِمَ ٱلْبَقَاءِ . يَا وَاسِعَ ٱلْعَطَاءِ .
يَا عَالِمَ ٱلْغُيُوبِ . يَا غَافِرَ ٱلذُّنُوبِ . يَا سَاتِرَ ٱلْعُيُوبِ . يَا كَاشِفَ
ٱلْكُرُوبِ . يَا فَائِقَ ٱلصِّفَاتِ . يَا مُخْرِجَ ٱلنَّبَاتِ . يَا جَامِعَ ٱلشَّتَاتِ .
يَا مُنْشِرَ ٱلرُّفَاتِ . يَا فَالِقَ ٱلصَّبَاحِ . يَا مُرْسِلَ ٱلرِّيَاحِ . فَجْرًا مَعَ
ٱلرَّوَاحِ . يَجُلْنَ فِي ٱلنَّوَاحِ . يَا هَادِيَ ٱلرَّشَادِ . يَا مُلْهِمَ ٱلسَّدَادِ .
يَا رَازِقَ ٱلْعِبَادِ . يَا مُحْيِيَ ٱلْبِلَادِ . يَا مُطْلِقَ ٱلْأَسِيرِ . يَا جَابِرَ ٱلْكَسِيرِ .
يَا مُغْنِيَ ٱلْفَقِيرِ . يَا غَاذِيَ ٱلصَّغِيرِ . يَا مَالِكَ ٱلنَّوَاصِي . مِنْ طَائِعٍ
وَعَاصٍ . مَا عَنْهُ مِنْ مَنَاصٍ . لِلْعَبْدِ أَوْ خَلَاصٍ . أَجِرْ مِنَ ٱلْجَحِيمِ .
مِنْ هَوْلِهَا ٱلْعَظِيمِ . مِنْ عَيْشِهَا ٱلذَّمِيمِ . مِنْ حَرِّهَا ٱلْمُقِيمِ . أَسْكِنِّي
ٱلْجِنَانَا . بَلِّغْنِي ٱلْأَمَانَا . فِي مَنْزِلٍ تَعَالَى . بِٱلْحَقِّ قَدْ تَوَالَى . بِٱلنُّورِ قَدْ
تَلَالَا . تَلَقَّى بِهِ ٱلْجَلَالَا (ديوان عليّ)

٦ قَالَ ٱلْأَصْمَعِيُّ سَمِعْتُ غُلَامًا يُمَجِّدُ رَبَّهُ بِأَبْيَاتٍ مِنَ ٱلشِّعْرِ وَهِيَ هٰذِهِ :

يَا فَاطِرَ ٱلْخَلْقِ ٱلْبَدِيعَ وَكَافِلًا رِزْقَ ٱلْجَمِيعِ سَحَابُ جُودِكَ هَاطِلُ
يَا مُسْبِغَ ٱلْبِرِّ ٱلْجَزِيلِ وَمُسْبِلَ ٱلسِّتْرِ ٱلْجَمِيلِ عَمِيمُ طَوْلِكَ طَائِلُ
يَا عَالِمَ ٱلسِّرِّ ٱلْخَفِيِّ وَمُنْجِزَ ٱلْوَعْدِ ٱلْوَفِيِّ قَضَاءُ حُكْمِكَ عَادِلُ
عَظُمَتْ صِفَاتُكَ يَا عَظِيمُ فَجَلَّ أَنْ يُحْصِي ٱلثَّنَاءَ عَلَيْكَ فِيهَا قَائِلُ
أَلذَّنْبُ أَنْتَ لَهُ بِمَنِّكَ غَافِرٌ وَلِتَوْبَةِ ٱلْعَاصِي بِحِلْمِكَ قَابِلُ
رَبٌّ يُرَبِّي ٱلْعَالَمِينَ بِبِرِّهِ وَنَوَالُهُ أَبَدًا إِلَيْهِمْ وَاصِلُ

تُقْصِيهِ وَهْوَ يَسُوقُ نَحْوَكَ دَائِمًا ... مَا لَا تَكُونُ لِبَعْضِهِ تَسْتَاهِلُ
مُتَفَضِّلٌ أَبَدًا وَأَنْتَ لِجُودِهِ ... بِقَبَائِحِ الْعِصْيَانِ مِنْكَ تُقَابِلُ
وَإِذَا دَجَا لَيْلُ الْخُطُوبِ وَأَظْلَمَتْ ... سُبُلُ الْخَلَاصِ وَخَابَ فِيهَا الْآمِلُ
وَأَيِسْتَ مِنْ وَجْهِ النَّجَاةِ فَمَا لَهَا ... سَبَبٌ وَلَا يَدْنُو لَهُ مُتَنَاوِلُ
يَأْتِيكَ مِنْ أَلْطَافِهِ الْفَرَجُ الَّذِي ... لَمْ تَحْتَسِبْهُ وَأَنْتَ عَنْهُ غَافِلُ
يَا مُوجِدَ الْأَشْيَاءِ مَنْ أَلْقَى إِلَى ... أَبْوَابِ غَيْرِكَ فَهْوَ غِرٌّ جَاهِلُ
وَمَنِ اسْتَرَاحَ بِغَيْرِ ذِكْرِكَ أَوْرَجَا ... أَحَدًا سِوَاكَ فَذَاكَ ظِلٌّ زَائِلُ
رَأْيٌ يُلِمُّ إِذَا عَرَتْهُ مُلِمَّةٌ ... بِسِوَى جَنَابِكَ فَهْوَ رَأْيٌ مَائِلُ
عَمَلٌ أُرِيدَ بِهِ سِوَاكَ فَإِنَّهُ ... عَمَلٌ وَإِنْ زَعَمَ الْمُرَائِي بَاطِلُ
وَإِذَا رَضِيتَ فَكُلُّ شَيْءٍ هَيِّنٌ ... وَإِذَا حَصَلْتَ فَكُلُّ شَيْءٍ حَاصِلُ
أَنَا عَبْدُ سَوْءٍ آبِقٌ كُلٌّ عَلَى ... مَوْلَاهُ أَوْزَارَ الْكَبَائِرِ حَامِلُ
قَدْ أَثْقَلَتْ ظَهْرِي الذُّنُوبُ وَسَوَّدَتْ ... صُحُفِي الْعُيُوبُ وَسِتْرُ عَفْوِكَ شَامِلُ
هَا قَدْ أَتَيْتُ وَحُسْنُ ظَنِّي شَافِعِي ... وَوَسَائِلِي نَدَمٌ وَدَمْعٌ سَائِلُ
فَاغْفِرْ لِعَبْدِكَ مَا مَضَى وَارْزُقْهُ تَوْ ... فِيقًا لِمَا تَرْضَى فَفَضْلُكَ كَامِلُ
وَافْعَلْ بِهِ مَا أَنْتَ أَهْلُ جَمِيلِهِ ... وَالظَّنُّ كُلُّ الظَّنِّ أَنَّكَ فَاعِلُ

٧ قَالَ الشَّيْخُ إِسْمَاعِيلُ الزَّمْزَمِيُّ :

يَا مَنْ تُحَلُّ بِذِكْرِهِ ... عُقَدُ النَّوَائِبِ وَالشَّدَائِدْ
يَا مَنْ إِلَيْهِ الْمُشْتَكَى ... وَإِلَيْهِ أَمْرُ الْخَلْقِ عَائِدْ
يَا حَيُّ يَا قَيُّومُ يَا ... صَمَدٌ تَنَزَّهَ عَنْ مُضَادِدْ

أَنْتَ ٱلرَّقِيبُ عَلَى ٱلْعِبَا دِ وَأَنْتَ فِي ٱلْمَلَكُوتِ وَاحِدْ
أَنْتَ ٱلْعَلِيمُ بِمَا ٱبْتُلِيـ تُ بِهِ وَأَنْتَ عَلَيَّ شَاهِدْ
إِنَّ ٱلْهُمُومَ جُيُوشُهَا قَدْ أَصْبَحَتْ قَلْبِي تُطَارِدْ
فَرِّجْ بِحَوْلِكَ كُرْبَتِي يَا مَنْ لَهُ حُسْنُ ٱلْعَوَائِدْ
فَتَخَفِّيَ لُطْفُكَ يُسْتَعَا نُ بِهِ عَلَى ٱلزَّمَنِ ٱلْمُعَانِدْ
أَنْتَ ٱلْمُيَسِّرُ وَٱلْمُسَبِّـ بُ وَٱلْمُسَهِّلُ وَٱلْمُسَاعِدْ
سَبِّبْ لَنَا فَرَجًا قَرِيـ بًا يَا إِلَاهِي لَا تُبَاعِدْ
كُنْ رَاحِمِي فَلَقَدْ يَئِسْـ تُ مِنَ ٱلْأَقَارِبِ وَٱلْأَبَاعِدْ
وَعَلَى ٱلْعِدَى كُنْ نَاصِرِي لَا تُشْمِتَنَّ بِيَ ٱلْحَوَاسِدْ
يَا ذَا ٱلْجَلَالِ وَعَافِنِي مِمَّا مِنَ ٱلْبَلْوَى أُكَابِدْ
وَعَنِ ٱلْوَرَى كُنْ سَاتِرًا عَيْبِي بِفَضْلٍ مِنْكَ وَارِدْ
يَا رَبِّ قَدْ ضَاقَتْ بِيَ ٱلْـ أَحْوَالُ وَٱغْتَالَ ٱلْمُعَانِدْ
فَامْنُنْ بِنَصْرِكَ عَاجِلًا فَضْلًا عَلَى كَيْدِ ٱلْحَوَاسِدْ
هٰذِي يَدِي وَبِشِدَّتِي قَدْ جِئْتُ يَا رَبَّاهُ قَاصِدْ
فَلَكَمْ إِلٰهِي قَدْ شَهِدْ تُ لِفَيْضِ لُطْفِكَ مِنْ عَوَائِدْ

محبة الله والثقة به

٨ أَخْبَرَ يَحْيَى بْنُ بِسْطَامٍ قَالَ: دَخَلْتُ يَوْمًا مَعَ نَفَرٍ مِنْ أَصْحَابِنَا عَلَى عُفَيْرَةَ ٱلْعَابِدِ ٱلضَّرِيرِ وَكَانَ قَدْ تَعَبَّدَ وَبَكَى خَوْفًا مِنَ ٱللهِ جَلَّ شَأْنُهُ حَتَّى عَمِيَ. فَقَالَ بَعْضُ أَصْحَابِنَا لِرَجُلٍ إِلَى جَنْبِهِ مَا أَشَدَّ ٱلْعَمَى عَلَى مَنْ

كَانَ بَصِيرًا فَسَمِعَ عُفَيْرَةَ قَوْلَهُ فَقَالَ : يَا عَبْدَ اللهِ عَمَى الْقَلْبِ عَنِ اللهِ أَشَدُّ مِنْ عَمَى الْعَيْنِ عَنِ الدُّنْيَا . وَإِنِّي لَوَدِدْتُ أَنَّ اللهَ وَهَبَ لِي كُنْهَ مَحَبَّتِهِ وَأَنْ لَمْ يَبْقَ مِنِّي جَارِحَةٌ إِلَّا أَخَذَهَا : (للنيمي)

قَالَ بَعْضُ الزَّاهِدِينَ مُتَغَزِّلًا فِي حُبِّهِ تَعَالَى :

هَجَرْتُ الْخَلْقَ طُرًّا فِي رِضَاكَا ... وَيَتَّمْتُ الْعِيَالَ لِكَيْ أَرَاكَا
فَلَوْ قَطَّعْتَنِي فِي الْحُبِّ إِرْبًا ... لَمَا حَنَّ الْفُؤَادُ إِلَى سِوَاكَا

قَالَ غَيْرُهُ :

إِذَا أَمْسَى وَسَادِيَ مِنْ تُرَابٍ ... وَبِتُّ مُجَاوِرَ الرَّبِّ الرَّحِيمِ
فَهَنِّئُونِي أَصْحَابِي وَقُولُوا ... لَكَ الْبُشْرَى قَدِمْتَ عَلَى كَرِيمِ

قَالَ آخَرُ :

مَا زَالَ يَحْتَقِرُ الدُّنْيَا بِهِمَّتِهِ ... حَتَّى تَرَقَّتْ إِلَى الْأُخْرَى بِهِ هِمَمُهْ
رَثُّ اللِّبَاسِ جَدِيدُ الْقَلْبِ مُسْتَتِرٌ ... فِي الْأَرْضِ مُشْتَهِرٌ فَوْقَ السَّمَا نَسَمُهْ
طُوبَى لِعَبْدٍ بِحَبْلِ اللهِ مُعْتَصِمٍ ... عَلَى صِرَاطٍ سَوِيٍّ ثَابِتٍ قَدَمُهْ

قَالَ ابْنُ الصَّيْفِيِّ :

يَا طَالِبَ الطِّبِّ مِنْ دَاءٍ أُصِيبَ بِهِ ... إِنَّ الطَّبِيبَ الَّذِي أَبْلَاكَ بِالدَّاءِ
هُوَ الطَّبِيبُ الَّذِي يُرْجَى لِعَافِيَةٍ ... لَا مَنْ يُذِيبُ لَكَ التِّرْيَاقَ فِي الْمَاءِ

٩ قَالَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ :

لَبَّيْكَ لَبَّيْكَ أَنْتَ مَوْلَاهُ ... فَارْحَمْ عُبَيْدًا فَأَنْتَ مَلْجَاهُ
يَا ذَا الْمَعَالِي إِلَيْكَ مُعْتَمَدِي ... طُوبَى لِمَنْ كُنْتَ أَنْتَ مَوْلَاهُ

طُوبَى لِمَنْ كَانَ نَادِمًا أَرِقًّا يَشْكُو إِلَى ذِي الْجَلَالِ بَلْوَاهُ
وَمَا بِهِ عِلَّةٌ وَلَا سَقَمٌ أَكْثَرُ مِنْ حُبِّهِ لِمَوْلَاهُ
إِذَا خَلَا فِي الظَّلَامِ مُبْتَهِلًا أَجَابَهُ اللهُ ثُمَّ لَبَّاهُ
سَأَلْتَ عَبْدِي وَأَنْتَ فِي كَنَفِي وَكُلُّ مَا قُلْتَ قَدْ سَمِعْنَاهُ
صَوْتَكَ تَشْتَاقُهُ مَلَائِكَةٌ فَذَنْبُكَ الْآنَ قَدْ غَفَرْنَاهُ
فِي جَنَّةِ الْخُلْدِ مَا تَمَنَّاهُ طُوبَاهُ طُوبَاهُ ثُمَّ طُوبَاهُ
سَلْنِي بِلَا خَشْيَةٍ وَلَا رَهَبٍ وَلَا تَخَفْ إِنَّنِي أَنَا اللهُ

١٠ أَوَّلُ مَقَامَاتِ الِانْتِبَاهِ هُوَ الْيَقَظَةُ مِنْ سِنَةِ الْغَفْلَةِ. ثُمَّ التَّوْبَةُ وَهِيَ الرُّجُوعُ إِلَى اللهِ بَعْدَ الْإِبَاقِ. ثُمَّ الْوَرَعُ وَالتَّقْوَى لَكِنْ وَرَعُ أَهْلِ الشَّرِيعَةِ عَنِ الْمُحَرَّمَاتِ وَوَرَعُ أَهْلِ الطَّرِيقَةِ عَنِ الشُّبُهَاتِ. ثُمَّ الْمُحَاسَبَةُ وَهِيَ تَعْدَادُ مَا صَدَرَ عَنِ الْإِنْسَانِ بَيْنَهُ وَبَيْنَ نَفْسِهِ وَبَيْنَهُ وَبَيْنَ بَنِي نَوْعِهِ. ثُمَّ الْإِرَادَةُ وَهِيَ الرَّغْبَةُ فِي نَيْلِ الْمُرَادِ مَعَ الْكَدِّ. ثُمَّ الزُّهْدُ وَهُوَ تَرْكُ الدُّنْيَا وَحَقِيقَتُهُ التَّبَرُّؤُ عَنْ غَيْرِ الْمَوْلَى. ثُمَّ الْفَقْرُ وَهُوَ تَخْلِيَةُ الْقَلْبِ عَمَّا خَلَتْ عَنْهُ الْيَدُ. وَالْفَقِيرُ مَنْ عُرِفَ أَنَّهُ لَا يَقْدِرُ عَلَى شَيْءٍ. ثُمَّ الصِّدْقُ وَهُوَ اسْتِوَاءُ الظَّاهِرِ وَالْبَاطِنِ. ثُمَّ التَّصَبُّرُ وَهُوَ حَمْلُ النَّفْسِ عَلَى الْمَكَارِهِ. ثُمَّ الصَّبْرُ وَهُوَ تَرْكُ الشَّكْوَى وَقَمْعُ النَّفْسِ. ثُمَّ الرِّضَاءُ وَهُوَ التَّلَذُّذُ بِالْبَلْوَى. ثُمَّ الْإِخْلَاصُ وَهُوَ إِخْرَاجُ الْخَلْقِ عَنْ مُعَامَلَةِ الْحَقِّ. ثُمَّ التَّوَكُّلُ وَهُوَ الِاعْتِمَادُ فِي كُلِّ أُمُورِهِ عَلَى اللهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى مَعَ الْعِلْمِ بِأَنَّ الْخَيْرَ فِيمَا اخْتَارَهُ (لبهاء الدين العاملي)

قَالَ بَعْضُ الشُّعَرَاءِ :

يَا رَبِّ هَيِّئْ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا رَشَدَا وَاجْعَلْ مَعُونَتَكَ فِي عُمْرِنَا مَدَدَا
وَلَا تَكِلْنَا إِلَى تَدْبِيرِ أَنْفُسِنَا فَالنَّفْسُ تَعْجِزُ عَنْ إِصْلَاحِ مَا فَسَدَا

الاستغفار الى الله

١١ قَالَ أَبُو حَاتِمٍ : أَمْلَى عَلَيْنَا أَعْرَابِيٌّ يُقَالُ لَهُ مُرْشِدٌ : اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي قَبْلَ أَنْ لَا أَقْدِرَ عَلَى اسْتِغْفَارِكَ حَتَّى يَفْنَى الْأَجَلُ . وَيَنْقَطِعَ الْعَمَلُ . أَعِنِّي عَلَى الْمَوْتِ وَكَرْبَتِهِ وَعَلَى الْقَبْرِ وَغُمَّتِهِ . وَعَلَى الْمِيزَانِ وَخِفَّتِهِ وَعَلَى الصِّرَاطِ وَزَلَّتِهِ وَعَلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ وَرَوْعَتِهِ . اغْفِرْ لِي مَغْفِرَةَ عِزٍّ لَا تُغَادِرُ ذَنْبًا وَلَا تَدَعُ كَرْبًا . اغْفِرْ لِي جَمِيعَ مَا تُبْتُ إِلَيْكَ مِنْهُ . ثُمَّ عُدْتُ فِيهِ يَا رَبِّ تَظَاهَرَتْ عَلَيَّ مِنْكَ النِّعَمُ . وَتَدَارَكَتْ عِنْدَكَ مِنِّي الذُّنُوبُ . فَلَكَ الْحَمْدُ عَلَى النِّعَمِ الَّتِي تَظَاهَرَتْ وَأَسْتَغْفِرُكَ لِلذُّنُوبِ الَّتِي تَدَارَكَتْ . وَأَمْسَيْتُ عَنْ عَذَابِي غَنِيًّا وَأَصْبَحْتُ إِلَى رَحْمَتِكَ فَقِيرًا . اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ نَجَاحَ الْأَمَلِ عِنْدَ انْقِطَاعِ الْأَجَلِ . اللَّهُمَّ اجْعَلْ خَيْرَ عَمَلِي مَا وَلِيَ أَجَلِي . اللَّهُمَّ اجْعَلْنِي مِنَ الَّذِينَ إِذَا أَعْطَيْتَهُمْ شَكَرُوا . وَإِذَا ابْتَلَيْتَهُمْ صَبَرُوا . وَإِذَا أَذْكَرْتَهُمْ ذَكَرُوا . وَاجْعَلْ لِي قَلْبًا تَوَّابًا أَوَّابًا . لَا فَاجِرًا وَلَا مُرْتَابًا . اجْعَلْنِي مِنَ الَّذِينَ إِذَا أَحْسَنُوا ازْدَادُوا وَإِذَا أَسَاؤُوا اسْتَغْفَرُوا . اللَّهُمَّ لَا تُحَقِّقْ عَلَيَّ الْعَذَابَ . وَلَا تَقْطَعْ بِيَ الْأَسْبَابَ وَاحْفَظْنِي فِي كُلِّ مَا تُحِيطُ بِهِ شَفَقَتِي . وَتَأْتِي مِنْ وَرَائِهِ سُبْحَتِي . وَتَعْجِزُ عَنْهُ قُوَّتِي . أَدْعُوكَ دُعَاءَ ضَعِيفٍ عَمَلُهُ . مُتَظَاهِرَةٍ ذُنُوبُهُ . ضَنِينٍ عَلَى نَفْسِهِ . دُعَاءَ مَنْ بَدَنُهُ

ضَعِيفٌ وَمِنَّتُهُ عَاجِزَةٌ . قَدِ انْتَهَتْ عِدَّتُهُ . وَخَلِقَتْ جِدَّتُهُ . وَتَمَّ ظَمْؤُهُ . اللَّهُمَّ لَا تُخَيِّبْنِي وَأَنَا أَرْجُوكَ . وَلَا تُعَذِّبْنِي وَأَنَا أَدْعُوكَ . أَلْحَمْدُ لِلَّهِ عَلَى طُولِ النَّسِيئَةِ . وَحُسْنِ التَّبَاعَةِ وَتَشَجُّنِ الْعُرُوقِ وَإِسَاغَةِ الرِّيقِ وَتَأَخُّرِ الشَّدَائِدِ . وَالْحَمْدُ لِلَّهِ عَلَى حِلْمِهِ بَعْدَ عِلْمِهِ . وَعَلَى عَفْوِهِ بَعْدَ قُدْرَتِهِ . اللَّهُمَّ إِنِّي لَا أَعُوذُ بِكَ مِنَ الْفَقْرِ إِلَّا إِلَيْكَ وَمِنَ الذُّلِّ إِلَّا لَكَ . وَأَعُوذُ بِكَ أَنْ أَقُولَ زُورًا أَوْ أَغْشَى فُجُورًا . أَوْ أَكُونَ بِكَ مَغْرُورًا . وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ شَمَاتَةِ الْأَعْدَاءِ . وَعُضَالِ الدَّاءِ وَخَيْبَةِ الرَّجَاءِ (لابن عبد ربه)

١٢ قَالَ أَحْمَدُ بْنُ الْأُقْلِيشِيِّ مُسْتَعْطِفًا :

أَسِيرُ الْخَطَايَا عِنْدَ بَابِكَ وَاقِفُ ... لَهُ عَنْ طَرِيقِ الْحَقِّ قَلْبٌ مُخَالِفُ

قَدِيمًا عَصَى عَمْدًا وَجَهْلًا وَغِرَّةً ... وَلَمْ يَنْهَهُ قَلْبٌ مِنَ اللَّهِ خَائِفُ

تَزِيدُ سِنُوهُ وَهْوَ يَزْدَادُ ضِلَّةً ... فَهَا هُوَ فِي لَيْلِ الضَّلَالَةِ عَاكِفُ

تَطَلَّعَ صُبْحُ الشَّيْبِ وَالْقَلْبُ مُظْلِمٌ ... فَمَا طَافَ مِنْهُ مِنْ سَنَى الْحَقِّ طَائِفُ

ثَلَاثُونَ عَامًا قَدْ تَوَلَّتْ كَأَنَّهَا ... حُلُومٌ تَقَضَّتْ أَوْ بُرُوقٌ خَوَاطِفُ

وَجَاءَ الْمَشِيبُ الْمُنْذِرُ الْمَرْءَ أَنَّهُ ... إِذَا رَحَلَتْ عَنْهُ الشَّبِيبَةُ تَالِفُ

فَيَا أَحْمَدُ الْخَوَّانُ قَدْ أَدْبَرَ الصِّبَا ... وَنَادَاكَ مِنْ سِنِّ الْكُهُولَةِ هَاتِفُ

فَهَلْ أَرَّقَ الطَّرْفَ الزَّمَانُ الَّذِي مَضَى ... وَأَبْكَاهُ ذَنْبٌ قَدْ تَقَدَّمَ سَالِفُ

فَجُدْ بِالدُّمُوعِ الْحُمْرِ حُزْنًا وَحَسْرَةً ... فَدَمْعُكَ يُنْبِي أَنَّ قَلْبَكَ آسِفُ

قَالَ آخَرُ :

إِلَهَ الْخَلْقِ قَدْ عَظُمَتْ ذُنُوبِي ... فَسَامِحْ مَا لِعَفْوِكَ مِنْ مُشَارِكْ

١٢ أَجِرْ يَا سَيِّدِي عَبْدًا فَقِيرًا ... أَنَاخَ بِبَابِكَ ٱلْعَالِي وَدَارِكْ

قَالَ غَيْرُهُ :

وَإِنِّي لَأَدْعُو ٱللهَ أَسْأَلُ عَفْوَهُ ... وَأَعْلَمُ أَنَّ ٱللهَ يَعْفُو وَيَغْفِرُ
لَئِنْ أَعْظَمَ ٱلنَّاسُ ٱلذُّنُوبَ فَإِنَّهَا ... وَإِنْ عَظُمَتْ فِي رَحْمَةِ ٱللهِ تَصْغُرُ

١٣ قَالَ أَبُو ٱلْقَاسِمِ بْنُ ٱلْخَطِيبِ مُسْتَغْفِرًا :

يَا مَنْ يَرَى مَا فِي ٱلضَّمِيرِ وَيَسْمَعُ ... أَنْتَ ٱلْمُعَدُّ لِكُلِّ مَا يُتَوَقَّعُ
يَا مَنْ يُرَجَّى لِلشَّدَائِدِ كُلِّهَا ... يَا مَنْ إِلَيْهِ ٱلْمُشْتَكَى وَٱلْمَفْزَعُ
يَا مَنْ خَزَائِنُ رِزْقِهِ فِي قَوْلِ كُنْ ... أَمْنُنْ فَإِنَّ ٱلْخَيْرَ عِنْدَكَ أَجْمَعُ
مَا لِي سِوَى فَقْرِي إِلَيْكَ وَسِيلَةٌ ... فَبِٱلِٱفْتِقَارِ إِلَيْكَ فَقْرِيَ أَدْفَعُ
مَا لِي سِوَى قَرْعِي لِبَابِكَ حِيلَةٌ ... فَلَئِنْ رُدِدْتُ فَأَيَّ بَابٍ أَقْرَعُ
وَمَنِ ٱلَّذِي أَدْعُو وَأَهْتِفُ بِٱسْمِهِ ... إِنْ كَانَ فَضْلُكَ عَنْ فَقِيرٍ يُمْنَعُ
حَاشَا لِجُودِكَ أَنْ يُقَنِّطَ عَاصِيًا ... أَلْفَضْلُ أَجْزَلُ وَٱلْمَوَاهِبُ أَوْسَعُ

١٤ قَالَ ٱبْنُ ٱلْفَرَضِيِّ :

أَسِيرُ ٱلْخَطَايَا عِنْدَ بَابِكَ وَاقِفُ ... عَلَى وَجَلٍ مِمَّا بِهِ أَنْتَ عَارِفُ
يَخَافُ ذُنُوبًا لَمْ يَغِبْ عَنْكَ عَيْبُهَا ... وَيَرْجُوكَ فِيهَا فَهْوَ رَاجٍ وَخَائِفُ
فَيَا سَيِّدِي لَا تُخْزِنِي فِي صَحِيفَتِي ... إِذَا نُشِرَتْ يَوْمَ ٱلْحِسَابِ ٱلصَّحَائِفُ
فَكُنْ مُؤْنِسِي فِي ظُلْمَةِ ٱلْقَبْرِ عِنْدَمَا ... يَصُدُّ ذَوُو ٱلْقُرْبَى وَيَجْفُو ٱلْمُؤَالِفُ
لَئِنْ ضَاقَ عَنِّي عَفْوُكَ ٱلْوَاسِعُ ٱلَّذِي ... أَرَجِّي لِإِسْرَافِي فَإِنِّي لَتَالِفُ

١٥ مِنَ التَّلْوِيحَاتِ عَنْ أَفْلَاطُونَ الْإِلٰهِيِّ أَنَّهُ قَالَ: رُبَّمَا خَلَوْتُ بِنَفْسِي كَثِيرًا عِنْدَ الرِّيَاضَاتِ. وَتَأَمَّلْتُ أَحْوَالَ الْمَوْجُودَاتِ الْمُجَرَّدَةِ عَنِ الْمَادِّيَّاتِ. وَخَلَعْتُ بَدَنِي جَانِبًا وَصِرْتُ كَأَنِّي مُجَرَّدٌ بِلَا بَدَنٍ عَارٍ عَنِ الْمَلَابِسِ الطَّبِيعِيَّةِ. فَأَكُونُ دَاخِلًا فِي ذَاتِي لَا أَعْقِلُ غَيْرَهَا وَلَا أَنْظُرُ فِيمَا عَدَاهَا وَخَارِجًا عَنْ سَائِرِ الْأَشْيَاءِ. فَحِينَئِذٍ أَرَى فِي نَفْسِي مِنَ الْحُسْنِ وَالْبَهَاءِ وَالسَّنَاءِ وَالضِّيَاءِ وَالْمَحَاسِنِ الْغَرِيبَةِ الْعَجِيبَةِ الْأَنِيقَةِ مَا أَبْقَى مَعَهُ مُتَعَجِّبًا حَيْرَانًا بَاهِتًا. فَأَعْلَمُ أَنِّي جُزْءٌ مِنْ أَجْزَاءِ الْعَالَمِ الْأَعْلَى الرُّوحَانِيِّ الْكَرِيمِ الشَّرِيفِ. وَأَنِّي ذُو حَيَاةٍ فَعَّالَةٍ. ثُمَّ تَرَقَّيْتُ بِذِهْنِي مِنْ ذٰلِكَ الْعَالَمِ إِلَى الْعَوَالِمِ الْإِلٰهِيَّةِ وَالْحَضْرَةِ الرُّبُوبِيَّةِ. فَصِرْتُ كَأَنِّي مَوْضُوعٌ فِيهَا مُعَلَّقٌ بِهَا فَوْقَ الْعَوَالِمِ الْعَقْلِيَّةِ النُّورِيَّةِ. فَأَرَى كَأَنِّي وَاقِفٌ فِي ذٰلِكَ الْمَوْقِفِ الشَّرِيفِ وَأَرَى هُنَاكَ مِنَ الْبَهَاءِ وَالنُّورِ مَا لَا تَقْدِرُ الْأَلْسُنُ عَلَى وَصْفِهِ وَلَا الْأَسْمَاعُ عَلَى قَبُولِ نَقْشِهِ. فَإِذَا اسْتَغْرَقَنِي ذٰلِكَ الشَّأْنُ وَقَلَبَنِي ذٰلِكَ النُّورُ وَالْبَهَاءُ وَلَمْ أَقْوَ عَلَى احْتِمَالِهِ هَبَطْتُ مِنْ هُنَاكَ إِلَى عَالَمِ الْفِكْرَةِ. فَحِينَئِذٍ حَجَبَتِ الْفِكْرَةُ عَنِّي ذٰلِكَ النُّورَ فَأَبْقَى مُتَعَجِّبًا أَنِّي كَيْفَ انْحَدَرْتُ مِنْ ذٰلِكَ الْعَالَمِ. وَعَجِبْتُ كَيْفَ رَأَيْتُ نَفْسِي مُمْتَلِئَةً نُورًا وَهِيَ مَعَ الْبَدَنِ كَهَيْئَتِهَا. فَعِنْدَهَا تَذَكَّرْتُ قَوْلَ مَطْرِيُوسَ حَيْثُ أَمَرَنَا بِالطَّلَبِ وَالْبَحْثِ عَنْ جَوْهَرِ النَّفْسِ الشَّرِيفِ وَالِارْتِقَاءِ إِلَى الْعَالَمِ الْعَقْلِيِّ.

(لبهاء الدين)

أَلْبَابُ ٱلثَّانِي
فِي ٱلزُّهْدِ

في الخوف

١٦ قَالَ عَلِيٌّ : أَلَا إِنَّ عِبَادَ ٱللهِ ٱلْمُخْلِصِينَ لَمَنْ رَأَى أَهْلَ ٱلْجَنَّةِ فِي ٱلْجَنَّةِ فَاكِهِينَ . وَأَهْلَ ٱلنَّارِ فِي ٱلنَّارِ مُعَذَّبِينَ شُرُورُهُمْ مَأْمُونَةٌ . وَقُلُوبُهُمْ مَحْزُونَةٌ . وَأَنْفُسُهُمْ عَفِيفَةٌ . وَحَوَائِجُهُمْ خَفِيفَةٌ . صَبَرُوا أَيَّامًا قَلِيلَةً . لِعُقْبَى رَاحَةٍ طَوِيلَةٍ . أَمَّا بِٱللَّيْلِ فَصَفُّوا أَقْدَامَهُمْ فِي صَلَاتِهِمْ تَجْرِي دُمُوعُهُمْ عَلَى خُدُودِهِمْ يَجْأَرُونَ إِلَى رَبِّهِمْ : رَبَّنَا رَبَّنَا . يَطْلُبُونَ فِكَاكَ رِقَابِهِمْ . وَأَمَّا بِٱلنَّهَارِ فَعُلَمَاءُ حُلَمَاءُ بَرَرَةٌ أَتْقِيَاءُ كَأَنَّهُمُ ٱلْقِدَاحُ (ٱلْقِدَاحُ ٱلسِّهَامُ يُرِيدُ فِي ضُمْرَتِهَا) . يَنْظُرُ إِلَيْهَا ٱلنَّاظِرُ فَيَقُولُ : مَرْضَى وَمَا بِٱلْقَوْمِ مِنْ مَرَضٍ . (وَقَالَ مَنْصُورُ بْنُ عَمَّارٍ) فِي مَجَالِسِ ٱلزُّهْدِ إِنَّ لِلهِ عِبَادًا جَعَلُوا مَا كُتِبَ عَلَيْهِمْ مِنَ ٱلْمَوْتِ مِثَالًا بَيْنَ أَعْيُنِهِمْ وَقَطَعُوا ٱلْأَسْبَابَ ٱلْمُتَّصِلَةَ بِقُلُوبِهِمْ مِنْ عَلَائِقِ ٱلدُّنْيَا . فَهُمْ أَنْضَاءُ عِبَادَتِهِ . حُلَفَاءُ طَاعَتِهِ . قَدْ نَضَحُوا خُدُودَهُمْ بِوَابِلِ دُمُوعِهِمْ وَٱفْتَرَشُوا جِبَاهَهُمْ فِي مَحَارِيبِهِمْ . يُنَاجُونَ ذَا ٱلْكِبْرِيَاءِ وَٱلْعَظَمَةِ فِي فِكَاكِ رِقَابِهِمْ

زهد النعمان بن امرئ القيس

١٧ إِنَّ ٱلنُّعْمَانَ بْنَ ٱمْرِئِ ٱلْقَيْسِ ٱلْأَكْبَرِ ٱلَّذِي بَنَى ٱلْخَوَرْنَقَ وَٱلسَّدِيرَ أَشْرَفَ عَلَى ٱلْخَوَرْنَقِ يَوْمًا فَأَعْجَبَهُ مَا أُوتِيَ مِنَ ٱلْمُلْكِ وَٱلسَّعَةِ وَنُفُوذِ

ٱلْأَمْرِ وَإِقْبَالِ ٱلْوُجُوهِ عَلَيْهِ فَقَالَ لِأَصْحَابِهِ : هَلْ أُوتِيَ أَحَدٌ مِثْلَ مَا أُوتِيتُ . فَقَالَ لَهُ حَكِيمٌ مِنْ حُكَمَاءِ أَصْحَابِهِ : هٰذَا ٱلَّذِي أُوتِيتَ شَيْءٌ لَمْ يَزُلْ وَلَا يَزُولُ أَمْ شَيْءٌ كَانَ لِمَنْ قَبْلَكَ زَالَ عَنْهُ وَصَارَ إِلَيْكَ . قَالَ : بَلْ شَيْءٌ كَانَ لِمَنْ قَبْلِي زَالَ عَنْهُ وَصَارَ إِلَيَّ وَسَيَزُولُ عَنِّي . قَالَ : فَسُرِرْتَ بِشَيْءٍ تَذْهَبُ عَنْكَ لَذَّتُهُ وَتَبْقَى تَبِعَتُهُ . قَالَ : فَأَيْنَ ٱلْمَهْرَبُ . قَالَ : إِمَّا أَنْ تُقِيمَ وَتَعْمَلَ بِطَاعَةِ ٱللهِ أَوْ تَلْبَسَ أَمْسَاحًا وَتَلْحَقَ بِجَبَلٍ تَعْبُدُ رَبَّكَ فِيهِ وَتَفِرُّ مِنَ ٱلنَّاسِ حَتَّى يَأْتِيَكَ أَجَلُكَ . قَالَ : فَإِذَا فَعَلْتُ ذٰلِكَ فَمَا لِي . قَالَ : حَيَاةٌ لَا تَمُوتُ . وَشَبَابٌ لَا يَهْرَمُ . وَصِحَّةٌ لَا تَسْقَمُ . وَمُلْكٌ جَدِيدٌ لَا يَبْلَى . قَالَ : فَأَيُّ خَيْرٍ فِيمَا يَفْنَى وَٱللهِ لَأَطْلُبَنَّ عَيْشًا لَا يَزُولُ أَبَدًا . فَٱنْخَلَعَ مِنْ مُلْكِهِ وَلَبِسَ ٱلْأَمْسَاحَ وَسَاحَ فِي ٱلْأَرْضِ . وَتَبِعَهُ ٱلْحَكِيمُ وَجَعَلَا يَسِيحَانِ وَيَعْبُدَانِ ٱللهَ تَعَالَى حَتَّى مَاتَا . وَفِيهِ يَقُولُ عَدِيُّ بْنُ زَيْدٍ :

وَتَفَكَّرْ رَبَّ ٱلْخَوَرْنَقِ إِذْ أَشْـ ... ـرَفَ يَوْمًا وَلِلْهُدَى تَفْكِيرُ
سَرَّهُ مَالُهُ وَكَثْرَةُ مَا يَمْـ ... ـلِكُ وَٱلْبَحْرُ مُعْرِضًا وَٱلسَّدِيرُ
فَأَرْعَوَى قَلْبُهُ وَقَالَ فَمَا غِبْـ ... ـطَةُ حَيٍّ إِلَى ٱلْمَمَاتِ يَصِيرُ
ثُمَّ بَعْدَ ٱلْفَلَاحِ وَٱلْمُلْكِ وَٱلنِّعْـ ... ـمَةِ وَارَتْهُمُ هُنَاكَ ٱلْقُبُورُ
ثُمَّ صَارُوا كَأَنَّهُمْ وَرَقٌ جَفَّـ ... ـمَ فَأَلْوَتْ بِهِ ٱلصَّبَا وَٱلدَّبُورُ

عدي بن زيد والنعمان

١٨ رُوِيَ أَنَّ ٱلنُّعْمَانَ بْنَ ٱلْمُنْذِرِ خَرَجَ مُتَصَيِّدًا وَمَعَهُ عَدِيُّ بْنُ زَيْدٍ

فَمَرَّا بِشَجَرَةٍ . فَقَالَ عَدِيُّ بْنُ زَيْدٍ : أَيُّهَا الْمَلِكُ أَتَدْرِي مَا تَقُولُ هٰذِهِ الشَّجَرَةُ . قَالَ : لَا . قَالَ فَإِنَّهَا تَقُولُ :

مَنْ رَآنَا فَلْيُحَدِّثْ نَفْسَهُ أَنَّهُ مُوفٍ عَلَى قُرْبِ زَوَالْ
فَصُرُوفُ الدَّهْرِ لَا تَبْقَى لَهَا وَلِمَا تَأْتِي بِهِ صُمُّ الْجِبَالْ
رُبَّ رَكْبٍ قَدْ أَنَاخُوا حَوْلَنَا يَشْرَبُونَ الْخَمْرَ بِالْمَاءِ الزُّلَالْ
وَالْأَبَارِيقُ عَلَيْهَا فُدُمٌ وَجِيَادُ الْخَيْلِ تَجْرِي بِالْجِلَالْ
عَمَرُوا الدَّهْرَ بِعَيْشٍ حَسَنٍ أَمْنَى دَهْرِهِمِ غَيْرُ عِجَالْ
عَصَفَ الدَّهْرُ بِهِمْ فَانْقَرَضُوا وَكَذَاكَ الدَّهْرُ حَالًا بَعْدَ حَالْ

قَالَ) ثُمَّ جَاوَزَا الشَّجَرَةَ فَمَرَّا بِمَقْبَرَةٍ . فَقَالَ لَهُ عَدِيٌّ : أَتَدْرِي مَا تَقُولُ هٰذِهِ الْمَقْبَرَةُ . قَالَ : لَا . قَالَ : فَإِنَّهَا تَقُولُ :

أَيُّهَا الرَّكْبُ الْمُخِبُّو نَ عَلَى الْأَرْضِ الْمُجِدُّونَا
كَمَا أَنْتُمْ كَذَا كُنَّا كَمَا نَحْنُ تَكُونُونَا

فَقَالَ النُّعْمَانُ : قَدْ عَلِمْتُ أَنَّ الشَّجَرَةَ وَالْمَقْبَرَةَ لَا تَتَكَلَّمَانِ . وَقَدْ عَلِمْتُ أَنَّكَ إِنَّمَا أَرَدْتَ عِظَتِي فَجَزَاكَ اللهُ عَنِّي خَيْرًا فَمَا السَّبِيلُ الَّذِي تُدْرِكُ بِهِ النَّجَاةُ . قَالَ : تَدَعُ عِبَادَةَ الْأَوْثَانِ وَتَعْبُدُ اللهَ وَحْدَهُ قَالَ : وَفِي هٰذَا النَّجَاةُ . قَالَ : نَعَمْ . قَالَ فَتَرَكَ عِبَادَةَ الْأَوْثَانِ وَتَنَصَّرَ حِينَئِذٍ وَأَخَذَ فِي الْعِبَادَةِ وَالِاجْتِهَادِ (للطرطوشي)

ذلّة الدُّنيا وزوالها

١٩ (مِنَ الْمَنْهَجِ) أَمَّا بَعْدُ فَإِنَّ الدُّنْيَا قَدْ أَدْبَرَتْ وَآذَنَتْ بِوَدَاعٍ . وَإِنَّ

ٱلْآخِرَةَ قَدْ أَقْبَلَتْ وَأَشْرَفَتْ بِإِطِّلَاعٍ . أَلَا وَإِنَّ ٱلْيَوْمَ ٱلْمِضْمَارُ . وَغَدًا ٱلسِّبَاقُ وَٱلسَّبَقَةُ ٱلْجَنَّةُ وَٱلْغَايَةُ ٱلنَّارُ . أَفَلَا تَائِبٌ مِنْ خَطِيئَتِهِ . قَبْلَ مَنِيَّتِهِ . أَلَا عَامِلٌ لِنَفْسِهِ . قَبْلَ يَوْمِ بُؤْسِهِ . أَلَا وَإِنَّكُمْ فِي أَيَّامِ أَمَلٍ مِنْ وَرَائِهِ أَجَلٌ . فَمَنْ عَمِلَ فِي أَيَّامِ أَمَلِهِ . قَبْلَ حُضُورِ أَجَلِهِ . نَفَعَهُ عَمَلُهُ . وَلَمْ يَضُرَّهُ أَجَلُهُ . وَمَنْ قَصَّرَ فِي أَيَّامِ عَمَلِهِ قَبْلَ حُضُورِ أَجَلِهِ . فَقَدْ خَسِرَ عَمَلُهُ . وَضَرَّ أَجَلُهُ . أَلَا فَٱعْمَلُوا فِي ٱلرَّغْبَةِ . كَمَا تَعْمَلُونَ فِي ٱلرَّهْبَةِ . أَلَا وَإِنِّي لَمْ أَرَ كَٱلْجَنَّةِ نَامَ طَالِبُهَا . وَلَا كَٱلنَّارِ نَامَ هَارِبُهَا . أَلَا وَإِنَّهُ مَنْ لَا يَنْفَعُهُ ٱلْحَقُّ يَضُرُّهُ ٱلْبَاطِلُ . وَمَنْ لَا يَسْتَقِيمُ بِهِ ٱلْهُدَى . يَجْذُبُهُ ٱلضَّلَالُ إِلَى ٱلرَّدَى . أَلَا وَإِنَّكُمْ قَدْ أُمِرْتُمْ بِٱلظَّعْنِ . وَدُلِلْتُمْ عَلَى ٱلزَّادِ . وَإِنَّ أَخْوَفَ مَا أَخَافُ عَلَيْكُمُ ٱتِّبَاعُ ٱلْهَوَى وَطُولُ ٱلْأَمَلِ . تَزَوَّدُوا فِي ٱلدُّنْيَا مِنَ ٱلدُّنْيَا مَا تُحْرِزُونَ بِهِ أَنْفُسَكُمْ غَدًا

٢٠ (عَنْ نَوْفٍ ٱلْبِكَالِيِّ) قَالَ : رَأَيْتُ أَمِيرَ ٱلْمُؤْمِنِينَ عَلِيًّا كَرَّمَ ٱللهُ وَجْهَهُ ذَاتَ لَيْلَةٍ وَقَدْ خَرَجَ مِنْ فِرَاشِهِ فَنَظَرَ إِلَى ٱلنُّجُومِ فَقَالَ : يَا نَوْفُ أَرَاقِدٌ أَنْتَ أَمْ رَامِقٌ . قُلْتُ : بَلْ رَامِقٌ يَا أَمِيرَ ٱلْمُؤْمِنِينَ . قَالَ : يَا نَوْفُ طُوبَى لِلزَّاهِدِينَ فِي ٱلدُّنْيَا ٱلرَّاغِبِينَ فِي ٱلْآخِرَةِ أُولَئِكَ قَوْمٌ ٱتَّخَذُوا ٱلْأَرْضَ بِسَاطًا وَتُرَابَهَا فِرَاشًا وَمَاءَهَا طِيبًا وَٱلدِّينَ شِعَارًا وَٱلدُّعَاءَ دِثَارًا . ثُمَّ قَرَضُوا ٱلدُّنْيَا قَرْضًا عَلَى مِنْهَاجِ ٱلْمَسِيحِ (لبهاء الدين)

الراهب الجرجاني مع الشيخ عمر الصيني

٢١ قَالَ ٱلشَّيْخُ عُمَرُ : مَرَرْتُ بِرَاهِبٍ وَهُوَ فِي صَوْمَعَتِهِ فَجَرَى بَيْنِي

وَبَيْنَهُ مُؤَانَسَةٌ . فَقُلْتُ لَهُ : يَا رَاهِبُ لِمَنْ تَعْبُدُ . فَقَالَ : أَعْبُدُ اللهَ الَّذِي خَلَقَ الْعَالَمَ بِقُدْرَتِهِ . وَأَلَّفَ نِظَامَهُ بِحِكْمَتِهِ . وَقَدْ حَوَتْ عَظَمَتُهُ كُلَّ شَيْءٍ . لَا تَبْلُغُ الْأَلْسُنُ وَصْفَ قُدْرَتِهِ . وَلَا الْعُقُولُ لُجَّ رَحْمَتِهِ . لَهُ الشُّكْرُ عَلَى مَا نَتَقَلَّبُ فِيهِ مِنْ نِعْمَتِهِ الَّتِي صَحَّتْ بِهَا الْأَبْصَارُ . وَرَعَتْ بِهَا الْأَسْمَاعُ . وَنَطَقَتْ بِهَا الْأَلْسُنُ . وَسَكَنَتْ بِهَا الْعُرُوقُ وَامْتَزَجَتْ بِهَا الطَّبَائِعُ . فَقُلْتُ : يَا رَاهِبُ مَا أَفْضَلُ الْحِكْمَةِ . فَقَالَ : خَوْفُ اللهِ . فَقُلْتُ : وَمَا أَكْمَلُ الْعَقْلِ . قَالَ : مَعْرِفَةُ الْإِنْسَانِ بِقُدْرَتِهِ . قُلْتُ : مَا يُعِينُ عَلَى التَّخَلُّصِ مِنَ الدُّنْيَا . قَالَ : أَنْ تَجْعَلَ بَقِيَّةَ يَوْمِكَ انْقِضَاءَ أَمَلِكَ . فَقُلْتُ : وَمَا حَمَلَكَ عَلَى أَنْ عَقَلْتَ عَلَى نَفْسِكَ فِي هٰذِهِ الصَّوْمَعَةِ . فَقَالَ : لِأَحْبِسَ هٰذَا السَّبُعَ عَنِ النَّاسِ (وَأَوْمَأَ بِيَدِهِ إِلَى لِسَانِهِ) . قُلْتُ : مِنْ أَيْنَ تَعِيشُ . قَالَ : مِنْ تَدْبِيرِ اللَّطِيفِ الْخَبِيرِ الَّذِي خَلَقَ الرَّحَى وَهُوَ يَأْتِيهَا بِالطَّحِينِ . قُلْتُ : لِمَ لَا تَنْزِلُ إِلَيْنَا وَتُخَالِطُنَا . فَقَالَ : لِأَنَّ الْأَشْيَاءَ الْمُوبِقَةَ بِأَسْرِهَا بَيْنَكُمْ وَالسَّلَامَةَ مِنْ ذٰلِكَ إِنَّمَا تَكُونُ فِي الْوَحْدَةِ . قُلْتُ : وَكَيْفَ صَبَرْتَ عَلَى الْوَحْدَةِ . فَقَالَ : لَوْ ذُقْتَ حَلَاوَةَ الْوَحْدَةِ لَاسْتَوْحَشْتَ إِلَيْهَا مِنْ نَفْسِكَ . قُلْتُ : كَيْفَ لَبِسْتَ السَّوَادَ . فَقَالَ : لِأَنَّ الدُّنْيَا دَارُ مَأْتَمٍ وَأَهْلُهَا فِي حِدَادٍ . وَإِذَا حَزِنْتُ لَبِسْتُ السَّوَادَ . فَقُلْتُ : كَيْفَ تَذْكُرُ الْمَوْتَ . فَقَالَ : مَا أَطْرِفُ طَرْفَةَ عَيْنٍ إِلَّا ظَنَنْتُ أَنِّي مُتُّ . قُلْتُ : مَا لَنَا نَحْنُ نَكْرَهُ الْمَوْتَ . فَقَالَ : لِأَنَّكُمْ عَمَّرْتُمْ دُنْيَاكُمْ وَأَخْرَبْتُمْ آخِرَتَكُمْ . فَأَنْتُمْ تَكْرَهُونَ النُّقْلَةَ مِنَ الْعُمْرَانِ

إِلَى ٱلْخَرَابِ . قُلْتُ : يَا رَاهِبُ عِظْنِي . فَقَالَ : أَبْلَغُ ٱلصِّفَاتِ ٱلنَّظَرُ إِلَى مَحَلَّةِ ٱلْأَمْوَاتِ . وَفِي تَغْيِيرِ ٱلسَّاعَاتِ وَٱلْآجِلَاتِ . وَإِنْ شَيَّعْتَ جَنَازَةً فَكُنْ كَأَنَّكَ ٱلْمَحْمُولُ مِثْلَ ذٰلِكَ . وَلَا تَنْسَ مَنْ لَا يَنْسَاكَ . وَأَحْسِنْ سَرِيرَتَكَ . يُحْسِنِ ٱللهُ عَلَانِيَتَكَ . وَٱعْلَمْ أَنَّ مَنْ خَافَ ٱللهَ أَخَافَ مِنْهُ كُلَّ شَيْءٍ . وَمَنْ لَمْ يَخَفِ ٱللهَ خَافَ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ . وَٱطْلُبِ ٱلْعِلْمَ لِتَعْمَلَ بِهِ وَلَا تَطْلُبْهُ لِلتَّبَاهِي أَوْ تُمَارِيَ بِهِ ٱلسُّفَهَاءَ . وَإِيَّاكَ وَٱلْأَهْوَاءَ فَإِنَّهَا مُوبِقَةٌ . وَٱلْهَرَبَ ٱلْهَرَبَ مِنَ ٱلْجَهْلِ . وَٱلْهَرَبَ ٱلْهَرَبَ مِمَّنْ يَمْدَحُ ٱلْحَسَنَاتِ فَيَتَجَنَّبُهَا وَيَذُمُّ ٱلسَّيِّئَاتِ فَيَرْتَكِبُهَا . وَلَا تَشْرَبِ ٱلْمُسْكِرَ فَإِنَّ عَاجِلَتَهُ غَرَامَةٌ . وَعَاقِبَتَهُ نَدَامَةٌ . وَلَا تُجَالِسْ مَنْ يُشْغِلُكَ بِٱلْكَلَامِ وَيُزَيِّنُ لَكَ ٱلْخَطَأَ وَيُوقِعُكَ فِي هٰذِهِ ٱلْغُمُومِ . وَيَتَبَرَّأُ مِنْكَ وَيَنْقَلِبُ عَلَيْكَ . وَلَا تَتَشَبَّهْ فِي طَعَامِكَ وَشَرَابِكَ وَلِبَاسِكَ بِٱلْعُظَمَاءِ وَلَا فِي مَشْيِكَ بِٱلْجَبَابِرَةِ . وَكُنْ مِمَّنْ يُرْجَى خَيْرُهُ . وَلَا تَكُنْ مِمَّنْ يُخَافُ شَرُّهُ . وَٱعْلَمْ أَنَّ مَنْ أَحَبَّهُ ٱللهُ ٱبْتَلَاهُ . وَمَنْ صَبَرَ رَضِيَ ٱللهُ عَنْهُ . وَإِذَا ٱعْتَلَلْتَ فَأَكْثِرْ مِنْ ذِكْرِ ٱللهِ وَحَمْدِهِ وَشُكْرِهِ . وَإِيَّاكَ وَٱلنَّمِيمَةَ فَإِنَّهَا تَزْرَعُ فِي ٱلْقُلُوبِ ٱلضَّغَائِنَ وَتُفَرِّقُ بَيْنَ ٱلْمُحِبِّينَ . وَٱنْظُرْ مَا ٱسْتَحْسَنْتَهُ مِنْ غَيْرِكَ فَٱمْتَثِلْهُ لِنَفْسِكَ . وَمَا أَنْكَرْتَهُ مِنْ غَيْرِكَ فَتَجَنَّبْهُ . وَٱرْضَ لِلنَّاسِ مَا تَرْضَاهُ لِنَفْسِكَ . فَإِنَّهُ كَمَالُ ٱلْوِصَالِ وَٱلصَّلَاحِ فِي ٱلدِّينِ وَٱلدُّنْيَا . وَقَالَ : إِنِّي أَسْتَوْدِعُكَ لِلهِ وَأُقْرِي عَلَيْكَ ٱلسَّلَامَ . ثُمَّ إِنَّهُ نَهَضَ إِلَى صَلَاتِهِ فَسَمِعْتُهُ يَقُولُ : إِلٰهَنَا تَقَدَّسَ ٱسْمُكَ يَأْتِي مَلَكُوتُكَ . تَكُونُ

مَشِيئَتُكَ فِي السَّمَاءِ كَذٰلِكَ عَلَى الْأَرْضِ. ارْزُقْنَا الْكَفَافَ يَوْمًا بِيَوْمٍ. اغْفِرْ لَنَا خَطَايَانَا وَآثَامَنَا. وَلَا تُدْخِلْنَا فِي التَّجَارِبِ وَخَلِّصْنَا مِنْ إِبْلِيسَ لِنُسَبِّحَكَ وَنُقَدِّسَكَ وَنُمَجِّدَكَ إِلَى دَهْرِ الدَّاهِرِينَ. ثُمَّ جَعَلَ يَقُولُ أَيْضًا: اللّٰهُمَّ إِنَّ رَحْمَتَكَ كَعَظَمَتِكَ. اللّٰهُمَّ إِنَّ نِعْمَتَكَ أَعْظَمُ مِنْ رَجَائِنَا. فَصْنَعْكَ أَفْضَلُ مِنْ آمَالِنَا. اللّٰهُمَّ اجْعَلْنَا شَاكِرِينَ لِنِعَمَائِكَ حَتَّى تَشْتَغِلَ بِذِكْرِكَ جَوَارِحُنَا. وَتَمْتَلِئَ قُلُوبُنَا. اللّٰهُمَّ أَعِنَّا عَلَى أَنْ نَحْذَرَ مِنْ سُخْطِكَ وَنَبْتَغِيَ طَاعَتَكَ وَرِضَاكَ. اللّٰهُمَّ وَفِّقْنَا لِلْعَمَلِ بِمَا نَفُوزُ بِهِ مِنْ مَلَكُوتِكَ. مِنْ أَجْلِ أَنَّهُ يَنْبَغِي لَكَ الْعِزُّ وَالسُّلْطَانُ وَالْقُدْرَةُ. قَالَ الشَّيْخُ: فَاسْتَحْسَنْتُ ذٰلِكَ مِنْهُ. وَسَأَلْتُهُ أَنْ يَدْعُوَ لَنَا وَانْصَرَفْتُ وَأَنَا مُتَعَجِّبٌ مِنْ حُسْنِ مَقَالِهِ (أسواق الأشواق للبقاعي)

٢٢ قَالَ قُثَمُ الزَّاهِدُ: رَأَيْتُ رَاهِبًا عَلَى بَابِ بَيْتِ الْمَقْدِسِ. فَقُلْتُ لَهُ: أَوْصِنِي فَقَالَ: كُنْ كَرَجُلٍ احْتَوَشَتْهُ السِّبَاعُ فَهُوَ خَائِفٌ مَذْعُورٌ يَخَافُ أَنْ يَسْهُوَ فَتَفْتَرِسَهُ أَوْ يَلْهُوَ فَتَنْهَشَهُ. فَلَيْلُهُ لَيْلُ مَخَافَةٍ إِذَا أَمِنَ فِيهِ الْمُغْتَرُّونَ. وَنَهَارُهُ نَهَارُ حُزْنٍ إِذَا فَرِحَ فِيهِ الْبَطَّالُونَ. ثُمَّ إِنَّهُ وَلَّى وَتَرَكَنِي فَقُلْتُ: زِدْنِي. فَقَالَ: إِنَّ الظَّمْآنَ يَقْنَعُ بِيَسِيرِ الْمَاءِ

٢٣ إِنَّ الْحَاسَّةَ الْجِلْدِيَّةَ إِذَا كَانَتْ مُوفَّقَةً بِرَمْدٍ وَنَحْوِهِ فَهِيَ مَحْرُومَةٌ مِنَ الْأَشِعَّةِ الْفَائِضَةِ مِنَ الشَّمْسِ. كَذٰلِكَ الْبَصِيرَةُ إِذَا كَانَتْ مُوفَّقَةً بِالْهَوَى وَاتِّبَاعِ الشَّهَوَاتِ وَالِاخْتِلَاطِ بِأَبْنَاءِ الدُّنْيَا فَهِيَ مَحْرُومَةٌ مِنْ إِدْرَاكِ الْأَنْوَارِ الْقُدْسِيَّةِ مَحْجُوبَةٌ عَنْ ذَوْقِ اللَّذَّاتِ الْإِنْسِيَّةِ. وَلِلّٰهِ دَرُّ مَنْ قَالَ:

ذَا مُرْتَفِعٌ ذَا مُنْتَصِبٌ ذَا مُنْخَفِضٌ ذَا مُنْجَزِمُ
لَا يَفْتَكِرُونَ لِمَا وُجِدُوا لَا يَعْتَبِرُونَ لِمَا عُدِمُوا
أَهْوَاءُ نُفُوسِهِمِ عَبَدُوا وَالنَّفْسُ لِعَابِدِهَا صَنَمُ

(لبهاء الدين)

قَالَ مُحَمَّدُ بْنُ الْحَسَنِ الْحِمْيَرِيُّ :

عَجِبْتُ لِمُبْتَاعِ الضَّلَالَةِ بِالْهُدَى وَلِلْمُشْتَرِي دُنْيَاهُ بِالدِّينِ أَعْجَبُ
وَأَعْجَبُ مِنْ هٰذَيْنِ مَنْ بَاعَ دِينَهُ بِدُنْيَا سِوَاهُ فَهْوَ مِنْ ذَيْنِ أَخْيَبُ

٢٤ قَالَ الْحَسَنُ بْنُ آدَمَ : أَنْتَ أَسِيرُ الدُّنْيَا رَضِيتَ مِنْ لَذَّاتِهَا بِمَا يَنْقَضِي . وَمِنْ نَعِيمِهَا بِمَا يَمْضِي . وَمِنْ مُلْكِهَا بِمَا يَنْفَدُ . تَجْمَعُ لِنَفْسِكَ الْأَوْزَارَ وَلِأَهْلِكَ الْأَمْوَالَ . فَإِذَا مُتَّ حَمَلْتَ أَوْزَارَكَ إِلَى قَبْرِكَ وَتَرَكْتَ أَمْوَالَكَ لِأَهْلِكَ . أَخَذَهُ أَبُو الْعَتَاهِيَةِ فَقَالَ :

أَبْقَيْتَ مَا لَكَ مِيرَاثًا لِوَارِثِهِ يَا لَيْتَ شِعْرِيَ مَا أَبْقَى لَكَ الْمَالُ
أَلْقَوْمُ بَعْدَكَ فِي حَالٍ تَسُرُّهُمُ فَكَيْفَ بَعْدَهُمُ دَارَتْ بِكَ الْحَالُ
مَلُّوا الْبُكَاءَ فَمَا يَبْكِيكَ مِنْ أَحَدٍ وَاسْتَحْكَمَ الْقِيلُ فِي الْمِيرَاثِ وَالْقَالُ

قَالَ ابْنُ عَبْدِ رَبِّهِ :

أَلَا إِنَّمَا الدُّنْيَا غَضَارَةُ أَيْكَةٍ إِذَا اخْضَرَّ مِنْهَا جَانِبٌ جَفَّ جَانِبُ
هِيَ الدَّارُ مَا الْآمَالُ إِلَّا فَجَائِعٌ عَلَيْهَا وَلَا اللَّذَّاتُ إِلَّا مَصَائِبُ
فَكَمْ سَخَّنَتْ بِالْأَمْسِ عَيْنًا قَرِيرَةً وَقَرَّتْ عُيُونًا دَمْعُهَا الْآنَ سَاكِبُ
فَلَا تَكْتَحِلْ عَيْنَاكَ فِيهَا بِعَبْرَةٍ عَلَى ذَاهِبٍ مِنْهَا فَإِنَّكَ ذَاهِبُ

وَقَالَ ٱبْنُ عُمْرَانَ :

أُفٍّ لِدُنْيَا قَدْ شُغِفْنَا بِهَا جَهْلًا وَعَقْلًا لِلْهَوَى مُتَّبِعْ
فَتَّانَةٌ تَخْدَعُ طُلَّابَهَا فَلَا تَكُنْ مِمَّنْ بِهَا يَنْخَدِعْ
أَضْغَاثُ أَحْلَامٍ إِذَا حَصَلَتْ أَوْ كَوَمِيضِ ٱلْبَرْقِ مَهْمَا لَمَعْ

٢٥ (مِنْ خُطْبَةٍ لِأَمِيرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ) أَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّمَا أَنْتُمْ خَلَفُ مَاضِينَ وَبَقِيَّةُ ٱلْمُتَقَدِّمِينَ . كَانُوا أَكْثَرَ مِنْكُمْ بَسْطَةً وَأَعْظَمَ سَطْوَةً . أَزْعَجُوا عَنْهَا أَسْكَنَ مَا كَانُوا إِلَيْهَا فَغَدَرَتْ بِهِمْ أَوْثَقَ مَا كَانُوا بِهَا . فَلَمْ تُغْنِ عَنْهُمْ قُوَّةُ عَشِيرَةٍ وَلَا قُبِلَ مِنْهُمْ بَذْلُ فِدْيَةٍ . فَارْحَلُوا نُفُوسَكُمْ بِزَادٍ مُبَلِّغٍ قَبْلَ أَنْ تُؤْخَذُوا عَلَى فَجْأَةٍ . فَقَدْ غَفَلْتُمْ عَنِ ٱلِٱسْتِعْدَادِ وَجَفَّ ٱلْقَلَمُ بِمَا هُوَ كَائِنٌ . فَحَاسِبُوا أَنْفُسَكُمْ قَبْلَ أَنْ تُحَاسَبُوا . وَمَهِّدُوا لَهَا قَبْلَ أَنْ تُعَذَّبُوا . وَتَزَوَّدُوا لِلرَّحِيلِ قَبْلَ أَنْ تُزْعَجُوا . فَإِنَّمَا هُوَ مَوْقِفُ عَدْلٍ وَقَضَاءُ حَقٍّ . وَلَقَدْ أَبْلَغَ فِي ٱلْإِعْذَارِ . مَنْ تَقَدَّمَ فِي ٱلْإِنْذَارِ

٢٦ (وَمِنْ كَلَامِهِ) أَلدُّنْيَا دَارُ بَلَاءٍ . وَمَنْزِلُ قُلْعَةٍ وَعَنَاءٍ . قَدْ نُزِعَتْ مِنْهَا نُفُوسُ ٱلسُّعَدَاءِ . وَٱنْتُزِعَتْ بِٱلْكُرْهِ مِنْ أَيْدِي ٱلْأَشْقِيَاءِ . فَأَسْعَدُ ٱلنَّاسِ فِيهَا أَرْغَبُهُمْ عَنْهَا . وَأَشْقَاهُمْ بِهَا أَرْغَبُهُمْ فِيهَا هِيَ ٱلْغَاشَّةُ لِمَنِ ٱسْتَنْصَحَهَا وَٱلْمُغْوِيَةُ لِمَنْ أَطَاعَهَا . وَٱلْهَالِكُ مَنْ هَوَى فِيهَا . طُوبَى لِعَبْدٍ أَتَى فِيهَا رَبَّهُ وَنَصَحَ نَفْسَهُ وَقَدَّمَ تَوْبَتَهُ وَأَخَّرَ شَهْوَتَهُ مِنْ قَبْلِ أَنْ تَنْفَظَهُ ٱلدُّنْيَا إِلَى ٱلْآخِرَةِ . فَيُصْبِحَ فِي دِمَنٍ غَبْرَاءَ . مُدْلَهِمَّةٍ ظَلْمَاءَ . لَا يَسْتَطِيعُ أَنْ يَزِيدَ فِي حَسَنَةٍ . وَلَا أَنْ يَنْقُصَ مِنْ سَيِّئَةٍ . ثُمَّ يُنْشَرُ فَيُحْشَرُ إِمَّا إِلَى

جَنَّةٍ يَدُومُ نَعِيمُهَا أَوْ نَارٍ لَا يَنْفَدُ عَذَابُهَا

٢٧ مِنْ كَلَامِ بَعْضِ ٱلْبُلَغَاءِ : ٱلدُّنْيَا إِنْ أَقْبَلَتْ بَلَتْ . وَإِنْ أَدْبَرَتْ بَرَتْ . أَوْ أَطْنَبَتْ نَبَتْ . أَوْ أَرْكَبَتْ كَبَتْ . أَوْ أَبْهَجَتْ هَجَتْ . أَوْ أَسْعَفَتْ عَفَتْ . أَوْ أَيْنَعَتْ نَعَتْ . أَوْ أَكْرَمَتْ رَمَتْ . أَوْ عَاوَنَتْ وَنَتْ . أَوْ مَاجَنَتْ جَنَتْ . أَوْ سَامَحَتْ مَحَتْ . أَوْ صَالَحَتْ لَحَتْ . أَوْ وَصَلَتْ صَلَتْ . أَوْ بَالَغَتْ لَغَتْ . أَوْ وَفَرَتْ فَرَتْ . أَوْ زَوَّجَتْ وَجَتْ . أَوْ تَوَّهَتْ وَهَتْ . أَوْ وَلَهَتْ لَهَتْ . أَوْ بَسَطَتْ سَطَتْ (لبهاء الدين)

قَالَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ :

ذَهَبَ ٱلَّذِينَ عَلَيْهِمِ وَجْدِي وَبَقِيتُ بَعْدَ فِرَاقِهِمْ وَحْدِي
مَنْ كَانَ بَيْنَكَ فِي ٱلتُّرَابِ وَبَيْنَهُ شِبْرَانِ فَهْوَ بِغَايَةِ ٱلْبُعْدِ
لَوْ بُعْثِرَتْ لِلْخَلْقِ أَطْبَاقُ ٱلثَّرَى لَمْ يُعْرَفِ ٱلْمَوْلَى مِنَ ٱلْعَبْدِ
مَنْ كَانَ لَا يَطَأُ ٱلتُّرَابَ بِرِجْلِهِ يَطَأُ ٱلتُّرَابَ بِنَاعِمِ ٱلْخَدِّ

٢٨ وَقَدْ رُوِيَ أَنَّ عَلِيًّا كَتَبَ إِلَى مُعَاوِيَةَ هٰذِهِ ٱلْأَبْيَاتَ :

أَمَا وَٱللهِ إِنَّ ٱلظُّلْمَ شُومُ وَلَا زَالَ ٱلْمُسِيءُ هُوَ ٱلظَّلُومُ
إِلَى ٱلدَّيَّانِ يَوْمَ ٱلدِّينِ نَمْضِي وَعِنْدَ ٱللهِ تَجْتَمِعُ ٱلْخُصُومُ
سَتَعْلَمُ فِي ٱلْحِسَابِ إِذَا ٱلْتَقَيْنَا غَدًا عِنْدَ ٱلْمَلِيكِ مَنِ ٱلظَّلُومُ
سَتَنْقَطِعُ ٱللَّذَاذَةُ عَنْ أُنَاسٍ مِنَ ٱلدُّنْيَا وَتَنْقَطِعُ ٱلْهُمُومُ
لِأَمْرِ مَا تَصَرَّفَتِ ٱللَّيَالِي لِأَمْرِ مَا تَحَرَّكَتِ ٱلنُّجُومُ
سَلِ ٱلْأَيَّامَ عَنْ أُمَمٍ تَقَضَّتْ سَتُخْبِرُكَ ٱلْمَعَالِمُ وَٱلرُّسُومُ

تَرُومُ ٱلْخُلْدَ فِي دَارِ ٱلْمَنَايَا فَكَمْ قَدْ رَامَ مِثْلَكَ مَا تَرُومُ
تَنَامُ وَلَمْ تَنَمْ عَنْكَ ٱلْمَنَايَا تَنَبَّهْ لِلْمَنِيَّةِ يَا نَؤُومُ
لَهَوْتَ عَنِ ٱلْفَنَاءِ وَأَنْتَ تَفْنَى فَمَا شَيْءٌ مِنَ ٱلدُّنْيَا يَدُومُ

قَالَ بَعْضُهُمْ :

عَجِبْتُ لِمَنْ جَدَّ فِي شَأْنِهِ لِحُرِّ ٱلرَّجَاءِ وَنَارِ ٱلْأَمَلْ
يُؤَمِّلُ مَا لَمْ يُقَدَّرْ لَهُ وَيَضْحَكُ مِنْهُ دُنُوُّ ٱلْأَجَلْ
يَقُولُ سَأَفْعَلُ هٰذَا غَدًا وَدُونَ غَدٍ لِلْمَنَايَا عَمَلْ

قَالَ آخَرُ :

عَجِبْتُ لِمَفْتُونٍ يُخَلِّفُ بَعْدَهُ لِوَارِثِهِ مَا كَانَ يَجْمَعُ مِنْ كَسَبِ
حَوَوْا مَالَهُ ثُمَّ ٱسْتَهَلُّوا لِقَبْرِهِ بِبَادِي بُكَاءٍ تَحْتَهُ ضَحِكُ ٱلْقَلْبِ

قَالَ غَيْرُهُ :

وَٱللهِ لَوْ كَانَتِ ٱلدُّنْيَا بِأَجْمَعِهَا تَبْقَى عَلَيْنَا وَيَأْتِي رِزْقُهَا رَغَدَا
مَا كَانَ مِنْ حِقِّ حُرٍّ أَنْ يَذِلَّ لَهَا فَكَيْفَ وَهِيَ مَتَاعٌ يَضْمَحِلُّ غَدَا

قَالَ آخَرُ :

إِنَّمَا هٰذِهِ ٱلْحَيَاةُ مَتَاعٌ فَٱلْجَهُولُ ٱلْجَهُولُ مَنْ يَصْطَفِيهَا
مَا مَضَى فَاتَ وَٱلْمُؤَمَّلُ غَيْبٌ وَلَكَ ٱلسَّاعَةُ ٱلَّتِي أَنْتَ فِيهَا

٢٩ أَوْرَدَ ٱبْنُ خِلِّكَانَ عَنْ بَعْضِهِمْ :

عَنَتِ ٱلدُّنْيَا لِطَالِبِهَا وَٱسْتَرَاحَ ٱلزَّاهِدُ ٱلْفَطِنُ
كُلُّ مَلْكٍ نَالَ زُخْرُفَهَا حَسْبُهُ مِمَّا حَوَى كَفَنُ

يَقْتَنِي مَالًا وَيَتْرُكُهُ فِي كِلَا الْحَالَيْنِ مُفْتَتَنْ
أَمَلِي كَوْنِي عَلَى ثِقَةٍ مِنْ لِقَاءِ اللهِ مُرْتَهَنْ
أَكْرَهُ الدُّنْيَا وَكَيْفَ بِهَا وَالَّذِي تَنْحُو بِهِ وَسَنْ
لَمْ تَدُمْ قَبْلِي عَلَى أَحَدٍ فَلِمَاذَا الْهَمُّ وَالْحَزَنْ

وَأَنْشَدَ آخَرُ:

أَيْنَ كِسْرَى كِسْرَى الْمُلُوكِ أَنُوشَرْ وَانَ أَمْ أَيْنَ قَبْلَهُ سَابُورُ
وَبَنُو الْأَصْفَرِ الْكِرَامُ مُلُوكُ الرُّومِ لَمْ يَبْقَ مِنْهُمْ مَذْكُورُ
وَأَخُو الْحِصْنِ إِذْ بَنَاهُ وَإِذْ دِجْلَةُ تُجْبَى إِلَيْهِ وَالْخَابُورُ
شَادَهُ مَرْمَرًا وَجَلَّلَهُ كِلْسًا فَلِلطَّيْرِ فِي ذُرَاهُ وُكُورُ
لَمْ يَهَبْهُ رَيْبُ الْمَنُونِ فَبَادَ الْمُلْكُ عَنْهُ فَبَابُهُ مَهْجُورُ

قَالَ غَيْرُهُ:

تَأَمَّلْ فِي الْوُجُودِ بِعَيْنِ فِكْرٍ تَرَى الدُّنْيَا الدَّنِيَّةَ كَالْخَيَالِ
وَمَنْ فِيهَا جَمِيعًا سَوْفَ يَفْنَى وَيَبْقَى وَجْهُ رَبِّكَ ذِي الْجَلَالِ

قَالَ آخَرُ:

دُنْيَاكَ شَيْئَانِ فَانْظُرْ مَا ذَا لِكَ الشَّيْئَانِ
مَا فَاتَ مِنْهَا فَحُلْمٌ وَمَا بَقِي فَأَمَانِي

٣٠ إِسْتَنْشَدَ الْمُتَوَكِّلُ أَبَا الْحَسَنِ عَلِيَّ بْنَ مُحَمَّدٍ. فَقَالَ: إِنِّي لَقَلِيلُ الرِّوَايَةِ فِي الشِّعْرِ. فَقَالَ: لَا بُدَّ. فَأَنْشَدَهُ:

بَاتُوا عَلَى قُلَلِ الْأَجْبَالِ تَحْرُسُهُمْ غُلْبُ الرِّجَالِ فَلَمْ تَنْفَعْهُمُ الْقُلَلُ

وَٱسْتُنْزِلُوا بَعْدَ عِزٍّ عَنْ مَعَاقِلِهِمْ ... وَأُودِعُوا حُفَرًا يَا بِئْسَ مَا نَزَلُوا

نَادَاهُمُ صَارِخٌ مِنْ بَعْدِ مَا دُفِنُوا ... أَيْنَ ٱلْأَسِرَّةُ وَٱلتِّيجَانُ وَٱلْحُلَلُ

أَيْنَ ٱلْوُجُوهُ ٱلَّتِي كَانَتْ مُنَعَّمَةً ... مِنْ دُونِهَا تُضْرَبُ ٱلْأَسْتَارُ وَٱلْكَلَلُ

فَأَفْصَحَ ٱلْقَبْرُ عَنْهُمْ حِينَ سَاءَلَهُمْ ... تِلْكَ ٱلْوُجُوهُ عَلَيْهَا ٱلدُّودُ يَقْتَتِلُ

قَدْ طَالَمَا أَكَلُوا دَهْرًا وَمَا شَرِبُوا ... فَأَصْبَحُوا بَعْدَ طُولِ ٱلْأَكْلِ قَدْ أُكِلُوا

وَطَالَمَا كَنَّزُوا ٱلْأَمْوَالَ وَٱدَّخَرُوا ... فَخَلَّفُوهَا عَلَى ٱلْأَعْدَاءِ وَٱرْتَحَلُوا

وَطَالَمَا شَيَّدُوا دُورًا لِتُحْصِنَهُمْ ... فَفَارَقُوا ٱلدُّورَ وَٱلْأَهْلِينَ وَٱنْتَقَلُوا

أَضْحَتْ مَسَاكِنُهُمْ وَحْشًا مُعَطَّلَةً ... وَسَاكِنُوهَا إِلَى ٱلْأَجْدَاثِ قَدْ رَحَلُوا

سَلِ ٱلْخَلِيفَةَ إِذْ وَافَتْ مَنِيَّتُهُ ... أَيْنَ ٱلْجُنُودُ وَأَيْنَ ٱلْخَيْلُ وَٱلْخَوَلُ

أَيْنَ ٱلْكُنُوزُ ٱلَّتِي كَانَتْ مَفَاتِحُهَا ... تَنُوءُ بِٱلْعُصْبَةِ ٱلْمُقْوِينَ لَوْ حَمَلُوا

أَيْنَ ٱلْعَبِيدُ ٱلْأُلَى أَرْصَدْتَهُمْ عُدَدًا ... أَيْنَ ٱلْعَدِيدُ وَأَيْنَ ٱلْبِيضُ وَٱلْأَسَلُ

أَيْنَ ٱلْفَوَارِسُ وَٱلْغِلْمَانُ مَا صَنَعُوا ... أَيْنَ ٱلصَّوَارِمُ وَٱلْخَطِّيَّةُ ٱلذُّبُلُ

أَيْنَ ٱلْكُفَاةُ أَلَمْ يَكْفُوا خَلِيفَتَهُمْ ... لَمَّا رَأَوْهُ صَرِيعًا وَهْوَ يَبْتَهِلُ

أَيْنَ ٱلْكُمَاةُ أَمَا حَامُوا أَمَا غَضِبُوا ... أَيْنَ ٱلْحُمَاةُ ٱلَّتِي يُحْمَى بِهَا ٱلدُّوَلُ

أَيْنَ ٱلرُّمَاةُ أَلَمْ تُمْنَعْ بِأَسْهُمِهِمْ ... لَمَّا أَتَتْكَ سِهَامُ ٱلْمَوْتِ تَنْتَضِلُ

هَيْهَاتَ مَا مَنَعُوا ضَيْمًا وَلَا دَفَعُوا ... عَنْكَ ٱلْمَنِيَّةَ إِذْ وَافَى بِهَا ٱلْأَجَلُ

وَلَا ٱلرُّشَى دَفَعَتْهَا صَاحِ لَوْ بَذَلُوا ... وَلَا ٱلرُّقَى نَفَعَتْ شَيْئًا وَلَا ٱلْحِيَلُ

مَا سَاعَدُوكَ وَلَا وَاسَاكَ أَقْرَبُهُمْ ... بَلْ أَسْلَمُوكَ لَهَا يَا بِئْسَ مَا فَعَلُوا

مَا بَالُ قَبْرِكَ لَا يَنْشَى بِهِ أَحَدٌ ... وَلَا يَطُورُ بِهِ مِنْ بَيْنِهِمْ رَجُلُ

مَا بَالُ قَصْرِكَ وَحْشًا لَا أَنِيسَ بِهِ ... يَغْشَاكَ مِنْ كَنَفَيْهِ الرَّوْعُ وَالْوَهَلُ
مَا بَالُ ذِكْرِكَ مَنْسِيًّا وَمُطَّرَحًا ... وَكُلُّهُمْ بِاقْتِسَامِ الْمَالِ قَدْ شُغِلُوا
لَا تُنْكِرَنَّ فَمَا دَامَتْ عَلَى مَلِكٍ ... وَلَا أَنَاخَ عَلَيْهِ الْمَوْتُ وَالْوَجَلُ
وَكَيْفَ يَرْجُو دَوَامَ الْعَيْشِ مُتَّصِلًا ... وَرُوحُهُ بِحِبَالِ الْمَوْتِ مُتَّصِلُ
وَجِسْمُهُ لِلْبَانَاتِ الرَّدَى غَرَضٌ ... وَمُلْكُهُ زَائِلٌ عَنْهُ وَمُنْتَقِلُ

(وتُروى هذه القصيدة في ديوان عليّ بن ابي طالب)

حفظ الحواس

٣١ قَالَ الْمُعَلَّى الصُّوفِيُّ: شَكَوْتُ إِلَى بَعْضِ الزُّهَّادِ فَسَادًا أَجِدُهُ فِي قَلْبِي. فَقَالَ: هَلْ نَظَرْتَ إِلَى شَيْءٍ فَتَاقَتْ إِلَيْهِ نَفْسُكَ. قُلْتُ: نَعَمْ. قَالَ: احْفَظْ عَيْنَيْكَ فَإِنَّكَ إِنْ أَطْلَقْتَهُمَا أَوْقَعَتَاكَ فِي مَكْرُوهٍ. وَإِنْ مَلَكْتَهُمَا مَلَكْتَ سَائِرَ جَوَارِحِكَ. (قَالَ) مُسَلَّمٌ الْخَوَّاصُ لِمُحَمَّدِ بْنِ عَلِيٍّ الصُّوفِيِّ: أَوْصِنِي. فَقَالَ: أُوصِيكَ بِتَقْوَى اللهِ فِي أَمْرِكَ كُلِّهِ. وَإِيثَارِ مَا يَجِبُ عَلَى مَحَبَّتِكَ. وَإِيَّاكَ وَالنَّظَرَ إِلَى كُلِّ مَا دَعَاكَ إِلَيْهِ طَرْفُكَ وَشَوَّقَكَ إِلَيْهِ قَلْبُكَ. فَإِنَّهُمَا إِنْ مَلَكَاكَ لَمْ تَمْلِكْ شَيْئًا مِنْ جَوَارِحِكَ حَتَّى تَبْلُغَ بِهِمَا مَا يُطَالِبَانِكَ بِهِ. وَإِنْ مَلَكْتَهُمَا كُنْتَ الدَّاعِيَ لَهُمَا إِلَى مَا أَرَدْتَ. فَلَمْ يَعْصِيَا لَكَ أَمْرًا وَلَا يَرُدَّا لَكَ قَوْلًا. (قَالَ بَعْضُ الْحُكَمَاءِ): إِنَّ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ جَعَلَ الْقَلْبَ أَمِيرَ الْجَسَدِ وَمَلِكَ الْأَعْضَاءِ. فَجَمِيعُ الْجَوَارِحِ تَنْقَادُ لَهُ وَكُلُّ الْحَوَاسِّ تُطِيعُهُ وَهُوَ مُدَبِّرُهَا وَمُصَرِّفُهَا وَقَائِدُهَا وَسَائِقُهَا وَبِإِرَادَتِهِ تَنْبَعِثُ وَفِي طَاعَتِهِ تَتَقَلَّبُ. وَوَزِيرُهُ الْعَقْلُ. وَعَاضِدُهُ

ٱلْفَهْمُ . وَرَائِدُهُ ٱلْعَيْنَانِ . وَطَلِيعَتُهُ ٱلْأُذُنَانِ . وَهُمَا فِي ٱلنَّقْلِ سَوَاءٌ لَا يَكْتُمَانِهِ أَمْرًا وَلَا يَطْوِيَانِ دُونَهُ سِرًّا (يريد العين والأذن)

الدهر وحوادثه

٣٢ لَقِيَ رَجُلٌ حَكِيمًا فَقَالَ : كَيْفَ تَرَى ٱلدَّهْرَ قَالَ يُخْلِقُ ٱلْأَبْدَانَ وَيُجَدِّدُ ٱلْآمَالَ وَيُقَرِّبُ ٱلْمَنِيَّةَ . وَيُبَاعِدُ ٱلْأُمْنِيَّةَ قَالَ : فَمَا حَالُ أَهْلِهِ . قَالَ : مَنْ ظَفِرَ مِنْهُمْ لَغِبَ . وَمَنْ فَاتَهُ نَصِبَ . قَالَ : فَمَا يُغْنِي عَنْهُ . قَالَ : قَطْعُ ٱلرَّجَاءِ مِنْهُ . قَالَ : فَأَيُّ ٱلْأَصْحَابِ أَبَرُّ وَأَوْفَى . قَالَ : ٱلْعَمَلُ ٱلصَّالِحُ وَٱلتَّقْوَى . قَالَ أَيُّهُمْ أَضَرُّ وَأَرْدَى . قَالَ : ٱلنَّفْسُ وَٱلْهَوَى . قَالَ : فَأَيْنَ ٱلْمَخْرَجُ . قَالَ : سُلُوكُ ٱلْمَنْهَجِ (زهر الآداب للقيرواني)

٣٣ قَالَ بَعْضُ ٱلْحُكَمَاءِ : أُفٍّ لِلدَّهْرِ مَا أَكْدَرَ صَافِيَهُ وَأَخْيَبَ رَاجِيَهُ . وَأَعْدَى أَيَّامَهُ وَلَيَالِيَهُ . وَقِيلَ : يَسَارُ ٱلدَّهْرِ فِي ٱلْأَخْذِ أَسْرَعُ مِنْ يَمِينِهِ فِي ٱلْبَذْلِ . لَا يُعْطِي بِهَذِهِ إِلَّا ٱرْتَجَعَ بِتِلْكَ . وَقَالَ آخَرُ : ٱلدَّهْرُ لَا يُؤْمَنُ يَوْمُهُ . وَيُخَافُ غَدُهُ . يُرْضِعُ ثُدْيَهُ وَتَجْرَحُ يَدُهُ . وَقِيلَ : ٱلدَّهْرُ يَغُرُّ وَيَمِرُّ . وَيَسُوءُ مِنْ حَيْثُ يَسُرُّ . وَقَالَ آخَرُ ٱلدَّهْرُ لَا تَنْتَهِي فِيهِ ٱلْمَوَاهِبُ . حَتَّى تَتَخَلَّلَهَا ٱلْمَصَائِبُ . وَلَا تَصْفُو فِيهِ ٱلْمَشَارِبُ . حَتَّى تُكَدِّرَهَا ٱلشَّوَائِبُ . (وَفِي فَضْلِ ٱبْنِ ٱلْمُعْتَزِّ) : هٰذَا زَمَانٌ مُتَلَوِّنُ ٱلْأَخْلَاقِ مُتَدَاعِي ٱلْبُنْيَانِ . مُوقِظُ ٱلشَّرِّ مُنِيمُ ٱلْخَيْرِ . مُطْلِقُ أَعِنَّةِ ٱلظُّلْمِ . حَابِسُ رُوحِ ٱلْعَدْلِ . قَرِيبُ ٱلْأَخْذِ مِنَ ٱلْإِعْطَاءِ وَٱلْكَآبَةِ مِنَ ٱلْبَهْجَةِ وَٱلْقُطُوبِ مِنَ ٱلْبِشْرِ . مُرُّ ٱلثَّمَرَةِ بَعِيدُ ٱلْمُجْتَنَى . قَابِضٌ عَلَى ٱلنُّفُوسِ

بكُرْبَتِهِ . مُنِيخٌ عَلَى ٱلْأَجْسَامِ بِوَحْشَتِهِ . لَا يَنْطِقُ إِلَّا بِٱلشَّكْوَى . وَلَا يَسْكُتُ إِلَّا عَلَى غَصَصٍ وَبَلْوَى . (وَمِثْلُهُ فَصْلٌ لِلصَّاحِبِ) . ٱلزَّمَانُ حَدِيدُ ٱلظُّفْرِ . لَئِيمُ ٱلظَّفَرِ . حُلْوُ ٱلْمَوْرِدِ مُرُّ ٱلْمَصْدَرِ . أَثَرُهُ عِنْدَ ٱلْمَرْءِ كَأَثَرِ ٱلسَّيْفِ فِي ٱلضَّرِيبَةِ وَٱللَّيْثِ فِي ٱلْفَرِيسَةِ . (وَلِشَمْسِ ٱلْمَعَالِي قَابُوسَ): ٱلدَّهْرُ شَرٌّ كُلُّهُ . مُفَصَّلُهُ وَمُجْمَلُهُ . إِنْ أَضْحَكَكَ سَاعَةً أَبْكَى سَنَةً . وَإِنْ أَتَى بِسَيِّئَةٍ جَعَلَهَا سُنَّةً . وَمَنْ أَرَادَ مِنْهُ غَيْرَ هٰذَا سِيرَةً . أَرَادَ مِنَ ٱلْأَعْمَى عَيْنًا بَصِيرَةً . وَمَنِ ٱبْتَغَى مِنْهُ ٱلرِّعَايَةَ . ٱبْتَغَى مِنَ ٱلْغُولِ ٱلْهِدَايَةَ

(طرائف اللطائف للمقدسي)

قَالَ بَعْضُهُمْ :

يَا طَالَمَا طَالَ حِرْصُ ٱلنَّاسِ فِي حَذَرٍ ... عَلَى ٱلْحَيَاةِ فَضَاعَ ٱلْحِرْصُ وَٱلْحَذَرُ
قَدْ غَرَّهُمْ زُخْرُفُ ٱلدُّنْيَا وَبَهْجَتُهَا ... نِعْمَ ٱلْغُصُونُ وَلٰكِنْ بِئْسَمَا ٱلثَّمَرُ

قَالَ آخَرُ :

مَا أَنْتَ إِلَّا كَزَرْعٍ عِنْدَ خُضْرَتِهِ ... بِكُلِّ شَيْءٍ مِنَ ٱلْآفَاتِ مَقْصُودُ
فَإِنْ سَلِمْتَ مِنَ ٱلْآفَاتِ أَجْمَعِهَا ... فَأَنْتَ عِنْدَ كَمَالِ ٱلْأَمْرِ مَحْصُودُ

قَالَ بَعْضُهُمْ يَذْكُرُ فَجَائِعَ ٱلدَّهْرِ :

وَأَصْبَحْتُ كَٱلْبَازِي ٱلْمُنْتِفِ رِيشَهُ ... يَرَى حَسَرَاتٍ كُلَّمَا طَارَ طَائِرُ
يَرَى خَرَقَاتِ ٱلْجَوِّ يَخْرُقْنَ فِي ٱلْهَوَا ... فَيَذْكُرُ رِيشًا مِنْ جَنَاحَيْهِ وَافِرُ
وَقَدْ كَانَ دَهْرًا فِي ٱلرِّيَاضِ مُنَعَّمًا ... عَلَى كُلِّ مَا يَهْوَى مِنَ ٱلصَّيْدِ قَادِرُ
إِلَى أَنْ أَصَابَتْهُ مِنَ ٱلدَّهْرِ نَكْبَةٌ ... فَأَصْبَحَ مَقْصُوصَ ٱلْجَنَاحَيْنِ خَاسِرُ

قَالَ غَيْرُهُ :

فِي ٱلدَّهْرِ تَحَيَّرَتِ ٱلْأُمَمُ وَٱلْحَاصِلُ مِنْهُ لَهُمْ أَلَمُ
بِعَجَائِبِهِ وَمَصَائِبِهِ أَمْوَاجُ زَوَاخِرَ تَلْتَطِمُ
وَٱلْعُمْرُ يَسِيرُ مَسِيرَ ٱلشَّمْسِ فَلَيْسَ تَقِرُّ لَهُ قَدَمُ
قَدَمَانِ لَهُ يَسْعَى بِهِمَا فَضُحًى وَدُجًى ضَوْءٌ ظُلَمُ
وَٱلنَّاسُ بِحُلْمِ جَهَالَتِهِمْ فَإِذَا ذَهَبُوا ذَهَبَ ٱلْحُلُمُ
صُمٌّ بُكْمٌ عُمْيٌ بُهْمٌ نِعَمٌ قُسِمَتْ لَهُمُ نِعَمُ
فُرِقُوا فِرَقًا فُرِقُوا فِرَقًا وَمَضَوْا طُرُقًا لَا تَلْتَئِمُ

قَالَ آخَرُ :

وَمَا ٱلدَّهْرُ ٱلَّا سُلَّمٌ فَبِقَدْرِ مَا يَكُونُ صُعُودُ ٱلْمَرْءِ فِيهِ هُبُوطُهُ
وَهَيْهَاتَ مَا فِيهِ يَزُولُ وَإِنَّمَا شُرُوطُ ٱلَّذِي يَرْقَى إِلَيْهِ سُقُوطُهُ
فَمَنْ كَانَ أَعْلَى كَانَ أَوْفَى تَهَشُّمًا وَفَاءً بِمَا قَامَتْ عَلَيْهِ شُرُوطُهُ

ذكر الموت

٣٤ قَالَ ٱبْنُ ٱلْمُعْتَزِّ :

نَسِيرُ إِلَى ٱلْآجَالِ فِي كُلِّ سَاعَةٍ وَأَيَّامُنَا تُطْوَى وَهُنَّ مَرَاحِلُ
وَلَمْ أَرَ مِثْلَ ٱلْمَوْتِ حَقًّا فَإِنَّهُ إِذَا مَا تَخَطَّتْهُ ٱلْأَمَانِيُّ بَاطِلُ
فَمَا أَقْبَحَ ٱلتَّفْرِيطَ فِي زَمَنِ ٱلصِّبَا فَكَيْفَ بِهِ وَٱلشَّيْبُ فِي ٱلرَّأْسِ شَاعِلُ
تَرَحَّلْ مِنَ ٱلدُّنْيَا بِزَادٍ مِنَ ٱلتُّقَى فَعُمْرُكَ أَيَّامٌ تُعَدُّ قَلَائِلُ

وَقَالَ أَبُو ٱلْعَتَاهِيَةِ فِي وَصْفِ ٱلْمَوْتِ :

كَأَنَّ ٱلْأَرْضَ قَدْ طُوِيَتْ عَلَيْنَا وَقَدْ أُخْرِجْتُ مِمَّا فِي يَدَيَّا
كَأَنِّي صِرْتُ مُنْفَرِدًا وَحِيدًا وَمُرْتَهَنًا لَدَيْكَ بِمَا عَلَيَّا
كَأَنَّ ٱلْبَاكِيَاتِ عَلَيَّ يَوْمًا وَلَا يُغْنِي ٱلْبُكَاءُ عَلَيَّ شَيْئًا
ذَكَرْنَ مَنِيَّتِي فَنَعَيْتُ نَفْسِي أَلَا أَسْعِدْ أَخَيَّكَ يَا أُخَيَّا

وَقَالَ غَيْرُهُ :

أَتَلْهُو بَيْنَ بَاطِيَةٍ وَزِيرٍ وَأَنْتَ مِنَ ٱلْهَلَاكِ عَلَى شَفِيرِ
فَيَا مَنْ غَرَّهُ أَمَلٌ طَوِيلٌ يُؤَدِّيهِ إِلَى أَجَلٍ قَصِيرِ
أَتَفْرَحُ وَٱلْمَنِيَّةُ كُلَّ يَوْمٍ تُرِيكَ مَكَانَ قَبْرِكَ فِي ٱلْقُبُورِ
هِيَ ٱلدُّنْيَا فَإِنْ سَرَّتْكَ يَوْمًا فَإِنَّ ٱلْحُزْنَ عَاقِبَةُ ٱلسُّرُورِ
سَتَسْلُبُ كُلَّ مَا جَمَّعْتَ مِنْهَا كَعَارِيَةٍ تُرَدُّ إِلَى ٱلْمُعِيرِ

٣٥ وَقَالَ بَعْضُهُمْ عَنْ لِسَانِ مَيِّتٍ :

ضَعُوا خَدِّي عَلَى لَحْدِي ضَعُوهُ وَمِنْ عَفَرِ ٱلتُّرَابِ فَوَسِّدُوهُ
وَشُدُّوا عَنْهُ أَكْفَانًا رِقَاقًا وَفِي ٱلرَّمْسِ ٱلْبَعِيدِ فَغَيِّبُوهُ
فَلَوْ أَبْصَرْتُمُوهُ إِذَا تَقَضَّتْ صَبِيحَةُ ثَالِثٍ أَنْكَرْتُمُوهُ
وَلَوْ سَالَتْ نَوَاظِرُ مُقْلَتَيْهِ عَلَى وَجَنَاتِهِ لَرَفَضْتُمُوهُ
وَقَدْ نَادَى ٱلْبِلَى هٰذَا فُلَانٌ هَلُمُّوا فَٱنْظُرُوا هَلْ تَعْرِفُوهُ
خَلِيلُكُمُ وَجَارُكُمُ ٱلْمُفَدَّى تَقَادَمَ عَهْدُهُ فَنَسِيتُمُوهُ

قَالَ بَعْضُهُمْ :

مَنْ كَانَ يَعْلَمُ أَنَّ ٱلْمَوْتَ مُدْرِكُهُ وَٱلْقَبْرَ مَسْكِنُهُ وَٱلْبَعْثَ مَخْرَجُهُ

وَأَنَّـهُ بَيْنَ جَنَّاتٍ سَتُبْهِجُـهُ ... يَوْمَ ٱلْقِيَامَةِ أَوْ نَارٍ سَتُضْجِـهُ
فَكُلُّ شَيْءٍ سِوَى ٱلتَّقْوَى بِهِ سَمَجٌ ... وَمَا أَقَامَ عَلَيْـهِ مِنْهُ أَسْمَجُـهُ
تَرَى ٱلَّذِي ٱتَّخَذَ ٱلدُّنْيَا لَهُ سَكَنًا ... لَمْ يَدْرِ أَنَّ ٱلْمَنَايَا سَوْفَ تُزْعِجُهُ

وَقَالَ آخَرُ مُتَشَوِّقًا إِلَى ٱلْمَوْتِ:

جَزَى ٱللهُ عَنَّا ٱلْمَوْتَ خَيْرًا فَإِنَّهُ ... أَبَرُّ بِنَـا مِنْ كُلِّ بَرٍّ وَأَرْأَفُ
يُعَجِّلُ تَخْلِيصَ ٱلنُّفُوسِ مِنَ ٱلْأَذَى ... وَيُدْنِي مِنَ ٱلدَّارِ ٱلَّتِي هِيَ أَشْرَفُ

وَقَالَ غَيْرُهُ:

مَنْ كَانَ يَرْجُو أَنْ يَعِيشَ فَإِنَّنِي ... أَصْبَحْتُ أَرْجُو أَنْ أَمُوتَ فَأُعْتَقَا
فِي ٱلْمَوْتِ أَلْفُ فَضِيلَةٍ لَوْ أَنَّهَـا ... عُرِفَتْ لَكَانَ سَبِيلُهُ أَنْ يُعْشَقَا

وَقَالَ بَعْضُهُمْ:

مَا لِي مَرَرْتُ عَلَى ٱلْقُبُورِ مُسَلِّمًا ... عَلَى ٱلرَّمِيمِ فَلَمْ يَرُدَّ جَوَابِي
يَا صَاحِ مَا لَكَ لَا تُجِيبُ مُنَادِيًا ... أَنُكِرْتَ بَعْدِي خُلَّةَ ٱلْأَصْحَابِ
قَالَ ٱلرَّمِيمُ وَكَيْفَ لِي بِجَوَابِكُمْ ... وَأَنَا رَهِينُ جَنَادِلٍ وَتُرَابِ
أَكَلَ ٱلتُّرَابُ مَحَاسِنِي فَنَسِيتُكُمْ ... وَحُجِبْتُ عَنْ أَهْلِي وَعَنْ أَحْبَابِي

٣٦ وَقَالَ آخَرُ:

إِسْتَعِدِّي يَا نَفْسُ لِلْمَوْتِ وَٱسْعَيْ ... لِنَجَاةٍ فَٱلْحَازِمُ ٱلْمُسْتَعِدُّ
قَدْ تَبَيَّنْتُ أَنَّـهُ لَيْسَ لِلْحَـيِّ خُلُودٌ وَمَا مِنَ ٱلْمَوْتِ بُدُّ
إِنَّمَا أَنْتِ مُسْتَعِيرَةٌ مَا سَوْ ... فَ تَرُدِّينَ وَٱلْعَوَارِي تُرَدُّ
أَنْتِ تَسْهِينَ وَٱلْحَوَادِثُ لَا تَسْـ ... ـهُو وَتَلْهِينَ وَٱلْمَنَـايَا تُجِدُّ

أَيُّ مِلْكٍ فِي ٱلْأَرْضِ أَوْ أَيُّ حَظٍّ ... لِٱمْرِئٍ حَظُّهُ مِنَ ٱلْأَرْضِ لَحْدُ
لَا تُرَجِّي ٱلْبَقَاءَ فِي مَعْدِنِ ٱلْمَوْ ... تِ وَدَارٍ حُتُوفُهَا لَكَ وِرْدُ

التوبة الى الله

٣٧ قَالَ غَيْرُهُ :

سَلَوْتُ عَنِ ٱلْأَحِبَّةِ وَٱلْمُدَامِ ... وَمِلْتُ عَنِ ٱلتَّهَتُّكِ وَٱلْمُدَامِ
وَسَلَّمْتُ ٱلْأُمُورَ إِلَى إِلٰهِي ... وَوَدَّعْتُ ٱلْغَوَايَةَ بِٱلسَّلَامِ
وَمِلْتُ إِلَى ٱكْتِسَابِ ثَوَابِ رَبِّي ... وَقِدْمًا طَالَ عَزْمِي بِٱلْغَرَامِ
وَمَا أَنَا بَعْدَهَا مُعْطِي عِنَانِي ٱلْهَوَى لٰكِنْ تُرَى بِيَدِي زِمَامِي
أَبَعْدَ ٱلشَّيْبِ وَهْوَ أَخُو سُكُونٍ ... يَلِيقُ بِأَنْ أَمِيلَ إِلَى ٱلْغَرَامِ
فَشُرْبُ ٱلرَّاحِ نَقْصٌ بَعْدَ هٰذَا ... وَلَوْ مِنْ رَاحَتَيْ بَدْرُ ٱلتَّمَامِ
فَكَمْ أَجْرَيْتُ فِي مَيْدَانِ لَهْوٍ ... خُيُولَ هَوًى وَكَمْ ضَرَبَتْ خِيَامِي
سَأُوتِي ٱلْكَأْسَ تَعْبِيسًا وَصَدًّا ... وَإِنْ جَاءَتْ تُقَابِلُ بِٱبْتِسَامِ
عَزَمْتُ عَلَى ٱلرُّجُوعِ عَنِ ٱلْمَنَاهِي ... وَمِثْلِي مَنْ يَدُومُ عَلَى ٱعْتِزَامِ

٣٨ صَعِدَ ٱلْوَلِيدُ بْنُ يَزِيدَ ٱلْمِنْبَرَ فَخَطَبَ ٱلْقَوْمَ بِٱلشِّعْرِ فَقَالَ :

أَلْحَمْدُ لِلّٰهِ وَلِيِّ ٱلْحَمْدِ ... أَحْمَدُهُ فِي يُسْرِنَا وَٱلْجَهْدِ
مَنْ يُطِعِ ٱللّٰهَ فَقَدْ أَصَابَا ... أَوْ يَعْصِهِ أَوِ ٱلضَّمِيرَ خَابَا
كَأَنَّهُ لَمَّا بَقِي لَدَيْكُمْ ... حَيٌّ صَحِيحٌ لَا يَزَالُ فِيكُمْ
إِنَّكُمْ مِنْ بَعْدِ أَنْ تَزِلُّوا ... عَنْ قَصْدِهِ أَوْ نَهْجِهِ تَضِلُّوا
لَا تَتْرُكَنْ نُصْحِي فَإِنِّي نَاصِحُ ... إِنَّ ٱلطَّرِيقَ فَٱعْلَمَنَّ وَاضِحُ

مَنْ يَتَّقِي اللهَ يَجِدْ غِبَّ التُّقَى ... يَوْمَ الْحِسَابِ صَائِرًا إِلَى الْهُدَى
إِنَّ التُّقَى أَفْضَلُ شَيْءٍ فِي الْعَمَلْ ... أَرَى جِمَاعَ الْبِرِّ فِيهِ قَدْ دَخَلْ
خَافُوا الْجَحِيمَ إِخْوَتِي لَعَلَّكُمْ ... يَوْمَ اللِّقَاءِ تَعْرِفُوا مَا سَرَّكُمْ
قَدْ قِيلَ فِي الْأَمْثَالِ لَوْ عَلِمْتُمُ ... فَانْتَفِعُوا بِذَاكَ إِنْ عَقَلْتُمُ
مَا يَزْرَعِ الزَّارِعُ يَوْمًا يَحْصُدُهْ ... وَمَا يُقَدِّمْ مِنْ صَلَاحٍ يَحْمَدُهْ
فَاسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ وَتُوبُوا ... فَالْمَوْتُ مِنْكُمْ فَاعْلَمُوا قَرِيبُ

(الأغاني)

٣٩ قَالَ بَعْضُهُمْ :

حَتَّامَ أَنْتَ بِمَا يُلْهِيكَ مُشْتَغِلُ ... عَنْ نُجْحِ قَصْدِكَ مِنْ خَمْرِ الْهَوَى ثَمِلُ
تَمْضِي مِنَ الدَّهْرِ بِالْعَيْشِ الذَّمِيمِ إِلَى ... كَمْ ذَا التَّوَانِي وَكَمْ يُغْرِي بِكَ الْأَمَلُ
وَتَدَّعِي بِطَرِيقِ الْقَوْمِ مَعْرِفَةً ... وَأَنْتَ مُنْقَطِعٌ وَالْقَوْمُ قَدْ وَصَلُوا
فَانْهَضْ إِلَى ذُرْوَةِ الْعَلْيَاءِ مُبْتَدِرًا ... عَزْمًا لِتَرْقَى مَكَانًا دُونَهُ زُحَلُ
فَإِنْ ظَفِرْتَ فَقَدْ جَاوَزْتَ مَكْرُمَةً ... بَقَاؤُهَا بِبَقَاءِ اللهِ مُتَّصِلُ
وَإِنْ قَضَيْتَ بِهِمْ وَجْدًا فَأَحْسَنُ مَا ... يُقَالُ عَنْكَ قَضَى مِنْ وَجْدِهِ الرَّجُلُ

٤٠ قَالَ بَهَاءُ الدِّينِ الْعَامِلِيُّ فِي كِتَابِ رِيَاضِ الْأَرْوَاحِ :

أَلَا يَا خَائِضًا بَحْرَ الْأَمَانِي ... هَدَاكَ اللهُ مَا هَذَا التَّوَانِي
أَضَعْتَ الْعُمْرَ عِصْيَانًا وَجَهْلًا ... فَمَهْلًا أَيُّهَا الْمَغْرُورُ مَهْلًا
مَضَى عَصْرُ الشَّبَابِ وَأَنْتَ غَافِلْ ... وَفِي ثَوْبِ الْعَمَى وَالْغَيِّ رَافِلْ
إِلَى كَمْ كَالْبَهَائِمِ أَنْتَ هَائِمْ ... وَفِي وَقْتِ الْغَنَائِمِ أَنْتَ نَائِمْ

وَطَرْفُكَ لَا يُرَى إِلَّا طَمُوحَا وَنَفْسُكَ لَمْ تَزَلْ أَبَدًا جَمُوحَا
وَقَلْبُكَ لَا يُفِيقُ عَنِ ٱلْمَعَاصِي فَوَيْلَكَ يَوْمَ يُؤْخَذُ بِٱلنَّوَاصِي
بَلَالُ ٱلشَّيْبِ نَادَى فِي ٱلْمَفَارِقْ بِحَيَّ عَلَى ٱلذَّهَابِ وَأَنْتَ غَارِقْ
بِبَحْرِ ٱلْإِثْمِ لَا تُصْغِي لِوَاعِظْ وَإِنْ أَطْرَى وَأَطْنَبَ فِي ٱلْمَوَاعِظْ
وَقَلْبُكَ هَائِمٌ فِي كُلِّ وَادِ وَجَهْلُكَ كُلَّ يَوْمٍ فِي ٱزْدِيَادِ
عَلَى تَحْصِيلِ دُنْيَاكَ ٱلدَّنِيَّهْ مُجِدًّا فِي ٱلصَّبَاحِ وَفِي ٱلْعَشِيَّهْ
وَجُهْدُ ٱلْمَرْءِ فِي ٱلدُّنْيَا شَدِيدُ وَلَيْسَ يَنَالُ مِنْهَا مَا يُرِيدُ
وَكَيْفَ يَنَالُ فِي ٱلْأُخْرَى مَرَامَهْ وَلَمْ يَجْهَدْ لِمَطْلَبِهَا قُلَامَهْ

٤١ قَالَ بَهَاءُ ٱلدِّينِ زُهَيْرٌ:

نَزَلَ ٱلْمَشِيبُ وَإِنَّهُ فِي مَفْرِقِي لَأَعَزُّ نَازِلْ
وَبَكَيْتُ إِذْ رَحَلَ ٱلشَّبَا بُ فَآهِ آهِ عَلَيْهِ رَاحِلْ
بِٱللَّهِ قُلْ لِي يَا فُلَا نُ وَلِي أَقُولُ وَلِي أُسَائِلْ
أَتُرِيدُ فِي ٱلسَّبْعِينَ مَا قَدْ كُنْتَ فِي ٱلْعِشْرِينَ فَاعِلْ
هَيْهَاتِ لَا وَٱللَّهِ مَا هٰذَا ٱلْحَدِيثُ حَدِيثَ عَاقِلْ
قَدْ كُنْتَ تُعْذَرُ بِٱلصِّبَا وَٱلْيَوْمَ ذَاكَ ٱلْعُذْرُ زَائِلْ
مَنَّيْتَ نَفْسَكَ بَاطِلًا وَإِلَى مَتَى تَرْضَى بِبَاطِلْ
قَدْ صَارَ مِنْ دُونِ ٱلَّذِي تَرْجُوهُ مِنْ مَرَحٍ مَرَاحِلْ
ضَيَّعْتَ ذَا ٱلزَّمَنَ ٱلطَّوِيـ لَ وَلَمْ تَفُزْ فِيهِ بِطَائِلْ

ٱلْبَابُ الثَّالِثُ
فِي ٱلْمَرَاثِي

رثاء داود الطائي

٤٢ لَمَّا مَاتَ دَاوُدُ ٱلطَّائِيُّ تَكَلَّمَ ٱبْنُ ٱلسَّمَّاكِ مُثْنِيًا عَلَيْهِ فَقَالَ : إِنَّ دَاوُدَ نَظَرَ إِلَى مَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنْ آخِرَتِهِ فَأَغْشَى بَصَرُ ٱلْقَلْبِ بَصَرَ ٱلْعَيْنِ فَكَأَنَّهُ لَمْ يَنْظُرْ إِلَى مَا إِلَيْهِ تَنْظُرُونَ . وَكَأَنَّكُمْ لَمْ تَنْظُرُوا إِلَى مَا إِلَيْهِ نَظَرَ . وَأَنْتُمْ مِنْهُ تَعْجَبُونَ وَهُوَ مِنْكُمْ يَعْجَبُ . فَلَمَّا رَآكُمْ مَفْتُونِينَ مَغْرُورِينَ قَدْ أَذْهَلَتِ ٱلدُّنْيَا عُقُولَكُمْ وَأَمَاتَتْ بِحُبِّهَا قُلُوبَكُمْ ٱسْتَوْحَشَ مِنْكُمْ . فَكُنْتَ إِذَا نَظَرْتَ إِلَيْهِ حَسِبْتَهُ حَيًّا وَسَطَ أَمْوَاتٍ . يَا دَاوُدُ مَا أَعْجَبَ شَأْنَكَ بَيْنَ أَهْلِ زَمَانِكَ أَهَنْتَ نَفْسَكَ وَإِنَّمَا تُرِيدُ إِكْرَامَهَا وَأَتْعَبْتَهَا وَإِنَّمَا تُرِيدُ رَاحَتَهَا . أَخْشَنْتَ ٱلْمَطْعَمَ وَإِنَّمَا تُرِيدُ طَيِّبَهُ . وَخَشَّنْتَ ٱلْمَلْبَسَ وَإِنَّمَا تُرِيدُ لَيِّنَهُ . ثُمَّ أَمَتَّ نَفْسَكَ قَبْلَ أَنْ تَمُوتَ وَقَبَرْتَهَا قَبْلَ أَنْ تُقْبَرَ . وَعَذَّبْتَهَا قَبْلَ أَنْ تُعَذَّبَ سَجَنْتَ نَفْسَكَ فِي بَيْتِكَ وَلَا مُحَدِّثَ لَهَا لَوْلَا جَلِيسٌ مَعَهَا . وَلَا فِرَاشَ تَحْتَكَ وَلَا سِتْرَ عَلَى بَابِكَ . وَلَا قُلَّةَ تُبَرِّدُ فِيهَا مَاءَكَ وَلَا صَحْفَةَ يَكُونُ فِيهَا غَدَاؤُكَ وَعَشَاؤُكَ . يَا دَاوُدُ مَا تَشْتَهِي مِنَ ٱلْمَاءِ بَارِدَهُ وَلَا مِنَ ٱلطَّعَامِ طَيِّبَهُ وَلَا مِنَ ٱللِّبَاسِ لَيِّنَهُ بَلَى وَلَكِنْ زَهِدْتَ فِيهِ لِمَا بَيْنَ يَدَيْكَ . فَمَا أَصْغَرَ مَا بَذَلْتَ وَمَا أَحْقَرَ مَا تَرَكْتَ فِي جَنْبِ مَا رَغِبْتَ وَأَمَّلْتَ . لَمْ تَقْبَلْ مِنَ ٱلنَّاسِ عَطِيَّةً وَلَا مِنْ

ٱلْإِخْوَانِ هَدِيَّةً فَلَمَّا مُتَّ شَهَرَكَ رَبُّكَ بِفَضْلِكَ وَأَلْبَسَكَ رِدَاءَ عَمَلِكَ. فَلَوْ رَأَيْتَ مَنْ حَضَرَكَ عَلِمْتَ أَنَّ رَبَّكَ قَدْ أَكْرَمَكَ (لابن عبد ربّه)

رثاء الاسكندر

٤٣ مُخْتَارٌ مِنْ قَوْلِ ٱلْحُكَمَاءِ عِنْدَ وَفَاةِ ٱلْإِسْكَنْدَرِ لَمَّا جُعِلَ فِي تَابُوتٍ مِنْ ذَهَبٍ تَقَدَّمَ إِلَيْهِ أَحَدُهُمْ فَقَالَ: كَانَ ٱلْمَلِكُ يَخْبَأُ ٱلذَّهَبَ وَقَدْ صَارَ ٱلْآنَ ٱلذَّهَبُ يَخْبَأُهُ. وَتَقَدَّمَ إِلَيْهِ آخَرُ فَقَالَ: قَدْ طَافَ ٱلْأَرْضِينَ وَتَمَلَّكَهَا ثُمَّ جُعِلَ مِنْهَا فِي أَرْبَعَةِ أَذْرُعٍ. (وَوَقَفَ عَلَيْهِ آخَرُ) فَقَالَ: ٱنْظُرْ إِلَى حُلْمِ ٱلنَّائِمِ كَيْفَ ٱنْقَضَى إِلَى ظِلِّ ٱلْغَمَامِ وَقَدِ ٱنْجَلَى. (وَوَقَفَ عَلَيْهِ آخَرُ) فَقَالَ: مَا لَكَ لَا تُقِلُّ عُضْوًا مِنْ أَعْضَائِكَ وَقَدْ كُنْتَ تَسْتَقِلُّ مُلْكَ ٱلْعِبَادِ. (وَقَالَ آخَرُ): مَا لَكَ لَا تَرْغَبُ بِنَفْسِكَ عَنْ ضِيقِ ٱلْمَكَانِ وَقَدْ كُنْتَ تَرْغَبُ بِهَا عَنْ رَحْبِ ٱلْبِلَادِ (وَقَالَ آخَرُ): أَمَاتَ هٰذَا ٱلْمَيِّتُ كَثِيرًا مِنَ ٱلنَّاسِ لِئَلَّا يَمُوتَ وَقَدْ مَاتَ ٱلْآنَ. (وَقَالَ آخَرُ:) مَا كَانَ أَقْبَحَ إِفْرَاطَكَ فِي ٱلتَّجَبُّرِ أَمْسِ مَعَ شِدَّةِ خُضُوعِكَ ٱلْيَوْمَ. (قَالَتْ بِنْتُ دَارَا): مَا عَلِمْتُ أَنَّ غَالِبَ أَبِي يُغْلَبُ. (وَقَالَ رَئِيسُ ٱلطَّبَّاخِينَ): قَدْ نَضَدْتُ ٱلنَّضَائِدَ وَأَلْقَيْتُ ٱلْوَسَائِدَ وَنَصَبْتُ ٱلْمَوَائِدَ وَلَسْتُ أَرَى عَمِيدَ ٱلْمَجْلِسِ (للقيرواني)

٤٤ قَالَ ٱبْنُ عَبْدِ رَبِّهِ يَرْثِي وَلَدَهُ:

وَا كَبِدَا قَدْ تَقَطَّعَتْ كَبِدِي قَدْ حَرَّقَتْهَا لَوَاعِجُ ٱلْكَمَدِ
مَا مَاتَ حَيٌّ لِمَيِّتٍ أَسَفًا أَعْذَرَ مِنْ وَالِدٍ عَلَى وَلَدِ

يَا رَحْمَةَ ٱللهِ جَاوِرِي جَدَثًا ... دَفَنْتُ فِيهِ حُشَاشَتِي بِيَدِي
وَنَوِّرِي ظُلْمَةَ ٱلْقُبُورِ عَلَى ... مَنْ لَمْ يَصِلْ ظُلْمُهُ إِلَى أَحَدِ
مَنْ كَانَ خِلْوًا مِنْ كُلِّ بَائِقَةٍ ... وَطَيِّبَ ٱلرُّوحِ طَاهِرَ ٱلْجَسَدِ
يَا مَوْتَ يَحْيَى لَقَدْ ذَهَبْتَ بِهِ ... لَيْسَ بِزُمَّيْلَةٍ وَلَا نَكِدِ
يَا مَوْتَهُ لَوْ أَقَلْتَ عَثْرَتَهُ ... يَا يَوْمَهُ لَوْ تَرَكْتَهُ لِغَدِ
يَا مَوْتُ لَوْ لَمْ تَكُنْ تُعَاجِلُهُ ... لَكَانَ لَا شَكَّ بَيْضَةَ ٱلْبَلَدِ
أَوْ كُنْتَ رَاخَيْتَ فِي ٱلْعِنَانِ لَهُ ... حَازَ ٱلْعُلَا وَٱحْتَوَى عَلَى ٱلْأَمَدِ
أَيُّ حُسَامٍ سَلَبْتَ رَوْنَقَهُ ... وَأَيَّ رُوحٍ سَلَلْتَ مِنْ جَسَدِ
وَأَيَّ سَاقٍ قَطَعْتَ مِنْ قَدَمٍ ... وَأَيَّ كَفٍّ أَزَلْتَ مِنْ عَضُدِ
يَا قَمَرًا أَخْجَفَ ٱلْخُسُوفُ بِهِ ... قَبْلَ بُلُوغِ ٱلسَّوَاءِ فِي ٱلْعَدَدِ
أَيُّ حَشًا لَمْ يَذُبْ لَهُ أَسَفًا ... وَأَيُّ عَيْنٍ عَلَيْهِ لَمْ تَجُدِ
لَا صَبْرَ لِي بَعْدَهُ وَلَا جَلَدٌ ... فُجِعْتَ يَا صَبْرُ فِيهِ وَٱلْجَلَدِ
لَوْ لَمْ أَمُتْ عِنْدَ مَوْتِهِ كَمَدًا ... لَحُقَّ لِي أَنْ أَمُوتَ مِنْ كَمَدِي
يَا لَوْعَةً لَا يَزَالُ لَاعِجُهَا ... يَقْدَحُ نَارَ ٱلْأَسَى عَلَى كَبِدِي

٤٥ وَقَالَ فِيهِ أَيْضًا:

لَا بَيْتَ يُسْكَنُ إِلَّا فَارَقَ ٱلسَّكَنَا ... وَلَا ٱمْتَلَا فَرَحًا إِلَّا ٱمْتَلَا حَزَنَا
لِهْفِي عَلَى مَيِّتٍ مَاتَ ٱلسُّرُورُ بِهِ ... لَوْ كَانَ حَيًّا لَأَحْيَا ٱلدِّينَ وَٱلسُّنَنَا
إِذَا ذَكَرْتُكَ يَوْمًا قُلْتُ وَاحَزَنَا ... وَمَا يَرُدُّ عَلَيْكَ ٱلْقَوْلُ وَاحَزَنَا
يَا سَيِّدِي وَمُرَاحَ ٱلرُّوحِ فِي جَسَدِي ... هَلَّا دَنَا ٱلْمَوْتُ مِنِّي حِينَ مِنْكَ دَنَا

حَتَّى يَمُرَّ بِنَا فِي قَعْرِ مُظْلِمَةٍ ... لَحْدٍ وَيُلْبِسَنَا فِي وَاحِدٍ كَفَنَا
يَا أَطْيَبَ النَّاسِ رُوحًا ضَمَّهُ بَدَنٌ ... أَسْتَوْدِعُ اللهَ ذَاكَ الرُّوحَ وَالْبَدَنَا
لَوْ كُنْتُ أُعْطَى بِهِ الدُّنْيَا مُعَاوَضَةً ... مِنْهُ لَمَا كَانَتِ الدُّنْيَا لَهُ ثَمَنَا

٤٦ قَالَ الْحَسَنُ بْنُ هَانِئٍ فِي الْأَمِينِ:

طَوَى الْمَوْتُ مَا بَيْنِي وَبَيْنَ مُحَمَّدٍ ... وَلَيْسَ لِمَا تَطْوِي الْمَنِيَّةُ نَاشِرُ
وَكُنْتُ عَلَيْهِ أَحْذَرُ الْمَوْتَ وَحْدَهُ ... فَلَمْ يَبْقَ لِي شَيْءٌ عَلَيْهِ أُحَاذِرُ
لَئِنْ عَمَرَتْ دُورٌ بِمَنْ لَا أُحِبُّهُ ... لَقَدْ عَمَرَتْ مِمَّنْ أُحِبُّ الْمَقَابِرُ

وَمَاتَ ابْنٌ لِأَعْرَابِيٍّ فَاشْتَدَّ حُزْنُهُ عَلَيْهِ وَكَانَ الْأَعْرَابِيُّ يُكَنَّى بِهِ فَقِيلَ لَهُ لَوْ صَبَرْتَ لَكَانَ أَعْظَمَ لِثَوَابِكَ. فَقَالَ:

بِأَبِي وَأُمِّي مَنْ عَبَأَتُ حَنُوطَهُ ... بِيَدِي وَفَارَقَنِي بِمَاءِ شَبَابِهِ
كَيْفَ السُّلُوُّ وَكَيْفَ أَنْسَى ذِكْرَهُ ... وَإِذَا دُعِيتُ فَإِنَّمَا أُدْعَى بِهِ

وَقَالَ آخَرُ يَرْثِي أَخَاهُ:

أَخٌ طَالَمَا سَرَّنِي ذِكْرُهُ ... فَقَدْ صِرْتُ أَشْجَى إِلَى ذِكْرِهِ
وَقَدْ كُنْتُ أَغْدُو إِلَى قَصْرِهِ ... فَقَدْ صِرْتُ أَغْدُو إِلَى قَبْرِهِ

٤٧ قَالَتِ الْخَنْسَاءُ تَرْثِي أَخَاهَا:

أَعَيْنَيَّ جُودَا وَلَا تَجْمُدَا ... أَلَا تَبْكِيَانِ لِصَخْرِ النَّدَى
أَلَا تَبْكِيَانِ الْجَرِيَّ الْجَوَادَا ... أَلَا تَبْكِيَانِ الْفَتَى السَّيِّدَا
طَوِيلُ النِّجَادِ رَفِيعُ الْعِمَا ... دِ سَادَ عَشِيرَتَهُ أَمْرَدَا
يُحَمِّلُهُ الْقَوْمُ مَا غَالَهُمْ ... وَإِنْ كَانَ أَصْغَرَهُمْ مَوْلِدَا

جُمُوعُ ٱلضُّيُوفِ إِلَى بَابِهِ يَرَى أَفْضَلَ ٱلْكَسْبِ أَنْ يُحْمَدَا

وَقَالَتْ أُخْتُ ٱلْوَلِيدِ ٱبْنِ طَرِيفٍ تَرْثِي أَخَاهَا ٱلْمَذْكُورَ :

أَيَا شَجَرَ ٱلْخَابُورِ مَالَكَ مُورِقًا كَأَنَّكَ لَمْ تَجْزَعْ عَلَى بْنِ طَرِيفِ

فَتًى لَا يُرِيدُ ٱلْعِزَّ إِلَّا مِنَ ٱلتُّقَى وَلَا ٱلْمَالَ إِلَّا مِنْ قَنًا وَسُيُوفِ

فَقَدْنَاهُ فِقْدَانَ ٱلرَّبِيعِ فَلَيْتَنَا فَدَيْنَاهُ مِنْ سَادَاتِنَا بِأُلُوفِ

خَفِيفٌ عَلَى ظَهْرِ ٱلْجَوَادِ إِذَا عَدَا وَلَيْسَ عَلَى أَعْدَائِهِ بِخَفِيفِ

عَلَيْكَ سَلَامُ ٱللهِ وَقْفًا فَإِنَّنِي أَرَى ٱلْمَوْتَ وَقَّاعًا بِكُلِّ شَرِيفِ

قَالَ ٱبْنُ مَعْتُوقٍ يَرْثِي عَلِيَّ بْنَ أَبِي طَالِبٍ :

حُزْنِي عَلَيْهِ دَائِمٌ لَا يَنْقَضِي وَتَصَبُّرِي مِنِّي عَلَيَّ تَعَذُّرَا

وَارَحْمَتَاهُ لِصَارِخَاتٍ حَوْلَهُ تَبْكِي لَهُ وَلِوَجْهِهَا لَنْ تَسْتُرَا

مُلْقًى عَلَى وَجْهِ ٱلتُّرَابِ تَظُنُّهُ دَاوُدَ فِي ٱلْمِحْرَابِ حِينَ تَسَوَّرَا

لَهْفِي عَلَى ٱلْهَاوِي ٱلصَّرِيعِ كَأَنَّهُ قَمَرٌ هَوَى مِنْ أُفْقِهِ فَتَكَوَّرَا

لَهْفِي عَلَى تِلْكَ ٱلْبَنَانِ تَقَطَّعَتْ لَوْ أَنَّهَا ٱتَّصَلَتْ لَكَانَتْ أَبْحُرَا

لَهْفِي عَلَى ٱلْعَبَّاسِ وَهُوَ مُجَدَّلٌ عَرَضَتْ مَنِيَّتُهُ لَهُ فَتَعَثَّرَا

لَحِقَ ٱلْغُبَارُ جَبِينَهُ وَلَطَالَمَا فِي شَأْوِهِ لَحِقَ ٱلْكِرَامَ وَغَبَّرَا

٤٨ وَقَالَ ٱلْأَصْمَعِيُّ :

لَعَمْرُكَ مَا ٱلرَّزِيَّةُ فَقْدُ مَالٍ وَلَا فَرَسٌ يَمُوتُ وَلَا بَعِيرُ

وَلَكِنَّ ٱلرَّزِيَّةَ فَقْدُ حُرٍّ يَمُوتُ لِمَوْتِهِ خَلْقٌ كَثِيرُ

وَقَالَ ٱلصَّفَدِيُّ :

يَا غَائِبًا فِي ٱلثَّرَى تَبْلَى مَحَاسِنُهُ أَللهُ يُولِيكَ غُفْرَانًا وَإِحْسَانَا
إِنْ كُنْتَ جُرِّعْتَ كَأْسَ ٱلْمَوْتِ وَاحِدَةً فِي كُلِّ يَوْمٍ أَذُوقُ ٱلْمَوْتَ أَحْيَانَا

رَثَى بَعْضُ ٱلشُّعَرَاءِ ٱلْقَاضِيَ ٱلْبَاقِلَانِيَّ ٱلْبَصْرِيَّ :

أُنْظُرْ إِلَى جَبَلٍ تَمْشِي ٱلرِّجَالُ بِهِ وَٱنْظُرْ إِلَى ٱلْقَبْرِ مَا يَحْوِي مِنَ ٱلصَّلَفِ
وَٱنْظُرْ إِلَى صَارِمِ ٱلْإِسْلَامِ مُغْتَمِدًا وَٱنْظُرْ إِلَى دُرَّةِ ٱلْإِسْلَامِ فِي ٱلصَّدَفِ

قَالَ بَعْضُهُمْ :

أَفِي كُلِّ يَوْمٍ لِي خَلِيلٌ مُوَدِّعٌ لَقَدْ خِفْتُ أَنْ أَبْقَى بِغَيْرِ خَلِيلِ
وَلَا بُدَّ يَوْمًا أَنْ تَجِيءَ مَنِيَّتِي وَيُفْرَدَ مِنِّي صَاحِبِي وَدَخِيلِي

قَالَ آخَرُ يَرْثِي أَخَاهُ :

كَأَنِّي يَوْمَ فَارَقَنِي حَبِيبٌ رُزِئْتُ ذَوِي ٱلْمَوَدَّةِ أَجْمَعِينَا
وَكَانَ عَلَى ٱلزَّمَانِ أَخِي حَبِيبٌ يَمِينًا لِي وَكُنْتُ لَهُ يَمِينَا
فَإِنْ يَفْرَحْ بِمَصْرَعِهِ ٱلْأَعَادِي فَمَا نُلْفَى لَهُمْ مُتَخَشِّعِينَا

قَالَ إِبْرَاهِيمُ ٱلصُّولِيُّ يَرْثِي ٱبْنًا لَهُ مَاتَ يَافِعًا مُتَرَعْرِعًا :

كُنْتَ ٱلسَّوَادَ لِمُقْلَتِي فَبَكَى عَلَيْكَ ٱلنَّاظِرُ
مَنْ شَاءَ بَعْدَكَ فَلْيَمُتْ فَعَلَيْكَ كُنْتُ أُحَاذِرُ

٤٩ كَانَ ٱبْنُ بَسَّامٍ يَرْثِي عَلِيَّ بْنَ يَحْيَى ٱلْمُنَجِّمَ :

قَدْ زُرْتُ قَبْرَكَ يَا عَلِيُّ مُسَلِّمًا وَلَكَ ٱلزِّيَارَةُ مِنْ أَقَلِّ ٱلْوَاجِبِ
وَلَوِ ٱسْتَطَعْتُ حَمَلْتُ عَنْكَ تُرَابَهُ فَلَطَالَمَا عَنِّي حَمَلْتَ نَوَائِبِي

قَالَ ٱلْعُتْبِيُّ فِي ٱبْنٍ لَهُ تُوُفِّيَ صَغِيرًا :

إِنْ يَكُنْ مَاتَ صَغِيرًا فَٱلْأَسَى غَيْرُ صَغِيرِ
كَانَ رَيْحَانِي فَأَمْسَى وَهْوَ رَيْحَانُ ٱلْقُبُورِ
غَرَسَتْهُ فِي بَسَاتِيـنِ ٱلْبِلَى أَيْدِي ٱلدُّهُورِ

قَالَ غَيْرُهُ :

لَقَدْ لَامَنِي عِنْدَ ٱلْقُبُورِ عَلَى ٱلْبُكَا رَفِيقِي لِتَذْرَافِ ٱلدُّمُوعِ ٱلسَّوَافِكِ
فَقَالَ أَتَبْكِي كُلَّ قَبْرٍ رَأَيْتَهُ لِقَبْرٍ ثَوَى بَيْنَ ٱللَّوَى فَٱلدَّكَادِكِ
فَقُلْتُ لَهُ إِنَّ ٱلشَّجَا يَبْعَثُ ٱلشَّجَا فَدَعْنِي فَهٰذَا كُلُّهُ قَبْرُ مَالِكِ

قَالَ آخَرُ :

لِكُلِّ أُنَاسٍ مَقْبَرٌ بِفِنَائِهِمْ فَهُمْ يَنْقُصُونَ وَٱلْقُبُورُ تَزِيدُ
وَمَا إِنْ يَزَالُ رَسْمُ دَارٍ قَدِ ٱخْلَقَتْ وَبَيْتٌ لِمَيْتٍ بِٱلْفِنَاءِ جَدِيدُ
هُمُ جِيرَةُ ٱلْأَحْيَاءِ أَمَّا جِوَارُهُمْ فَدَانٍ وَأَمَّا ٱلْمُلْتَقَى فَبَعِيدُ

٥٠ قَالَ ٱلْغَطَمَّشُ ٱلضَّبِّيُّ :

إِلَى ٱللهِ أَشْكُو لَا إِلَى ٱلنَّاسِ أَنَّنِي أَرَى ٱلْأَرْضَ تَبْقَى وَٱلْأَخِلَّاءُ تَذْهَبُ
أَخِلَّاءُ لَوْ غَيْرُ ٱلْحِمَامِ أَصَابَكُمْ عَتَبْتُ وَلٰكِنْ مَا عَلَى ٱلْمَوْتِ مَعْتَبُ

قَالَ آخَرُ :

أَجَارِيَ مَا أَزْدَادُ إِلَّا صَبَابَةً إِلَيْكَ وَمَا تَزْدَادُ إِلَّا تَنَائِيَا
أَجَارِيَ لَوْ نَفْسٌ فُدِيَتْ نَفْسَ مَيِّتٍ فَدَيْتُكَ مَسْرُورًا بِنَفْسِي وَمَالِيَا
وَقَدْ كُنْتُ أَرْجُو أَنْ أُمَلَّاكَ حِقْبَةً فَحَالَ قَضَاءُ ٱللهِ دُونَ رَجَائِيَا
أَلَا فَلْيَمُتْ مَنْ شَاءَ بَعْدَكَ إِنَّمَا عَلَيْكَ مِنَ ٱلْأَقْدَارِ كَانَ حِذَارِيَا

٥١ قَالَ أَبُو الشَّغْبِ الْعَبْسِيُّ فِي خَالِدٍ الْقَسْرِيِّ وَهُوَ أَسِيرٌ:

أَلَا إِنَّ خَيْرَ النَّاسِ حَيًّا وَهَالِكًا ... أَسِيرُ ثَقِيفٍ عِنْدَهُمْ فِي السَّلَاسِلِ
لَعَمْرِي لَئِنْ عَمَّرْتُمُ السِّجْنَ خَالِدًا ... وَأَوْطَأْتُمُوهُ وَطْأَةَ الْمُتُثَاقِلِ
لَقَدْ كَانَ يَبْنِي الْمَكْرُمَاتِ لِقَوْمِهِ ... وَيُعْطِي الْأُلَى فِي كُلِّ حَقٍّ وَبَاطِلِ
فَإِنْ تَسْجُنُوا الْقَسْرِيَّ لَا تَسْجُنُوا اسْمَهُ ... وَلَا تَسْجُنُوا مَعْرُوفَهُ فِي الْقَبَائِلِ

قَالَتْ صُفَيَّةُ الْبَاهِلِيَّةُ:

كُنَّا كَغُصْنَيْنِ فِي جُرْثُومَةٍ سَمَقَا ... حِينًا بِأَحْسَنِ مَا يَسْمُو لَهُ الشَّجَرُ
حَتَّى إِذَا قِيلَ قَدْ طَالَتْ فُرُوعُهُمَا ... وَطَابَ فَيْآهُمَا وَاسْتُنْظِرَ الثَّمَرُ
أَخْنَى عَلَى وَاحِدِي رَيْبُ الزَّمَانِ وَمَا ... يُبْقِي الزَّمَانُ عَلَى شَيْءٍ وَلَا يَذَرُ
كُنَّا كَأَنْجُمِ لَيْلٍ بَيْنَهَا قَمَرٌ ... يَجْلُو الدُّجَى فَهَوَى مِنْ بَيْنِهَا الْقَمَرُ

٥٢ وَقَالَ التَّيْمِيُّ فِي مَنْصُورٍ:

لَهْفِي عَلَيْكَ كَلَهْفَةٍ مِنْ خَائِفٍ ... يَبْغِي جِوَارَكَ حِينَ لَيْسَ مُجِيرُ
أَمَّا الْقُبُورُ فَإِنَّهُنَّ أَوَانِسٌ ... بِجِوَارِ قَبْرِكَ وَالدِّيَارُ قُبُورُ
عَمَّتْ فَوَاضِلُهُ فَعَمَّ مُصَابُهُ ... فَالنَّاسُ فِيهِ كُلُّهُمْ مَأْجُورُ
يُثْنِي عَلَيْكَ لِسَانُ مَنْ لَمْ تُوْلِهِ ... خَيْرًا لِأَنَّكَ بِالثَّنَاءِ جَدِيرُ
رَدَّتْ صَنَائِعُهُ إِلَيْهِ حَيَاتَهُ ... فَكَأَنَّهُ مِنْ نَشْرِهَا مَنْشُورُ
فَالنَّاسُ مَأْتَمُهُمْ عَلَيْهِ وَاحِدٌ ... فِي كُلِّ دَارٍ رَنَّةٌ وَزَفِيرُ
عَجَبًا لِأَرْبَعِ أَذْرُعٍ فِي خَمْسَةٍ ... فِي جَوْفِهَا جَبَلٌ أَشَمُّ كَبِيرُ

(الحماسة لابي تمّام)

أَلْبَابُ الرَّابِعُ
فِي الْحِكَمِ

٥٣ قِيلَ : لَا تَسْتَصْغِرَنَّ أَمْرَ عَدُوِّكَ إِذَا حَارَبْتَهُ . لِأَنَّكَ إِنْ ظَفِرْتَ بِهِ لَمْ تُحْمَدْ وَإِنْ ظَفِرَ بِكَ لَمْ تُعْذَرْ . وَالضَّعِيفُ الْمُحْتَرِسُ مِنَ الْعَدُوِّ الْقَوِيِّ أَقْرَبُ إِلَى السَّلَامَةِ مِنَ الْقَوِيِّ الْمُغْتَرِّ بِالْعَدُوِّ الضَّعِيفِ . وَقِيلَ : الْعَدُوُّ الْمُحْتَقَرُ رُبَّمَا اشْتَدَّ . كَالْغُصْنِ النَّضِرِ رُبَّمَا صَارَ شَوْكًا . وَقِيلَ : لَا تَأْمَنَنَّ الْعَدُوَّ الضَّعِيفَ أَنْ يُورِّطَكَ . فَالرُّمْحُ قَدْ يُقْتَلُ بِهِ وَإِنْ عَدِمَ السِّنَانَ وَالزُّجَّ . قَالَ الْمُوسَوِيُّ :

أَلْفِيلُ يَضْجَرُ وَهُوَ أَعْـ ظَمُ مَا رَأَيْتَ مِنَ الْبَعُوضِ

٥٤ يُقَالُ إِنَّ ابْنَ الْقُرَيَّةِ دَخَلَ عَلَى الْحَجَّاجِ وَقَالَ لَهُ : مَا الْكُفْرُ . فَقَالَ : الْبَطَرُ بِالنِّعْمَةِ وَالْيَأْسُ مِنَ الرَّحْمَةِ . فَقَالَ : مَا الرِّضَاءُ . فَقَالَ : الْقُنُوعُ بِعَطَاءِ اللهِ تَعَالَى وَالصَّبْرُ عَلَى الْمَكَارِهِ . فَقَالَ : مَا الصَّبْرُ . فَقَالَ : كَظْمُ الْغَيْظِ وَالْاِحْتِمَالُ لِمَا لَا يُرَادُ . فَقَالَ : مَا الْحِلْمُ . فَقَالَ : إِظْهَارُ الرَّحْمَةِ عِنْدَ الْقُدْرَةِ وَالرِّضَاءِ عِنْدَ الْغَضَبِ . فَقَالَ : مَا الْكَرَمُ . فَقَالَ : حِفْظُ الصَّدِيقِ وَقَضَاءُ الْحُقُوقِ . فَقَالَ : مَا الْحَمِيَّةُ . فَقَالَ : الْوُقُوفُ عَلَى رَأْسِ مَنْ هُوَ دُونَكَ . فَقَالَ : مَا الشَّجَاعَةُ . فَقَالَ : الْحَمْلَةُ فِي وُجُوهِ الْأَعْدَاءِ وَالْكُفَّارِ . وَالثَّبَاتُ فِي مَوْضِعِ الْفِرَارِ . وَإِرْضَاءُ الرِّجَالِ . قَالَ : مَا الْعَدْلُ . قَالَ : تَرْكُ الْمُرَادِ . وَصِحَّةُ السِّيرَةِ وَالْاِعْتِقَادِ . فَقَالَ :

مَا ٱلْإِنْصَافُ. قَالَ: ٱلْمُسَاوَاةُ عِنْدَ ٱلدَّعَاوَى بَيْنَ ٱلنَّاسِ. فَقَالَ: مَا ٱلذُّلُّ. قَالَ: ٱلْمَرَضُ عِنْدَ خُلُوِّ ٱلْيَدِ وَٱلِٱنْكِسَارُ مِنْ قِلَّةِ ٱلرِّزْقِ. فَقَالَ: مَا ٱلْحِرْصُ. قَالَ: حِدَّةُ ٱلشَّهْوَةِ عِنْدَ ٱلرَّجَاءِ. فَقَالَ: مَا ٱلْأَمَانَةُ. قَالَ: قَضَاءُ ٱلْوَاجِبِ. فَقَالَ: مَا ٱلْخِيَانَةُ قَالَ: ٱلتَّرَاخِي مَعَ ٱلْقُدْرَةِ. فَقَالَ: مَا ٱلْفَهْمُ. قَالَ: ٱلتَّفَكُّرُ وَإِدْرَاكُ ٱلْأَشْيَاءِ عَلَى حَقَائِقِهَا (للغزالي)

٥٥ (فَائِدَةٌ جَامِعَةٌ وَلُمْعَةٌ سَاطِعَةٌ وَمَقَالَةٌ نَافِعَةٌ عَنْ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ) قَالَ: لِلْمُؤْمِنِ عَلَى أَخِيهِ ٱلْمُؤْمِنِ ثَلَاثُونَ حَقًّا لَا بَرَاءَةَ لَهُ مِنْهَا إِلَّا بِٱلْأَدَاءِ أَوِ ٱلْعَفْوِ. يَغْفِرُ زَلَّتَهُ. وَيَرْحَمُ عَبْرَتَهُ. وَيَسْتُرُ عَوْرَتَهُ. وَيُقِيلُ عَثْرَتَهُ. وَيَقْبَلُ مَعْذِرَتَهُ. وَيَرُدُّ غِيبَتَهُ. وَيُدِيمُ نَصِيحَتَهُ. وَيَحْفَظُ خُلَّتَهُ. وَيَرْعَى ذِمَّتَهُ. وَيَعُودُ مَرْضَتَهُ. وَيَشْهَدُ مِيتَتَهُ. وَيُجِيبُ دَعْوَتَهُ. وَيَقْبَلُ هَدِيَّتَهُ. وَيُكَافِئُ صِلَتَهُ. وَيَشْكُرُ نِعْمَتَهُ. وَيُحْسِنُ نُصْرَتَهُ. وَيَحْفَظُ حُرْمَتَهُ. وَيَقْضِي حَاجَتَهُ. وَيَقْبَلُ شَفَاعَتَهُ. وَلَا يُخَيِّبُ مَقْصَدَهُ. وَيُشَمِّتُ عَطْسَتَهُ. وَيُرْشِدُ ضَالَّتَهُ. وَيَرُدُّ سَلَامَهُ. وَيُطَيِّبُ كَلَامَهُ. وَيُبِرُّ إِنْعَامَهُ. وَيُصَدِّقُ أَقْسَامَهُ. وَيَنْظُرُ ظَالِمًا يَرُدُّهُ عَنْ ظُلْمِهِ وَمَظْلُومًا بِإِعَانَتِهِ عَلَى وَفَاءِ حَقِّهِ. وَيُوَالِيهِ وَلَا يُعَادِيهِ. وَلَا يَخْذُلُهُ وَلَا يَشْتِمُهُ. وَيُحِبُّ لَهُ مِنَ ٱلْخَيْرِ مَا يُحِبُّ لِنَفْسِهِ. وَيَكْرَهُ لَهُ مِنَ ٱلشَّرِّ مَا يَكْرَهُ لِنَفْسِهِ فَلَا يَتْرُكُ وَاحِدًا مِنْهَا إِلَّا طَالَبَهُ بِهِ يَوْمَ ٱلْقِيَامَةِ (الترغيب للاصبهاني)

٥٦ قَالَ حَكِيمٌ: ٱلْمُؤْمِنُ شَرِيفٌ ظَرِيفٌ لَطِيفٌ لَا لَعَّانٌ وَلَا نَمَّامٌ. وَلَا مُغْتَابٌ وَلَا قَتَّاتٌ. وَلَا حَسُودٌ وَلَا حَقُودٌ. وَلَا بَخِيلٌ وَلَا مُخْتَالٌ. يَطْلُبُ

مِنَ ٱلْخَيْرَاتِ أَعْلَاهَا . وَمِنَ ٱلْأَخْلَاقِ أَسْنَاهَا . إِنْ سَلَكَ مَعَ أَهْلِ ٱلْآخِرَةِ كَانَ أَوْرَعَهُمْ . غَضِيضُ ٱلطَّرْفِ . سَخِيُّ ٱلْكَفِّ . لَا يَرُدُّ سَائِلَ . وَلَا يَبْخَلُ بِنَائِلَ . مُتَوَاصِلُ ٱلْأَحْزَانِ مُتَرَادِفُ ٱلْإِحْسَانِ . يَزِنُ كَلَامَهُ وَيَحْرُسُ لِسَانَهُ . وَيُحْسِنُ عَمَلَهُ وَيُكْثِرُ فِي ٱلْحَقِّ أَمَلَهُ . مُتَأَسِّفٌ عَلَى مَا فَاتَهُ مِنْ تَضْيِيعِ أَوْقَاتِهِ . كَأَنَّهُ نَاظِرٌ إِلَى رَبِّهِ مُرَاقِبٌ لِمَا سُبِقَ لَهُ . لَا يَرُدُّ ٱلْحَقَّ عَلَى عَدُوِّهِ . وَلَا يَقْبَلُ ٱلْبَاطِلَ مِنْ صَدِيقِهِ . كَثِيرُ ٱلْمَعُونَةِ قَلِيلُ ٱلْمَؤُونَةِ . يَعْطِفُ عَلَى أَخِيهِ عِنْدَ عِثْرَتِهِ لِمَا مَضَى مِنْ قَدِيمِ صُحْبَتِهِ . فَهٰذِهِ صِفَاتُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلْخَالِصِينَ (للدميري)

٥٧ (مِنْ كَلَامِ ٱلْمُلُوكِ ٱلْجَارِي مَجْرَى ٱلْأَمْثَالِ :) قَالَ أَزْدَشِيرُ إِذَا رَغِبَتِ ٱلْمُلُوكُ عَنِ ٱلْعَدْلِ رَغِبَتِ ٱلرَّعِيَّةُ عَنِ ٱلطَّاعَةِ . (أَفْرِدُونَ) ٱلْأَيَّامُ صَحَائِفُ آجَالِكُمْ فَخَلِّدُوهَا أَحْسَنَ أَعْمَالِكُمْ . (أَنُوشَرْوَانُ ٱلْمَلِكُ) إِذَا كَثُرَ مَالُهُ مِمَّا يَأْخُذُ مِنْ رَعِيَّتِهِ كَانَ كَمَنْ يَعْمُرُ سَطْحَ بَيْتِهِ بِمَا يَقْتَلِعُهُ مِنْ قَوَاعِدِ بُنْيَانِهِ . (أَبَرْوِيزُ) أَطِعْ مَنْ فَوْقَكَ يُطِعْكَ مَنْ دُونَكَ . قَالَ ٱبْنُ ٱلْمُعْتَزِّ :

كَمْ فُرْصَةٍ ذَهَبَتْ فَعَادَتْ غُصَّةً تُشْجِي بِطُولِ تَأَسُّفٍ وَتَنَدُّمِ

لَمَّا عَزَمَ ٱلْمَنْصُورُ عَلَى ٱلْفَتْكِ بِأَبِي مُسْلِمٍ فَزِعَ مِنْ ذٰلِكَ عِيسَى بْنُ مُوسَى فَكَتَبَ إِلَيْهِ :

إِذَا كُنْتَ ذَا رَأْيٍ فَكُنْ ذَا تَدَبُّرٍ فَإِنَّ فَسَادَ ٱلرَّأْيِ أَنْ تَتَعَجَّلَا

فَأَجَابَهُ ٱلْمَنْصُورُ :

إِذَا كُنْتَ ذَا رَأْيٍ فَكُنْ ذَا عَزِيمَةٍ فَإِنَّ فَسَادَ الرَّأْيِ أَنْ تَتَرَدَّدَا
وَلَا تُمْهِلِ الْأَعْدَاءَ يَوْمًا بِغُدْوَةٍ وَبَادِرْهُمُ أَنْ يَمْلِكُوا مِثْلَهَا غَدَا
(الْمُعْتَصِمُ) إِذَا نَصَرَ الْهَوَى بَطَلَ الرَّأْيُ (للقيرواني)

٥٨ (قَالَ أَيُّوبُ بْنُ الْقُرَيَّةِ): النَّاسُ ثَلَاثَةٌ عَاقِلٌ وَأَحْمَقُ وَفَاجِرٌ. فَالْعَاقِلُ الدِّينُ شَرِيعَتُهُ وَالْحِلْمُ طَبِيعَتُهُ وَالرَّأْيُ الْحَسَنُ سَجِيَّتُهُ. إِنْ سُئِلَ أَجَابَ. وَإِنْ نَطَقَ أَصَابَ. وَإِنْ سَمِعَ الْعِلْمَ وَعَى. وَإِنْ حَدَّثَ رَوَى. وَأَمَّا الْأَحْمَقُ فَإِنْ تَكَلَّمَ عَجِلَ. وَإِنْ حَدَّثَ وَهِلَ. وَإِنِ اسْتُنْزِلَ عَنْ رَأْيِهِ نَزَلَ. فَإِنْ حُمِلَ عَلَى الْقَبِيحِ حَمِلَ. وَأَمَّا الْفَاجِرُ فَإِنِ ائْتَمَنْتَهُ خَانَكَ. وَإِنْ حَدَّثْتَهُ شَانَكَ. وَإِنْ وَثِقْتَ بِهِ لَمْ يَرْعَكَ. وَإِنِ اسْتَكْتَمْتَهُ لَمْ يَكْتُمْ. وَإِنْ عُلِّمَ لَمْ يَعْلَمْ. وَإِنْ حَدَّثَ لَمْ يَفْهَمْ. وَإِنْ فُقِّهَ لَمْ يَفْقَهْ

٥٩ دَخَلَ رَجُلٌ عَلَى هِشَامٍ فَقَالَ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ احْفَظْ عَنِّي أَرْبَعَ كَلِمَاتٍ فِيهِنَّ صَلَاحُ مُلْكِكَ وَاسْتِقَامَةُ رَعِيَّتِكَ. قَالَ: مَاهُنَّ. قَالَ: لَا تَعِدْ عِدَةً لَا تَثِقُ مِنْ نَفْسِكَ بِإِنْجَازِهَا. وَلَا يَغُرَّنَّكَ الْمُرْتَقَى وَإِنْ كَانَ سَهْلًا إِذَا كَانَ الْمُنْحَدَرُ وَعْرًا. وَاعْلَمْ أَنَّ لِلْأَعْمَالِ جَزَاءً فَاتَّقِ الْعَوَاقِبَ. وَأَنَّ لِلْأُمُورِ بَغَتَاتٍ فَكُنْ عَلَى حَذَرٍ. قَالَ عِيسَى بْنُ دَاتٍ: فَحَدَّثْتُ بِهَذَا الْحَدِيثِ الْمَهْدِيَّ وَفِي يَدِهِ لُقْمَةٌ قَدْ رَفَعَهَا إِلَى فِيهِ. فَأَمْسَكَهَا وَقَالَ: وَيْحَكَ أَعِدْ عَلَيَّ فَقُلْتُ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ أَسِغْ لُقْمَتَكَ. فَقَالَ: حَدِيثُكَ أَعْجَبُ إِلَيَّ (للقزويني)

أَرْبَعَةُ أَشْيَاءَ سُمٌّ قَاتِلٌ وَأَرْبَعَةُ أَشْيَاءَ دِرْيَاقُهَا. الدُّنْيَا سُمٌّ قَاتِلٌ

وَالزُّهْدُ فِيهَا دِرْيَاقُهُ . وَالْمَالُ سُمٌّ قَاتِلٌ وَالزَّكَاةُ دِرْيَاقُهُ . وَالْكَلَامُ سُمٌّ قَاتِلٌ وَذِكْرُ اللهِ دِرْيَاقُهُ . وَمُلْكُ الدُّنْيَا سُمٌّ قَاتِلٌ وَالْعَدْلُ دِرْيَاقُهُ

٦٠ قَالَ بَعْضُهُمْ : الصَّوْمُ ثَلَاثُ دَرَجَاتٍ . صَوْمُ الْعُمُومِ وَصَوْمُ الْخُصُوصِ وَصَوْمُ خُصُوصِ الْخُصُوصِ . فَأَمَّا صَوْمُ الْعُمُومِ فَهُوَ كَفُّ الْبَطْنِ عَنِ الشَّهْوَةِ . وَأَمَّا صَوْمُ الْخُصُوصِ فَهُوَ كَفُّ السَّمْعِ وَالْبَصَرِ وَاللِّسَانِ وَالْيَدِ وَالرِّجْلِ وَسَائِرِ الْجَوَارِحِ عَنِ الْآثَامِ . وَأَمَّا صَوْمُ خُصُوصِ الْخُصُوصِ فَصَوْنُ الْقَلْبِ عَنِ الْهُمُومِ الدَّنِيَّةِ وَالْأَفْكَارِ الدُّنْيَوِيَّةِ وَكَفُّهُ عَمَّا سِوَى اللهِ بِالْكُلِّيَّةِ (الكنز المدفون)

٦١ (فَصْلٌ) مِنْ نَوَادِرِ بُزُرْجُمِهْرَ حَكِيمِ الْفُرْسِ (قَالَ) : نَصَحَنِي النُّصَحَاءُ وَوَعَظَنِي الْوُعَّاظُ شَفَقَةً وَنَصِيحَةً وَتَأْدِيبًا فَلَمْ يَعِظْنِي أَحَدٌ مِثْلَ شَيْبِي وَلَا نَصَحَنِي مِثْلُ فِكْرِي . وَلَقَدِ اسْتَضَأْتُ بِنُورِ الشَّمْسِ وَضَوْءِ الْقَمَرِ فَلَمْ أَسْتَضِئْ بِضِيَاءٍ أَضْوَأَ مِنْ نُورِ قَلْبِي . وَمَلَكْتُ الْأَحْرَارَ وَالْعَبِيدَ فَلَمْ يَمْلِكْنِي أَحَدٌ وَلَا قَهَرَنِي غَيْرُ هَوَايَ . وَعَادَانِيَ الْأَعْدَاءُ فَلَمْ أَرَ أَعْدَى إِلَيَّ مِنْ نَفْسِي إِذَا جَهِلْتُ وَاحْتَرَزْتُ لِنَفْسِي بِنَفْسِي مِنَ الْخَلْقِ كُلِّهِمْ حَذَرًا عَلَيْهَا وَشَفَقَةً فَوَجَدْتُهَا أَشَرَّ الْأَنْفُسِ لِنَفْسِهَا . وَرَأَيْتُ أَنَّهُ لَا يَأْتِيهَا الْفَسَادُ إِلَّا مِنْ قِبَلِهَا وَزَاحَمَتْنِي الْمَضَايِقُ فَلَمْ يُزَاحِمْنِي مِثْلُ الْخُلُقِ السَّوْءِ وَوَقَعْتُ مِنْ أَبْعَدِ الْبُعْدِ وَأَطْوَلِ الطُّولِ فَلَمْ أَقَعْ فِي شَيْءٍ أَضَرَّ عَلَيَّ مِنْ لِسَانِي . وَمَشَيْتُ عَلَى الْجَمْرِ وَوَطِئْتُ عَلَى الرَّمْضَاءِ فَلَمْ أَرَ نَارًا أَحَرَّ عَلَيَّ مِنْ غَضَبِي . إِذَا تَمَكَّنَ مِنِّي وَطَالَبَتْنِي الطُّلَّابُ فَلَمْ

يُدْرِكُنِي مُدْرِكٌ مِثْلُ إِسَاءَتِي . وَنَظَرْتُ مَا الدَّاءُ الْقَاتِلُ وَمِنْ أَيْنَ يَأْتِينِي فَوَجَدْتُهُ مِنْ مَعْصِيَةِ رَبِّي سُبْحَانَهُ . وَالْتَمَسْتُ الرَّاحَةَ لِنَفْسِي فَلَمْ أَجِدْ شَيْئًا أَرْوَحَ لَهَا مِنْ تَرْكِهَا مَا لَا يَعْنِيهَا . وَرَكِبْتُ الْبِحَارَ وَرَأَيْتُ الْأَهْوَالَ فَلَمْ أَرَ هَوْلًا مِثْلَ الْوُقُوفِ عَلَى بَابِ سُلْطَانٍ جَائِرٍ . وَتَوَحَّشْتُ فِي الْبَرِّيَّةِ وَالْجِبَالِ فَلَمْ أَرَ أَوْحَشَ مِنْ قَرِينِ السُّوءِ . وَعَالَجْتُ السِّبَاعَ وَالضِّبَاعَ وَالذِّئَابَ وَعَاشَرْتُهَا وَعَاشَرَتْنِي وَغَلَبَتْهَا فَغَلَبَنِي صَاحِبُ الْخُلُقِ السُّوءِ وَأَكَلْتُ الطَّيِّبَ وَشَرِبْتُ الْمُسْكِرَ فَلَمْ أَجِدْ شَيْئًا أَلَذَّ مِنَ الْعَافِيَةِ وَالْأَمْنِ . وَتَوَسَّطْتُ الشَّيَاطِينَ وَالْجِبَالَ فَلَمْ أَجْزَعْ إِلَّا مِنَ الْإِنْسَانِ السُّوءِ . وَأَكَلْتُ الصَّبِرَ وَشَرِبْتُ الْمُرَّ فَلَمْ أَرَ شَيْئًا أَمَرَّ مِنَ الْفَقْرِ . وَشَهِدْتُ الْحُرُوبَ وَلَقِيتُ الْجُيُوشَ وَبَاشَرْتُ السُّيُوفَ وَصَارَعْتُ الْأَقْرَانَ فَلَمْ أَرَ قِرْنًا أَغْلَبَ مِنَ الْمَرْأَةِ السُّوءِ . وَعَالَجْتُ الْحَدِيدَ وَنَقَلْتُ الصَّخْرَ فَلَمْ أَرَ حِمْلًا أَثْقَلَ مِنَ الدَّيْنِ . وَنَظَرْتُ فِيمَا يُذِلُّ الْعَزِيزَ وَيَكْسِرُ الْقَوِيَّ وَيَضَعُ الشَّرِيفَ فَلَمْ أَرَ أَذَلَّ مِنْ ذَوِي فَاقَةٍ وَحَاجَةٍ . وَرُشِقْتُ بِالنُّشَّابِ وَرُجِمْتُ بِالْحِجَارَةِ فَلَمْ أَرَ أَنْفَذَ مِنَ الْكَلَامِ السُّوءِ يَخْرُجُ مِنْ فَمِ مُطَالِبٍ بِحَقٍّ . وَعَبَرْتُ السِّجْنَ وَشُدِدْتُ فِي الْوِثَاقِ وَضُرِبْتُ بِعَمَدِ الْحَدِيدِ فَلَمْ يَهْدِمْنِي شَيْءٌ مِثْلَ مَا هَدَمَنِي الْغَمُّ وَالْهَمُّ وَالْحُزْنُ . وَاصْطَنَعْتُ الْإِخْوَانَ وَانْتَخَبْتُ الْأَقْوَامَ لِلْعُدَّةِ وَالشِّدَّةِ وَالنَّائِبَةِ فَلَمْ أَرَ شَيْئًا أَخْيَرَ مِنَ الْكَرَمِ عِنْدَهُمْ . وَطَلَبْتُ الْغِنَى مِنْ وُجُوهِهِ فَلَمْ أَرَ أَغْنَى مِنَ الْقُنُوعِ . وَتَصَدَّقْتُ بِالذَّخَائِرِ فَلَمْ أَرَ صَدَقَةً أَنْفَعَ مِنْ رَدِّ ذِي

ضَلَالَةٍ إِلَى هُدًى . وَرَأَيْتُ ٱلْوَحْدَةَ وَٱلْغُرْبَةَ وَٱلْمَذَلَّةَ فَلَمْ أَرَ أَذَلَّ مِنْ مُقَاسَاةِ ٱلْجَارِ ٱلسُّوءِ . وَشَيَّدتُ ٱلْبُنْيَانَ لِأَعِزَّ بِهِ وَأَذْكَرَ فَلَمْ أَرَ شَرَفًا أَرْفَعَ مِنِ ٱصْطِنَاعِ ٱلْمَعْرُوفِ . وَلَبِسْتُ ٱلْكُسَى ٱلْفَاخِرَةَ فَلَمْ أَلْبَسْ شَيْئًا مِثْلَ ٱلصَّلَاحِ . وَطَلَبْتُ أَحْسَنَ ٱلْأَشْيَاءِ عِنْدَ ٱلنَّاسِ فَلَمْ أَرَ شَيْئًا أَحْسَنَ مِنْ حُسْنِ ٱلْخُلُقِ

٦٢ (فَصْلٌ) مِنْ حِكَمِ شَاتَاقَ ٱلْهِنْدِيِّ مِنْ كِتَابِهِ ٱلَّذِي سَمَّاهُ مُنْتَخَلَ ٱلْجَوَاهِرِ لِلْمَلِكِ ٱبْنِ قُمَابِصَ ٱلْهِنْدِيِّ : يَا أَيُّهَا ٱلْوَالِي ٱتَّقِ عَثَرَاتِ ٱلزَّمَانِ وَٱخْشَ تَسَلُّطَ ٱلْأَيَّامِ وَلُؤْمَ غَلَبَةِ ٱلدَّهْرِ . وَٱعْلَمْ أَنَّ لِلْأَعْمَالِ جَزَاءً فَٱتَّقِ ٱلْعَوَاقِبَ وَلِلْأَيَّامِ غَدَرَاتٍ فَكُنْ عَلَى حَذَرٍ وَٱلزَّمَانُ مُتَقَلِّبٌ مُتَحَوِّلٌ فَٱحْذَرْ تَقَلُّبَهُ . لَئِيمُ ٱلْكَرَّةِ فَخِفْ سَطْوَتَهُ . سَرِيعُ ٱلْغِيرَةِ فَلَا تَأْمَنْ دَوْلَتَهُ . وَٱعْلَمْ أَنَّ مَنْ لَمْ يُدَاوِ نَفْسَهُ مِنْ سَقَامِ ٱلْآثَامِ فِي أَيَّامِ حَيَاتِهِ فَمَا أَبْعَدَهُ مِنَ ٱلشِّفَاءِ فِي دَارٍ لَا دَوَاءَ لَهُ فِيهَا . وَمَنْ أَذَلَّ حَوَاسَّهُ وَٱسْتَعْبَدَهَا فِيمَا يُقَدِّمُ مِنْ خَيْرٍ نَفْسِهِ بَانَ فَضْلُهُ وَظَهَرَ نُبْلُهُ . وَمَنْ لَمْ يَضْبِطْ نَفْسَهُ وَهِيَ وَاحِدَةٌ لَمْ يَضْبِطْ حَوَاسَّهُ وَهِيَ خَمْسٌ . وَإِذَا لَمْ يَضْبِطْ حَوَاسَّهُ مَعَ قِلَّتِهَا وَذِلَّتِهَا صَعُبَ عَلَيْهِ ضَبْطُ ٱلْأَعْوَانِ مَعَ كَثْرَتِهِمْ وَخُشُونَةِ جَانِبِهِمْ . فَكَانَتْ عَامَّةُ ٱلرَّعِيَّةِ فِي نَوَاحِي ٱلْبِلَادِ وَأَطْرَافِ ٱلْمَمْلَكَةِ أَبْعَدَ مِنَ ٱلضَّبْطِ . فَلْيَبْدَإِ ٱلْمَلِكُ بِسُلْطَانِهِ عَلَى نَفْسِهِ فَلَيْسَ مِنْ عَدُوٍّ أَحَقَّ مِنْ أَنْ يَبْدَأَهُ بِٱلْقَهْرِ مِنْ نَفْسِهِ . ثُمَّ يَشْرَعُ فِي قَهْرِ حَوَاسِّهِ ٱلْخَمْسِ . لِأَنَّ قُوَّةَ ٱلْوَاحِدَةِ مِنْهُنَّ دُونَ ضُوَيْحِبَاتِهَا قَدْ تَأْتِي عَلَى ٱلنَّفْسِ

ٱلْقَوِيَّةِ ٱلْحَذِرَةِ فَكَيْفَ إِذَا ٱجْتَمَعَتْ خَمْسُ أَنْفُسٍ عَلَى وَاحِدَةٍ . وَٱعْلَمْ أَنَّ لِكُلِّ وَاحِدَةٍ مِنْهُنَّ شَرًّا لَيْسَ لِلْأُخْرَى فَاقْهَرْهَا تَسْلَمْ مِنْ شَرِّهَا . وَإِنَّمَا يَهْلِكُ ٱلْحَيَوَانُ بِالشَّهَوَاتِ . أَلَا تَرَى أَنَّ ٱلْفَرَاشَ يَكْرَهُ ٱلشَّمْسَ فَيَسْتَكِنُّ مِنْ حَرِّهَا وَيُعْجِبُهُ ضِيَاءُ ٱلنَّارِ فَيَدْنُو مِنْهَا فَتُحْرِقُهُ . وَٱلظَّبْيُ عَلَى نِفَارِ قَلْبِهِ وَشِدَّةِ حِرْصِهِ يَنْصِبُ لِسَمَاعِ ٱلْمَلَاهِي فَيُمَكِّنُ ٱلْقَانِصَ مِنْ نَفْسِهِ . وَٱلسَّمَكُ فِي ٱلْبَحْرِ تَحْمِلُهُ لَذَّةُ ٱلطَّعْمِ أَنْ يَبْتَلِعَهُ فَتَحْصُلُ ٱلسَّنَّارَةُ فِي جَوْفِهِ فَيَكُونُ فِيهِ حَتْفُهُ

٦٣ يَحْسُنُ بِٱلْمَلِكِ أَنْ يُشَبِّهَ تَصَارِيفَ تَدْبِيرِهِ بِطِبَاعِ ثَمَانِيَةِ أَشْيَاءَ : ٱلْغَيْثِ وَٱلشَّمْسِ وَٱلْقَمَرِ وَٱلرِّيحِ وَٱلنَّارِ وَٱلْأَرْضِ وَٱلْمَاءِ وَٱلْمَوْتِ . فَأَمَّا شَبَهُ (ٱلْغَيْثِ) فَتَوَاتُرُهُ فِي أَرْبَعَةِ أَشْهُرٍ مِنَ ٱلسَّنَةِ وَمَنْفَعَتُهُ لِجَمِيعِ ٱلسَّنَةِ كَذٰلِكَ يَنْبَغِي لِلْمَلِكِ أَنْ يُعْطِيَ جُنْدَهُ وَأَعْوَانَهُ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ تَقْدِيرًا لِتَتِمَّةِ ٱلسَّنَةِ . فَيَجْعَلُ رَفِيعَهُمْ وَوَضِيعَهُمْ فِي ٱلْحَقِّ ٱلَّذِي يَسْتَوْجِبُونَهُ بِمَنْزِلَةٍ وَاحِدَةٍ كَمَا يَسْرِي ٱلْمَطَرُ بَيْنَ كُلِّ أَكَمَةٍ وَشَرَفٍ وَغَائِطٍ مُسْتَفِلٍ . وَيَغْمُرُ كُلًّا مِنْ مَائِهِ بِقَدْرِ حَاجَتِهِ . ثُمَّ يَسْتَجْبِي ٱلْمَلِكُ فِي ٱلثَّمَانِيَةِ أَشْهُرًا حُقُوقَهُ مِنْ غَلَّاتِهِمْ وَخَرَاجِهِمْ كَمَا تَجْبِي ٱلشَّمْسُ بِحَرِّهَا وَحِدَّةِ فِعْلِهَا نَدَاوَةَ ٱلْغَيْثِ فِي أَرْبَعَةِ أَشْهُرِ ٱلْإِمْطَارِ . وَأَمَّا شَبَهُ (ٱلرِّيحِ) فَإِنَّ ٱلرِّيحَ لَطِيفَةُ ٱلْمَدَاخِلِ تَسْرَحُ فِي جَمِيعِ ٱلْمَنَافِذِ حَتَّى لَا يَفُوتُهَا مَكَانٌ كَذٰلِكَ ٱلْمَلِكُ يَنْبَغِي أَنْ يَتَوَلَّجَ فِي قُلُوبِ ٱلنَّاسِ بِجَوَاسِيسِهِ وَعُيُونِهِ لَا يُخْفُونَ عَنْهُ شَيْئًا حَتَّى يَعْرِفَ مَا يَأْتَمِرُونَ بِهِ فِي بُيُوتِهِمْ وَأَسْوَاقِهِمْ .

وَكَالْقَمَرِ إِذَا اسْتَهَلَّ تَمَامُهُ فَأَضَاءَ وَاعْتَدَلَ نُورُهُ عَلَى الْخَلْقِ وَسُرَّ النَّاسُ بِضَوْئِهِ. يَنْبَغِي أَنْ يَكُونَ بِبَهْجَتِهِ وَزِينَتِهِ وَإِشْرَاقِهِ فِي مَجْلِسِهِ وَإِينَاسِهِ رَعِيَّتَهُ بِبِشْرِهِ فَلَا يَخُصُّ شَرِيفًا دُونَ وَضِيعٍ بِعَدْلِهِ. (وَكَالنَّارِ) عَلَى أَهْلِ الدَّعَارَةِ وَالْفَسَادِ. (وَكَالْأَرْضِ) عَلَى كِتْمَانِ السِّرِّ وَالِاحْتِمَالِ وَالصَّبْرِ وَالْأَمَانَةِ. (وَكَمَاقِيَةِ الْمَوْتِ) فِي الثَّوَابِ وَالْعِقَابِ يَكُونُ ثَوَابُهُ لَا يُقَصِّرُ عَنْ إِقَامَةِ حَدٍّ وَلَا يَتَجَاوَزُهُ. (وَكَالْمَاءِ) فِي لِينِهِ لِمَنْ لَانَهُ. وَهَدْمِهِ وَاقْتِلَاعِهِ عَظِيمَ الشَّجَرِ لِمَنْ جَاذَبَهُ (للطرطوشي)

اشعار حكمية

٦٤ قَالَ ابْنُ عَرَبْشَاهَ:

أَلسَّيْلُ يَقْلَعُ مَا يَلْقَاهُ مِنْ شَجَرٍ بَيْنَ الْجِبَالِ وَمِنْهُ الصَّخْرُ يَنْفَطِرُ
حَتَّى يُوَافِي عُبَابَ الْبَحْرِ تَنْظُرُهُ قَدِ اضْمَحَلَّ فَلَا يَبْقَى لَهُ أَثَرُ

وَقَالَ أَيْضًا:

وَالشَّرُّ كَالنَّارِ تَبْدُو حِينَ تَقْدَحُهُ شَرَارَةٌ فَإِذَا بَادَرْتَهُ خَمَدَا
وَإِنْ تَوَانَيْتَ عَنْ إِطْفَائِهِ كَسَلًا أَرَى قَبَائِلَ تَشْوِي الْقَلْبَ وَالْكَبِدَا
فَلَوْ تَجَمَّعَ أَهْلُ الْأَرْضِ كُلُّهُمُ لَمَا أَفَادُوكَ فِي إِخْمَادِهَا أَبَدَا

وَقَالَ أَيْضًا:

أَرَى النَّاسَ يُولُونَ الْغِنَى كَرَامَةً وَإِنْ لَمْ يَكُنْ أَهْلًا لِرِفْعَةِ مِقْدَارِ
وَيَلْوُونَ عَنْ وَجْهِ الْفَقِيرِ وُجُوهَهُمْ وَإِنْ كَانَ أَهْلًا أَنْ يُلَاقَى بِإِكْبَارِ
بَنُو الدَّهْرِ جَاءَتْهُمْ أَحَادِيثُ جَمَّةٌ فَمَا صَحَّحُوا إِلَّا حَدِيثَ ابْنِ دِينَارِ

٦٥ قَالَ غَيْرُهُ :

لَا تُعَامِلْ مَا عِشْتَ غَيْرَكَ إِلَّا ... بِالَّذِي أَنْتَ تَرْتَضِيهِ لِنَفْسِكْ
ذَاكَ عَيْنُ الصَّوَابِ فَالْزَمْهُ فِيمَا ... تَبْتَغِيهِ فِي كُلِّ أَبْنَاءِ جِنْسِكْ

قَالَ آخَرُ :

لَا يُعْجِبَنَّكَ حُسْنُ الْقَصْرِ تَنْزِلُهُ ... فَضِيلَةُ الشَّمْسِ لَيْسَتْ فِي مَنَازِلِهَا
لَوْ زِيدَتِ الشَّمْسُ فِي أَبْرَاجِهَا مِئَةً ... مَا زَادَ ذَلِكَ شَيْئًا فِي فَضَائِلِهَا

قَالَ غَيْرُهُ :

إِنَّ الْكَبِيرَ إِذَا هَوَى وَأَطَاعَهُ ... قَوْمٌ هَوَوْا مَعَهُ فَضَاعَ وَضِيعَا
مِثْلُ السَّفِينَةِ إِنْ هَوَتْ فِي لُجَّةٍ ... غَرِقَتْ وَيَغْرَقُ كُلُّ مَنْ فِيهَا مَعَا

قَالَ آخَرُ :

إِزْرَعْ جَمِيلًا وَلَوْ فِي غَيْرِ مَوْضِعِهِ ... فَلَا يَضِيعُ جَمِيلٌ أَيْنَمَا زُرِعَا
إِنَّ الْجَمِيلَ وَإِنْ طَالَ الزَّمَانُ بِهِ ... فَلَيْسَ يَحْصُدُهُ إِلَّا الَّذِي زَرَعَا

قَالَ أَبُو أَحْمَدَ بْنُ مَاهَانَ الْخُزَاعِيُّ :

إِقْضِ الْحَوَائِجَ مَا اسْتَطَعْـ ... ـتَ وَكُنْ لِهَمِّ أَخِيكَ فَارِجْ
فَخَيْرُ أَيَّامِ الْفَتَى ... يَوْمٌ قَضَى فِيهِ الْحَوَائِجْ

٦٦ قَالَ الْقُطَامِيُّ الشَّاعِرُ النَّصْرَانِيُّ :

قَدْ يُدْرِكُ الْمُتَأَنِّي بَعْضَ حَاجَتِهِ ... وَقَدْ يَكُونُ مَعَ الْمُسْتَعْجِلِ الزَّلَلُ
وَقَدْ تَفُوتُ عَلَى قَوْمٍ حَوَائِجُهُمْ ... مَعَ التَّرَاخِي وَكَانَ الرَّأْيُ لَوْ عَجِلُوا

وَقَالَ آخَرُ :

وَإِيَّاكَ وَالْأَمْرَ الَّذِي إِنْ تَوَسَّعَتْ ... مَوَارِدُهُ ضَاقَتْ عَلَيْكَ الْمَصَادِرُ
فَمَا حَسَنٌ أَنْ يَعْذِرَ الْمَرْءُ نَفْسَهُ ... وَلَيْسَ لَهُ مِنْ سَائِرِ النَّاسِ عَاذِرُ

وَقَالَ مُحَمَّدُ بْنُ بَشِيرٍ:

لَأَنْ أُزَجَّى عِنْدَ الْعُرْيِ بِالْخَلَقِ ... وَأَجْتَزِي مِنْ كَثِيرِ الزَّادِ بِالْعَلَقِ
خَيْرٌ وَأَكْرَمُ لِي مِنْ أَنْ أَرَى مِنَنًا ... مَعْقُودَةً لِلِئَامِ النَّاسِ فِي عُنُقِي
إِنِّي وَإِنْ قَصُرَتْ عَنْ هِمَّتِي جِدَتِي ... وَكَانَ مَا لِيَ لَا يَقْوَى عَلَى خُلُقِي
لَتَارِكٌ كُلَّ أَمْرٍ كَانَ يُلْزِمُنِي ... عَارًا وَيُشْرِعُنِي فِي الْمَنْهَلِ الرَّنِقِ

٦٧ وَقَالَ أَيْضًا:

مَاذَا يُكَلِّفُكَ الرَّوْحَاتِ وَالدَّلَجَا ... أَلْبَرَّ طَوْرًا وَطَوْرًا تَرْكَبُ اللُّجَجَا
كَمْ مِنْ فَتًى قَصَرَتْ فِي الرِّزْقِ خُطْوَتُهُ ... أَلْفَيْتُهُ بِسِهَامِ الرِّزْقِ قَدْ فَلَجَا
إِنَّ الْأُمُورَ إِذَا انْسَدَّتْ مَسَالِكُهَا ... فَالصَّبْرُ يَفْتَقُ مِنْهَا كُلَّ مَا ارْتَتَجَا
لَا تَيْأَسَنَّ وَإِنْ طَالَتْ مُطَالَبَةٌ ... إِذَا اسْتَعَنْتَ بِصَبْرٍ أَنْ تَرَى فَرَجَا
أَخْلِقْ بِذِي الصَّبْرِ أَنْ يَحْظَى بِحَاجَتِهِ ... وَمُدْمِنِ الْقَرْعِ لِلْأَبْوَابِ أَنْ يَلِجَا
قَدِّرْ لِرِجْلِكَ قَبْلَ الْخَطْوِ مَوْضِعَهَا ... فَمَنْ عَلَا زَلَقًا عَنْ غِرَّةٍ زَلَجَا
وَلَا يَغُرَّنْكَ صَفْوٌ أَنْتَ شَارِبُهُ ... فَرُبَّمَا كَانَ بِالتَّكْدِيرِ مُمْتَزِجَا

٦٨ قَالَ الْمُتَنَبِّي:

عَلَى قَدْرِ أَهْلِ الْعَزْمِ تَأْتِي الْعَزَائِمُ ... وَتَأْتِي عَلَى قَدْرِ الْكِرَامِ الْمَكَارِمُ
وَتَعْظُمُ فِي عَيْنِ الصَّغِيرِ صِغَارُهَا ... وَتَصْغُرُ فِي عَيْنِ الْعَظِيمِ الْعَظَائِمُ

قَالَ آخَرُ:

فَقْرُ ٱلْفَتَى يُذْهِبُ أَنْوَارَهُ ... كَمَا ٱصْفِرَارُ ٱلشَّمْسِ عِنْدَ ٱلْمَغِيبْ
إِنْ غَابَ لَا يُذْكَرُ بَيْنَ ٱلْوَرَى ... وَمَا لَهُ فِي قَوْمِهِ مِنْ نَصِيبْ
يَجُولُ فِي ٱلْأَسْوَاقِ مُسْتَخْفِيًا ... وَفِي ٱلْفَلَا يَبْكِي بِدَمْعٍ صَبِيبْ
وَٱللهِ مَا ٱلْإِنْسَانُ فِي أَهْلِهِ ... إِذَا بُلِي بِٱلْفَقْرِ إِلَّا غَرِيبْ

قَالَ نَاهِضُ ٱلْكِلَابِيُّ :

أَلَمْ تَرَ أَنَّ جَمْعَ ٱلْقَوْمِ يُخْشَى ... وَأَنَّ حَرِيمَ وَاحِدِهِمْ مُبَاحُ
وَأَنَّ ٱلْقِدْحَ حِينَ يَكُونُ فَرْدًا ... فَيُهْصَرُ لَا يَكُونُ لَهُ ٱقْتِدَاحُ

قَالَ آخَرُ :

مَا مِنَ ٱلْحَزْمِ أَنْ تُقَارِبَ أَمْرًا ... تَطْلُبُ ٱلْبُعْدَ مِنْهُ بَعْدَ قَلِيلِ
فَإِذَا مَا هَمَمْتَ بِٱلشَّيْءِ فَٱنْظُرْ ... كَيْفَ مِنْهُ ٱلْخُرُوجُ بَعْدَ ٱلدُّخُولِ

٦٩ كَتَبَ عَلِيٌّ إِلَى ٱبْنِهِ حُسَيْنٍ

أَحُسَيْنُ إِنِّي وَاعِظٌ وَمُؤَدِّبٌ ... فَٱفْهَمْ فَإِنَّ ٱلْعَاقِلَ ٱلْمُتَأَدِّبُ
وَٱحْفَظْ وَصِيَّةَ وَالِدٍ مُتَحَنِّنٍ ... يَغْذُوكَ بِٱلْآدَابِ كَيْلَا تَعْطَبُ
أَبُنَيَّ إِنَّ ٱلرِّزْقَ مَكْفُولٌ بِهِ ... فَعَلَيْكَ بِٱلْإِجْمَالِ فِيمَا تَطْلُبُ
لَا تَجْعَلَنَّ ٱلْمَالَ كَسْبَكَ مُفْرَدًا ... وَتُقَى إِلٰهَكَ فَٱجْعَلَنْ مَا تَكْسِبُ
كَفَلَ ٱلْإِلٰهُ بِرِزْقِ كُلِّ بَرِيَّةٍ ... وَٱلْمَالُ عَارِيَةٌ تَجِيءُ وَتَذْهَبُ
وَٱلرِّزْقُ أَسْرَعُ مِنْ تَلَفُّتِ نَاظِرٍ ... سَبَبًا إِلَى ٱلْإِنْسَانِ حِينَ يُسَبَّبُ
وَمِنَ ٱلسُّيُولِ إِلَى مَقَرِّ قَرَارِهَا ... وَٱلطَّيْرِ لِلْأَوْكَارِ حِينَ تُصَوَّبُ
أَبُنَيَّ إِنَّ ٱلذِّكْرَ فِيهِ مَوَاعِظٌ ... فَمِنَ ٱلَّذِي بِعِظَاتِهِ يَتَأَدَّبُ

وَٱعْبُدْ إِلٰهَكَ ذَا ٱلْمَعَارِجِ مُخْلِصًا ... وَٱنْصِتْ إِلَى ٱلْأَمْثَالِ فِيمَا تُضْرَبُ

وَإِذَا مَرَرْتَ بِآيَةٍ مَخْشِيَّةٍ ... تَصِفُ ٱلْعَذَابَ وَدَمْعُ عَيْنِكَ يَسْكُبُ

يَا مَنْ يُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ بِعَدْلِهِ ... لَا تَجْعَلَنِّي فِي ٱلَّذِينَ تُعَذِّبُ

إِنِّي أَبُوءُ بِعَثْرَتِي وَخَطِيئَتِي ... هٰذَا وَهَلْ إِلَّا إِلَيْكَ ٱلْمَهْرَبُ

وَإِذَا مَرَرْتَ بِآيَةٍ فِي ذِكْرِهَا ... وَصْفُ ٱلْوَسِيلَةِ وَٱلنَّعِيمِ ٱلْمُعْجِبُ

فَٱسْأَلْ إِلٰهَكَ بِٱلْإِنَابَةِ مُخْلِصًا ... دَارَ ٱلْخُلُودِ سُؤَالَ مَنْ يَتَقَرَّبُ

وَٱجْهَدْ لَعَلَّكَ أَنْ تَحُلَّ بِأَرْضِهَا ... وَتَنَالَ مُلْكَ كَرَامَةٍ لَا تُسْلَبُ

بَادِرْ هَوَاكَ إِذَا هَمَمْتَ بِصَالِحٍ ... خَوْفَ ٱلْعَوَالِبِ إِذْ تَجِيءُ وَتَغْلِبُ

وَإِذَا هَمَمْتَ بِسَيِّيءٍ فَٱغْمِضْ لَهُ ... كَأَبٍ عَلَى أَوْلَادِهِ يَتَحَدَّبُ

وَٱلضَّيْفَ أَكْرِمْ مَا ٱسْتَطَعْتَ جِوَارَهُ ... حَتَّى يَعُدَّكَ وَارِثًا يَتَنَسَّبُ

وَٱجْعَلْ صَدِيقَكَ مَنْ إِذَا آخَيْتَهُ ... حَفِظَ ٱلْإِخَاءَ وَكَانَ دُونَكَ يَقْرُبُ

وَٱطْلُبْهُمُ طَلَبَ ٱلْمَرِيضِ شِفَاءَهُ ... وَدَعِ ٱلْكَذُوبَ فَلَيْسَ مِمَّنْ يُصْحَبُ

يُعْطِيكَ مَا فَوْقَ ٱلْمُنَى بِلِسَانِهِ ... وَيَرُوغُ عَنْكَ كَمَا يَرُوغُ ٱلثَّعْلَبُ

وَٱحْذَرْ ذَوِي ٱلْمَلَقِ ٱلتَّمَامَ فَإِنَّهُمْ ... فِي ٱلنَّائِبَاتِ عَلَيْكَ مِمَّنْ يَحْطَبُ

يَسْعَوْنَ حَوْلَ ٱلْمَاءِ مَا طَمِعُوا بِهِ ... وَإِذَا نَبَا دَهْرٌ جَفَوْا وَتَغَيَّبُوا

وَلَقَدْ نَصَحْتُكَ إِنْ قَبِلْتَ نَصِيحَتِي ... وَٱلنُّصْحُ أَرْخَصُ مَا يُبَاعُ وَيُوهَبُ

٧٠ وَكَتَبَ لَهُ أَيْضًا :

عَلَيْكَ بِبِرِّ ٱلْوَالِدَيْنِ كِلَيْهِمَا ... وَبِرِّ ذَوِي ٱلْقُرْبَى وَبِرِّ ٱلْأَبَاعِدِ

فَلَا تَصْحَبَنْ إِلَّا تَقِيًّا مُهَذَّبًا ... عَفِيفًا زَكِيًّا مُنْجِزًا لِلْمَوَاعِدِ

وَكُفَّ ٱلْأَذَى وَٱحْفَظْ لِسَانَكَ وَٱتَّقِي ... فَدَيْتُكَ فِي وِدِّ ٱلْخَلِيلِ ٱلْمُسَاعِدِ
وَنَافِسْ بِبَذْلِ ٱلْمَالِ فِي طَلَبِ ٱلْعُلَى ... بِهِمَّةِ مَحْمُودِ ٱلْخَلَائِقِ مَاجِدِ
وَكُنْ وَاثِقًا بِٱللهِ فِي كُلِّ حَادِثٍ ... يَصُنْكَ مَدَى ٱلْأَيَّامِ مِنْ عَيْنِ حَاسِدِ
وَبِٱللهِ فَٱسْتَعْصِمْ وَلَا تَرْجُ غَيْرَهُ ... وَلَا تَكُ فِي ٱلنَّعْمَاءِ عَنْهُ بِجَاحِدِ
وَغُضَّ عَنِ ٱلْمَكْرُوهِ طَرْفَكَ وَٱجْتَنِبْ ... أَذَى ٱلْجَارِ وَٱسْتَمْسِكْ بِحَبْلِ ٱلْحَامِدِ
وَلَا تَبْنِ فِي ٱلدُّنْيَا بِنَاءً مُؤَمِّلٍ ... خُلُودًا فَمَا حَيٌّ عَلَيْهَا بِخَالِدِ
وَكُلُّ صَدِيقٍ لَيْسَ فِي ٱللهِ وِدُّهُ ... فَنَادِ عَلَيْهِ هَلْ بِهِ مِنْ مُزَايِدِ

٧١ وَقَالَ أَيْضًا :

قَدِّمْ لِنَفْسِكَ فِي ٱلْحَيَاةِ تَزَوُّدًا ... فَلَقَدْ تُفَارِقُهَا وَأَنْتَ مُوَدِّعُ
وَٱهْتَمَّ لِلسَّفَرِ ٱلْقَرِيبِ فَإِنَّهُ ... أَنَأَى مِنَ ٱلسَّفَرِ ٱلْبَعِيدِ وَأَشْنَعُ
وَٱجْعَلْ تَزَوُّدَكَ ٱلْمَخَافَةَ وَٱلتُّقَى ... فَلَعَلَّ حَتْفَكَ فِي مَسَائِكَ أَسْرَعُ
وَٱقْنَعْ بِقُوتِكَ فَٱلْقَنَاعُ هُوَ ٱلْغِنَى ... وَٱلْفَقْرُ مَقْرُونٌ بِمَنْ لَا يَقْنَعُ
وَٱحْذَرْ مُصَاحَبَةَ ٱللِّئَامِ فَإِنَّهُمْ ... مَنْعُوكَ صَفْوَ وِدَادِهِمْ وَتَصَنَّعُوا
أَهْلُ ٱلْمَوَدَّةِ مَا أَنَلْتَهُمُ ٱلرِّضَا ... وَإِذَا مَنَعْتَ فَسَمْهُمُ لَكَ مُنْقِعُ
لَا تُفْشِ سِرًّا مَا ٱسْتَطَعْتَ إِلَى ٱمْرِئٍ ... يُفْشِي إِلَيْكَ سَرَائِرًا يَسْتَوْدِعُ
فَكَمَا تَرَاهُ بِسِرِّ غَيْرِكَ صَانِعًا ... فَكَذَا بِسِرِّكَ لَا مَحَالَةَ يَصْنَعُ
لَا تَبْدَأَنَّ بِمَنْطِقٍ فِي مَجْلِسٍ ... قَبْلَ ٱلسُّؤَالِ فَإِنَّ ذَٰلِكَ يَشْنُعُ
فَٱلصَّمْتُ يُحْسِنُ كُلَّ ظَنٍّ بِٱلْفَتَى ... وَلَعَلَّهُ خَرِقٌ سَفِيهٌ أَرْقَعُ
وَدَعِ ٱلْمُزَاحَ فَرُبَّ لَفْظَةِ مَازِحٍ ... جَلَبَتْ إِلَيْكَ بَلَابِلًا لَا تُدْفَعُ

وَحِفَاظَ جَارٍ لَا تُضِعْهُ فَإِنَّهُ لَا يَبْلُغُ الشَّرَفَ الْجَسِيمَ مُضَيِّعُ
وَإِذَا اسْتَقَالَكَ ذُو الْإِسَاءَةِ عَثْرَةً فَأَقِلْهُ إِنَّ ثَوَابَ ذَلِكَ أَوْسَعُ
وَإِذَا ائْتُمِنْتَ عَلَى السَّرَائِرِ فَاخْفِهَا وَاسْتُرْ عُيُوبَ أَخِيكَ حِينَ تَطَّلِعُ
لَا تَجْزَعَنَّ مِنَ الْحَوَادِثِ إِنَّمَا خَرَقُ الرِّجَالِ عَلَى الْحَوَادِثِ يَجْزَعُ
وَأَطِعْ أَبَاكَ بِكُلِّ مَا أَوْصَى بِهِ إِنَّ الْمُطِيعَ أَبَاهُ لَا يَتَضَعْضَعُ

٧٢ وَقَالَ أَيْضًا :

صُنِ النَّفْسَ وَاحْمِلْهَا عَلَى مَا يَزِينُهَا تَعِشْ سَالِمًا وَالْقَوْلُ فِيكَ جَمِيلُ
وَلَا تُرَيِّنَنَّ النَّاسَ إِلَّا تَجَمُّلًا نَبَابِكَ دَهْرٌ أَوْ جَفَاكَ خَلِيلُ
وَإِنْ ضَاقَ رِزْقُ الْيَوْمِ فَاصْبِرْ إِلَى غَدٍ عَسَى نَكَبَاتُ الدَّهْرِ عَنْكَ تَزُولُ
يَعِزُّ غَنِيُّ النَّفْسِ إِنْ قَلَّ مَالُهُ وَيَغْنَى غَنِيُّ الْمَالِ وَهُوَ ذَلِيلُ
وَلَا خَيْرَ فِي وُدِّ امْرِئٍ مُتَلَوِّنٍ إِذَا الرِّيحُ مَالَتْ مَالَ حَيْثُ تَمِيلُ
جَوَادٌ إِذَا اسْتَغْنَيْتَ عَنْ أَخْذِ مَالِهِ وَعِنْدَ احْتِمَالِ الْفَقْرِ عَنْكَ بَخِيلُ
فَمَا أَكْثَرَ الْإِخْوَانَ حِينَ تَعُدُّهُمْ وَلَكِنَّهُمْ فِي النَّائِبَاتِ قَلِيلُ

٧٣ وَمَا أَحْسَنَ مَا أَنْشَدَهُ صَالِحُ بْنُ عَبْدِ الْقُدُّوسِ قَالَ :

أَلْمَرْءُ يَجْمَعُ وَالزَّمَانُ يُفَرِّقُ وَيَظَلُّ يَرْقَعُ وَالْخُطُوبُ تُمَزِّقُ
وَلَأَنْ يُعَادِيَ عَاقِلًا خَيْرٌ لَهُ مِنْ أَنْ يَكُونَ لَهُ صَدِيقٌ أَحْمَقُ
فَارْبَأْ بِنَفْسِكَ أَنْ تُصَادِقَ أَحْمَقًا إِنَّ الصَّدِيقَ عَلَى الصَّدِيقِ مُصَدِّقُ
وَزِنِ الْكَلَامَ إِذَا نَطَقْتَ فَإِنَّمَا يُبْدِي عُقُولَ ذَوِي الْعُقُولِ الْمَنْطِقُ
وَمِنَ الرِّجَالِ إِذَا اسْتَوَتْ أَخْلَاقُهُمْ مَنْ يُسْتَشَارُ إِذَا اسْتُشِيرَ فَيُطْرِقُ

حَتَّى يَحُلَّ بِكُلِّ وَادٍ قَلْبُهُ فَيَرَى وَيَعْرِفُ مَا يَقُولُ فَيَنْطِقُ
لَا أُلْفِيَنَّكَ ثَاوِيًا فِي غُرْبَةٍ إِنَّ الْغَرِيبَ بِكُلِّ سَهْمٍ يُرْشَقُ
مَا النَّاسُ إِلَّا عَامِلَانِ فَعَامِلٌ قَدْ مَاتَ مِنْ عَطَشٍ وَآخَرُ يَغْرَقُ
وَالنَّاسُ فِي طَلَبِ الْمَعَاشِ وَإِنَّمَا بِالْجِدِّ يُرْزَقُ مِنْهُمُ مَنْ يُرْزَقُ
لَوْ يُرْزَقُونَ النَّاسُ حَسْبَ عُقُولِهِمْ أَلْفَيْتَ أَكْثَرَ مَنْ تَرَى يَتَصَدَّقُ
لَكِنَّهُ فَضْلُ الْمَلِيكِ عَلَيْهِمِ هٰذَا عَلَيْهِ مُوَسَّعٌ وَمُضَيَّقُ
وَإِذَا الْجَنَازَةُ وَالْعَرُوسُ تَلَاقَيَا وَرَأَيْتَ دَمْعَ نَوَائِحٍ يَتَرَقْرَقُ
سَكَتَ الَّذِي تَبِعَ الْعَرُوسَ مُبَهِّتًا وَرَأَيْتَ مَنْ تَبِعَ الْجَنَازَةَ يَنْطِقُ
وَإِذَا امْرُؤٌ سَعَتْهُ أَفْعَى مَرَّةً تَرَكَتْهُ حِينَ يُجَرُّ حَبْلٌ يَفْرَقُ
بَقِيَ الَّذِينَ إِذَا يَقُولُوا يَكْذِبُوا وَمَضَى الَّذِينَ إِذَا يَقُولُوا يَصْدُقُوا

٧٤ قَالَ دِيزُ بْنُ عَبْدِ اللهِ:

لِكُلِّ ضِيقٍ مِنَ الْأُمُورِ سَعَهْ وَالصُّبْحُ وَاللَّيْلُ لَا فَلَاحَ مَعَهْ
مَا بَالُ مَنْ سَرَّهُ مُصَابُكَ لَا يَمْلِكُ شَيْئًا لِأَمْرِهِ وَزَعَهْ
أَذُودُ عَنْ حَوْضِهِ وَيَدْفَعُنِي يَا قَوْمُ مَنْ عَاذِرِي مِنَ الْخُدَعَهْ
قَدْ يَجْمَعُ الْمَالَ غَيْرُ آكِلِهِ وَيَأْكُلُ الْمَالَ غَيْرُ مَنْ جَمَعَهْ
وَيَقْطَعُ الثَّوْبَ غَيْرُ لَابِسِهِ وَيَلْبَسُ الثَّوْبَ غَيْرُ مَنْ قَطَعَهْ
فَاقْبَلْ مِنَ الدَّهْرِ مَا أَتَاكَ بِهِ مَنْ قَرَّ عَيْنًا بِعَيْشِهِ نَفَعَهْ
وَصِلْ حِبَالَ الْبَعِيدِ إِنْ وَصَلَ الْحَبْلَ وَأَقْصِرِ الْقَرِيبَ إِنْ قَطَعَهْ
وَلَا تُعَادِ الْفَقِيرَ عَلَّكَ أَنْ تَرْكَعَ يَوْمًا وَالدَّهْرُ قَدْ رَفَعَهْ

أَلْبَابُ ٱلْخَامِسُ

فِي ٱلْأَمْثَالِ

فصل من نوادر كلام العرب

٧٥ (مِنْ حِكَمِ أَكْثَمَ بْنِ صَيْفِيٍّ) وَهٰذَا رَجُلٌ كَانَ لَهُ عَقْلٌ وَحِلْمٌ وَمَعْرِفَةٌ وَتَجْرِبَةٌ . وَقَدْ عَلَّقُوا عَنْهُ حِكَمًا لَطِيفَةً وَأَلَّفُوا فِيهَا تَصَانِيفَ . فَمِنْ حِكَمِهِ قَالَ: مَنْ فَسَدَتْ بِطَانَتُهُ كَانَ كَمَنْ غَصَّ بِٱلْمَاءِ . أَفْضَلُ مِنَ ٱلسُّؤَالِ رُكُوبُ ٱلْأَهْوَالِ . مَنْ حَسَدَ ٱلنَّاسَ بَدَأَ بِمَضَرَّةِ نَفْسِهِ . أَلْعَدِيمُ مَنِ ٱحْتَاجَ إِلَى لَئِيمٍ . مَنْ لَمْ يَعْتَبِرْ فَقَدْ خَسِرَ . مَا كُلُّ عَثْرَةٍ تُقَالُ . وَلَا كُلُّ فُرْصَةٍ تُنَالُ . قَدْ يُشْهَرُ ٱلسِّلَاحُ . فِي بَعْضِ ٱلْمُزَاحِ . رُبَّ عِتْقٍ . شَرٌّ مِنْ رِقٍّ . أَنْتَ مُزْدٍ بِنَفْسِكَ إِنْ صَحِبْتَ مَنْ هُوَ دُونَكَ . لَيْسَ مَنْ خَادَنَ ٱلْجَهُولَ . بِذِي مَعْقُولٍ . مَنْ جَالَسَ ٱلْجُهَّالَ فَلْيَسْتَعِدَّ لِقِيلٍ وَقَالٍ . أَلْمُزَاحُ يُورِثُ ٱلضَّغَائِنَ . غَثُّكَ خَيْرٌ مِنْ سَمِينِ غَيْرِكَ . مَنْ جَدَّ ٱلْمَسِيرَ أَدْرَكَ ٱلْمَقِيلَ . جَارُ ٱلرَّجُلِ ٱلْجَوَادِ كَمُجَاوِرِ ٱلْبَحْرِ لَا يَخَافُ ٱلْعَطَشَ . مَنْ طَلَبَ مِنَ ٱللَّئِيمِ حَاجَةً . كَانَ كَمَنْ طَلَبَ ٱلسَّمَكَ فِي ٱلْمَفَازَةِ . عِدَةُ ٱلْكَرِيمِ نَقْدٌ وَعِدَةُ ٱللَّئِيمِ تَسْوِيفٌ . ٱلْأَنَامُ قَرَائِسُ ٱلْأَيَّامِ . قَدْ تُكْسَرُ ٱلْبَوَاقِيتُ فِي بَعْضِ ٱلْمَوَاقِيتِ . مَنْ أَعَزَّ نَفْسَهُ . أَذَلَّ فَلْسَهُ . مَنْ سَلَكَ ٱلْجَدَدَ أَمِنَ ٱلْعِثَارَ (للطرطوشي)

نبذ من كلام الزمخشري والبستي

٧٦ مَنْ بَلَغَ غَايَةَ مَا يُحِبُّ فَلْيَتَوَقَّعْ غَايَةَ مَا يَكْرَهُ . لَا تَشْرَبِ السُّمَّ اتِّكَالًا عَلَى مَا عِنْدَكَ مِنَ التِّرْيَاقِ . لَا تَكُنْ مِمَّنْ يَلْعَنُ إِبْلِيسَ فِي الْعَلَانِيَةِ وَيُوَالِيهِ فِي السِّرِّ . عَادَاتُ السَّادَاتِ سَادَاتُ الْعَادَاتِ . اللُّطْفُ رُشْوَةُ مَنْ لَا رُشْوَةَ لَهُ . مَنْ تَاجَرَ اللهَ لَمْ يُوكَسْ بَيْعُهُ . وَلَمْ يُبْخَسْ رَيْعُهُ . أَدْوِيَةُ الدُّنْيَا تُقَصِّرُ عَنْ سُمُومِهَا . وَنَسِيمُهَا لَا يَفِي بِسَمُومِهَا . مَنْ زَرَعَ الْإِحَنَ . حَصَدَ الْمِحَنَ . لَا بُدَّ لِلْفَرَسِ مِنْ سَوْطٍ . وَإِنْ كَانَ بَعِيدَ الشَّوْطِ . شُعَاعُ الشَّمْسِ لَا يُخْفَى . وَنُورُ الْحَقِّ لَا يُطْفَى . أَعْمَالُكَ نِيَّتُهُ . إِنْ لَمْ تُضْحِهَا بِنِيَّةٍ . لَا يَجِدُ الْأَحْمَقُ لَذَّةَ الْحِكْمَةِ . كَمَا لَا يَلْتَذُّ بِالْوَرْدِ صَاحِبُ الزُّكْمَةِ . طُوبَى لِمَنْ كَانَتْ خَاتِمَةُ عُمْرِهِ كَفَاتِحَتِهِ . وَلَيْسَتْ أَعْمَالُهُ بِفَاضِحَتِهِ . أَفْضَلُ مَا ادَّخَرَتِ التَّقْوَى . وَأَجْمَلُ مَا لَبِسَتِ الْوَرَعُ . وَأَحْسَنُ مَا اكْتَسَيْتَ الْحَسَنَاتُ . كَفَى بِالظَّفَرِ شَفِيعًا بِالذَّنْبِ . أَحَقُّ النَّاسِ بِالزِّيَادَةِ فِي النِّعَمِ أَشْكَرُهُمْ لِمَا أُوتِيَ مِنْهَا . ظَهْرُ الْعِتَابِ خَيْرٌ مِنْ مَكْنُونِ الْحِقْدِ . قَالَ الْجِدَارُ لِلْوَتِدِ : لِمَ تَشُقُّنِي . قَالَ : سَلْ مَنْ يَدُقُّنِي . مَنْ نَصَرَ الْحَقَّ قَهَرَ الْخَلْقَ . رُبَّمَا كَانَ حَتْفُ امْرِئٍ فِي مَا تَمَنَّى

ما ضُرب به المثل من الحيوان وغيره

٧٧ إِنَّمَا كَانَتِ الْعَرَبُ أَكْثَرُ أَمْثَالِهَا مَضْرُوبَةً بِالْبَهَائِمِ فَلَا يَكَادُونَ يَذُمُّونَ وَلَا يَمْدَحُونَ إِلَّا بِذَلِكَ لِأَنَّهُمْ جَعَلُوا مَسَاكِنَهُمْ بَيْنَ السِّبَاعِ وَالْأَحْنَاشِ وَالْحَشَرَاتِ فَاسْتَعْمَلُوا التَّمْثِيلَ بِهَا . قَالُوا : أَشْجَعُ مِنْ أَسَدٍ .

وَأَجْبَنُ مِنَ الصَّافِرِ . وَأَمْضَى مِنْ لَيْثٍ عِفِرِينَ . وَأَحْذَرُ مِنْ غُرَابٍ . وَأَبْصَرُ مِنْ عُقَابٍ . وَأَزْهَى مِنْ ذُبَابٍ . وَأَذَلُّ مِنْ قُرَادٍ . وَأَسْمَعُ مِنْ فَرَسٍ . وَأَنْوَمُ مِنْ فَهْدٍ . وَأَعَقُّ مِنْ ضَبٍّ . وَأَجْبَنُ مِنْ صِفْرِدٍ . وَأَضْرَعُ مِنْ سِنَوْرٍ . وَأَسْرَقُ مِنْ زَبَابَةٍ . وَأَصْبَرُ مِنْ عُودٍ . وَأَظْلَمُ مِنْ حَيَّةٍ . وَأَحَنُّ مِنْ نَابٍ . وَأَكْذَبُ مِنْ فَاخِتَةٍ . وَأَعَزُّ مِنْ بَيْضِ الْأَنُوقِ . وَأَجْوَعُ مِنْ كَلْبَةِ حَوْمَلٍ . وَأَعَزُّ مِنَ الْأَبْلَقِ الْعَقُوقِ . (أَلصَّافِرُ الصَّغِيرُ مِنَ الطَّيْرِ . وَالْعُودُ الْمُسِنُّ مِنَ الْجِمَالِ . وَالْأَنُوقُ طَيْرٌ يُقَالُ إِنَّهُ يَبِيضُ فِي الْهَوَاءِ . وَالزَّبَابَةُ الْفَأْرَةُ تَسْرِقُ دُودَ الْحَرِيرِ . وَفَاخِتَةُ طَيْرٌ يَطِيرُ بِالرُّطَبِ فِي غَيْرِ أَيَّامِهِ)

(مَا ضُرِبَ بِهِ الْمَثَلُ مِنْ غَيْرِ الْحَيَوَانِ) . قَالُوا : أَهْدَى مِنَ النَّجْمِ . وَأَجْوَدُ مِنَ الدِّيمِ . وَأَضْبَحُ مِنَ الصُّبْحِ . وَأَسْمَحُ مِنَ الْبَحْرِ . وَأَنْوَرُ مِنَ النَّهَارِ . وَأَمْضَى مِنَ السَّيْلِ . وَأَحْمَقُ مِنْ دِجْلَةَ . وَأَحْسَنُ مِنْ دُمْيَةٍ . وَأَنْزَهُ مِنْ رَوْضَةٍ . وَأَوْسَعُ مِنَ الدَّهْنَاءِ . وَآنَسُ مِنْ جَدْوَلٍ . وَأَضْيَقُ مِنْ قَرَارِ حَافِرٍ . وَأَوْحَشُ مِنْ مَفَازَةٍ . وَأَثْقَلُ مِنْ جَبَلٍ . وَأَبْقَى مِنَ الْوَحَى فِي صُمِّ الصِّلَابِ . وَأَخَفُّ مِنْ رِيشِ الْحَوَاصِلِ (لابن عبد ربّه)

٧٨ أَشْعَارٌ جَارِيَةٌ مَجْرَى الْمَثَلِ وَهِيَ لِشُعَرَاءَ مُخْتَلِفِينَ :

أَخَاكَ أَخَاكَ إِنَّ مَنْ لَا أَخَا لَهُ كَسَاعٍ إِلَى الْهَيْجَا بِغَيْرِ سِلَاحِ
إِذَا كَانَ غَيْرُ اللهِ لِلْمَرْءِ عُدَّةً أَتَتْهُ الرَّزَايَا مِنْ وُجُوهِ الْمَكَاسِبِ
إِذَا مَا أَتَيْتَ الْأَمْرَ مِنْ غَيْرِ بَابِهِ ضَلَلْتَ وَإِنْ تَقْصِدْ إِلَى الْبَابِ تَهْتَدِي

إِذَا لَمْ يَكُنْ عِنْدِي نَوَالٌ هَجَرْتَنِي ... وَإِنْ كَانَ لِي مَالٌ فَأَنْتَ صَدِيقِي
إِذَا أَنْتَ لَمْ تُعْلِمْ طَبِيبَكَ كُلَّ مَا ... يَسُؤْكَ أَبْعَدتَّ الدَّوَاءَ عَنِ السُّقْمِ
إِنِ اخْتَفَى مَا فِي الزَّمَانِ الْآتِي ... فَقِسْ عَلَى الْمَاضِي مِنَ الْأَوْقَاتِ
إِذَا لَمْ يُعِنْ قَوْلَ النَّصِيحِ قَبُولُ ... فَإِنَّ مَعَارِيضَ الْكَلَامِ فُضُولُ
أَرَى مَاءً وَبِي عَطَشٌ شَدِيدٌ ... وَلَكِنْ لَا سَبِيلَ إِلَى الْوُرُودِ
إِذَا رُمْتَ أَنْ تُصْفِي لِنَفْسِكَ صَاحِبًا ... فَمِنْ قَبْلِ أَنْ تُصْفِي لَهُ الْوُدَّ أَغْضِبْهُ
أَلَمْ تَرَ أَنَّ السَّيْفَ يُزْرَى بِقَدْرِهِ ... إِذَا قِيلَ هَذَا السَّيْفُ أَمْضَى مِنَ الْعَصَا
إِنَّ الْأُمُورَ إِذَا بَدَتْ لِزَوَالِهَا ... فَعَلَامَةُ الْإِدْبَارِ فِيهَا تَظْهَرُ
إِذَا سَاءَ فِعْلُ الْمَرْءِ سَاءَتْ ظُنُونُهُ ... وَصَدَّقَ مَا يَعْتَادُهُ مِنْ تَوَهُّمِ
إِنْ تَجِدْ عَيْبًا فَسُدَّ الْخَلَلَا ... جَلَّ مَنْ لَا عَيْبَ فِيهِ وَعَلَا
تَفَرَّقَتْ غَنَمِي يَوْمًا فَقُلْتُ لَهَا ... يَا رَبِّ سَلِّطْ عَلَيْهَا الذِّئْبَ وَالضَّبُعَا
تَرَقَّبْ جَزَاءَ الْحُسْنَى إِذَا كُنْتَ مُحْسِنًا ... وَلَا تَخْشَ مِنْ سُوءٍ إِذَا أَنْتَ لَا تُسِي
أَلْخَيْرُ لَا يَأْتِيكَ مُتَّصِلًا ... وَالشَّرُّ يَسْبُقُ سَيْلُهُ الْمَطَرُ
ذِكْرُ الْفَتَى عُمْرُهُ الثَّانِي وَحَاجَتُهُ ... مَا فَاتَهُ وَفُضُولُ الْعَيْشِ أَشْغَالُ
ذُو الْفَضْلِ لَا يَسْلَمُ مِنْ قَدْحِ ... وَإِنْ غَدَا أَقْوَمَ مِنْ قِدْحِ
الرَّأْيُ يَصْدَأُ كَالْحُسَامِ لِعَارِضٍ ... يَطْرَا عَلَيْهِ وَصَقْلُهُ التَّذْكِيرُ
سَبَكْنَاهُ وَنَحْسَبُهُ لُجَيْنًا ... فَأَبْدَى الْكِيرُ عَنْ خَبَثِ الْحَدِيدِ
عَفَافُكَ عَيٌّ إِنَّمَا عِفَّةُ الْفَتَى ... إِذَا عَفَّ مِنْ لَذَّاتِهِ وَهُوَ قَادِرُ
غُلَامٌ أَتَاهُ اللُّؤْمُ مِنْ شَطْرِ نَفْسِهِ ... وَلَمْ يَأْتِهِ مِنْ شَطْرِ أُمٍّ وَلَا أَبِ

فَقَالَ قُمْ قُلْتُ رِجْلِي لَا تُطَاوِعُنِي ... فَقَالَ خُذْ قُلْتُ كَفِّي لَا تُوَاتِينِي

فَلَا تَجْعَلِ الْحُسْنَ الدَّلِيلَ عَلَى الْفَتَى ... فَمَا كُلُّ مَصْقُولِ الْحَدِيدِ يَمَانِي

فَالدُّرُّ وَهُوَ أَجَلُّ شَيْءٍ يُقْتَنَى ... مَا حَطَّ قِيمَتَهُ هَوَانُ الْغَائِصِ

قَدْ قِيلَ ذَا إِنْ صِدْقًا وَإِنْ كَذِبًا ... فَمَا احْتِيَالُكَ فِي شَيْءٍ وَقَدْ قِيلَا

لَا يُعْجِبَنَّ مَضِيمًا حُسْنُ بِزَّتِهِ ... وَهَلْ تَرُوقُ دَفِينًا جُودَةُ الْكَفَنِ

لَا تَرْجُ شَيْئًا خَالِصًا نَفْعُهُ ... فَالْغَيْثُ لَا يَخْلُو مِنَ الْغَثِّ

لَا تَغُرَّنَّكَ هٰذِهِ الْأَوْجُهُ الْغُرُّ ... فَيَا رُبَّ حَيَّةٍ فِي رِيَاضِ

لَا تَحْسَبِ الْمَجْدَ رُطَبًا أَنْتَ آكِلُهُ ... لَنْ تَبْلُغَ الْمَجْدَ حَتَّى تَلْعَقَ الصَّبِرَا

لَا يَسْلَمُ الشَّرَفُ الرَّفِيعُ مِنَ الْأَذَى ... حَتَّى يُرَاقَ عَلَى جَوَانِبِهِ الدَّمُ

لَا تَحْقِرَنْ شَأْنَ الْعَدُوِّ وَكَيْدَهُ ... وَلَرُبَّمَا صَرَعَ الْأَسُودَ الثَّعْلَبُ

لَعَلَّ عَتْبَكَ مَحْمُودٌ عَوَاقِبُهُ ... وَرُبَّمَا صَحَّتِ الْأَجْسَادُ بِالْعِلَلِ

مَاذَا لَقِيتُ مِنَ الدُّنْيَا وَأَعْجَبُهَا ... أَنِّي بِمَا أَنَا بَاكٍ مِنْهُ مَحْسُودُ

مَا لِقَوِيٍّ عَنْ ضَعِيفٍ غِنًى ... لَا بُدَّ لِلسَّهْمِ مِنَ الرِّيشِ

مَنْ لَيْسَ يَخْشَى أُسُودَ الْغَابِ إِنْ زَأَرَتْ ... فَكَيْفَ يَخْشَى كِلَابَ الْحَيِّ إِنْ نَبَحَتْ

لَا يَحْمِلُ الْحِقْدَ مَنْ تَعْلُو بِهِ الرُّتَبُ ... وَلَا يَنَالُ الْعُلَى مَنْ طَبْعُهُ الْغَضَبُ

أَلْمَرْءُ يَحْيَا بِلَا سَاقٍ وَلَا عَضُدٍ ... وَلَا يَعِيشُ بِلَا قَلْبٍ وَلَا أَدَبِ

نَبِّئْنِي كَمَا كَانَتْ أَوَائِلُنَا ... تَبْنِي وَنَفْعَلُ مِثْلَمَا فَعَلُوا

وَقَدْ يَكْسِفُ الْمَرْءَ مَنْ دُونَهُ ... كَمَا يَكْسِفُ الشَّمْسَ جِرْمُ الْقَمَرِ

وَلَا تَقْرَبِ الْأَمْرَ الْحَرَامَ فَإِنَّهُ ... حَلَاوَتُهُ تَفْنَى وَيَبْقَى مَرِيرُهَا

وَلَوْ لَبِسَ ٱلْحِمَارُ ثِيَابَ خَزٍّ ... لَقَالَ ٱلنَّاسُ يَا لَكَ مِنْ حِمَارِ
وَإِذَا ٱفْتَقَرْتَ إِلَى ٱلذَّخَائِرِ لَمْ تَجِدْ ... ذُخْرًا يَكُونُ كَصَالِحِ ٱلْأَعْمَالِ
وَإِنِّي أَرَى فِي عَيْنِكَ ٱلْجِذْعَ مُعْرِضًا ... وَتَعْجَبُ إِنْ أَبْصَرْتَ فِي عَيْنِي ٱلْقَذَى
وَمَا أَقْبَحَ ٱلتَّفْرِيطَ فِي زَمَنِ ٱلصِّبَا ... فَكَيْفَ بِهِ وَٱلشَّيْبُ لِلرَّأْسِ شَامِلُ
وَتَشَتُّتُ ٱلْأَعْدَاءِ فِي آرَائِهِمْ ... سَبَبٌ لِجَمْعِ خَوَاطِرِ ٱلْأَحْبَابِ
وَكُلُّ جَدِيدٍ قَدْ يَؤُولُ إِلَى بِلًى ... وَكُلُّ ٱمْرِئٍ يَوْمًا يَصِيرُ إِلَى كَانَا
وَإِذَا كَانَتِ ٱلنُّفُوسُ كِبَارًا ... تَعِبَتْ فِي مُرَادِهَا ٱلْأَجْسَامُ
وَمَاذَا أُرَجِّي مِنْ حَيَاةٍ تَكَدَّرَتْ ... وَلَوْ قَدْ صَفَتْ كَانَتْ كَأَحْلَامِ نَائِمِ
وَلَمْ أَرَ مِثْلَ ٱلشُّكْرِ جَنَّةَ غَارِسٍ ... وَلَا مِثْلَ حُسْنِ ٱلصَّبْرِ جُبَّةَ لَابِسِ
وَفِي ٱلسَّمَاءِ نُجُومٌ مَا لَهَا عَدَدٌ ... وَلَيْسَ يُكْسَفُ إِلَّا ٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ
وَنَارٌ إِنْ نَفَخْتَ بِهَا أَضَاءَتْ ... وَلَكِنْ أَنْتَ تَنْفُخُ فِي رَمَادِ
وَإِنِّي رَأَيْتُ ٱلْحُزْنَ لِلْحُزْنِ مَاحِيًا ... كَمَا خُطَّ فِي ٱلْقِرْطَاسِ سَطْرٌ عَلَى سَطْرِ
وَيُمْكِنُ وَصْلُ ٱلْحَبْلِ بَعْدَ ٱنْقِطَاعِهِ ... وَلَكِنَّهُ يَبْقَى بِهِ عُقْدَةُ ٱلرَّبْطِ
وَعَيْنُ ٱلرِّضَا عَنْ كُلِّ عَيْبٍ كَلِيلَةٌ ... كَمَا أَنَّ عَيْنَ ٱلسُّخْطِ تُبْدِي ٱلْمَسَاوِيَا
وَإِذَا كَانَ مُنْتَهَى ٱلْعُمْرِ مَوْتًا ... فَسَوَاءٌ طَوِيلُهُ وَٱلْقَصِيرُ
وَإِذَا أَرَادَ ٱللهُ نُصْرَةَ عَبْدِهِ ... كَانَتْ لَهُ أَعْدَاؤُهُ أَنْصَارَا
وَمَنْ يَتَشَبَّثْ فِي ٱلْعَدَاوَةِ كَفُّهُ ... بِأَكْبَرِ مِنْهُ فَهْوَ لَا شَكَّ هَالِكُ
يَهْوَى ٱلثَّنَاءَ مُبَرِّزٌ وَمُقَصِّرٌ ... حُبُّ ٱلثَّنَاءِ طَبِيعَةُ ٱلْإِنْسَانِ
يَقُولُونَ لِي أَهْلًا وَسَهْلًا وَمَرْحَبًا ... وَلَوْ ظَفِرُوا بِي سَاعَةً قَتَلُونِي

أَلْبَابُ ٱلسَّادِسُ
فِي أَمْثَالٍ عَنْ أَلْسِنَةِ ٱلْحَيَوَانَاتِ

البازي والديك

٧٩ بَازٍ وَدِيكٌ تَنَاظَرَا . فَقَالَ ٱلْبَازِي لِلدِّيكِ : مَا أَعْرِفُ أَقَلَّ وَفَاءً مِنْكَ لِأَصْحَابِكَ . قَالَ : وَكَيْفَ . قَالَ : تُؤْخَذُ بَيْضَةً وَتَحْضُنُكَ أَهْلُكَ وَتَخْرُجُ عَلَى أَيْدِيهِمْ فَيُطْعِمُونَكَ بِأَيْدِيهِمْ . حَتَّى إِذَا كَبِرْتَ صِرْتَ لَا يَدْنُو مِنْكَ أَحَدٌ إِلَّا طُرِدْتَ مِنْ هُنَا إِلَى هُنَا وَصِحْتَ . وَعَلَوْتَ عَلَى حَائِطِ دَارٍ كُنْتَ فِيهَا سِنِينَ طِرْتَ مِنْهَا إِلَى غَيْرِهَا . وَأَمَّا أَنَا فَأُؤْخَذُ مِنَ ٱلْجِبَالِ وَقَدْ كَبِرَ سِنِّي فَتُخَاطُ عَيْنِي . وَأُطْعَمُ ٱلشَّيْءَ ٱلْيَسِيرَ وَأُسَاهِرُ فَأُمْنَعُ مِنَ ٱلنَّوْمِ وَأُنْسَى ٱلْيَوْمَ وَٱلْيَوْمَيْنِ . ثُمَّ أُطْلَقُ عَلَى ٱلصَّيْدِ وَحْدِي فَأَطِيرُ إِلَيْهِ وَآخُذُهُ وَأَجِيءُ بِهِ إِلَى صَاحِبِي . فَقَالَ لَهُ ٱلدِّيكُ : ذَهَبَتْ عَنْكَ ٱلْحُجَّةُ أَمَا لَوْ رَأَيْتَ بَازِيَيْنِ فِي سَفُّودِ ٱلنَّارِ مَا عُدْتَ لَهُمْ . وَأَنَا فِي كُلِّ وَقْتٍ أَرَى ٱلسَّفَافِيدَ مَمْلُوَّةً دُيُوكًا . فَلَا تَكُنْ حَلِيمًا عِنْدَ غَضَبِ غَيْرِكَ (لبهاء الدين)

برغوث وبعوضة

٨٠ حُكِيَ أَنَّهُ ٱجْتَمَعَ بُرْغُوثٌ وَبَعُوضَةٌ . فَقَالَتِ ٱلْبَعُوضَةُ لِلْبُرْغُوثِ : إِنِّي لَأَعْجَبُ مِنْ حَالِي وَحَالِكَ . أَنَا أَفْصَحُ مِنْكَ لِسَانًا . وَأَوْضَحُ بَيَانًا . وَأَرْجَحُ مِيزَانًا . وَأَكْبَرُ شَأْنًا . وَأَكْثَرُ طَيَرَانًا . وَمَعَ هٰذَا فَقَدْ أَضَرَّ بِي

ٱلْجُوعُ . وَحَرَمَنِي ٱلْهُجُوعَ . وَلَا أَزَالُ عَلِيلَةً مَجْهُودَةً . مُبْعَدَةً عَنِ ٱلطَّرِيقِ مَطْرُودَةً . وَأَنْتَ تَأْكُلُ وَتَشْبَعُ . وَفِي نَوَاعِمِ ٱلْأَبْدَانِ تَرْتَعُ . فَقَالَ لَهَا ٱلْبُرْغُوثُ : أَنْتِ بَيْنَ ٱلْعَالَمِ مُطَنْطِنَةٌ . وَعَلَى رُؤُسِهِمْ مُدَنْدِنَةٌ . وَأَنَا قَدْ تَوَصَّلْتُ إِلَى قُوتِي . بِسَبَبِ سُكُوتِي

اللبوءة والغزال والقرد

٨١ حُكِيَ أَنَّ لَبُوءَةً كَانَتْ سَاكِنَةً بِغَابَةٍ . وَبِجِوَارِهَا غَزَالٌ وَقِرْدٌ قَدْ أَلِفَتْ جِوَارَهُمَا وَٱسْتَحْسَنَتْ عِشْرَتَهُمَا . وَكَانَ لِتِلْكَ ٱللَّبُوءَةِ شِبْلٌ صَغِيرٌ قَدْ شُغِفَتْ بِهِ حُبًّا وَقَرَّتْ بِهِ عَيْنًا . وَطَابَتْ بِهِ قَلْبًا . وَكَانَ لِجَارِهَا ٱلْغَزَالِ أَوْلَادٌ صِغَارٌ . وَكَانَتِ ٱللَّبُوءَةُ تَذْهَبُ كُلَّ يَوْمٍ تَبْتَغِي قُوتًا لِشِبْلِهَا مِنَ ٱلنَّبَاتِ وَصِغَارِ ٱلْحَيَوَانِ . وَكَانَتْ تَمُرُّ فِي طَرِيقِهَا عَلَى أَوْلَادِ ٱلْغَزَالِ . وَهُنَّ يَلْعَبْنَ بِبَابِ حُجْرِهِنَّ . فَحَدَّثَتْ نَفْسَهَا يَوْمًا بِٱقْتِنَاصِ وَاحِدٍ فَتَجْعَلَهُ قُوتَ ذٰلِكَ ٱلْيَوْمِ وَتَسْتَرِيحَ فِيهِ مِنَ ٱلذَّهَابِ . ثُمَّ أَقْلَعَتْ عَنْ هٰذَا ٱلْعَزْمِ لِحُرْمَةِ ٱلْجِوَارِ ثُمَّ عَاوَدَهَا ٱلشَّرَهُ ثَانِيًا مَعَ مَا تَجِدُ مِنَ ٱلْقُوَّةِ وَٱلْعِظَمِ . وَأَكَّدَ ذٰلِكَ ضَعْفُ ٱلْغَزَالِ وَٱسْتِلَامُهُ لِأَمْرِ ٱللَّبُوءَةِ . فَأَخَذَتْ ظَبْيًا مِنْهُمْ وَمَضَتْ فَلَمَّا عَلِمَ ٱلْغَزَالُ دَاخَلَهُ ٱلْحُزْنُ وَٱلْقَلَقُ وَلَمْ يَقْدِرْ عَلَى إِظْهَارِ ذٰلِكَ وَشَكَا لِجَارِهِ ٱلْقِرْدِ . فَقَالَ لَهُ : هَوِّنْ عَلَيْكَ فَلَعَلَّهَا تُقْلِعُ عَنْ هٰذَا وَنَحْنُ لَا نَسْتَطِيعُ مُكَاشَفَتَهَا وَلَعَلِّي أَنْ أُذَكِّرَهَا عَاقِبَةَ ٱلْعُدْوَانِ وَحُرْمَةَ ٱلْجِيرَانِ . فَلَمَّا كَانَ ٱلْغَدُ أَخَذَتْ ظَبْيًا ثَانِيًا فَلَقِيَهَا ٱلْقِرْدُ فِي طَرِيقِهَا فَسَلَّمَ عَلَيْهَا وَحَيَّاهَا وَقَالَ لَهَا : إِنِّي لَا آمَنُ

عَلَيْكِ عَاقِبَةَ ٱلْبَغْيِ وَإِسَاءَةِ ٱلْجِوَارِ. فَقَالَتْ لَهُ: وَهَلِ ٱقْتِنَاصِي لِأَوْلَادِ ٱلْغَزَالِ. إِلَّا كَٱقْتِنَاصِي مِنْ أَطْرَافِ ٱلْجِبَالِ. وَمَا أَنَا تَارِكَةٌ قُوتِي وَقَدْ سَاقَهُ ٱلْقَدَرُ إِلَى بَابِ بَيْتِي. فَقَالَ لَهَا ٱلْقِرْدُ: هٰكَذَا ٱغْتَرَّ ٱلْفِيلُ بِعِظَمِ جُثَّتِهِ. وَوُفُورِ قُوَّتِهِ فَبَحَثَ عَنْ حَتْفِهِ بِظِلْفِهِ. وَأَوْبَقَهُ ٱلْبَغْيُ رَغْمَ أَنْفِهِ. فَقَالَتِ ٱللَّبُوءَةُ: كَيْفَ كَانَ ذٰلِكَ. قَالَ ٱلْقِرْدُ: ذَكَرُوا أَنَّ قُبَّرَةً كَانَ لَهَا عُشٌّ فَبَاضَتْ وَفَرَّخَتْ فِيهِ وَكَانَ فِي نَوَاحِي تِلْكَ ٱلْأَرْضِ فِيلٌ وَكَانَ لَهُ مَشْرَبٌ يَتَرَدَّدُ إِلَيْهِ. وَكَانَ يَمُرُّ فِي بَعْضِ ٱلْأَيَّامِ عَلَى عُشِّ ٱلْقُبَّرَةِ. فَفِي ذَاتِ يَوْمٍ أَرَادَ مَشْرَبَهُ فَعَمَدَ إِلَى ذٰلِكَ ٱلْعُشِّ وَوَطِئَهُ وَهَشَّمَ رُكْنَهُ. وَأَتْلَفَ بَيْضَهَا وَأَهْلَكَ فِرَاخَهَا. فَلَمَّا نَظَرَتِ ٱلْقُبَّرَةُ إِلَى مَا حَلَّ بِعُشِّهَا سَاءَهَا ذٰلِكَ وَعَلِمَتْ أَنَّهُ مِنَ ٱلْفِيلِ. فَطَارَتْ حَتَّى وَقَعَتْ عَلَى رَأْسِهِ بَاكِيَةً وَقَالَتْ لَهُ: أَيُّهَا ٱلْمَلِكُ مَا ٱلَّذِي حَمَلَكَ عَلَى أَنْ وَطِئْتَ عُشِّي وَهَشَّمْتَ بَيْضِي وَقَتَلْتَ أَفْرَاخِي وَإِنَّنَا فِي جِوَارِكَ. أَفَعَلْتَ ذٰلِكَ ٱسْتِضْعَافًا بِحَالِي وَقِلَّةَ مُبَالَاةٍ بِأَمْرِي. قَالَ ٱلْفِيلُ: هُوَ كَذٰلِكَ فَٱنْصَرَفَتِ ٱلْقُبَّرَةُ إِلَى جَمَاعَةِ ٱلطُّيُورِ فَشَكَتْ إِلَيْهِمْ مَا نَالَهَا مِنَ ٱلْفِيلِ فَقَالَتْ لَهَا ٱلطُّيُورُ. وَمَا عَسَانَا أَنْ نَبْلُغَ مِنَ ٱلْفِيلِ وَنَحْنُ طُيُورٌ. فَقَالَتْ لِلْعَقَاعِقِ وَٱلْغُرْبَانِ: إِنِّي أُرِيدُ مِنْكُمْ أَنْ تَسِيرُوا مَعِي إِلَيْهِ فَتَفْقَؤُوا عَيْنَيْهِ. فَأَنَا بَعْدَ ذٰلِكَ أَحْتَالُ عَلَيْهِ بِحِيلَةٍ أُخْرَى. فَأَجَابُوهَا إِلَى ذٰلِكَ وَمَضَوْا إِلَى ٱلْفِيلِ. وَلَمْ يَزَالُوا بِهِ يَتَجَاذَبُونَهُ بَيْنَهُمْ وَيَنْقُرُونَ عَيْنَيْهِ إِلَى أَنْ فَقَؤُوهُمَا وَبَقِيَ لَا يَهْتَدِي إِلَى طَرِيقِ مَطْعَمِهِ وَلَا مَشْرَبِهِ. فَلَمَّا عَلِمَتْ

ذٰلِكَ جَاءَتْ إِلَى نَهْرٍ فِيهِ ضَفَادِعُ فَشَكَتْ مَا نَالَهَا مِنَ ٱلْفِيلِ . فَقَالَتِ ٱلضَّفَادِعُ : مَا حِيلَتُنَا مَعَ ٱلْفِيلِ وَلَسْنَا كُفْوَهُ وَأَيْنَ نَبْلُغُ مِنْهُ . قَالَتِ ٱلْقُنْبُرَةُ : أُحِبُّ مِنْكُنَّ أَنْ تَذْهَبْنَ مَعِي إِلَى وَهْدَةٍ بِٱلْقُرْبِ مِنْهُ فَتَقِفْنَ تَضْجَجْنَ بِهَا . فَإِذَا سَمِعَ أَصْوَاتَكُنَّ لَمْ يَشُكَّ أَنَّ بِهَا مَاءً فَيَكُبُّ نَفْسَهُ فِيهَا . فَأَجَابَهَا ٱلضَّفَادِعُ إِلَى ذٰلِكَ فَلَمَّا سَمِعَ ٱلْفِيلُ أَصْوَاتَهُنَّ فِي قَعْرِ ٱلْحُفْرَةِ تَوَهَّمَ أَنَّ بِهَا مَاءً . وَكَانَ عَلَى جُهْدٍ مِنَ ٱلْعَطَشِ فَجَاءَ مُكِبًّا عَلَى طَلَبِ ٱلْمَاءِ فَسَقَطَ فِي ٱلْوَهْدَةِ وَلَمْ يَجِدْ مَخْرَجًا مِنْهَا . فَجَاءَتِ ٱلْقُنْبُرَةُ تُرَفْرِفُ عَلَى رَأْسِهِ وَقَالَتْ لَهُ : أَيُّهَا ٱلْمُغْتَرُّ بِقُوَّتِهِ ٱلصَّائِلُ عَلَى ضُعَفَائِي كَيْفَ رَأَيْتَ عَظِيمَ حِيلَتِي مَعَ صِغَرِ جُثَّتِي . وَبَلَادَةَ فَهْمِكَ مَعَ كِبَرِ جِسْمِكَ . وَكَيْفَ رَأَيْتَ عَاقِبَةَ ٱلْبَغْيِ وَٱلْعُدْوَانِ . وَمُسَالَمَةَ ٱلزَّمَانِ . فَلَمْ يَجِدِ ٱلْفِيلُ مُسْلَكًا لِجَوَابِهَا . وَلَا طَرِيقًا لِخِطَابِهَا . فَلَمَّا ٱنْتَهَى ٱلْقِرْدُ فِي غَايَةِ مَا ضَرَبَهُ لِلْبُوَةِ مِنَ ٱلْمَثَلِ أَوْسَعَتْهُ ٱنْتِهَارًا وَأَعْرَضَتْ عَنْهُ ٱسْتِكْبَارًا . ثُمَّ إِنَّ ٱلْغَزَالَ ٱنْتَقَلَتْ بِمَا بَقِيَ مِنْ أَوْلَادِهَا تَبْتَغِي لَهَا مَحْجَرًا آخَرَ . وَإِنَّ ٱللَّبُوَةَ خَرَجَتْ ذَاتَ يَوْمٍ تَطْلُبُ صَيْدًا وَتَرَكَتْ شِبْلَهَا . فَمَرَّ بِهِ فَارِسٌ فَلَمَّا رَآهُ حَمَلَ عَلَيْهِ فَقَتَلَهُ وَسَلَخَ جِلْدَهُ وَأَخَذَهُ وَتَرَكَ لَحْمَهُ وَذَهَبَ فَلَمَّا رَجَعَتِ ٱللَّبُوَةُ وَرَأَتْ شِبْلَهَا مَقْتُولًا مَسْلُوخًا رَأَتْ أَمْرًا فَظِيعًا . فَٱمْتَلَأَتْ غَيْظًا وَنَاحَتْ نَوْحًا عَالِيًا وَدَاخَلَهَا هَمٌّ شَدِيدٌ . فَلَمَّا سَمِعَ ٱلْقِرْدُ صَوْتَهَا أَقْبَلَ عَلَيْهَا مُسْرِعًا فَقَالَ لَهَا : وَمَا دَهَاكِ . فَقَالَتِ ٱللَّبُوَةُ : مَرَّ صَيَّادٌ بِشِبْلِي فَفَعَلَ بِهِ مَا تَرَى . فَقَالَ لَهَا : لَا تَجْزَعِي وَلَا تَحْزَنِي وَأَنْصِفِي مِنْ نَفْسِكِ وَٱصْبِرِي عَنْ غَيْرِكِ

كما صبر غيرك عنك. فكما يدين الفتى يدان. وجزاء الدهر بميزان. ومن بذر حباً في أرض فبقدر بذره يكون الثمر. والجاهل لا يبصر من أين تأتيه سهام الدهر. وإن حقاً عليك أن لا تجزعي من هذا الأمر. وأن تتدرعي له بالرضا والصبر. فقالت اللبوة: كيف لا أجزع وهو قرة العين وواحد القلب ونزهة الفكر. وأي حياة تطيب لي بعده. فقال لها القرد: أيتها اللبوة ما الذي كان يغديك ويعشيك. قالت: لحوم الوحوش. قال القرد: أما كان لتلك الوحوش التي كنت تأكلينها آباء وأمهات. قالت بلى. قال القرد: فما بالنا لا نسمع لتلك الآباء ولا الأمهات صياحاً وصراخاً كما سمع منك ولقد أنزل بك هذا الأمر جهلك بالعواقب وعدم تفكرك فيها. وقد نصحتك حين حفرت حق الجوار. وألحقت بنفسك العار. وجاوزت بقوتك حد الإنصاف. وسطوت على الظباء الضعاف. فكيف وجدت طعم مخالفة الصديق الناصح. قالت اللبوة: وجدته مر المذاق ولما علمت اللبوة أن ذلك بما كسبت يدها من ظلم الوحوش رجعت عن صيدها ورمت نفسها باللوم. وصارت تقنع بأكل النبات وحشيش الفلوات. (بستان الاذهان للشبراوي)

ساعة

وهو مثل من يمنعه التفكر في مستقبل الأمر عن الانتفاع بالحاضر

٨٢ حكي أن ساعة قديمة كانت مركوزة في مطبخ أحد الدهاقنة

مُدَّةَ خَمْسِينَ سَنَةً مِنْ دُونِ أَنْ يَبْدُوَ مِنْهَا أَدْنَى سَبَبٍ يُكَدِّرُهُ . غَيْرَ أَنَّهَا فِي صَبِيحَةِ ذَاتِ يَوْمٍ مِنْ أَيَّامِ الصَّيْفِ . وَقَفَتْ عَنِ الْحَرَكَةِ قَبْلَ أَنْ يَسْتَيْقِظَ أَصْحَابُ الْمَحَلِّ . فَتَغَيَّرَ مَنْظَرُ وَجْهِهَا بِسَبَبِ ذَلِكَ وَدُهِشَ . وَبَذَلَتِ الْعَقَارِبُ جُهْدَهَا وَوَدَّتْ لَوْ تَبْقَى عَلَى حَالَةِ سَيْرِهَا الْأُولَى . وَغَدَتِ الدَّوَالِيبُ عَدِيمَةَ الْحَرَكَةِ لِمَا شَمِلَهَا مِنَ التَّعَجُّبِ . وَأَصْبَحَ الثِّقْلُ وَاقِفًا لَا يُبْدِي وَلَا يُعِيدُ . وَرَامَتْ كُلُّ آلَةٍ أَنْ تُحِيلَ الذَّنْبَ عَلَى أُخْتِهَا وَطَفِقَ الْوَجْهُ يَبْحَثُ عَنْ هٰذَا الْوُقُوفِ . وَبَيْنَمَا كَانَتِ الدَّوَالِيبُ وَالْعَقَارِبُ تُبَرِّئُ نَفْسَهَا بِالْيَمِينِ إِذَا بِصَوْتٍ خَفِيٍّ سُمِعَ مِنَ الدَّقَّاقِ بِأَسْفَلِ السَّاعَةِ يَقُولُ هٰكَذَا : إِنِّي أُقِرُّ عَلَى نَفْسِي بِأَنِّي أَنَا كُنْتُ عِلَّةَ هٰذَا الْوُقُوفِ . وَسَأُبَيِّنُ لَكُمْ سَبَبَ ذَلِكَ لِسُكُوتِكُمْ وَإِقْنَاعِكُمْ أَجْمَعِينَ . وَالْحَقَّ أَقُولُ إِنِّي مَلِلْتُ مِنَ الدَّقِّ . فَلَمَّا سَمِعَتِ السَّاعَةُ مَقَالَتَهُ كَادَتْ تَتَمَيَّزُ مِنَ الْغَيْظِ . وَقَالَ لَهُ الْوَجْهُ وَهُوَ رَافِعٌ يَدَيْهِ : تَبًّا لَكَ مِنْ سِلْكٍ ذِي كَسَلٍ . فَأَجَابَهُ الدَّقَّاقُ : لَا بَأْسَ بِذَلِكَ يَا سَيِّدِي الْوَجْهَ : لَا جَرَمَ أَنَّكَ تُرْضِيكَ هٰذِهِ الْحَالُ . إِذْ قَدْ رَفَعْتَ عَلَى نَفْسِكَ كَمَا هُوَ مَعْلُومٌ لَدَى الْجَمِيعِ . وَأَنَّهُ يَسْهُلُ عَلَيْكَ أَنْ تَدْعُوَ غَيْرَكَ كَسْلَانَ وَتَنْسُبَهُ إِلَى التَّوَانِي . فَإِنَّكَ قَدْ قَضَيْتَ عُمْرَكَ كُلَّهُ بِغَيْرِ شُغْلٍ وَلَمْ يَكُنْ لَكَ فِيهِ مِنْ عَمَلٍ إِلَّا التَّحْدِيقُ فِي وُجُوهِ النَّاسِ وَالِانْشِرَاحُ بِرُؤْيَةِ مَا يَحْدُثُ فِي الْمَطْبَخِ . أَرَأَيْتَكَ لَوْ كُنْتَ مِثْلِي فِي مَوْضِعٍ ضَنْكٍ مُظْلِمٍ كَهٰذَا . وَتُجِيزُ حَيَاتَكَ كُلَّهَا بَيْنَ مَجِيءٍ وَذَهَابٍ يَوْمًا بَعْدَ يَوْمٍ

وعاماً بعد عام . فقال له الوجه : أوليس في موضعك طاقة تنظر منها . فقال الدقاق : بلى . ولكنها مظلمة . على أنه وإن تكن لي طاقة فلا أتجاسر على التطلع منها . حيث لا يمكن لي الوقوف ولو طرفة عين . والحاصل أني ملت هذا الحال . وإن استردتني شرحاً . فإني أخبرك بما سبب لي الضجر من شغلي . وذلك أني حسبت في صباح هذا اليوم كمية المرار التي أغدو وأروح فيها مدة أربع وعشرين ساعة . فعظم ذلك علي . وقد يمكن تحقيق ذلك بمعرفة أحد الجلوس الذين فوق . فبادر عقرب الدقائق إلى العدد وقال بديهاً : إن عدة المرار التي ينبغي لك فيها المجيء والذهاب في هذه المدة الوجيزة . إنما تبلغ ستاً وثمانين ألفاً وأربع مئة مرة . فقال الدقاق : هو هكذا . فهل (والحالة هذه وقصتي قد رفعت لكم) يخال أن مجرد التفكر في هذا العمل لا يوجب عناء وتعباً لمن يعانيه . على أني حين شرعت في ضرب دقائق ذلك اليوم في مستقبل الشهور والأعوام زالت مني قوتي ووهن عظمي وعزمي . وما ذلك بغريب . وبعد تخيلات شتى عمدت إلى الوقوف كما ترونني . فكاد الوجه في أثناء هذه المكالمة أن لا يتمالك عنه . ولكنه كظم غيظه وخاطبه بحلم وقال : يا سيدي الدقاق العزيز إني لفي تعجب عظيم من انقلاب شخص فاضل نظيرك لمثل هذه الوساوس بغتة . نعم انك وليت في عمرك أعمالاً جسيمة كما عملنا نحن كلنا أيضاً . وإن

ٱلتَّفكُّرَ فِي هٰذِهِ ٱلْأَشْغَالِ وَحْدَهُ يُوجِبُ ٱلْعَنَاءَ غَيْرَ أَنِّي أَظُنُّ مُبَاشَرَتَهَا لَيْسَتْ كَذٰلِكَ . فَأَلْتَمِسُ مِنْكَ أَنْ تُسْدِيَ إِلَيَّ مَعْرُوفَكَ بِأَنْ تَدُقَّ ٱلْآنَ سِتَّ دَقَّاتٍ لِيَتَّضِحَ مِصْدَاقُ مَا قُلْتَ . فَرَضِيَ ٱلدَّقَّاقُ بِهٰذَا وَدَقَّ سِتَّ دَقَّاتٍ جَرْيًا عَلَى عَادَتِهِ . فَقَالَ لَهُ ٱلْوَجْهُ حِينَئِذٍ نَاشَدْتُكَ ٱللّٰهَ : هَلْ أَبْدَى لَكَ مَا بَاشَرْتَهُ ٱلْآنَ نَصَبًا وَتَعَبًا . فَقَالَ ٱلدَّقَّاقُ : كَلَّا فَإِنَّ مَلَلِي وَتَضَجُّرِي لَمْ يَنْشَأْ عَنْ سِتِّ دَقَّاتٍ . وَلَا عَنْ سِتِّينَ دَقَّةً . بَلْ عَنْ أُلُوفٍ وَأُلُوفِ أُلُوفٍ . فَقَالَ لَهُ ٱلْوَجْهُ : صَدَقْتَ . وَلٰكِنَّهُ يَنْبَغِي لَكَ أَنْ تَعْلَمَ هٰذَا ٱلْأَمْرَ ٱلضَّرُورِيَّ . وَهُوَ إِنَّكَ حِينَ تُفَكِّرُ فِي هٰذِهِ ٱلْأُلُوفِ بِلَحْظَةٍ وَاحِدَةٍ . فَإِنَّ ٱلَّذِي يَجِبُ عَلَيْكَ مِنْهَا إِنَّمَا هُوَ مُبَاشَرَةُ دَقَّةٍ وَاحِدَةٍ لَا غَيْرُ . ثُمَّ مَهْمَا لَزِمَكَ بَعْدَهُ مِنَ ٱلدَّقِّ يُفْسَحُ ٱللّٰهُ لَكَ فِي أَجَلٍ لِإِتْمَامِهِ فَقَالَ ٱلدَّقَّاقُ : أَشْهَدُ أَنَّ كَلَامَكَ هٰذَا حَاكَ فِيَّ وَأَمَالَنِي . فَقَالَ ٱلْوَجْهُ : عَسَى بَعْدَ ذٰلِكَ أَنْ نَعُودَ بِأَجْمَعِنَا إِلَى مَا كُنَّا عَلَيْهِ مِنَ ٱلْعَمَلِ . لِأَنَّا إِذَا بَقِينَا كَذٰلِكَ يَظَلُّ أَهْلُ ٱلْمَنْزِلِ مُسْتَغْرِقِينَ فِي ٱلنَّوْمِ إِلَى ٱلظُّهْرِ . ثُمَّ إِنَّ ٱلْأَثْقَالَ ٱلَّتِي لَمْ تَكُنْ وُصِفَتْ قَطُّ بِٱلْخِفَّةِ مَا بَرِحَتْ تُغْرِي ٱلدَّقَّاقَ عَلَى ٱلشُّغْلِ حَتَّى أَخَذَ فِي مُبَاشَرَةِ خِدْمَتِهِ كَمَا كَانَ . وَحِينَئِذٍ شَرَعَتِ ٱلدَّوَالِيبُ فِي ٱلدَّوَرَانِ . وَطَفِقَتِ ٱلْعَقَارِبُ تَسِيرُ . حَتَّى إِذَا ظَهَرَ شُعَاعُ ٱلشَّمْسِ فِي ٱلْمَطْبَخِ ٱلْمُغْلَقِ مِنْ كُوَّةٍ فِيهِ ٱمْتَلَأَ ٱلْوَجْهُ ضِيَاءً وَٱنْجَلَى تَعْبِيسُهُ . كَأَنْ لَمْ يَكُنْ شَيْءٌ مِمَّا كَانَ . فَأَمَّا صَاحِبُ ٱلْمَنْزِلِ فَلَمَّا نَزَلَ إِلَى ٱلْمَطْبَخِ لِيُفْطِرَ فِيهِ . نَظَرَ إِلَى ٱلسَّاعَةِ ٱلْمَرْكُوزَةِ فَقَالَ : إِنَّ

ٱلسَّاعَةَ ٱلَّتِي بِجَيْبِي تَأَخَّرَتْ فِي ٱلسَّيْرِ لَيْلًا بِنَحْوِ ثَلَاثِينَ دَقِيقَةً

قردٌ وغيلم monkey & the tortoise K.

وَهُوَ مَثَلُ مَنْ يَطْلُبُ ٱلْحَاجَةَ فَإِذَا ظَفِرَ بِهَا أَضَاعَهَا

٨٣ زَعَمُوا أَنَّ قِرْدًا يُقَالُ لَهُ مَاهِرُ كَانَ مَلِكَ ٱلْقِرَدَةِ وَكَانَ قَدْ كَبِرَ وَهَرِمَ. فَوَثَبَ عَلَيْهِ قِرْدٌ شَابٌّ مِنْ بَيْتِ ٱلْمَمْلَكَةِ فَتَغَلَّبَ عَلَيْهِ وَأَخَذَ مَكَانَهُ. فَخَرَجَ هَارِبًا عَلَى وَجْهِهِ حَتَّى ٱنْتَهَى إِلَى ٱلسَّاحِلِ. فَوَجَدَ شَجَرَةَ تِينٍ فَٱرْتَقَى إِلَيْهَا وَٱتَّخَذَهَا لَهُ مُقَامًا. فَبَيْنَمَا هُوَ ذَاتَ يَوْمٍ يَأْكُلُ مِنْ ثَمَرِهَا، إِذْ سَقَطَتْ مِنْ يَدِهِ تِينَةٌ فِي ٱلْمَاءِ فَسَمِعَ لَهَا صَوْتًا وَإِيتَاعًا. فَجَعَلَ يَأْكُلُ وَيَرْمِي فِي ٱلْمَاءِ فَأَطْرَبَهُ ذٰلِكَ فَأَكْثَرَ مِنْ تَطْرِيحِ ٱلتِّينِ فِيهِ. وَكَانَ ثَمَّ غَيْلَمٌ كُلَّمَا وَقَعَتْ تِينَةٌ أَكَلَهَا. فَلَمَّا كَثُرَ ذٰلِكَ ظَنَّ أَنَّ ٱلْقِرْدَ إِنَّمَا يَفْعَلُ ذٰلِكَ لِأَجْلِهِ فَرَغِبَ فِي مُصَادَقَتِهِ وَأَنِسَ إِلَيْهِ وَكَلَّمَهُ. وَأَلِفَ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا صَاحِبَهُ. وَطَالَتْ غَيْبَةُ ٱلْغَيْلَمِ عَلَى زَوْجَتِهِ. فَجَزِعَتْ عَلَيْهِ وَشَكَتْ ذٰلِكَ إِلَى جَارَةٍ لَهَا وَقَالَتْ: قَدْ خِفْتُ أَنْ يَكُونَ عَرَضَ لَهُ عَارِضُ سَوْءٍ فَٱغْتَالَهُ. فَقَالَتْ لَهَا: إِنَّ زَوْجَكِ بِٱلسَّاحِلِ قَدْ أَلِفَ قِرْدًا وَأَلِفَهُ ٱلْقِرْدُ. فَهُوَ مُؤَاكِلُهُ وَمُشَارِبُهُ وَمُجَالِسُهُ. ثُمَّ إِنَّ ٱلْغَيْلَمَ ٱنْطَلَقَ بَعْدَ مُدَّةٍ إِلَى مَنْزِلِهِ. فَوَجَدَ زَوْجَتَهُ سَيِّئَةَ ٱلْحَالِ مَهْمُومَةً. فَقَالَ لَهَا: مَا لِي أَرَاكِ هٰكَذَا فَأَجَابَتْهُ جَارَتُهَا: إِنَّ قَرِينَتَكَ مَرِيضَةٌ مِسْكِينَةٌ. وَقَدْ وَصَفَتْ لَهَا ٱلْأَطِبَّاءُ قَلْبَ قِرْدٍ وَلَيْسَ لَهَا دَوَاءٌ سِوَاهُ. فَقَالَ: هٰذَا أَمْرٌ عَسِيرٌ مِنْ أَيْنَ لَنَا قَلْبُ قِرْدٍ وَنَحْنُ فِي ٱلْمَاءِ وَلٰكِنْ سَأُشَاوِرُ صَدِيقِي. ثُمَّ

ٱنْطَلَقَ إِلَى سَاحِلِ ٱلْبَحْرِ فَقَالَ لَهُ ٱلْقِرْدُ : يَا أَخِي مَا حَبَسَكَ عَنِّي . قَالَ لَهُ ٱلْغَيْلَمُ : مَا ثَبَّطَنِي عَنْكَ إِلَّا حَيَائِي . كَيْفَ أُجَازِيكَ عَلَى إِحْسَانِكَ إِلَيَّ وَإِنَّمَا أُرِيدُ ٱلْآنَ أَنْ تُتِمَّ هٰذَا ٱلْإِحْسَانَ بِزِيَارَتِكَ لِي فِي مَنْزِلِي . فَإِنِّي سَاكِنٌ فِي جَزِيرَةٍ طَيِّبَةِ ٱلْفَاكِهَةِ كَثِيرَةِ ٱلْأَثْمَارِ . فَارْكَبْ ظَهْرِي لِأَسْبَحَ بِكَ . فَرَغِبَ ٱلْقِرْدُ فِي ذٰلِكَ وَنَزَلَ فَٱمْتَطَى مَطَا ٱلْغَيْلَمِ . حَتَّى إِذَا سَبَحَ بِهِ مَا سَبَحَ عَرَضَ لَهُ قُبْحُ مَا أَضْمَرَ فِي نَفْسِهِ مِنَ ٱلْغَدْرِ فَنَكَسَ رَأْسَهُ . فَقَالَ لَهُ ٱلْقِرْدُ : مَا لِي أَرَاكَ مُهْتَمًّا . فَقَالَ ٱلْغَيْلَمُ : إِنَّمَا هَمِّي لِأَنِّي ذَكَرْتُ أَنَّ قَرِينَتِي شَدِيدَةُ ٱلْمَرَضِ . وَذٰلِكَ يَمْنَعُنِي عَنْ كَثِيرٍ مِمَّا أُرِيدُ أَنْ أَبْلُغَكَهُ مِنَ ٱلْإِكْرَامِ وَٱلْإِلْطَافِ . قَالَ ٱلْقِرْدُ : إِنَّ ٱلَّذِي أَعْتَقِدُ مِنْ حِرْصِكَ عَلَى كَرَامَتِي يَكْفِيكَ مُؤْنَةَ ٱلتَّكَلُّفِ . قَالَ ٱلْغَيْلَمُ : أَجَلْ . وَمَضَى بِٱلْقِرْدِ سَاعَةً ثُمَّ تَوَقَّفَ بِهِ ثَانِيَةً . فَسَاءَ ظَنُّ ٱلْقِرْدِ وَقَالَ فِي نَفْسِهِ : مَا ٱحْتِبَاسُ ٱلْغَيْلَمِ وَبُطُوءُهُ إِلَّا لِأَمْرٍ . وَلَسْتُ آمَنُ أَنْ يَكُونَ قَلْبُهُ قَدْ تَغَيَّرَ عَلَيَّ وَحَالَ عَنْ مَوَدَّتِي فَأَرَادَ بِي سُوءًا . فَإِنَّهُ لَا شَيْءَ أَخَفُّ وَأَسْرَعُ تَقَلُّبًا مِنَ ٱلْقَلْبِ . وَيُقَالُ : يَنْبَغِي لِلْعَاقِلِ أَنْ لَا يَغْفُلَ عَنِ ٱلْتِمَاسِ مَا فِي نَفْسِ أَهْلِهِ وَوُلْدِهِ وَإِخْوَانِهِ وَصَدِيقِهِ عِنْدَ كُلِّ أَمْرٍ وَفِي كُلِّ لَحْظَةٍ وَكَلِمَةٍ . وَعِنْدَ ٱلْقِيَامِ وَٱلْقُعُودِ وَعَلَى كُلِّ حَالٍ . وَإِنَّهُ إِذَا دَخَلَ قَلْبَ ٱلصَّدِيقِ مِنْ صَدِيقِهِ رِيبَةٌ . فَلْيَأْخُذْ بِٱلْحَزْمِ فِي ٱلتَّحَفُّظِ مِنْهُ وَيَتَفَقَّدْ ذٰلِكَ فِي لَحَظَاتِهِ وَحَالَاتِهِ . فَإِنْ كَانَ مَا يَظُنُّ حَقًّا ظَفِرَ بِٱلسَّلَامَةِ . وَإِنْ كَانَ بَاطِلًا ظَفِرَ بِٱلْحَزْمِ وَلَمْ يَضُرَّهُ . ثُمَّ قَالَ لِلْغَيْلَمِ : مَا ٱلَّذِي

يَحْبِسُكَ . وَمَا لِي أَرَاكَ مُهْتَمًّا كَأَنَّكَ تُحَدِّثُ نَفْسَكَ مَرَّةً أُخْرَى .
قَالَ : يُهِمُّنِي أَنَّكَ تَأْتِي مَنْزِلِي فَلَا تُلْفِي أَمْرِي كَمَا أُحِبُّ لِأَنَّ زَوْجَتِي
مَرِيضَةٌ . قَالَ ٱلْقِرْدُ : لَا تَهْتَمَّ . فَإِنَّ ٱلْهَمَّ لَا يُغْنِي عَنْكَ شَيْئًا . وَلَكِنِ
ٱلْتَمِسْ مَا يُصْلِحُ زَوْجَتَكَ مِنَ ٱلْأَدْوِيَةِ وَٱلْأَغْذِيَةِ . فَإِنَّهُ يُقَالُ :
يَبْذُلُ ذُو ٱلْمَالِ مَالَهُ فِي ثَلَاثَةِ مَوَاضِعَ : فِي ٱلصَّدَقَةِ . وَفِي وَقْتِ ٱلْحَاجَةِ .
وَعَلَى ٱلزَّوْجَةِ . قَالَ ٱلْغَيْلَمُ : صَدَقْتَ . وَإِنَّمَا قَالَتِ ٱلْأَطِبَّاءُ : إِنَّهُ لَا دَوَاءَ
لَهَا إِلَّا قَلْبُ قِرْدٍ . فَقَالَ ٱلْقِرْدُ فِي نَفْسِهِ : وَاسَوْءَتَاهُ لَقَدْ أَدْرَكَنِي ٱلْحِرْصُ
وَٱلشَّرَهُ عَلَى كِبَرِ سِنِّي حَتَّى وَقَعْتُ فِي شَرِّ مُوَرَّطٍ . وَلَقَدْ صَدَقَ ٱلَّذِي
قَالَ : يَعِيشُ ٱلْقَانِعُ ٱلرَّاضِي مُسْتَرِيحًا مُطْمَئِنًّا . وَذُو ٱلْحِرْصِ وَٱلشَّرَهِ
يَعِيشُ مَا عَاشَ فِي تَعَبٍ وَنَصَبٍ . وَإِنِّي قَدِ ٱحْتَجْتُ ٱلْآنَ إِلَى عَقْلِي فِي
ٱلْتِمَاسِ ٱلْمَخْرَجِ مِمَّا وَقَعْتُ فِيهِ . ثُمَّ قَالَ لِلْغَيْلَمِ : وَمَا مَنَعَكَ أَنْ تُعْلِمَنِي
حَتَّى كُنْتُ أَحْمِلُ قَلْبِي مَعِي . وَهٰذِهِ سُنَّةٌ فِينَا مَعَاشِرَ ٱلْقِرَدَةِ إِذَا خَرَجَ
أَحَدُنَا لِزِيَارَةِ صَدِيقٍ لَهُ خَلَّفَ قَلْبَهُ عِنْدَ أَهْلِهِ أَوْ فِي مَوْضِعِهِ . لِنَنْظُرَ
إِذَا نَظَرْنَا إِلَى حُرُمِ ٱلْمَزُورِ وَمَا قُلُوبُنَا مَعَنَا . قَالَ ٱلْغَيْلَمُ : وَأَيْنَ قَلْبُكَ
ٱلْآنَ . قَالَ : خَلَّفْتُهُ فِي ٱلشَّجَرَةِ فَإِنْ شِئْتَ فَٱرْجِعْ بِي إِلَيْهَا حَتَّى آتِيَكَ
بِهِ . فَفَرِحَ ٱلْغَيْلَمُ بِذٰلِكَ وَرَجَعَ بِٱلْقِرْدِ إِلَى مَكَانِهِ . فَلَمَّا قَارَبَ
ٱلسَّاحِلَ وَثَبَ ٱلْقِرْدُ عَنْ ظَهْرِهِ فَٱرْتَقَى ٱلشَّجَرَةَ . فَلَمَّا أَبْطَأَ عَلَى ٱلْغَيْلَمِ
نَادَاهُ يَا خَلِيلِي ٱحْمِلْ قَلْبَكَ وَٱنْزِلْ فَقَدْ عُقْتَنِي . فَقَالَ ٱلْقِرْدُ . هَيْهَاتَ
وَلٰكِنَّكَ ٱحْتَلْتَ عَلَيَّ وَخَدَعْتَنِي فَخَدَعْتُكَ بِمِثْلِ خَدِيعَتِكَ . وَٱسْتَدْرَكْتُ

فَارِطَ أَمْرِي . وَقَدْ قِيلَ : ٱلَّذِي يُفْسِدُهُ ٱلْحِلْمُ . لَا يُصْلِحُهُ إِلَّا ٱلْعِلْمُ . قَالَ ٱلْغُلَامُ : صَدَقْتَ . إِلَّا أَنَّ ٱلرَّجُلَ ٱلصَّالِحَ يُعْتَرَفُ بِزَلَّتِهِ . وَإِذَا أَذْنَبَ ذَنْبًا لَمْ يَسْتَحْيِ أَنْ يُؤَدَّبَ . وَإِنْ وَقَعَ فِي وَرْطَةٍ أَمْكَنَهُ ٱلتَّخَلُّصُ مِنْهَا . كَٱلرَّجُلِ ٱلَّذِي يَعْثُرُ عَلَى ٱلْأَرْضِ وَعَلَى ٱلْأَرْضِ يَنْهَضُ وَيَعْتَمِدُ . فَهٰذَا مَثَلُ ٱلرَّجُلِ ٱلَّذِي يَطْلُبُ ٱلْحَاجَةَ فَإِذَا ظَفِرَ بِهَا أَضَاعَهَا (كليله ودمنه)

الضبعة والرجل

٨٤ قَالَ ٱلْمَدَائِنِيُّ : خَرَجَ فِتْيَانٌ فِي صَيْدٍ لَهُمْ . فَأَثَارُوا ضَبُعَةً فَنَفَرَتْ وَمَرَّتْ فَٱتَّبَعُوهَا . فَلَجَأَتْ إِلَى بَيْتِ رَجُلٍ فَخَرَجَ إِلَيْهِمْ بِٱلسَّيْفِ مَسْلُولًا . فَقَالُوا لَهُ : يَا عَبْدَ ٱللهِ لِمَ تَمْنَعُنَا مِنْ صَيْدِنَا . فَقَالَ : إِنَّهَا ٱسْتَجَارَتْ بِي فَخَلَّوْا بَيْنَهَا وَبَيْنَهُ . فَنَظَرَ إِلَيْهَا فَإِذَا هِيَ مَهْزُولَةٌ مَضْرُورَةٌ . فَجَعَلَ يَسْقِيهَا ٱللَّبَنَ صَبُوحًا وَمَقِيلًا وَغَبُوقًا حَتَّى سَمِنَتْ وَحَسُنَتْ حَالُهَا . فَبَيْنَمَا هُوَ ذَاتَ يَوْمٍ رَاقِدًا عَدَتْ عَلَيْهِ فَشَقَّتْ بَطْنَهُ وَشَرِبَتْ دَمَهُ . فَقَالَ ٱبْنُ عَمٍّ لَهُ :

وَمَنْ يَصْنَعِ ٱلْمَعْرُوفَ فِي غَيْرِ أَهْلِهِ ... يُلَاقِي ٱلَّذِي لَاقَى مُجِيرُ أُمِّ عَامِرِ
أَعَدَّ لَهَا لَمَّا ٱسْتَجَارَتْ بِقُرْبِهِ ... مَعَ ٱلْأَمْنِ أَلْبَانَ ٱللِّقَاحِ ٱلدَّرَائِرِ
فَأَشْبَعَهَا حَتَّى إِذَا مَا تَمَكَّنَتْ ... فَرَتْهُ بِأَنْيَابٍ لَهَا وَأَظَافِرِ
فَقُلْ لِذَوِي ٱلْمَعْرُوفِ هٰذَا جَزَاءُ مَنْ ... يُوَجِّهُ مَعْرُوفًا إِلَى غَيْرِ شَاكِرِ

اسد وذئب وغُراب وابن آوى وجمل

وَهُوَ مَثَلُ مَنْ يُعَاشِرُ مَنْ لَا يُشَارِكُهُ حَتَّى يُهْلِكَ نَفْسَهُ

٨٥ زَعَمُوا أَنَّ أَسَدًا كَانَ فِي أَجَمَةٍ مُجَاوِرًا لِأَحَدِ ٱلطُّرُقِ ٱلْمَسْلُوكَةِ . وَكَانَ

لَهُ أَصْحَابٌ ثَلَاثَةٌ : ذِئْبٌ وَغُرَابٌ وَابْنُ آوَى . وَإِنَّ رُعَاةً مَرُّوا بِذٰلِكَ الطَّرِيقِ وَمَعَهُمْ جِمَالٌ . فَتَخَلَّفَ مِنْهَا جَمَلٌ فَدَخَلَ تِلْكَ الْأَجَمَةَ حَتَّى انْتَهَى إِلَى الْأَسَدِ . فَقَالَ لَهُ أَبُو فِرَاسٍ : مِنْ أَيْنَ أَقْبَلْتَ . قَالَ : مِنْ مَوْضِعِ كَذَا . قَالَ : فَمَا حَاجَتُكَ . قَالَ : مَا يَأْمُرُنِي بِهِ الْمَلِكُ . قَالَ : تُقِيمُ عِنْدَنَا فِي السَّعَةِ وَالْأَمْنِ وَالْخِصْبِ . فَلَبِثَ عِنْدَهُ زَمَانًا طَوِيلًا ثُمَّ إِنَّ الْأَسَدَ مَضَى فِي بَعْضِ الْأَيَّامِ لِطَلَبِ الصَّيْدِ فَلَقِيَ فِيلًا عَظِيمًا . فَقَاتَلَهُ قِتَالًا شَدِيدًا وَأَفْلَتَ مِنْهُ مُثْقَلًا مُثْخَنًا بِالْجِرَاحِ يَسِيلُ مِنْهُ الدَّمُ . وَقَدْ أَنْشَبَ الْفِيلُ فِيهِ أَنْيَابَهُ . فَلَمْ يَكَدْ يَصِلُ إِلَى مَكَانِهِ . حَتَّى رَزَحَ لَا يَسْتَطِيعُ حِرَاكًا وَحُرِمَ طَلَبَ الصَّيْدِ . فَلَبِثَ الذِّئْبُ وَالْغُرَابُ وَابْنُ آوَى أَيَّامًا لَا يَجِدُونَ طَعَامًا . لِأَنَّهُمْ كَانُوا يَأْكُلُونَ مِنْ فَضَلَاتِ الْأَسَدِ وَفَوَاضِلِهِ . فَأَجْهَدَهُمُ الْجُوعُ وَالْهُزَالُ . وَعَرَفَ الْأَسَدُ ذٰلِكَ مِنْهُمْ فَقَالَ : لَقَدْ جُهِدْتُمْ وَاحْتَجْتُمْ إِلَى مَا تَأْكُلُونَ . فَقَالُوا : إِنَّهُ لَا تُهِمُّنَا أَنْفُسُنَا . لٰكِنَّا نَرَى الْمَلِكَ عَلَى مَا نَرَاهُ فَلَيْتَنَا نَجِدُ مَا يَأْكُلُهُ وَيَصْلُحُ بِهِ . قَالَ الْأَسَدُ : مَا أَشُكُّ فِي نَصِيحَتِكُمْ . وَلٰكِنِ انْتَشِبُوا لَعَلَّكُمْ تُصِيبُونَ صَيْدًا فَأَكْسِبَكُمْ وَنَفْسِي مِنْهُ . فَخَرَجَ الذِّئْبُ وَالْغُرَابُ وَابْنُ آوَى مِنْ عِنْدِ الْأَسَدِ . فَتَنَحَّوْا نَاحِيَةً وَائْتَمَرُوا فِيمَا بَيْنَهُمْ وَقَالُوا . مَا لَنَا وَلِهٰذَا الْآكِلِ الْعَشِبِ الَّذِي لَيْسَ شَأْنُهُ مِنْ شَأْنِنَا . وَلَا رَأْيُهُ مِنْ رَأْيِنَا . أَلَا نُزَيِّنُ لِلْأَسَدِ فَيَأْكُلَهُ وَيُطْعِمَنَا مِنْ لَحْمِهِ . قَالَ ابْنُ آوَى : هٰذَا مِمَّا لَا نَسْتَطِيعُ ذِكْرَهُ لِلْأَسَدِ . لِأَنَّهُ قَدْ أَمَّنَ الْجَمَلَ وَجَعَلَ لَهُ مِنْ ذِمَّتِهِ .

قَالَ ٱلْغُرَابُ : أَنَا أَكْفِيكُمُ ٱلْأَسَدَ . ثُمَّ ٱنْطَلَقَ فَدَخَلَ عَلَى ٱلْأَسَدِ فَقَالَ لَهُ : هَلْ أَصَبْتُمْ شَيْئًا . قَالَ ٱلْغُرَابُ : إِنَّمَا يُصِيبُ مَنْ يَسْعَى وَيُبْصِرُ . وَنَحْنُ فَلَا سَعْيَ لَنَا وَلَا بَصَرَ لَمَا بِنَا مِنَ ٱلْجُوعِ . وَلَكِنْ قَدْ وُفِّقْنَا لِرَأْيٍ وَٱجْتَمَعْنَا عَلَيْهِ . فَإِنْ وَافَقَنَا ٱلْمَلِكُ فَنَحْنُ لَهُ مُجِيبُونَ . قَالَ ٱلْأَسَدُ : وَمَا ذَاكَ . قَالَ ٱلْغُرَابُ : هٰذَا ٱلْجَمَلُ آكِلُ ٱلْعُشْبِ ٱلْمُتَمَرِّغُ بَيْنَنَا مِنْ غَيْرِ مَنْفَعَةٍ لَنَا مِنْهُ وَلَا رَدِّ عَائِدَةٍ . وَلَا عَمَلٍ يُعْقِبُ مَصْلَحَةً . فَلَمَّا سَمِعَ ٱلْأَسَدُ ذٰلِكَ . غَضِبَ وَقَالَ : مَا أَخْطَأَ رَأْيُكَ . وَمَا أَعْجَزَ مَقَالَكَ وَأَبْعَدَكَ مِنَ ٱلْوَفَاءِ وَٱلرَّحْمَةِ . وَمَا كُنْتُ حَقِيقًا أَنْ تَجْتَرِئَ عَلَيَّ بِهٰذِهِ ٱلْمَقَالَةِ وَتَسْتَقْبِلَنِي بِهٰذَا ٱلْخِطَابِ . مَعَ مَا عَلِمْتَ أَنِّي قَدْ أَمَّنْتُ ٱلْجَمَلَ وَجَعَلْتُ لَهُ مِنْ ذِمَّتِي . أَوَلَمْ يَبْلُغْكَ أَنَّهُ لَمْ يَتَصَدَّقْ مُتَصَدِّقٌ بِصَدَقَةٍ هِيَ أَعْظَمُ أَجْرًا مِمَّنْ أَمَّنَ نَفْسًا خَائِفًا وَحَقَنَ دَمًا مَهْدُورًا . وَقَدْ أَمَّنْتُهُ وَلَسْتُ بِٱلْغَادِرِ بِهِ . قَالَ ٱلْغُرَابُ : إِنِّي لَأَعْرِفُ مَا يَقُولُ ٱلْمَلِكُ . وَلٰكِنِ ٱلنَّفْسُ ٱلْوَاحِدَةُ يُفْتَدَى بِهَا أَهْلُ ٱلْبَيْتِ . وَأَهْلُ ٱلْبَيْتِ يُفْتَدَى بِهِمِ ٱلْقَبِيلَةُ . وَٱلْقَبِيلَةُ يُفْتَدَى بِهَا أَهْلُ ٱلْمِصْرِ . وَأَهْلُ ٱلْمِصْرِ فِدَى ٱلْمَلِكِ . وَقَدْ نَزَلَتْ بِٱلْمَلِكِ ٱلْحَاجَةُ . وَأَنَا أَجْعَلُ لَهُ مِنْ ذِمَّتِهِ مَخْرَجًا عَلَى أَنْ لَا يَتَكَلَّفَ ذٰلِكَ وَلَا يَلِيَهُ بِنَفْسِهِ وَلَا يَأْمُرَ بِهِ أَحَدًا . وَلٰكِنَّا نَحْتَالُ عَلَيْهِ بِحِيلَةٍ لَنَا وَلِلْمَلِكِ فِيهَا صَلَاحٌ وَظَفَرٌ . فَسَكَتَ ٱلْأَسَدُ عَنْ جَوَابِ ٱلْغُرَابِ عَنْ هٰذَا ٱلْخِطَابِ . فَلَمَّا عَرَفَ ٱلْغُرَابُ إِقْرَارَ ٱلْأَسَدِ أَتَى أَصْحَابَهُ فَقَالَ لَهُمْ : قَدْ كَلَّمْتُ ٱلْأَسَدَ فِي أَكْلِهِ ٱلْجَمَلَ : عَلَى أَنْ نَجْتَمِعَ نَحْنُ وَٱلْجَمَلُ لَدَى حَضْرَتِهِ .

فَنَذْكُرَ مَا أَصَابَهُ وَنَتَوَجَّعَ لَهُ اهْتِمَامًا مِنَّا بِأَمْرِهِ وَحِرْصًا عَلَى صَلَاحِهِ. وَيَعْرِضَ كُلُّ وَاحِدٍ مِنَّا نَفْسَهُ عَلَيْهِ. فَيَرُدَّهُ الْآخَرَانِ وَيُسَفِّهَ رَأْيَهُ وَيُبَيِّنَ الضَّرَرَ فِي أَكْلِهِ. فَإِذَا فَعَلْنَا ذٰلِكَ سَلِمْنَا كُلُّنَا وَرَضِيَ الْأَسَدُ عَنَّا فَفَعَلُوا ذٰلِكَ وَتَقَدَّمُوا إِلَى الْأَسَدِ فَقَالَ الْغُرَابُ: قَدِ احْتَجْتَ أَيُّهَا الْمَلِكُ إِلَى مَا يُقَوِّيكَ. وَنَحْنُ أَحَقُّ أَنْ نَهَبَ أَنْفُسَنَا لَكَ فَإِنَّا بِكَ نَعِيشُ. فَإِذَا هَلَكْتَ فَلَيْسَ لِأَحَدٍ مِنَّا بَقَاءٌ بَعْدَكَ. وَلَا لَنَا فِي الْحَيَاةِ مِنْ خِيرَةٍ. فَلْيَأْكُلْنِي الْمَلِكُ فَقَدْ طِبْتُ بِذٰلِكَ نَفْسًا. فَأَجَابَهُ الذِّئْبُ وَابْنُ آوَى أَنِ اسْكُتْ. فَلَا خَيْرَ لِلْمَلِكِ فِي أَكْلِكَ وَلَيْسَ فِيكَ شِبَعٌ. قَالَ ابْنُ آوَى: لٰكِنْ أَنَا أُشْبِعُ الْمَلِكَ. فَلْيَأْكُلْنِي فَقَدْ رَضِيتُ بِذٰلِكَ وَطِبْتُ عَنْهُ نَفْسًا. فَرَدَّ عَلَيْهِ الذِّئْبُ وَالْغُرَابُ بِقَوْلِهِمَا لَهُ إِنَّكَ مُنْتِنٌ قَذِرٌ. قَالَ الذِّئْبُ: أَنَا لَسْتُ كَذٰلِكَ. فَلْيَأْكُلْنِي الْمَلِكُ عَنْ طِيبِ نَفْسٍ مِنِّي وَإِخْلَاصِ طَوِيَّةٍ. فَاعْتَرَضَهُ الْغُرَابُ وَابْنُ آوَى وَقَالُوا قَدْ قَالَتِ الْأَطِبَّاءُ: مَنْ أَرَادَ قَتْلَ نَفْسِهِ. فَلْيَأْكُلْ لَحْمَ ذِئْبٍ. فَظَنَّ الْجَمَلُ أَنَّهُ إِذَا عَرَضَ نَفْسَهُ عَلَى الْأَكْلِ الْتَمَسُوا لَهُ عُذْرًا كَمَا الْتَمَسَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ فَيَسْلَمُ وَيَرْضَى عَنْهُ الْأَسَدُ. فَقَالَ: لٰكِنْ أَنَا فِيَّ لِلْمَلِكِ شِبَعٌ وَرِيٌّ. وَلَحْمِي طَيِّبٌ هَنِيٌّ وَبَطْنِي نَظِيفٌ. فَلْيَأْكُلْنِي الْمَلِكُ وَيُطْعِمْ أَصْحَابَهُ وَحَشَمَهُ. فَقَدْ سَمَحْتُ بِذٰلِكَ طَوْعًا وَرِضًا. فَقَالَ الذِّئْبُ وَالْغُرَابُ وَابْنُ آوَى: لَقَدْ صَدَقَ الْجَمَلُ وَتَكَرَّمَ وَقَالَ مَا دَرَى. ثُمَّ إِنَّهُمْ وَثَبُوا عَلَيْهِ وَمَزَّقُوهُ

(كليله ودمنه)

٨٦ حكي أنّه كان في بعض الغياض لذئبٍ وجارٌ . وأهلٌ وجارٌ . فخرج يومًا لطلب صيدٍ . ونصب لذلك شباكَ الكيد . وصار يجول ويصول . ولا يقع على محصول . فأثّر فيه الجوع واللغوب . وأذنت الشمس للغروب . فصادف بعض الرعيان . يسوق قطيعًا من الضان . وفيها بعض جديان . فهمّ عليها لشدة الجوع بالهجوم . ثمّ أدركه من خوف الراعي الوجوم . لأنّه كان متيقظًا . ومن الذئب على ماشيته متحفظًا . فجعل يراقبه من بعيدٍ . والحرص والشره يزيد . والراعي سائقٌ . وللذئب عائقٌ . فتخلّف جدي غبيٌّ . غفل عنه الراعي الذكيّ . فأدركه الذيب النشيط . وأقطعه بأملٍ بسيطٍ . وبشّر نفسه بالظفر . وطار بالفرح واستبشر . فلمّا رأى الجدي الذيب . علم أنّه أصيب بيوم عصيبٍ . وظفر قصاب البلاء من قصبه بأوفر نصيبٍ . فتدارك نفسه بنفسه . واستحضر حيلة جاشه وحدسه . وعلم أنّه لا ينجيه من تلك الورطة الوبيلة . إلّا مغيث الخداع والحيلة . وأذكره مذكر الخاطر . ما قال الشاعر :

ولكن أخو الحزم الذي ليس نازلًا ... به الخطب إلّا وهو للقصد مبصر

فتقدّم بجاشٍ صليبٍ . وقبّل الأرض بين يدي الذيب . وقال له محبّك الراعي . لجنابك داعي . يسلّم عليك . وقد أرسلني إليك . يشكر صداقتك وشفقتك . وحشمتك ومرافقتك . ويقول قد تركت بحسن

إبائك. عادة أجدادك وآبائك. فلم تتعرّض لمواشيه. وحفظت بنظرك ضعاف حواشيه. وقد حصل لضعافها الشبع. وأمنت بجوارك الجوع والفزع. وحصل الأمن من الجزع. فسيجعل جوارك وغياضك أحسن مستنجع. لأنّ ضعاف ماشيته شبعت ورويت. وانتعشت وقويت. فأراد مكافأتك. وطلب مصادقتك ومصافاتك. فأرسلني إليك لتأكلني. وأوصاني أن أطربك بما أغنّي. فإنّي حسن الصوت في الغناء. وصوتي يزيد شهوة الغذاء. فإن اقتضى رأيك الأسعد. غنّيتك غناء يُنسي أبا إسحاق ومعبد. وهو شيء لم يظفر به آباؤك وأجدادك. وما ينالُه أعقابك وأولادك. يُقوّي كزمك. وشهوتك وقدمك. ويُطيب مأكلك. ويُسني مأملك. وإنّ صوتي اللذيذ. ألذّ للجائع من جدي حنيذ. وخبز سميذ. وللعطشان من قدح نبيذ. فرأيك أعلى. وامتثالك أولى. فقال الذئب: لا بأس والك. فغنّ ما بدا لك. فرفع الجدي عقيرته. ورأى في الصُّراخ خيرته. وأنشد:

وعصفور الخشا يهوى جراده ... كما عشق الخروف أبو جعاده

فاهتزّ الذئب طربًا. وتمايل عُجبًا وعجبًا. وقال أحسنت يا زين الغنم. ولكن هذا الصوت في البُهم. فارفع صوتك في الزير. فقد أخجلت البلابل والزرازير. وزدني يا مُغنّي. وغنّ لي. ما يلي قولي:

أقرّ هذا الزمان عيني ... بالجمع بين المنى وبيني

وَلْيَكُنْ هٰذَا يَا سَيِّدَ ٱلْجِدَاءِ فِي أَوْجِ ٱلْحُسَيْنِي . فَٱغْتَنَمَ ٱلْجَدْيُ ٱلْفُرْصَةَ وَأَزَاحَ بِعِيَاطِهِ ٱلْغُصَّةَ . وَصَرَخَ صَرْخَةً أُخْرَى . أَذْكَرَ ٱلطَّامَّةَ ٱلْكُبْرَى . وَرَفَعَ ٱلصَّوْتَ . كَمَنْ عَايَنَ ٱلْمَوْتَ . وَخَرَجَ مِنْ دَائِرَةِ ٱلْحِجَازِ إِلَى ٱلْعِرَاقِ . وَكَادَ يَحْصُلُ لَهُ مِنْ ذٰلِكَ ٱلْإِنْفِتَاقُ . وَقَالَ :

قِفُوا ثُمَّ ٱنْظُرُوا حَالِي أَبُو مَذْقَةَ أَكَّالِي

فَسَمِعَهُ ٱلرَّاعِي يَشْدُو . فَأَقْبَلَ بِٱلْمِطْرَقِ يَعْدُو . فَلَمْ يَشْعُرِ ٱلذِّئْبُ ٱلذَّاهِلُ . وَهُوَ بِحُسْنِ ٱلسَّمَاعِ غَافِلٌ . إِلَّا وَٱلرَّاعِي بِٱلْعَصَا عَلَى قَفَاهُ نَازِلٌ . فَرَأَى ٱلذِّئْبُ ٱلْغَنِيمَةَ فِي ٱلنَّجَاةِ . وَأَخَذَ فِي طَرِيقِ ٱلْحَيَاةِ . وَتَرَكَ ٱلْجَدْيَ وَأَفْلَتَ . وَنَجَا مِنْ سَيْفِ ٱلْمَوْتِ ٱلْمُصْلَتِ . وَصَعِدَ إِلَى تَلٍّ يَتَلَفَّتُ . إِذْ تَفَلَّتَ . وَأَقْعَى يَعَضُّ يَدَيْهِ نَدَامَةً . وَيُخَاطِبُ نَفْسَهُ بِٱلْمَلَامَةِ . وَيَقُولُ :

أَيُّهَا ٱلْغَافِلُ ٱلذَّاهِلُ . ٱلْأَحْمَقُ ٱلْجَاهِلُ . مَتَى كَانَ عَلَى سِمَاطِ ٱلسِّرْحَانِ . أَلْقِبْزُ وَٱلْأَوْزَانُ . وَأَيُّ جَدٍّ لَكَ فَانٍ . أَوْ أَبٍ مُفْسِدٍ جَانٍ . كَانَ لَا يَأْكُلُ إِلَّا بِٱلْمَغَانِي . وَعَلَى صَوْتِ ٱلْمَثَالِثِ وَٱلْمَثَانِي . فَلَوْلَا أَنَّكَ عَدَلْتَ عَنْ طَرِيقَةِ آبَائِكَ . مَا فَاتَكَ لَذِيذُ عَشَائِكَ . وَلَا أَمْسَيْتَ جَائِعًا تَتَلَوَّى . وَبِجَمْرَةِ فَوَاتِ ٱلْفُرْصَةِ تَتَكَوَّى . ثُمَّ بَاتَ يَحْرُقُ ضِرْسَهُ وَنَابَهُ . وَيُخَاطِبُ نَفْسَهُ لِمَا نَابَهُ :

وَعَاجِزُ ٱلرَّأْيِ مِضْيَاعٌ لِفُرْصَتِهِ حَتَّى إِذَا فَاتَ أَمْرٌ عَاتَبَ ٱلْقَدَرَا

فارة وهرّ

٨٧ كَانَ رَجُلٌ فَقِيرٌ عِنْدَهُ هِرٌّ رَبَّاهُ . وَأَحْسَنَ مَأْوَاهُ . وَكَانَ ٱلْقِطُّ قَدْ

عَرَفَ مِنْهُ الشَّفَقَةَ . وَأَلِفَ مِنْهُ الْمَوَدَّةَ وَالْأَلْفَةَ . فَكَانَ لَا يَبْرَحُ مِنْ مَبِيتِهِ . وَلَا يَسْعَى لِطَلَبِ قُوتِهِ . فَحَصَلَ لَهُ الْهُزَالُ . وَتَغَيَّرَ حَالُهُ مِنْ أَمْرٍ وَحَالٍ . فَلَا عِنْدَ صَاحِبِهِ مَا يُغَذِّيهِ . وَلَا لَهُ قُوَّةٌ عَلَى الِاصْطِبَارِ تُغْنِيهِ . إِلَى أَنْ عَجَزَ عَنِ الصَّيْدِ . وَصَارَ يَسْخَرُ بِهِ مِنْ أَرَاذِلِ الْقَارِ عَمْرٌو وَزَيْدٌ . وَكَانَ فِي ذَلِكَ الْمَكَانِ . مَأْوَى لِرَئِيسِ الْجُرْذَانِ . وَبِجِوَارِهِ مَخْزَنُ سَمَّانٍ . فَاجْتَرَأَ الْجُرْذُ لِضَعْفِ أَبِي غَزْوَانَ . وَتَمَكَّنَ مِنْ نَقْلِ مَا يَحْتَاجُ إِلَيْهِ . وَصَارَ يَمُرُّ عَلَى الْقِطِّ آمِنًا وَيَضْحَكُ عَلَيْهِ . إِلَى أَنِ امْتَلَأَ وَكْرُهُ مِنْ أَنْوَاعِ الْمَطَاعِمِ . وَحَصَلَ لَهُ الْفَرَاغُ مِنَ الْمَخَاوِفِ وَالْمَزَاحِمِ . فَاسْتَطَالَ عَلَى الْجِيرَانِ . وَاسْتَعَانَ بِطَوَائِفِ الْقَارِ عَلَى الْعُدْوَانِ . وَافْتَكَرَ يَوْمًا فِي نَفْسِهِ . فِكْرًا أَدَّاهُ إِلَى حُلُولِ رَمْسِهِ . وَهُوَ أَنَّ هٰذَا الْقِطَّ وَإِنْ كَانَ عَدُوًّا قَدِيمًا . وَمُهْلِكًا عَظِيمًا . وَلٰكِنَّهُ قَدْ وَقَعَ فِي الِانْتِحَالِ . وَضَعُفَ عَنِ الصَّيْدِ وَالِاغْتِيَالِ . وَقُوَّتِي إِنَّمَا هِيَ لِسَبَبِ ضُعْفِهِ . وَهٰذَا الْفَتْحُ إِنَّمَا هُوَ حَاصِلٌ بِحَتْفِهِ . وَلٰكِنَّ الدَّهْرَ الْغَدَّارَ . لَيْسَ لَهُ عَلَى حَالَةٍ اسْتِمْرَارٌ . فَرُبَّمَا يَعُودُ الدَّهْرُ إِلَيْهِ . وَيُعِيدُ صِحَّتَهُ وَعَافِيَتَهُ عَلَيْهِ . فَإِنَّ الزَّمَانَ الدَّوَّارَ يَنْهَبُ وَيَهَبُ . وَيُعْطِي مَا سَلَبَ . وَيَرْجِعُ فِيمَا وَهَبَ . كُلُّ ذٰلِكَ مِنْ غَيْرِ مُوجِبٍ وَلَا سَبَبٍ . وَإِذَا عَادَ الْقِطُّ إِلَى مَا كَانَ عَلَيْهِ . يَتَذَكَّرُ مِنْ غَيْرِ شَكٍّ إِسَاءَتِي إِلَيْهِ . فَيَثُورُ قَلَقُهُ . وَيَفُورُ حَنَقُهُ . وَيَأْخُذُهُ لِلِانْتِقَامِ مِنِّي أَرَقُهُ . فَلَا يَقَرُّ لِي مَعَهُ قَرَارٌ . فَأُضْطَرُّ إِلَى التَّحَوُّلِ عَنْ هٰذِهِ الدَّارِ . وَالْخُرُوجِ عَنِ الْوَطَنِ الْمَأْلُوفِ . وَمُفَارَقَةِ

السكن المعروف . فلا بد من الاهتمام قبل حلول هذا الغرام .
والأخذ في طريقة الخلاص . قبل الوقوع في شرك الاقتناص
ثم إنه ضرب أخماسا لأسداس . في كيفية الخلاص من هذا الباس .
فأداه الفكر إلى إصلاح المعاش . بينه وبين أبي حراش . ليدوم له
هذا النشاط . ويستمر بواسطة الصلح بساط الانبساط . فرأى أنه
لا يفيده إلا أن يزرع الجميل . من كثير وقليل . خصوصا في وقت
الفاقة . فإنه أجلب للصداقة . وأبقى في الوثاقة . ثم بعد ذلك
يترتب عليها العهود . ويتأكد ما يقع عليه الاتفاق من العقود .
وهو أن يلتزم كبير الجرذان في كل غداة . ما يكفيه من طيب
الغذاء صباحه ومساه . لأن الشيخ قال في الدرس : خير المال ما
وقيت به النفس . إلى أن يصح جسده . ويرد عليه من عيشه رغده .
ويكون ذلك سببا لعقود الصداقة وترك العداوة القديمة . فجمع له
من الخبز والجبن واللحم القديد . ما قدر على حمله . ونهضت قوته
بثقله . وقدم مقام الهر وسلم عليه سلام مكرم مبر . وقدم ما لديه
إليه . وترامى بكثرة الاشتياق والتودد عليه . وقال : يعز علي . ويعظم
لدي . أن أراك يا خير جار . في هذا الاضطرار . وسيكفيك الله هذا
الجهد والضير . ولكن العاقبة إن شاء الله إلى خير . فتناول القط
من تلك السرقة . ما سد رمقه . وشكر له تلك الصدقة . ثم قال :
إن لي عليك من الحقوق . مثل ما للجار الصدوق . على الجار الشفوق .

وَأَرَدتُّ أَنْ يَتَأَكَّدَ الْجِوارُ بِالْمُصادَقَةِ . وَتَثْبُتَ الْمَحَبَّةُ بِالْمُوَاثَقَةِ . وَإِنْ كَانَتْ بَيْنَنَا عَدَاوَةٌ قَدِيمَةٌ . فَنَتْرُكُ مِنَ الْجَانِبَيْنِ تِلْكَ الْخَصْلَةَ الذَّمِيمَةَ . وَنَسْتَأْنِفُ الْعُهُودَ . عَلَى خِلَافِ الْخُلُقِ الْمَعْهُودِ . وَهَا أَنَا أَذْكُرُ لَكَ سَبَبًا يَحْمِلُكَ عَلَى تَرْكِ خُلُقِكَ الْقَدِيمِ . وَيُرْشِدُكَ فِي طَرِيقِ الْإِخَاءِ إِلَى الصِّرَاطِ الْمُسْتَقِيمِ . وَهُوَ أَنَّ أَكْلِي مَثَلًا . مَا يُغَذِّي مِنْكَ بَدَنًا . فَضْلًا عَنْ أَنْ يُظْهِرَ فِيكَ صِحَّةً وَسِمَنًا . فَإِنْ أَمَّنْتَنِي مَكْرَكَ وَرَغِبْتَ فِي صُحْبَتِي . وَعَاهَدْتَنِي عَلَى سُلُوكِ طَرِيقِ مَوَدَّتِي . وَأَكَّدتَّ ذٰلِكَ لِي بِمُغَلَّظَاتِ الْأَيْمَانِ حَتَّى أَسْتَوْثِقَ بِاسْتِصْحَابِكَ . وَأَبِيتَ آمِنًا فِي مَجِيئِكَ وَذَهَابِكَ . وَلَوْ كُنْتُ بَيْنَ مَخَالِيبِكَ وَأَنْيَابِكَ . فَإِنِّي أَلْتَزِمُ لَكَ كُلَّ يَوْمٍ . عِنْدَمَا تَسْتَيْقِظُ مِنَ النَّوْمِ . بِمَا يَسُدُّ خَلَّتَكَ . وَيُبْقِي مُهْجَتَكَ . صَبَاحًا وَمَسَاءً وَغَدَاءً وَعَشَاءً . فَلَمَّا رَأَى الْهِرُّ . هٰذَا الْبِرَّ . أَعْجَبَتْهُ هٰذِهِ النِّعَمُ . وَأَطْرَبَهُ هٰذَا النَّغَمُ . وَأَقْسَمَ طَائِعًا مُخْتَارًا . لَا إِكْرَاهًا وَلَا إِجْبَارًا . أَنَّهُ لَا يَسْلُكُ مَعَ الْجُرَذَانِ . إِلَّا طَرِيقَ الْأَمَانِ وَالْإِحْسَانِ . فَرَجَعَ الْجُرَذُ وَهُوَ بِهٰذِهِ الْحَرَكَةِ جَذْلَانُ . وَصَارَ يَأْتِي الْقِطَّ كُلَّ يَوْمٍ بِمَا الْتَزَمَ بِهِ مِنَ الْغَدَاءِ وَالْعَشَاءِ . إِلَى أَنْ صَحَّ الْقِطُّ وَاسْتَوَى . وَسَلِمَتْ خَلَوَاتُ بَدَنِهِ مِنَ الْخَوَاءِ . وَقَدْ كَانَ لِهٰذَا الْقِطِّ دِيكٌ صَاحِبٌ قَدِيمٌ . وَصَدِيقٌ نَدِيمٌ . كُلٌّ مِنْهُمَا يَأْنَسُ بِصَاحِبِهِ . وَيَحْفَظُ خَاطِرَهُ بِمُرَاعَاةِ جَانِبِهِ . فَحَصَلَ لِلدِّيكِ تَعْوِيقٌ عَنْ زِيَارَةِ صَدِيقِهِ . فَلَمْ يَتَّفِقْ لَهُمَا لِقَاءٌ . إِلَّا بَعْدَ أَنْ زَالَ عَنِ الْقِطِّ ذٰلِكَ الشَّقَاءُ . وَحَازَ تَمَامَ الشِّفَاءِ . فَسَأَلَهُ

ٱلدّيكُ : بِمَاذَا زَالَ ذٰلِكَ ٱلْهُزَالُ . فَأَخْبَرَهُ بِخَبَرِ ٱلْجُرَذِ وَأَنَّهُ صَارَ عِنْدَهُ مِنْ أَعَزِّ ٱلْأَصْدِقَاءِ ٱلْخَيِّرِينَ ٱلْأُمَنَاءِ . فَضَحِكَ ٱلدّيكُ مُسْتَغْرِبًا . وَطَفِقَ يُصَفِّقُ بِجَنَاحَيْهِ مُتَعَجِّبًا . فَقَالَ لَهُ : مِمَّ تَضْحَكُ . قَالَ : مِنْ سَلَامَةِ بَاطِنِكَ . وَٱنْقِيَادِكَ لِمُدَاهِنِكَ . وَحُسْنِ صَنَائِعِكَ . إِلَى غَاشِّكَ وَمُخَادِعِكَ . وَمَنْ يَأْمَنُ لِهٰذَا ٱلْبَرِمِ . ٱلْوَاجِبِ قَتْلُهُ فِي ٱلْحِلِّ وَٱلْحَرَمِ . ٱلْمُفْسِدِ ٱلْفَاسِقِ . ٱلْمُؤْذِي ٱلْمُنَافِقِ . ٱلَّذِي خَدَعَكَ حَتَّى أَمِنَ عَلَى نَفْسِهِ . وَأَوْقَعَكَ فِي حَبَائِلِ كَيْدِهِ وَتَحْسِهِ . مَعَ أَنَّكَ لَسْتَ عِنْدَهُ بِمَشْكُورٍ . وَلَا بِٱلْخَيْرِ مَذْكُورٍ . وَإِنَّمَا ٱلَّذِي شَاعَ . وَمَلَأَ ٱلْأَسْمَاعَ . أَنَّكَ تَحُلُّ عُقْدَهُ . وَتَنْقُضُ عَهْدَهُ . وَتَنْكُثُ ٱلْأَيْمَانَ . وَتُجَازِي بِٱلسَّيِّئَةِ ٱلْإِحْسَانَ . فَإِنَّهُ لَمَّا لَمْ يَرَ مِنْكَ مَا يَسُرُّهُ . أَصْبَحَ مُتَوَقِّعًا مَا يَضُرُّهُ . وَأَعْظَمُ مِنْ هٰذَا أَنَّهُ حُشِرَ وَنَادَى . وَجَاهَرَكَ بِٱلشَّرِّ وَعَادَى وَقَالَ : إِنَّهُ أَحْيَاكَ بَعْدَ ٱلْمَوْتِ . وَرَدَّكَ بَعْدَ ٱلْفَوْتِ . وَإِنَّهُ لَوْلَا فَضْلُهُ عَلَيْكَ . وَبِرُّهُ ٱلْوَاصِلُ إِلَيْكَ . لَمُتَّ هُزَالًا وَجُوعًا . وَلَمَا عِشْتَ أُسْبُوعًا . وَإِنَّهُ شَفَاكَ وَعَافَاكَ . وَصَفَا لَكَ وَصَافَاكَ . وَهَلْ سَمِعْتَ أَنَّ جُرَذًا صَادَقَ هِرَّةً . أَوِ ٱتَّفَقَ بَيْنَهُمَا مُرَافَقَةٌ . فَمُنَا صَحِبَهُ ٱلْقِطِّ وَٱلْفَارِ . كَمُصَادَقَةِ ٱلْمَاءِ وَٱلنَّارِ . فَلَمَّا سَمِعَ ٱلْقِطُّ هٰذَا ٱلْكَلَامَ . تَأَلَّمَ خَاطِرُهُ بَعْضَ إِيلَامٍ وَقَالَ لِلدّيكِ : جَزَاكَ ٱللهُ عَنِّي خَيْرًا . وَلٰكِنْ مَنْ أَخْبَرَكَ بِهٰذَا ٱلْخَبَرِ . وَصَدَقَكَ مَا أَثَرَ . فَقَالَ : لَقَدْ غَرَّكَ ٱلْجُرَذُ بِلُقَيْمَاتٍ مِنَ ٱلْحَرَامِ . وَٱلسُّحْتِ ٱلْمُنْغَمِسِ فِي ٱلْآثَامِ . وَجَعَلَهَا لَكَ بِمَنْزِلَةِ حَبَّةِ ٱلْفَخِّ . فَلَا تَشْعُرُ بِهَا إِلَّا وَأَنْتَ فِي ٱلْمَسْلَخِ . حَيْثُ لَا رَفِيقَ يَتَشَفَّعُ فِيكَ

وَلَا أَخَ. وَهُنَاكَ يُعْرَفُ تَحْقِيقُ هٰذَا الْكَلَامِ. وَمَا أَطْلَعْتُكَ عَلَى مَا قُلْتُ إِلَّا مِنْ فَرْطِ الشَّفَقَةِ وَالسَّلَامِ. فَتَرَجَّحَ جَانِبُ صِدْقِ الدِّيكِ عِنْدَ الْقِطِّ فَقَالَ فِي خَاطِرِهِ. بَعْدَ مَا أَجَالَ قِدْحَ ضَمَائِرِهِ: إِنَّ هٰذَا الدِّيكَ مِنْ حِينَ انْفَلَقَتْ عَنْهُ الْبَيْضَةُ. وَسَرَحْتُ مَعَهُ مِنَ الصَّدَاقَةِ فِي رَوْضَةٍ. مَا وَقَفْتُ لَهُ عَلَى كَذِبٍ. وَلَا سَمِعْتُ أَنَّهُ لِشَيْءٍ مِنَ الزُّورِ مُرْتَكِبٌ. فَهُوَ أَبْعَدُ مِنْ أَنْ يَخْدَعَ. وَأَجَلُّ مِنْ أَنْ يَغُشَّ وَيَتَصَنَّعَ. ثُمَّ قَالَ لَهُ: كَيْفَ أَعْرِفُ صِدْقَ هٰذَا الْخَبَرِ. وَهَلْ عَلَى سُوءِ طَوِيَّتِهِ دَلَالَةٌ تُنْتَظَرُ. قَالَ: نَعَمْ. وَرَبِّ الْحَرَمِ عَلَامَةُ ذٰلِكَ أَنَّهُ إِذَا دَخَلَ عَلَيْكَ. وَنَظَرَ إِلَيْكَ. يَكُونُ مُنْخَفِضَ الرَّاسِ. مُجْتَمِعَ الْأَنْفَاسِ. مُتَوَقِّعًا حُلُولَ نَائِبَةٍ. أَوْ نُزُولَ مُصِيبَةٍ صَائِبَةٍ. مُتَلَفِّتًا يَمِينًا وَشِمَالًا. مُتَخَوِّفًا نَكَالًا وَوَبَالًا. طَائِفًا يَتَنَقَّبُ. خَائِفًا يَتَرَقَّبُ. وَذٰلِكَ لِأَنَّهُ خَائِنٌ. وَالْخَائِنُ خَائِفٌ وَهٰذَا أَمْرٌ بَائِنٌ. وَبَيْنَمَا هُمَا فِي الْمُحَاوَرَةِ. وَالْمُنَاظَرَةِ وَالْمُشَاوَرَةِ. دَخَلَ أَبُو جَوَّالٍ. وَهُوَ غَافِلٌ عَنْ هٰذِهِ الْأَحْوَالِ. فَرَأَى أَبَا يَقْظَانَ. يُخَاطِبُ أَبَا غَزْوَانَ. فَتَجَسَّسَ وَتَفَهَّمَ. وَتَوَقَّفَ وَتَفَكَّرَ. وَهُوَ غَافِلٌ عَمَّا قَضَى اللّٰهُ وَقَدَّرَ. فَاشْمَأَزَّ لِرُؤْيَتِهِ الدِّيكُ وَاشْمَعَلَّ. وَانْتَفَضَ وَارْبَأَلَّ. فَارْتَعَدَ الْجُرَذُ مِنْ شَيْخِ الدِّيكَةِ. لَمَّا رَأَى مِنْهُ هٰذِهِ الْحَرَكَةَ. وَانْتَفَشَ وَانْزَوَى. وَتَقَبَّضَ وَذَوَى. وَالْتَفَتَ يَمِينًا وَشِمَالًا. كَالطَّالِبِ لِلْفِرَارِ مَجَالًا. وَالْقِطُّ يُرَاقِبُ أَحْوَالَهُ. وَيَتَمَيَّزُ حَرَكَاتِهِ وَأَفْعَالَهُ. فَتَحَقَّقَ مَا قِيلَ لَهُ فِيهِ وَنَظَرَ إِلَيْهِ نَظَرَ الْمُنْتَقِمِ. وَهَمَّ وَاكْفَهَرَّ. وَرَقَصَتْ شَوَارِبُهُ وَازْبَأَرَّ.

وَنَسِيَ ٱلْعُهُودَ وَٱلْأَيْمَانَ . وَنَبَضَ فِيهِ عِرْقُ ٱلْعَدَاوَةِ ٱلْقَدِيمَةِ وَٱلْعُدْوَانِ . فَوَثَبَ عَلَيْهِ وَأَدْخَلَهُ فِي خَبَرِ كَانَ . وَأَخْلَى مِنْهُ ٱلزَّمَانَ وَٱلْمَكَانَ

الهدهد الغير المتروّي

٨٨ ذَكَرُوا أَنَّ ٱللهَ مُجْرِي ٱلْخَيْرِ . عَلَّمَ بَعْضَ عَبِيدِهِ ٱلصُّلَحَاءِ مَنْطِقَ ٱلطَّيْرِ . فَصَاحَبَ مِنْهَا هُدْهُدًا . وَٱزْدَادَ مَا بَيْنَهُمَا تَوَدُّدًا . فَفِي بَعْضِ ٱلْأَيَّامِ . مَرَّ بِٱلْهُدْهُدِ ذٰلِكَ ٱلْإِمَامُ . وَهُوَ فِي مَكَانٍ عَالٍ . مُلْتَفِتٌ إِلَى نَاحِيَةِ ٱلشِّمَالِ . وَهُوَ مَشْغُولٌ بِٱلتَّسْبِيحِ يُسَبِّحُ ٱللهَ بِلِسَانِهِ ٱلْفَصِيحِ فَنَادَاهُ : يَا صَاحِبَ ٱلتَّاجِ وَٱلْقَبَاءِ وَٱلدِّيبَاجِ لَا تَقْعُدْ فِي هٰذَا ٱلْمَكَانِ فَإِنَّهُ طَرِيقُ كُلِّ فَتَّانٍ . وَمَطْرُوقُ كُلِّ صَائِدِ شَيْطَانٍ . وَمَقْعَدُ أَرْبَابِ ٱلْبَنَادِقِ وَمَرْصَدُ أَصْحَابِ ٱلْجُلَاهِقِ . فَقَالَ ٱلْهُدْهُدُ : إِنِّي عَرَفْتُ ذٰلِكَ وَأَنَّهُ مَسْلَكُ ٱلْمَهَالِكِ قَالَ : فَلِأَيِّ شَيْءٍ عَزَمْتَ عَلَى ٱلْقُعُودِ فِيهِ . مَعَ عِلْمِكَ بِمَا فِيهِ مِنَ ٱلدَّوَاهِي . قَالَ : أَرَى صَبِيًّا وَأَظُنُّهُ غَوِيًّا نَصَبَ لِي فَخًّا . يَرُومُ لِي فِيهِ زَخًّا . وَقَدْ وَقَفْتُ عَلَى مَكَايِدِهِ . وَمَنَاصِبِ مَصَايِدِهِ . وَعَرَفْتُ مَكِيدَتَهُ أَيْنَ هِيَ . وَإِلَى مَاذَا تَنْتَهِي . وَأَنَا أَتَفَرَّجُ عَلَيْهِ . وَأَتَقَدَّمُ لِلضَّحِكِ إِلَيْهِ . وَأَتَعَجَّبُ مِنْ تَضْيِيعِ أَوْقَاتِهِ . وَتَعْطِيلِ سَاعَاتِهِ . فِيمَا لَا يَعُودُ عَلَيْهِ مِنْهُ نَفْعٌ . وَلَا يُفِيدُهُ فِي قَفَاهُ سِوَى ٱلصَّفْعِ . وَأَسْخَرُ مِنْ حَرَكَاتِهِ . وَأَتَنَبَّهُ مِنْ يَمُرُّ عَلَى خُزَعْبِلَاتِهِ . فَتَرَكَهُ ٱلرَّجُلُ وَذَهَبَ . وَقَضَى حَاجَاتِهِ وَٱنْقَلَبَ . فَرَأَى ٱلْهُدْهُدَ فِي يَدِ ٱلصَّبِيِّ وَلِسَانُ حَالِهِ . يَلْهَجُ بِمَقَالِهِ :

كَعُصْفُورَةٍ فِي يَدِ طِفْلٍ يُهِينُهَا تُقَاسِي عَذَابَ ٱلْمَوْتِ وَٱلطِّفْلُ يَلْعَبُ
فَلَا ٱلطِّفْلُ ذُو عَقْلٍ يَرِقُّ لِحَالِهَا وَلَا ٱلطَّيْرُ مُنْفَكُّ ٱلْجَنَاحِ فَيَهْرُبُ
فَنَادَاهُ وَقَالَ : يَا أَبَا عَبَّادٍ كَيْفَ وَقَعْتَ فِي شَرَكِ ٱلصَّيَّادِ وَقُلْتَ لِي
إِنَّكَ وَعَيْتَ . وَرَأَيْتَ مَا رَأَيْتَ . فَقَالَ : أَمَا سَمِعْتَ أَنَّ ٱلْهُدْهُدَ إِذَا
نَقَرَ ٱلْأَرْضَ يَعْرِفُ مَسَافَةَ مَا بَيْنَهُ وَبَيْنَ ٱلْمَاءِ . وَلَا يُبْصِرُ شَعْرَةَ ٱلْفَخِّ
وَلَا مَا وَرَاءَ . وَنَاهِيكَ قَضِيَّةُ آدَمَ أَبِي ٱلْبَشَرِ . كَيْفَ خُذِلَ لَمَّا غَوَى
وَٱغْتَرَّ وَبَطِرَ . وَكَذٰلِكَ غَيْرُهُ مِمَّنِ ٱشْتَهَرَ أَمْرُهُمْ وَٱنْتَشَرَ . وَأَنَا لَمَّا
ٱغْتَرَرْتُ بِحِدَّةِ بَصَرِي . ذَهَلْتُ عَمَّا يَجُولُ فِي فِكْرِي . فَتَغَطَّتْ حِدَّةُ
ٱسْتِبْصَارِي فَوَقَعْتُ فِي فَخِّ ٱغْتِرَارِي

مالك الحزين والسمكة

٨٩ كَانَ فِي مَكَانٍ مَكِينٍ . مَأْوًى لِمَالِكِ ٱلْحَزِينِ . وَفِي ذٰلِكَ ٱلْمَكَانِ
غِيَاضٌ وَغُدْرَانٌ تُضَاهِي رِيَاضَ ٱلْجِنَانِ . وَفِي مِيَاهِهِ مِنَ ٱلسِّمَاكِ . مَا
يَفُوقُ سَابِحَاتِ ٱلسِّمَاكِ . فَكَانَ ذٰلِكَ ٱلطَّيْرُ . فِي دَعَةٍ وَخَيْرٍ . يُزَجِّي
ٱلْأَوْقَاتَ . بِطَيِّبِ ٱلْأَقْوَاتِ . وَكُلَّمَا تَحَرَّكَ بِحَرَكَةٍ . كَانَ فِيهَا بَرَكَةٌ .
حَتَّى لَوْ غَاصَ فِي تِلْكَ ٱلْبِحَارِ وَٱلْغُدْرَانِ لَمْ يَخْرُجْ إِلَّا وَفِي مِنْقَارِهِ
سَمَكَةٌ . فَٱتَّفَقَ أَنَّهُ فِي بَعْضِ ٱلْآنَاءِ . تَعَسَّرَ عَلَيْهِ أَسْبَابُ ٱلْغِذَاءِ .
وَأَرْتَجَ لِقُوتِهِ أَبْوَابُ ٱلْعَشَاءِ . فَكَانَ يَطِيرُ بَيْنَ عَالَمِ ٱلْمُلْكِ
وَٱلْمَلَكُوتِ . يَطْلُبُ مَا يَسُدُّ ٱلرَّمَقَ مِنَ ٱلْقُوتِ . فَلَمْ يُفْتَحْ عَلَيْهِ بِشَيْءٍ
مِنْ أَعْلَى ٱلسِّمَاكِ إِلَى أَسْفَلِ ٱلْحُوتِ . وَٱمْتَدَّ هٰذَا ٱلْحَالُ . عِدَّةَ أَيَّامٍ

وَلَيَالٍ. فَخَاضَ يَوْمًا فِي ٱلرَّقْرَاقِ. يَطْلُبُ شَيْئًا مِنَ ٱلْأَرْزَاقِ. فَصَادَفَ سَمَكَةً صَغِيرَةً قَدْ عَارَضَتْ مَسِيرَهُ فَٱخْتَطَفَهَا. وَمِنْ بَيْنِ رِجْلَيْهِ ٱلْتَقَفَهَا. ثُمَّ بَعْدَ ٱقْتِلَاعِهَا. قَصَدَ إِلَى ٱبْتِلَاعِهَا. فَتَدَارَكَتْ زَاهِقَ نَفْسِهَا قَبْلَ ٱسْتِقْرَارِهَا فِي رَمْسِهَا. فَنَادَتْ بَعْدَ أَنْ كَادَتْ أَنْ تَكُونَ بَادَتْ: مَا ٱلْبُرْغُوثُ وَدَمُهُ. وَٱلْعُصْفُورُ وَدَسَمُهُ. ٱسْمَعْ يَا جَارَ ٱلرِّضَا. وَمَنْ عُمْرُنَا فِي صَوْنِهِ ٱنْقَضَى. لَا تَعْجَلْ فِي ٱبْتِلَاعِي. وَلَا تُسْرِعْ فِي ضَيَاعِي. فَفِي بَقَائِي فَوَائِدُ وَعَوَائِدُ. عَلَيْكَ عَوَائِدُ. وَهُوَ أَنَّ أَبِي قَدْ مَلَكَ هٰذَا ٱلسَّمَكَ فَٱلْكُلُّ عَبِيدُهُ وَرَعِيَّتُهُ. وَوَاجِبٌ عَلَيْهِمْ طَاعَتُهُ وَمَشِيئَتُهُ. ثُمَّ إِنِّي وَاحِدُ أَبَوَيَّ. وَأُرِيدُ مِنْكَ ٱلْإِبْقَاءَ عَلَيَّ. فَإِنَّ أَبِي نَذَرَ ٱلنُّذُورَ. حَتَّى حَصَلَ لَهُ بِوُجُودِي ٱلسُّرُورُ. فَمَا فِي ٱبْتِلَاعِي كَبِيرُ فَائِدَةٍ. وَلَا أَسُدُّ لَكَ رَمَقًا. وَلَا أَشْغَلُ لَكَ مَعِدَةً فَتَصِيرُ مَعَ أَبِي كَمَا قِيلَ: فَأَفْقِرْنِي فَيَمْنُ أُحِبُّ وَلَا أَسْتَغْنِي فَٱلْأَوْلَى أَنْ أُقِرَّ عَيْنَكَ. وَأُعَرِّفَ مَا بَيْنَ أَبِي وَبَيْنَكَ. فَأَكُونَ سَبَبًا لِعُقُودِ ٱلْمُصَادَقَةِ. وَفَاتِحًا لِأَغْلَاقِ ٱلْمَحَبَّةِ وَٱلْمُرَافَقَةِ. وَيَتَحَمَّلُ لَكَ ٱلْجَمِيلَةَ. وَٱلْمِنَّةَ ٱلتَّامَّةَ وَٱلْفَضِيلَةَ. وَأَمَّا أَنَا فَأُعَاهِدُكَ إِنْ أَعْتَقْتَنِي. وَمَنَنْتَ عَلَيَّ وَأَطْلَقْتَنِي. أَنْ أَتَكَفَّلَ لَكَ كُلَّ يَوْمٍ بِعَشْرِ سَمَكَاتٍ بِيضِ سِمَانٍ وَدِكَاتٍ. تَأْتِيكَ مَرْفُوعَةً. غَيْرَ مَمْنُوعَةٍ وَلَا مَقْطُوعَةٍ يُرْسِلُهَا إِلَيْكَ أَبِي مُكَافَأَةً لِمَا فَعَلْتَ بِي مِنْ غَيْرِ نَصَبٍ مِنْكَ وَلَا وَصَبٍ. وَلَا كَدٍّ تَتَحَمَّلُهُ وَلَا تَعَبٍ. فَلَمَّا سَمِعَ ٱلْبَلْشُونُ. هٰذَا ٱلْمَجُونَ. أَغْرَاهُ ٱلطَّمَعُ. فَمَا ٱبْتَلَعَ. بَلْ سَهَا وَلَهَا. ثُمَّ قَالَ لَهَا: أَعِيدِي هٰذِهِ ٱلرَّمْزَةَ

فبمجرّد ما فتح فاهُ بالهمزة . انفلتت السمكة منهُ بجمزة . وغاصت في الماء . وتخلّصت من بين فكّي البلاء . ولم يحصّل ذلك الطمّاع . إلّا قطع الأطماع . وإنّما أوردتُ يا ذا الدراية . هذه الحكاية . لتتأمّل عقبى أمرك قبل الشروع فيه . وتتدبّر منتهى أواخره في مبادئه . فقد قيل : أوّل الفكر . آخر العمل

الديك والثعلب

٩٠ كان في بعض القرى للرئيس ديكٌ . حسن الخلق وديكٌ . مرّت به التجارب . وقرأ تواريخ المشارق والمغارب . ومضى عليه من العمر سنون . واطّلع من حوادث الزمان على فنون . وقاسى حلوهُ ومرّهُ . وعانى حرّهُ وقرّهُ . وقطع للثعالب شباكَ مصايده . وتخلّص لابن آوى من ورطات مكايده . ورأى من الزمان وبنيه نوائب وشدائد . وحفظ وقائع لبنات آوى وثعالب . وطالع من كتب حيلها طلائع كتائب . وأحكم من طرائقها عجائب غرائب . فاتّفق له في بعض الأحيان . أنّه وقف على بعض الجدران . فنظر في عطفيه . وتأمّل في نقش بردَيه . فرأى خيال تاجه العقيق . ونظر إلى خدّه الشقيق . ونفض برائله المنفش . وسراويله المنقش . والثوب الذي رقمهُ نقّاش القدرة من المقطّع المبرقش . فأعجبته نفسه . وأذن فأطربه حسّه . . . . فصار يديه ويتبختر . ويتقصّف ويتخطّر . فاستهواه التمشّي سويعة . حتّى أبعد عن الضيعة . فصعد

إِلَى جِدَارٍ. وَكَانَ قَدِ انْتَصَفَ النَّهَارُ. فَرَفَعَ صَوْتَهُ بِالْآذَانِ. فَأَنْسَى صَوْتُهُ الْكَتَّانِيَّ وَالدَّهَّانَ. فَسَمِعَهُ ثَعْلَبٌ. فَقَالَ: مَطْلَبٌ. وَسَارَعَ مِنْ وَكْرِهِ. وَحَمَلَ شَبَكَةَ مَكْرِهِ. وَتَوَجَّهَ إِلَيْهِ. فَرَآهُ فَسَلَّمَ عَلَيْهِ. فَلَمَّا حَسَّ بِهِ أَبُو الْيَقْظَانِ. طَفَرَ إِلَى أَعْلَى الْجُدْرَانِ. ثُمَّ حَيَّاهُ تَحِيَّةَ الْخِلَّانِ. وَتَرَامَى لَدَيْهِ تَرَامِيَ الْإِخْوَانِ. وَقَالَ: أَنْعَشَ اللهُ بَدَنَكَ وَرُوحَكَ. وَرَوَّى مِنْ كَاسَاتِ الْحَيَاةِ غُبُوقَكَ وَصَبُوحَكَ. فَإِنَّكَ أَحْيَيْتَ الْأَرْوَاحَ وَالْأَبْدَانَ. بِطَيِّبِ النَّغَمِ وَالصِّيَاحِ فِي الْآذَانِ. فَإِنَّ لِي زَمَانًا لَمْ أَسْمَعْ بِمِثْلِ هٰذَا الصَّوْتِ. وَقَاهُ اللهُ نَوَائِبَ الْفَوْتِ. وَمَصَائِبَ الْمَوْتِ. وَقَدْ جِئْتُ لِأُسَلِّمَ عَلَيْكَ. وَأُذَكِّرَكَ مَا أَسْدَيْتَ مِنَ النِّعَمِ إِلَيْكَ. وَأُبَشِّرَكَ بِبِشَارَةٍ. وَهِيَ أَرْبَحُ تِجَارَةٍ. وَأَنْجَحُ مِنَ الْوِلَايَةِ وَالْإِمَارَةِ. وَلَمْ يَتَّفِقْ مِثْلُهَا فِي سَالِفِ الدَّهْرِ. وَلَا يَقَعُ نَظِيرُهَا إِلَى آخِرِ الْعَصْرِ. وَهِيَ أَنَّ السُّلْطَانَ أَيَّدَ اللهُ بِدَوْلَتِهِ أَرْكَانَ الْإِيمَانِ. أَمَرَ مُنَادِيًا فَنَادَى بِالْأَمَانِ وَالِاطْمِئْنَانِ. وَإِجْرَاءِ مِيَاهِ الْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ. مِنْ حَدَائِقِ الصُّحْبَةِ وَالصَّدَاقَةِ فِي كُلِّ بُسْتَانٍ. وَأَنْ تَشْمَلَ الصَّدَاقَةُ كُلَّ حَيَوَانٍ. مِنَ الطَّيْرِ وَالْوَحْشِ وَالْحَيَتَانِ. وَلَا يَقْتَصِرَ فِيهَا عَلَى جِنْسِ الْإِنْسَانِ. فَيَتَشَارَكَ فِيهَا الْوُحُوشُ وَالسِّبَاعُ. وَالْبَهَائِمُ وَالضِّبَاعُ. وَالْأَرْوَى وَالنَّعَامُ. وَالصَّقْرُ وَالْحَمَامُ. وَالضَّبُّ وَالثُّونُ. وَالذُّبَابُ وَأَبُو قَلَمُونَ. وَيَتَعَامَلُونَ بِالْعَدْلِ وَالْإِنْصَافِ. وَالْإِسْعَافِ دُونَ الْإِعْسَافِ. وَلَا يَجْرِي بَيْنَهُمْ إِلَّا الْمُصَادَقَةُ. وَحُسْنُ

ٱلْمُعَاشَرَةِ وَٱلْمُرَافَقَةِ . فَتُمْحَى مِنْ لَوْحِ صُدُورِهِمْ نُقُوشُ ٱلْعَدَاوَةِ وَٱلْمُنَافَقَةِ . فَيَطِيرُ ٱلْقَطَا مَعَ ٱلْعُقَابِ . وَيَبِيتُ ٱلْعُصْفُورُ مَعَ ٱلْغُرَابِ . وَيَرْعَى ٱلذِّئْبُ مَعَ ٱلْأَرْنَبِ . وَيَتَآخَى ٱلدِّيكُ وَٱلثَّعْلَبُ . وَفِي ٱلْجُمْلَةِ لَا يَتَعَدَّى أَحَدٌ عَلَى أَحَدٍ . فَتَأْمَنَ ٱلْفَأْرَةُ مِنَ ٱلْهِرَّةِ . وَٱلْخَرُوفُ مِنَ ٱلْأَسَدِ . وَإِذَا كَانَ ٱلْأَمْرُ كَذَا . فَقَدِ ٱرْتَفَعَ ٱلشَّرُّ وَٱلْأَذَى . فَلَا بُدَّ أَنْ يُمْتَثَلَ هٰذَا ٱلْمَرْسُومُ . وَيُتْرَكَ مَا بَيْنَنَا مِنَ ٱلْعَدَاوَةِ وَٱلْخُلُقِ ٱلْمَذْمُومِ . وَيَجْرِي بَيْنَنَا بَعْدَ ٱلْيَوْمِ ٱلْمُصَادَقَةُ . وَتَنْفَتِحُ أَبْوَابُ ٱلْمَحَبَّةِ وَٱلْمُرَافَقَةِ . وَلَا يَنْفُرُ أَحَدٌ مِنَّا مِنْ صَاحِبِهِ . بَلْ يُرَاعِي مَوَدَّتَهُ وَيُبَالِغُ فِي حِفْظِ جَانِبِهِ . وَجَعَلَ ٱلثَّعْلَبُ يُقَرِّرُ هٰذَا ٱلْمَقَالَ . وَٱلدِّيكُ يَتَلَفَّتُ إِلَى هٰذَا ٱلْهَذَيَانِ وَٱلْخَيَالِ . فَقَالَ ٱلثَّعْلَبُ : يَا أَخِي . مَا لَكَ عَنْ سَمَاعِ كَلَامِي مُرْتَخِي . أَنَا أُبَشِّرُكَ بِبَشَائِرَ عَظِيمَةٍ . لَمْ تَتَّفِقْ فِي ٱلْأَعْصُرِ ٱلْقَدِيمَةِ . وَإِنَّمَا بَرَزَتْ بِهَا مَرَاسِيمُ مَوْلَانَا ٱلسُّلْطَانِ ٱلْجَسِيمَةُ . وَأَرَاكَ لَا تَلْتَفِتُ إِلَى هٰذَا ٱلْكَلَامِ . وَلَا تُسَرُّ بِهٰذَا ٱللُّطْفِ ٱلْعَامِّ . وَلَا تَلْتَفِتُ إِلَيَّ . وَلَا تُعَوِّلُ عَلَيَّ . وَتَسْتَشْرِفُ عَلَى بُعْدِ لِشَيٍّ . فَهَلَّا أَخْبَرْتَنِي بِمَا أَضْمَرْتَ وَنَوَيْتَ . وَتُطْلِعُنِي فِيمَا تَتَطَاوَلُ إِلَيْهِ عَلَى مَا رَأَيْتَ . حَتَّى أَعْرِفَ فِي أَيِّ شَيْءٍ أَنْتَ . وَهَلْ رَكَنْتَ إِلَى أَخْبَارِي وَسَكَنْتَ . فَقَالَ : أَرَى عَجَاجًا ثَائِرًا . وَنَقْعًا إِلَى ٱلْعَنَانِ فَائِرًا . وَحَيَوَانًا جَارِيًا . كَأَنَّهُ ٱلْبَرْقُ سَارِيًا . وَمَا عَرَفْتُ مَا هُوَ . وَلٰكِنَّهُ أَجْرَى مِنَ ٱلْهَوَاءِ . فَقَالَ : أَبُو ٱلْحُصَيْنِ . وَقَدْ نَسِيَ ٱلْمَكْرَ وَٱلْمَيْنَ . بِٱللّٰهِ يَا أَبَا نَبْهَانَ . حَقِّقْ لِي

هٰذَا ٱلْحَيَوَانَ . فَقَالَ : حَيَوَانٌ رَشِيقٌ . لَهُ آذَانٌ طِوَالٌ وَخَصْرٌ دَقِيقٌ . لَا ٱلْخَيْلُ تَلْحَقُهُ . وَلَا ٱلرِّيحُ تَسْبِقُهُ . فَرَجَفَتْ قَوَائِمُ ٱلثَّعْلَبِ . وَطَلَبَ ٱلْمَهْرَبَ . فَقَالَ أَبُو ٱلْمُنْذِرِ : تَلَبَّثْ يَا أَبَا ٱلْحُصَيْنِ وَٱصْبِرْ حَتَّى أُحَقِّقَ رُؤْيَتَهُ . وَأَتَبَيَّنَ مَاهِيَّتَهُ . فَإِنَّهُ يَا أَبَا ٱلْحُصَيْنِ . يَسْبِقُ طَرْفَ ٱلْعَيْنِ . وَيَكَادُ يَا أَبَا ٱلنَّجْمِ . يُخْلِفُ ٱلنَّجْمَ فِي ٱلرَّجْمِ . فَقَالَ : أَخَذَنِي فُؤَادِي . وَمَا هٰذَا وَقْتُ ٱلتَّمَادِي . ثُمَّ وَلَّى وَهُوَ يَصْدَحُ بِقَوْلِهِ :

لَابِسَ ٱلتَّاجِ ٱلْعَقِيقِ لَا تَقِفْ لِي فِي طَرِيقِي
إِنْ يَكُنْ ذَا ٱلْوَصْفُ حَقًّا فَهُوَ وَٱللهِ ٱلسَّلُوقِي

فَقَالَ ٱلدِّيكُ : وَإِذَا كَانَ وَقَدْ قُلْتَ إِنَّ ٱلسُّلْطَانَ . رَسَمَ بِٱلصُّلْحِ بَيْنَ سَائِرِ ٱلْحَيَوَانِ . فَلَا بَأْسَ مِنْهُ عَلَيْكَ . فَتَلَبَّثْ حَتَّى يَجِيءَ وَيُقَبِّلَ يَدَيْكَ . وَنَعْقِدَ بَيْنَنَا عُقُودَ ٱلْمُصَادَقَةِ . وَيَصِيرَ رَفِيقَنَا وَنَصِيرَ رِفَاقَهُ . فَقَالَ : مَا لِي بِرُؤْيَتِهِ حَاجَةٌ . فَدَعْ عَنْكَ ٱلْمُحَاجَّةَ وَٱللَّجَاجَةَ . فَقَالَ : أَوَمَا زَعَمْتَ يَا أَبَا وَثَّابٍ . أَنَّ ٱلسُّلْطَانَ رَسَمَ لِلْأَعْدَاءِ وَٱلْأَصْحَابِ . أَنْ يَسْلُكُوا طَرَائِقَ ٱلْأَصْدِقَاءِ وَٱلْأَحْبَابِ . فَلَوْ خَالَفَ ٱلْمَرْسُومَ هٰذَا ٱلْكَلْبُ . لَمَا قَابَلَهُ ٱلْمَلِكُ إِلَّا بِٱلْقَتْلِ وَٱلصَّلْبِ . قَالَ : لَعَلَّ هٰذَا ٱلْمَشْؤُمَ . لَمْ يَبْلُغْهُ ٱلْمَرْسُومُ . ثُمَّ وَلَّى هَارِبًا . وَقَصَدَ لِلْخَلَاصِ جَانِبًا

الجمل والملح

٩١ كَانَ جَمَّالٌ فَقِيرٌ ذُو عِيَالٍ لَهُ جَمَلٌ يَتَعَيَّشُ عَلَيْهِ . وَيَتَقَوَّتُ هُوَ وَعِيَالُهُ بِمَا يَصِلُ مِنْهُ إِلَيْهِ . فَرَأَى صَلَاحَهُ فِي نَقْلِ مِلْحٍ مِنَ ٱلْمَلَّاحَةِ .

فَجَدَّ فِي تَثْقِيلِ الْأَحْمَالِ. وَمُلَازَمَتِهِ بِأَثْقَالِ الْأَثْقَالِ. إِلَى أَنْ آلَ حَالُ الْجَمَلِ إِلَى الْهُزَالِ. وَزَالَ نَشَاطُهُ وَحَالَ. وَالْجَمَّالُ لَا يَرِقُّ لَهُ بِحَالٍ. وَيَجِدُّ فِي كَدِّهِ بِالِاشْتِغَالِ. فَفِي بَعْضِ الْأَيَّامِ. أَرْسَلَهُ مَعَ السَّوَّامِ. فَتَوَجَّهَ إِلَى الْمَرْعَى. وَهُوَ سَاقِطُ الْقُوَّةِ عَنِ الْمَسْعَى. وَكَانَ لَهُ أَرْنَبٌ صَدِيقٌ. فَتَوَجَّهَ إِلَيْهِ فِي ذَلِكَ الْمَضِيقِ. وَدَعَاهُ وَسَلَّمَ عَلَيْهِ. وَبَثَّ عَظِيمَ اشْتِيَاقِهِ. فَلَمَّا رَأَى الْخُزَّ هُزَالَهُ. تَأَلَّمَ لَهُ وَسَأَلَهُ أَحْوَالَهُ. فَأَخْبَرَهُ بِحَالِهِ. وَمَا يُقَاسِيهِ مِنْ غِذَائِهِ وَنَكَالِهِ. وَأَنَّ الْمِلْحَ قَدْ قَرَحَهُ. وَجَبَّ سَنَامَهُ وَجَرَحَهُ. وَأَنَّهُ قَدْ أَعْيَتْهُ الْحِيلَةُ. وَأَضَلَّ إِلَى الْخَلَاصِ سَبِيلَهُ. فَتَأَلَّمَ الْأَرْنَبُ وَتَأَمَّلَ. وَتَفَكَّرَ فِي كَيْفِيَّةِ عَصْرِ هَذَا الْأَمَلِ. ثُمَّ قَالَ: يَا أَبَا أَيُّوبَ. لَقَدْ فُزْتَ بِالْمَطْلُوبِ. وَقَدْ ظَهَرَ وَجْهُ الْخَلَاصِ. مِنْ شَرَكِ هَذَا الِاقْتِنَاصِ. وَالنَّجَاةُ مِنَ الِارْتِهَاصِ وَالِارْتِصَاصِ. تَحْتَ حِمْلٍ كَالرَّصَاصِ. فَهَلْ يَعْتَرِضُكَ يَا ذَا الرِّيَاضَةِ. فِي طَرِيقِ الْمَلَّاحَةِ مَخَاضَةٌ. فَقَالَ: كَثِيرٌ وَكَمْ مِنْ نَهْرٍ وَغَدِيرٍ. فَقَالَ: إِذَا مَرَرْتَ فِي خَوْضٍ وَلَوْ أَنَّهُ رَوْضٌ أَوْ حَوْضٌ. فَاتْرُكْ فِيهِ وَتَمَرَّغْ. وَتَنَصَّلْ مِنْ حِمْلِكَ وَتَفَرَّغْ. وَاسْتَمِرَّ فِيهِ يَا أَبَا أَيُّوبَ. فَإِنَّ الْمِلْحَ فِي الْمَاءِ يَذُوبُ. وَكَرِّرْ هَذِهِ الْحَرَكَةَ. فَإِنَّكَ تَرَى فِيهَا الْبَرَكَةَ. فَإِمَّا أَنَّهُمْ يُغَيِّرُونَ حِمْلَكَ أَوْ يُخَفِّفُوهُ. أَوْ تَسْتَرِيحُ بِذَوْبِهِ مِنَ الَّذِي أَضْعَفُوهُ. فَتَحَمَّلَ الْجَمَلُ لِلْأَرْنَبِ الْمِنَّةَ. وَشَنَّفَ بِدُرِّ هَذِهِ الْفَائِدَةِ أُذُنَهُ. فَلَمَّا حَمَلَهُ صَاحِبُهُ الْحِمْلَ الْمَعْهُودَ. وَدَخَلَ بِهِ فِي طَرِيقِهِ الْمَوْرُودِ. وَوَصَلَ الْمَخَاضَةَ

بَرَكَ . فَضَرَبُوهُ وَمَا احْتَرَكَ . وَتَحَمَّلَ ضَرْبَهُ وَعَسْفَهُ . حَتَّى أَذَابَ مِنَ الْحِمْلِ نِصْفَهُ . ثُمَّ نَهَضَ انْتِهَاضَةً . وَخَرَجَ مِنَ الْمَخَاضَةِ . وَلَازَمَ هٰذِهِ الْعَادَةَ . إِلَى أَنْ أَفْقَرَ صَاحِبَهُ وَأَبَادَهُ . فَأَدْرَكَ الْجَمَّالُ هٰذِهِ الْحِيلَةَ . فَافْتَكَرَ لَهُ فِي دَاهِيَةٍ وَبِيلَةٍ . وَعَمَدَ إِلَى عِهْنٍ مَنْفُوشٍ . وَغَيَّرَ فِي مُقَامَرَتِهِ شَكْلَ النُّفُوشِ . وَأَوْسَقَ لِلْجَمَلِ حِمْلًا . وَبَالَغَ فِيهِ تَعْبِيَةً وَثِقَلًا . وَسَلَّطَ عَلَيْهِ الظَّمَاءَ . ثُمَّ دَخَلَ بِهِ إِلَى الْمَاءِ . فَلَمَّا تَوَسَّطَ الْمَاءَ بَرَكَ . وَتَغَافَلَ عَنْهُ صَاحِبُهُ وَتَرَكَ . فَتَشَرَّبَ الصُّوفُ مِنَ الْمَاءِ مَا يَمْلَأُ الْبِرَكَ . ثُمَّ أَرَادَ النُّهُوضَ . فَنَاءَ بِهِ الرُّبُوضُ . فَقَاسَى مِنَ الْمَشَاقِّ . مَا لَا يُطَاقُ . وَرَجَعَ هٰذَا الْفِكْرُ الْوَبِيلُ . عَلَى الْجَمَلِ الْمِسْكِينِ بِأَضْعَافِ التَّثْقِيلِ . فَسَاءَ مَصِيرُهُ . وَكَانَ فِي تَدْبِيرِهِ تَدْمِيرُهُ . وَمَا اسْتَفَادَ إِلَّا زِيَادَةَ النَّصَبِ . وَأَمْثَالَ مَا كَانَ يَجِدُهُ مِنَ التَّعَبِ وَالْوَصَبِ . وَإِنَّمَا أَوْرَدْتُ هٰذَا الْمَثَلَ عَنِ الْجَمَلِ لِيَعْلَمَ الْمَلِكُ وَالْحُضَّارُ . أَنَّ الْعَدُوَّ الْغَدَّارَ . وَالْحَسُودَ الْمَكَّارَ . يَفْتَكِرُ فِي أَنْوَاعِ الدَّوَاهِي . وَيُفَرِّعُ أَنْوَاعَ الْبَلَايَا وَالرَّزَايَا كَمَا هِيَ . وَيَبْذُلُ فِي ذٰلِكَ جِدَّهُ وَجَهْدَهُ . وَلَا يُقَصِّرُ فِيمَا تَصِلُ إِلَيْهِ مِنْ ذٰلِكَ يَدُهُ . فَتَارَةً تُدْرَكُ مَكَايِدُهُ . وَتُعْرَفُ مَصَايِدُهُ . وَتَارَةً يُغْفَلُ عَنْ دَوَاهِيهَا . فَلَا يَشْعُرُ الْخَصْمُ إِلَّا وَقَدْ تَوَرَّطَ فِيهَا . وَعَلَى كُلِّ حَالٍ . لَا بُدَّ لِلشَّخْصِ لَهُ وَعَلَيْهِ مِنَ الِاحْتِيَالِ

البستاني والاربعة العابثون بجنته

٩٢ كَانَ مِنْ تَكْرِيتَ رَجُلٌ مِسْكِينٌ . يَنْظُرُ الْبَسَاتِينَ . فَفِي

بَعْضِ السِّنِينَ . قَدِمَ قَرْيَةَ مَنِينَ . وَسَكَنَ فِي بُسْتَانٍ . كَأَنَّهُ قِطْعَةٌ مِنَ الْجِنَانِ . فِيهِ فَاكِهَةٌ وَنَخْلٌ وَرُمَّانٌ . فَفِي بَعْضِ الْأَعْوَامِ . أَقْبَلَتِ الْفَوَاكِهُ بِالْإِنْعَامِ . وَنَثَرَتِ الثِّمَارَ مَلَابِسَ الْأَشْجَارِ مِنَ الْأَذْيَالِ وَالْأَكْمَامِ . فَأَلْجَأَتِ الضَّرُورَةُ ذٰلِكَ الْإِنْسَانَ . أَنْ خَرَجَ مِنَ الْبُسْتَانِ . ثُمَّ رَجَعَ فِي الْحَالِ فَرَأَى فِيهِ أَرْبَعَةَ رِجَالٍ . أَحَدُهُمْ جُنْدِيٌّ وَالْآخَرُ شَرِيفٌ . وَالثَّالِثُ فَقِيهٌ وَالرَّابِعُ تَاجِرٌ ظَرِيفٌ . قَدْ أَكَلُوا وَسَقَوْا . وَنَامُوا وَاتَّفَقُوا . وَتَصَرَّفُوا فِي ذٰلِكَ تَصَرُّفَ الْمُلَّاكِ . وَأَفْسَدُوا فَسَادًا فَاحِشًا خَادِشًا . وَمَارِشًا وَنَاوِشًا وَنَاكِشًا . فَأَضَرَّ ذٰلِكَ بِحَالِهِ . وَرَأَى الْعَجْزَ فِي أَفْعَالِهِ . إِذْ هُوَ وَحِيدٌ . وَهُمْ أَرْبَعَةٌ وَكُلٌّ عَنِيدٌ . فَسَارَعَ إِلَى التَّأْخِيذِ . وَعَزَمَ عَلَى التَّفْخِيذِ . فَابْتَدَأَ بِالتَّرْحِيبِ وَالْبَشَاشَةِ . وَالْإِكْرَامِ وَالْهَشَاشَةِ . وَأَحْضَرَ لَهُمْ مِنْ أَطَايِبِ الْفَاكِهَةِ . وَطَايَبَهُمْ بِالْمُفَاكَهَةِ . وَسَامَحَ بِالْمُمَازَحَةِ . وَمَازَحَ بِالْمُسَامَحَةِ . إِلَى أَنِ اطْمَأَنُّوا وَاسْتَكَانُوا وَاسْتَكَنُّوا . وَدَخَلُوا فِي اللَّعِبِ . وَلَاعَبُوهُ بِمَا يَجِبُ . فَقَالَ فِي أَثْنَاءِ الْكَلَامِ : أَيُّهَا السَّادَةُ الْكِرَامُ لَقَدْ حُزْتُمْ أَطْرَافَ الْمَعَارِفِ وَالطُّرَفِ . فَأَيَّ شَيْءٍ تُعَانُونَ مِنَ الْحِرَفِ . فَقَالَ أَحَدُهُمْ : أَنَا جُنْدِيٌّ . وَقَالَ الْآخَرُ : أَنَا شَيْخُ الْقُضَاةِ جَدِّي . وَقَالَ الثَّالِثُ : أَنَا فَقِيهٌ . وَقَالَ الرَّابِعُ : أَنَا تَاجِرٌ نَبِيهٌ . فَقَالَ : وَاللهِ لَسْتَ بِنَبِيهٍ . وَلٰكِنْ تَاجِرٌ سَفِيهٌ . وَقَبِيحُ الشَّكْلِ كَرِيهٌ . أَمَّا الْجُنْدِيُّ فَإِنَّهُ مَالِكُ رِقَابِنَا . وَحَارِسُ حِجَابِنَا . يَحْفَظُنَا بِصَوْلَتِهِ . وَيَصُونُ أَنْفُسَنَا وَأَمْوَالَنَا وَأَوْلَادَنَا بِسَيْفِ دَوْلَتِهِ . وَيَجْعَلُ نَفْسَهُ لَنَا

وقاية . وينكي في أعدائنا أشد نكاية . فلو مد يده إلى كل منا ورزقه . فهو بعض استحقاقه ودون حقه . وأما الشريف فقد تشرف به اليوم مكاني . وحلت به البركة علي وعلى بستاني . وأما سيدنا العالم فهو مرشد العالم . وهو سراج ديننا . الهادي إلى يقيننا . فإذا شرفونا بأقدامهم . ورضوا أن نكون من خداهم . فلهم الفضل علينا . والمنة الواصلة إلينا . وأما أنت يا رابعهم . وشر جان تابعهم . بأي طريق تدخل إلى بستاني . وتتناول سفرجلي ورماني . هل بايعتني بمسامحة . وتركت لي المرابحة . أو لك علي دين . أو عاملتني نسيئة دون عين . ألك علي جميلة . وهل بيني وبينك وسيلة . تقتضي تناول مالي . والهجوم على ملكي ومنالي . ثم مد يده إليه . فلم يعترض من رفقائه أحد عليه . لأنه أرضاهم بالكلام . واعتذر عما يتطرق إليه من ملام . فأوثقه وثاقا محكما . وتركه مغرما . ثم مكث ساعة . وهو على الخلاعة مع الجماعة . وغامز الجندي والشريف على الفقيه الظريف . فقال : أيها العالم الفقيه . والفاضل النبيه . أنت مفتي المسلمين . وعالم بمنهاج الدين . على فتواك مدار الإسلام . وكلمتك الفارقة بين الحلال والحرام . بفتواك تستباح الدماء فمن أفتاك بالدخول في هذا . أفتني يا عالم الزمان . محمد بن إدريس أفتاك بهذا أم النعمان . أم أحمد بن حنبل أم مالك . فبح لنا بذلك . وإلا فما بالك تعوث وتعبث بما ليس لك . ولا عتب على الأجناد والأشراف . ولا على

ٱلْجُهَلَاءِ وَٱلْأَجْلَافِ . إِذَا ٱرْتَكَبَ مِثْلَكَ هٰذَا ٱلْمَحْظُورَ . وَتَعَاطَى ٱلْعُلَمَاءُ وَٱلْمُفْتُونَ أَقْبَحَ ٱلْأُمُورِ . ثُمَّ مَدَّ يَدَهُ إِلَى جَلَابِيبِهِ . وَأَوْثَقَهُ بِتَلَابِيبِهِ . فَأَحْكَمَهُ وِثَاقًا . وَآلَمَهُ رِبَاقًا . فَٱسْتَنْجَدَ بِصَاحِبَيْهِ إِلَى جَانِبَيْهِ فَمَا أَنْجَدَاهُ وَلَا رَفَدَاهُ . ثُمَّ جَلَسَ يُلَاهِي . ٱلْجُنْدِيَّ ٱلسَّاهِيَ . وَغَامَزَهُ عَلَى ٱلشَّرِيفِ . ذِي ٱلنَّسَبِ ٱلظَّرِيفِ . ثُمَّ قَالَ : أَيُّهَا ٱلسَّيِّدُ ٱلْأَصِيلُ ٱلنَّجِيبُ ٱلْجَدُّ ٱلْحَسِيبُ . لَا تَعْتِبْ عَلَى كَلَامِي . وَلَا تَسْتَثْقِلْ مَلَامِي . أَمَّا ٱلْأَمِيرُ فَإِنَّهُ رَجُلٌ كَبِيرٌ . ذُو قَدْرٍ خَطِيرٍ . لَهُ ٱلْجَمِيلَةُ ٱلتَّامَّةُ . وَٱلْفَضِيلَةُ ٱللَّامَّةُ . وَأَنْتَ يَا ذَا ٱلنَّسَبِ ٱلطَّاهِرِ . وَٱلْأَصْلِ ٱلْبَاهِرِ . وَٱلْفَضْلِ ٱلزَّاهِرِ سَلْفُكَ ٱلطَّيِّبُ أَذِنَ لَكَ فِي ٱلدُّخُولِ إِلَى مَا لَا يَحِلُّ لَكَ . وَإِذَا كُنْتَ يَا طَاهِرَ ٱلْأَسْلَافِ لَا تَتَّبِعُ سُنَّةَ آبَائِكَ ٱلْأَشْرَافِ . مِنَ ٱلزُّهْدِ وَٱلْعَفَافِ . فَلَا عَتْبَ عَلَى ٱلْأَوْبَاشِ وَٱلْأَطْرَافِ . ثُمَّ وَثَبَ إِلَيْهِ وَكَتَّفَ يَدَيْهِ . وَلَمْ يَعْطِفِ ٱلْجُنْدِيُّ عَلَيْهِ . وَلَمْ يَبْقَ إِلَّا ٱلْجُنْدِيُّ وَهُوَ وَحِيدٌ . فَٱنْتَصَفَ مِنْهُ ٱلْبُسْتَانِيُّ كَمَا يُرِيدُ . وَأَوْثَقَهُ رِبَاطًا . وَزَادَ لِنَفْسِهِ ٱحْتِيَاطًا . ثُمَّ أَوْجَعَهُمْ ضَرْبًا وَأَشْبَعَهُمْ لَعْنًا وَسَبًّا . وَجَمَعَ عَلَيْهِمِ ٱلْحِيرَانَ . وَٱسْتَعَانَ بِٱلْجَلَاوِذَةِ وَأَصْحَابِ ٱلدِّيوَانِ . وَحَمَلَهُمْ بِرِبَاطِهِمْ وَعَمَلَتِهِمْ تَحْتَ آبَاطِهِمْ إِلَى بَابِ ٱلْوَالِي . وَأَخَذَ مِنْهُمْ ثَمَنَ مَا أَخَذُوهُ مِنْ رَخِيصٍ وَغَالِي . وَإِنَّمَا أَوْرَدْتُ مَا جَرَى لِتَعْلَمُوا أَيُّهَا ٱلْوُزَرَاءُ أَنَّ ٱلتَّفْخِيذَ . بَيْنَ ٱلْأَعْدَاءِ بِٱلتَّأْخِيذِ . أَمَرُّ مِنَ ٱلسِّهَامِ فِي تَنْفِيذِ ٱلْأَحْكَامِ وَأَحْكَامِ ٱلتَّنْفِيذِ

(فاكهة الخلفاء لابن عربشاه)

أَلْبَابُ ٱلسَّابِعُ
فِي ٱلْفَضَائِلِ وَٱلرَّذَائِلِ

الصبر

٩٣ يُقَالُ أَوْكَدُ ٱلْأَسْبَابِ لِلظَّفَرِ ٱلصَّبْرُ. وَقَالَ بَعْضُ ٱلْعُلَمَاءِ: ٱلصَّبْرُ جُنَّةُ ٱلْمُؤْمِنِ وَعَزِيمَةُ ٱلْمُتَوَكِّلِ وَسَبَبُ دَرَكِ ٱلنُّجْحِ فِي ٱلْحَوَائِجِ. فَمَنْ وَطَّنَ نَفْسَهُ عَلَى ٱلصَّبْرِ لَمْ يَجِدْ لِلْأَذَى مَسًّا. وَمَنِ ٱسْتَعَفَّ بِٱللهِ عَفَّهُ. وَمَنِ ٱسْتَعَانَ بِهِ يُعِنْهُ وَلَنْ تَجِدُوا حَظًّا خَيْرًا مِنَ ٱلصَّبْرِ. جَاءَ فِي ٱلْمِنْهَجِ: ٱلصَّبْرُ أَنْجَى بِذِي ٱلْحِجَجِ. وَقَالَ حَكِيمٌ: تَابِعُ ٱلصَّبْرِ مَتْبُوعُ ٱلنَّصْرِ

(للمقدسي)

٩٤ قَالَ أَبُو تَمَّامٍ:

إِذَا ٱشْتَمَلَتْ عَلَى ٱلْيَأْسِ ٱلْقُلُوبُ ... وَضَاقَ لِمَا بِهِ ٱلصَّدْرُ ٱلرَّحِيبُ
وَأَوْطَنَتِ ٱلْمَكَارِهَ وَٱطْمَأَنَّتْ ... وَأَرْسَتْ فِي مَكَامِنِهَا ٱلْخُطُوبُ
فَلَمْ تَرَ لِٱنْكِشَافِ ٱلضُّرِّ وَجْهًا ... وَلَا أَغْنَى بِحِيلَتِهِ ٱلْأَرِيبُ
أَتَاكَ عَلَى قُنُوطٍ مِنْهُ غَوْثٌ ... يَمُنُّ بِهِ ٱللَّطِيفُ ٱلْمُسْتَجِيبُ
فَكُلُّ ٱلْحَادِثَاتِ وَإِنْ تَنَاهَتْ ... فَمَوْصُولٌ بِهَا فَرَجٌ قَرِيبُ

٩٥ مِنَ ٱلدِّيوَانِ ٱلْمَنْسُوبِ إِلَى أَمِيرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ عَلِيٍّ:

هِيَ حَالَانِ شِدَّةٌ وَرَخَاءٌ ... وَسِجَالَانِ نِعْمَةٌ وَبَلَاءُ
وَٱلْفَتَى ٱلْحَاذِقُ ٱلْأَدِيبُ إِذَا مَا ... خَانَهُ ٱلدَّهْرُ لَمْ يَخُنْهُ ٱلْعَزَاءُ

إِنْ أَلَمَّتْ مُلِمَّةٌ بِي فَإِنِّي فِي ٱلْمُلِمَّاتِ صَخْرَةٌ صَمَّاءُ
حَائِرٌ فِي ٱلْبَلَاءِ عِلْمًا بِأَنْ لَيْسَ يَدُومُ ٱلنَّعِيمُ وَٱلْبَلْوَاءُ

وَأَنْشَدَ أَعْرَابِيٌّ :

وَإِنِّي لَأُغْضِي مُقْلَتِي عَلَى ٱلْقَذَى ... وَأَلْبَسُ ثَوْبَ ٱلصَّبْرِ أَبْيَضَ أَبْلَجَا
وَإِنِّي لَأَدْعُو ٱللهَ وَٱلْأَمْرُ ضَيِّقٌ ... عَلَيَّ فَمَا يَنْفَكُّ أَنْ يَتَفَرَّجَا
وَكَمْ مِنْ فَتًى ضَاقَتْ عَلَيْهِ وُجُوهُهُ ... أَصَابَ لَهَا فِي دَعْوَةِ ٱللهِ مَخْرَجَا

٩٦ قَالَ غَيْرُهُ :

تَصَبَّرْ وَلَا تُبْدِ ٱلتَّضَعْضُعَ لِلْعِدَى ... وَلَوْ قُطِّعَتْ فِي ٱلْجِسْمِ مِنْكَ ٱلْبَوَاتِرُ
سُرُورُ ٱلْأَعَادِي أَنْ تَرَاكَ بِذِلَّةٍ ... وَلٰكِنَّهَا تَغْتَمُّ إِذْ أَنْتَ صَابِرُ
إِنِّي وَجَدْتُ وَخَيْرُ ٱلْقَوْلِ أَصْدَقُهُ ... لِلصَّبْرِ عَاقِبَةً مَحْمُودَةَ ٱلْأَثَرِ
وَقَلَّ مَنْ جَدَّ فِي أَمْرٍ يُحَاوِلُهُ ... فَٱسْتَصْحَبَ ٱلصَّبْرَ إِلَّا فَازَ بِٱلظَّفَرِ

قَالَ آخَرُ :

عَلَيْكَ بِٱلصَّبْرِ فِيمَا قَدْ مُنِيتَ بِهِ ... فَٱلصَّبْرُ يُذْهِبُ مَا فِي ٱلصَّدْرِ مِنْ حَرَجِ
كَمْ لَيْلَةٍ مِنْ هُمُومِ ٱلدَّهْرِ مُظْلِمَةٍ ... قَدْ ضَاءَ مِنْ بَعْدِهَا صُبْحٌ مِنَ ٱلْفَرَجِ

وَمَا أَحْسَنَ مَا قَالَ ٱلشَّيْخُ حَسَنُ بْنُ مُحَمَّدٍ ٱلْبُورِينِيُّ :

صَبْرًا عَلَى نُوَبِ ٱلزَّمَانِ فَإِنَّهَا ... مَخْلُوقَةٌ لِنِكَايَةِ ٱلْأَحْرَارِ
لَا يُكْسَفُ ٱلنَّجْمُ ٱلضَّعِيفُ وَإِنَّمَا ... يَسْرِي ٱلْكُسُوفُ لِرِفْعَةِ ٱلْأَقْمَارِ

٩٧ قَالَ إِبْرٰهِيمُ ٱلْعِمَادِيُّ :

لَا تَخْشَ مِنْ شِدَّةٍ وَلَا نَصَبٍ ... وَثِقْ بِفَضْلِ ٱلْإِلٰهِ وَٱبْتَهِجِ

وَارْجُ إِذَا اشْتَدَّ هَمُّ نَازِلَةٍ ... فَآخِرُ الْهَمِّ أَوَّلُ الْفَرَجِ

وَقَالَ غَيْرُهُ وَأَجَادَ :

تَصَبَّرْ فَفِي اللَّأْوَاءِ قَدْ يُحْمَدُ الصَّبْرُ ... وَلَوْلَا صُرُوفُ الدَّهْرِ لَمْ يُعْرَفِ الْحُرُّ

وَإِنَّ الَّذِي أَبْلَى هُوَ الْعَوْنُ فَانْتَدِبْ ... جَمِيلَ الرِّضَا يَبْقَى لَكَ الذِّكْرُ وَالْأَجْرُ

وَثِقْ بِالَّذِي أَعْطَى وَلَا تَكُ جَازِعًا ... فَلَيْسَ بِحَزْمٍ أَنْ يُرَوِّعَكَ الضُّرُّ

فَلَا نِعَمٌ تَبْقَى وَلَا نِقَمٌ وَلَا ... يَدُومُ كِلَا الْحَالَيْنِ عُسْرٌ وَلَا يُسْرُ

تَقَلُّبُ هٰذَا الْأَمْرِ لَيْسَ بِدَائِمٍ ... لَدَيْهِ مَعَ الْأَيَّامِ حُلْوٌ وَلَا مُرُّ

قَالَ آخَرُ :

إِنَّ الْأُمُورَ إِذَا اشْتَدَّتْ مَسَالِكُهَا ... فَالصَّبْرُ يَفْتَحُ مِنْهَا كُلَّ مَا رُتِجَا

لَا تَيْأَسَنَّ وَإِنْ طَالَتْ مَطَالِبُهُ ... إِذَا اسْتَعَنْتَ بِصَبْرٍ أَنْ تَرَى فَرَجَا

وَقَالَ آخَرُ :

عَلَى قَدْرِ فَضْلِ الْمَرْءِ تَأْتِي خُطُوبُهُ ... وَيُعْرَفُ عِنْدَ الصَّبْرِ فَضْلُ نُهَاهُ

وَمَنْ قَلَّ فِي مَا يَتَّقِيهِ اصْطِبَارُهُ ... فَقَدْ قَلَّ فِي مَا يَرْتَجِيهِ مُنَاهُ

قَالَ الْمُرَّارُ بْنُ سَعِيدٍ :

إِذَا شِئْتَ يَوْمًا أَنْ تَسُودَ عَشِيرَةً ... فَبِالْحِلْمِ سُدْ لَا بِالتَّسَرُّعِ وَالشَّتْمِ

وَلِلْحِلْمِ خَيْرٌ فَاعْلَمَنْ مَغَبَّةً ... مِنَ الْجَهْلِ إِلَّا أَنْ تُشَمَّسَ مِنْ ظُلْمِ

القناعة

٩٨ إِعْلَمْ أَنَّ مِمَّا يَتَحَقَّقُهُ الْعَاقِلُ وَلَا يَذْهَلُ عَنْهُ إِلَّا الْأَبْلَهُ أَنَّ الدُّنْيَا دَارُ الْأَكْدَارِ وَمَحَلُّ الْهُمُومِ وَالْغُمُومِ وَالْحَسَرَاتِ . وَأَنَّ أَخَفَّ الْخَلْقِ

بَلاءً وَأَلَمًا ٱلْفُقَرَاءُ . وَأَعْظَمُ ٱلنَّاسِ تَعَبًا وَهَمًّا وَغَمًّا هُمُ ٱلْمُلُوكُ وَٱلْأُمَرَاءُ وَٱلْكُبَرَاءُ . وَيُقَالُ : لِكُلِّ شِبْرٍ قَامَةٌ مِنَ ٱلْهَمِّ . وَقِيلَ :

لَقَدْ قَنِعَتْ هِمَّتِي بِٱلْخُمُولِ وَصَدَّتْ عَنِ ٱلرُّتَبِ ٱلْعَالِيَهْ
وَمَا جَهِلَتْ طِيبَ طَعْمِ ٱلْعُلَى وَلٰكِنَّهَا تُؤْثِرُ ٱلْعَافِيَهْ

وَطَالَمَا رَضِيَتِ ٱلْمُلُوكُ وَٱلسَّلَاطِينُ بِحَالِ ٱلْفُقَرَاءِ وَٱلضُّعَفَاءِ وَٱلْمَسَاكِينِ.

فِي كُلِّ بَيْتٍ كُرْبَةٌ وَمُصِيبَةٌ وَلَعَلَّ بَيْتَكَ إِنْ رَأَيْتَ أَقَلُّهَا

فَٱرْضَ بِحَالِ فَقْرِكَ . وَٱشْكُرِ ٱللهَ تَعَالَى عَلَى خِفَّةِ ظَهْرِكَ . وَلَا تَتَعَدَّ طَوْرَكَ . وَقِفْ عِنْدَ قَدْرِكَ . تَجِدْ ذٰلِكَ نِعْمَةً خَفِيَّةً سَاقَهَا ٱللهُ تَعَالَى إِلَيْكَ . وَرَأْفَةً وَرَحْمَةً أَفَاضَهَا ٱللهُ تَعَالَى مِنْ خَزَائِنِ لُطْفِهِ عَلَيْكَ . فَٱعْتَبِرْ بِهٰذِهِ ٱلْكَلِمَاتِ . وَخُذْ لِنَفْسِكَ حَظًّا وَافِرًا مِنْ هٰذِهِ ٱلْعِظَاتِ . وَمِنْ ذٰلِكَ أَنَّ هَارُونَ ٱلرَّشِيدَ مِنْ أَعْقَلِ ٱلْخُلَفَاءِ ٱلْعَبَّاسِيِّينَ وَأَكْمَلِهِمْ رَأْيًا وَتَدْبِيرًا وَفِطْنَةً وَقُوَّةً وَٱتِّسَاعَ مَمْلَكَةٍ وَكَثْرَةَ خَزَائِنَ بِحَيْثُ كَانَ يَقُولُ لِلسَّحَابَةِ : أَمْطِرِي حَيْثُ شِئْتِ فَإِنَّ خَرَاجَ ٱلْأَرْضِ ٱلَّتِي تُمْطِرِينَ فِيهَا يَجِيءُ إِلَيَّ . وَمَعَ ذٰلِكَ كَانَ أَتْعَبَهُمْ خَاطِرًا وَأَشَتَّهُمْ فِكْرًا وَأَشْغَلَهُمْ قَلْبًا (الاعلام لقطب الدين النهروالي)

٩٩ وَلِلهِ مَنْ قَالَ :

أَرَى ٱلدُّنْيَا لِمَنْ هِيَ فِي يَدَيْهِ عَذَابًا كُلَّمَا كَثُرَتْ لَدَيْهِ
إِذَا ٱسْتَغْنَيْتَ عَنْ شَيْءٍ فَدَعْهُ وَخُذْ مَا كُنْتَ مُحْتَاجًا إِلَيْهِ

قَالَ آخَرُ :

أَفَادَتْنِي ٱلْقَنَاعَةُ كُلَّ عِزٍّ وَهَلْ عِزٌّ أَعَزُّ مِنَ ٱلْقَنَاعَهْ
فَإِجْعَلْهَا لِنَفْسِكَ رَأْسَ مَالٍ وَإِشْتَرِ بَعْدَهَا ٱلتَّقْوَى بِضَاعَهْ

قَالَ ٱبْنُ وَابِصَةَ :

غِنَى ٱلنَّفْسِ مَا يَكْفِيكَ مِنْ سَدِّ فَاقَةٍ فَإِنْ زَادَ شَيْئًا عَادَ ذَاكَ ٱلْغِنَى فَقْرَا

قَالَ غَيْرُهُ :

يَا أَحْمَدُ ٱقْنَعْ بِٱلَّذِي أُوتِيتَهُ إِنْ كُنْتَ لَا تَرْضَى لِنَفْسِكَ ذُلَّهَا
وَٱعْلَمْ بِأَنَّ ٱللهَ جَلَّ جَلَالُهُ لَمْ يَخْلُقِ ٱلدُّنْيَا لِأَجْلِكَ كُلَّهَا

العدل

١٠٠ يُحْكَى عَنْ إِسْمَاعِيلَ ٱلسَّامَانِيِّ فِي كِتَابِ سِيَرِ ٱلْمُلُوكِ أَنَّهُ كَانَ إِذَا ٱحْتَلَّ مَدِينَةً يَجْلِسُ لِلنَّاسِ وَكَانَ يَرْفَعُ ٱلْحِجَابَ . وَيُبْعِدُ ٱلْحُجَّابَ . وَيُرِيحُ ٱلْبَوَّابَ . لِيَجِيءَ كُلُّ مَنْ لَهُ ظُلَامَةٌ وَيَقِفَ عَلَى جَانِبِ ٱلْبِسَاطِ وَيُخَاطِبَهُ وَيَعُودَ مَقْضِيَّ ٱلْحَاجَةِ . وَكَانَ يَقْضِي بَيْنَ ٱلْخُصُومِ مِثْلَ ٱلْحُكَّامِ إِلَى أَنْ يُفْنِيَ ٱلدَّعَاوِيَ . ثُمَّ يَقُومُ مِنْ مَوْضِعِهِ وَيَقْبِضُ عَلَى مَحَاسِنِهِ بِيَدِهِ . وَيُوَجِّهُ وَجْهَهُ نَحْوَ ٱلسَّمَاءِ وَيَقُولُ : إِلٰهِي هٰذَا جُهْدِي وَطَاقَتِي قَدْ بَذَلْتُهُ وَأَنْتَ عَالِمُ ٱلْأَسْرَارِ وَتَعْلَمُ عَلَانِيَتِي . وَلَا أَعْلَمُ عَلَى أَيِّ عَبْدٍ مِنْ عَبِيدِي أَجَفْتُ أَوْ لِأَيِّ عَبْدٍ ظَلَمْتُ وَمَا أَنْصَفْتُ . أَنَا وَاحِدٌ مِنْ أَصْحَابِي . فَٱغْفِرْ لِي مِنْ ذٰلِكَ مَا لَا أَعْلَمُ . فَلَمَّا كَانَ تَقِيَّ ٱلنِّيَّةِ جَمِيلَ ٱلطَّوِيَّةِ لَا جَرَمَ عَلَا أَمْرُهُ وَٱرْتَفَعَ قَدْرُهُ . وَكَانَ عَسْكَرُهُ

أَلْفَ فَارِسٍ مُعْتَدِّينَ بِالسِّلَاحِ مُقَنَّعِينَ بِالْحَدِيدِ وَبِبَرَكَةِ ذٰلِكَ الْعَدْلِ وَالْإِنْصَافِ ظَفَّرَهُ اللهُ بِأَعْدَائِهِ (للغزالي)

قَالَ شَاعِرٌ :

أَلْعَدْلُ رُوحٌ بِهِ تَحْيَا الْبِلَادُ كَمَا دَمَارُهَا أَبَدًا بِالْجَوْرِ يَنْحَتِمُ
أَلْجَوْرُ شَيْنٌ بِهِ التَّعْمِيرُ مُمْتَنِعٌ وَالْعَدْلُ زَيْنٌ بِهِ التَّمْهِيدُ يَنْتَظِمُ

١٠١ لَمَّا ظَلَمَ أَحْمَدُ بْنُ طُولُونَ قَبْلَ أَنْ يَعْدِلَ . اسْتَغَاثَتِ النَّاسُ مِنْ ظُلْمِهِ وَتَوَجَّهُوا إِلَى السَّيِّدَةِ نَفِيسَةَ وَاشْتَكَوْهُ إِلَيْهَا . فَقَالَتْ لَهُمْ : مَتَى يَرْكَبُ . فَقَالُوا : فِي غَدٍ فَكَتَبَتْ رُقْعَةً وَوَقَفَتْ فِي طَرِيقِهِ . وَقَالَتْ : يَا أَحْمَدُ بْنَ طُولُونَ . فَلَمَّا رَآهَا عَرَفَهَا وَتَرَجَّلَ عَنْ فَرَسِهِ وَأَخَذَهَا مِنْهَا وَقَرَأَهَا . فَإِذَا فِيهَا مَكْتُوبٌ مَلَكْتُمْ فَأَسَرْتُمْ . وَقَدَرْتُمْ فَقَهَرْتُمْ . وَخُوِّلْتُمْ فَعَسَفْتُمْ . وَدَرَّتْ عَلَيْكُمُ الْأَرْزَاقُ فَقَطَعْتُمْ . هٰذَا وَقَدْ عَلِمْتُمْ أَنَّ سِهَامَ الْأَسْحَارِ نَافِذَةٌ لَا سِيَّمَا مِنْ قُلُوبٍ أَجَعْتُمُوهَا . وَأَجْسَادٍ أَعْرَيْتُمُوهَا . اعْمَلُوا مَا شِئْتُمْ فَإِنَّا صَابِرُونَ . وَجُورُوا فَإِنَّا بِاللهِ مُسْتَجِيرُونَ . وَاظْلِمُوا فَإِنَّا مِنْكُمْ مُتَظَلِّمُونَ . وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنْقَلَبٍ يَنْقَلِبُونَ . فَعَدَلَ مِنْ وَقْتِهِ وَسَاعَتِهِ (لبهاء الدين)

١٠٢ أَخْبَرَ الثَّعَالِبِيُّ قَالَ : اسْتَشْهَدَ مُحَمَّدُ بْنُ الْفُرَاتِ أَيَّامَ وِزَارَتِهِ عَلِيَّ بْنَ عِيسَى صَاحِبَهُ بِغَيْرِ حَقٍّ فَلَمْ يَشْهَدْ لَهُ . فَلَمَّا عَادَ إِلَى بَيْتِهِ كَتَبَ إِلَيْهِ : لَا تَلُمْنِي عَلَى نُكُوصِي عَنْ نُصْرَتِكَ شَهَادَةَ زُورٍ . فَإِنَّهُ لَا إِنْفَاقَ عَلَى نِفَاقٍ . وَلَا وَفَاءَ لِذِي مَيْنٍ وَاخْتِلَاقٍ . وَأَحْرِ بِمَنْ تَعَدَّى الْحَقَّ فِي

مَسَرَّتِكَ إِذَا رَضِيَ أَنْ يَتَعَدَّى ٱلْبَاطِلَ فِي مَسَاءَتِكَ إِذَا غَضِبَ. وَكَأَنَّ ٱلْمُتَنَبِّيَ أَشَارَ إِلَى هٰذَا ٱلْمَعْنَى بِقَوْلِهِ :

لَقَدْ أَبَاحَكَ غِشًّا فِي مُعَامَلَةٍ مَنْ كُنْتَ مِنْهُ بِغَيْرِ ٱلصِّدْقِ تَنْتَفِعُ

الكرم

١٠٣ كَانَ خَالِدُ بْنُ عَبْدِ ٱللهِ ٱلْقُشَيْرِيُّ يَقُولُ تَنَافَسُوا فِي ٱلْمَغَانِمِ وَسَارِعُوا إِلَى ٱلْمَكَارِمِ. وَٱكْتَسِبُوا بِٱلْجُودِ حَمْدًا وَلَا تَكْتَسِبُوا بِٱلْمَالِ ذَمًّا. وَلَا تَعِدُوا بِمَعْرُوفٍ وَلَمْ تُعَجِّلُوهُ. وَٱعْلَمُوا أَنَّ حَوَائِجَ ٱلنَّاسِ نِعْمَةٌ مِنَ ٱللهِ عَلَيْكُمْ فَلَا تَمَلُّوهَا فَتَعُودَ نِقَمًا. وَقَالَ ٱلشَّاعِرُ :

مَاتَ ٱلْكِرَامُ وَوَلَّوْا وَٱنْقَضَوْا وَمَضَوْا وَمَاتَ فِي إِثْرِهِمْ تِلْكَ ٱلْكَرَامَاتُ
وَخَلَّفُونِي فِي قَوْمٍ ذَوِي سَفَهٍ لَوْ عَايَنُوا طَيْفَ ضَيْفٍ فِي ٱلْكَرَى مَاتُوا

١٠٤ قَالَ آخَرُ :

إِنِّي وَإِنْ لَمْ يَنَلْ مَالِي مَدَى خُلُقِي فَيَّاضُ مَا مَلَكَتْ كَفَّايَ مِنْ مَالِ
لَا أَحْبِسُ ٱلْمَالَ إِلَّا رَيْثَ أُتْلِفُهُ وَلَا تُغَيِّرُنِي حَالٌ إِلَى حَالِ

وَقَالَ سَوَادَةُ ٱلْيَرْبُوعِيُّ :

أَلَا بَكَرَتْ مَيٌّ عَلَيَّ تَلُومُنِي تَقُولُ أَلَا أَهْلَكْتَ مَنْ أَنْتَ عَائِلُهْ
ذَرِينِي فَإِنَّ ٱلْبُخْلَ لَا يُخْلِدُ ٱلْفَتَى وَلَا يُهْلِكُ ٱلْمَعْرُوفُ مَنْ هُوَ فَاعِلُهْ

قَالَ آخَرُ :

يُفْنِي ٱلْبَخِيلُ بِجَمْعِ ٱلْمَالِ مُدَّتَهُ وَلِلْحَوَادِثِ وَٱلْأَيَّامِ مَا يَدَعُ
كَدُودَةِ ٱلْقَزِّ مَا تَبْنِيهِ يَهْدِمُهَا وَغَيْرُهَا بِٱلَّذِي تَبْنِيهِ يَنْتَفِعُ

قَالَ غَيْرُهُ فِي ٱلْمَعْنَى :

أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱلْمَرْءَ طُولَ حَيَاتِهِ ... مُعَنًّى بِأَمْرٍ لَا يَزَالُ يُعَالِجُهْ
كَذٰلِكَ دُودُ ٱلْقَزِّ يَنْسِجُ دَائِمًا ... وَيَهْلِكُ غَمًّا بِٱلَّذِي هُوَ نَاسِجُهْ

الوفاء

١٠٥ يُعْجِبُنِي قَوْلُ بَعْضِهِمْ : أَمَّا بَعْدُ فَإِنَّ شَجَرَ وَعْدِكَ قَدْ أَوْرَقَتْ فَلْيَكُنْ ثَمَرُهَا سَالِمًا مِنْ حَوَائِجِ ٱلْمَطْلِ وَٱلسَّلَامُ (للحموي)

قَالَ أَبُو تَمَّامٍ :

إِذَا قُلْتَ فِي شَيْءٍ نَعَمْ فَأَتِمَّهُ ... فَإِنَّ نَعَمْ دَيْنٌ عَلَى ٱلْحُرِّ وَاجِبُ
وَإِلَّا فَقُلْ لَا تَسْتَرِحْ وَتُرِحْ بِهَا ... لِئَلَّا يَقُولَ ٱلنَّاسُ إِنَّكَ كَاذِبُ

وَقَالَ آخَرُ :

وَلَقَدْ وَعَدتَّ وَأَنْتَ أَكْرَمُ وَاعِدٍ ... لَا خَيْرَ فِي وَعْدٍ بِغَيْرِ تَمَامِ
أَنْعِمْ عَلَيَّ بِمَا وَعَدتَّ تَكَرُّمًا ... فَٱلْمَطْلُ يُذْهِبُ بَهْجَةَ ٱلْإِنْعَامِ

وَقَالَ غَيْرُهُ :

لَئِنْ جُمِعَ ٱلْآفَاتُ فَٱلْبُخْلُ شَرُّهَا ... وَشَرٌّ مِنَ ٱلْبُخْلِ ٱلْمَوَاعِيدُ وَٱلْمَطْلُ
وَلَا خَيْرَ فِي وَعْدٍ إِذَا كَانَ كَاذِبًا ... وَلَا خَيْرَ فِي قَوْلٍ إِذَا لَمْ يَكُنْ فِعْلُ

الرأي والمشورة

١٠٦ قِيلَ : مَنْ بَدَأَ بِٱلِٱسْتِخَارَةِ وَثَنَّى بِٱلِٱسْتِشَارَةِ فَحَقِيقٌ أَنْ لَا يَخِيبَ رَأْيُهُ . وَقِيلَ : ٱلرَّأْيُ ٱلسَّدِيدُ أَحْمَى مِنَ ٱلْبَطَلِ ٱلشَّدِيدِ . وَقِيلَ : مَنْ بَذَلَ

نُصْحَهُ وَاجْتِهَادَهُ لِمَنْ لَا يَشْكُرُهُ فَهُوَ كَمَنْ بَذَرَ فِي السِّبَاخِ . قَالَ الشَّاعِرُ يَمْدَحُ مَنْ لَهُ رَأْيٌ وَبَصِيرَةٌ :

بَصِيرٌ بِأَعْقَابِ الْأُمُورِ كَأَنَّمَا يُحَاطِبُهُ مِنْ كُلِّ أَمْرٍ عَوَاقِبُهْ

وَقَالَ بَعْضُهُمْ : خَيْرُ الرَّأْيِ خَيْرٌ مِنْ فَطِيرِهِ . وَتَقْدِيمُهُ خَيْرٌ مِنْ تَأْخِيرِهِ

(للابشيهي)

وَمَا يُعْرَفُ أَحْسَنُ مِنْ قَوْلِ ابْنِ الرُّومِيِّ فِي ذٰلِكَ :

نَارُ الرَّوِيَّةِ نَارُ جِدٍّ مُنْضِجَةٍ وَلِلْبَدِيهَةِ نَارٌ ذَاتُ تَلْوِيحِ
وَقَدْ يُفَضِّلُهَا قَوْمٌ لِعَاجِلِهَا لٰكِنَّهُ عَاجِلٌ يَمْضِي مَعَ الرِّيحِ

قَالَ أَبُو الطَّيِّبِ الْمُتَنَبِّي :

اَلرَّأْيُ قَبْلَ شَجَاعَةِ الشُّجْعَانِ هُوَ أَوَّلٌ وَهِيَ الْمَحَلُّ الثَّانِي
فَإِذَا هُمَا اجْتَمَعَا لِنَفْسٍ حُرَّةٍ بَلَغَتْ مِنَ الْعَلْيَاءِ كُلَّ مَكَانِ
وَلَرُبَّمَا طَعَنَ الْفَتَى أَقْرَانَهُ بِالرَّأْيِ قَبْلَ تَطَاعُنِ الْأَقْرَانِ
لَوْ لَا الْعُقُولُ لَكَانَ أَدْنَى ضَيْغَمٍ أَدْنَى إِلَى شَرَفٍ مِنَ الْإِنْسَانِ

١٠٧ قَالَ بَعْضُهُمْ : وَشَاوِرِ النَّاسَ فِي الْأَمْرِ يَعْنِي أَنَّ الْإِنْسَانَ لَا يَسْتَغْنِي عَنْ مَشُورَةِ نَصِيحٍ لَهُ . كَمَا أَنَّ الْقَوَادِمَ مِنْ رِيشِ الْجَنَاحِ تَسْتَعِينُ بِالْخَوَافِي مِنْهُ . قَالَ بَشَّارٌ :

إِذَا بَلَغَ الرَّأْيُ الْمَشُورَةَ فَاسْتَعِنْ بِحَزْمِ نَصِيحٍ أَوْ نَصَاحَةِ حَازِمِ
وَلَا تَجْعَلِ الشُّورَى عَلَيْكَ غَضَاضَةً فَرِيشُ الْخَوَافِي تَابِعٌ لِلْقَوَادِمِ
وَمَا خَيْرُ كَفٍّ أَمْسَكَ الْغُلُّ أُخْتَهَا وَمَا خَيْرُ سَيْفٍ لَمْ يُؤَيِّدْ بِقَائِمِ

قَالَ ٱلْأَصْمَعِيُّ : قُلْتُ لِبَشَّارٍ : رَأَيْتُ رِجَالَ ٱلرَّأْيِ يَتَعَجَّبُونَ مِنْ أَبْيَاتِكَ فِي ٱلْمَشُورَةِ . فَقَالَ : أَوَمَا عَلِمْتَ أَنَّ ٱلْمُشَاوِرَ بَيْنَ إِحْدَى ٱلْحُسْنَيَيْنِ . صَوَابٍ يَفُوزُ بِثَمَرَتِهِ . أَوْ خَطَاءٍ يُشَاوِرُ فِي مَكْرُوهِهِ . فَقُلْتُ لَهُ : أَنْتَ فِي هٰذَا ٱلْكَلَامِ أَشْعَرُ مِنْكَ فِي شِعْرِكَ . وَقَالَ ٱلْجَاحِظُ : ٱلْمَشُورَةُ لِقَاحُ ٱلْعُقُولِ وَرَائِدُ ٱلصَّوَابِ وَٱلْمُسْتَشِيرُ عَلَى طَرَفِ ٱلنَّجَاحِ . وَٱسْتِشَارَةُ ٱلْمَرْءِ بِرَأْيِ أَخِيهِ مِنْ عَزْمِ ٱلْأُمُورِ وَحَزْمِ ٱلتَّدْبِيرِ . وَقَالَ عَبْدُ ٱلْمَلِكِ بْنُ مَرْوَانَ : لَأَنْ أُخْطِئَ وَقَدِ ٱسْتَشَرْتُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ أَنْ أُصِيبَ وَقَدِ ٱسْتَبْدَدْتُ بِرَأْيِي مِنْ غَيْرِ مَشُورَةٍ

(لابي نصر المقدسي)

وَلَقَدْ أَحْسَنَ مَنْ قَالَ :

لَا تَحْقِرَنَّ ٱلرَّأْيَ وَهْوَ مُوَافِقٌ ... حُكْمَ ٱلصَّوَابِ إِذَا أَتَى مِنْ نَاقِصِ
فَٱلدُّرُّ وَهْوَ أَجَلُّ شَيْءٍ يُقْتَنَى ... مَا حَطَّ قِيمَتَهُ هَوَانُ ٱلْغَائِصِ

قَالَ ٱلْأَرَّجَانِيُّ وَأَجَادَ :

شَاوِرْ سِوَاكَ إِذَا نَابَتْكَ نَائِبَةٌ ... يَوْمًا وَإِنْ كُنْتَ مِنْ أَهْلِ ٱلْمَشُورَاتِ
فَٱلْعَيْنُ تَنْظُرُ مِنْهَا مَا دَنَا وَنَأَى ... وَلَا تَرَى نَفْسَهَا إِلَّا بِمِرْآةِ

وَقَالَ أَيْضًا :

خَصَائِصُ مَنْ تُشَاوِرُهُ ثَلَاثٌ ... فَخُذْ مِنْهَا جَمِيعًا بِٱلْوَثِيقَهْ
وَدَادٌ خَالِصٌ وَوُفُورُ عَقْلٍ ... وَمَعْرِفَةٌ بِحَالِكَ وَٱلْحَقِيقَهْ
فَمَنْ حَصَلَتْ لَهُ هٰذِي ٱلْمَعَانِي ... فَتَابِعْ رَأْيَهُ وَٱلْزَمْ طَرِيقَهْ

وَلَهُ أَيْضًا :

فَمَا كُلُّ ذِي نُصْحٍ بِمُؤْتِيكَ نُصْحَهُ ... وَلَا كُلُّ مُؤْتٍ نُصْحَهُ بِلَبِيبِ
وَلَكِنْ إِذَا مَا اسْتَجْمَعَا عِنْدَ وَاحِدٍ ... فَحَقٌّ لَهُ مِنْ طَاعَةٍ بِنَصِيبِ

الحسد

١٠٨ قَالَ بَعْضُ الْحُكَمَاءِ : مَا أَمْحَقُ لِلْإِيمَانِ وَلَا أَهْتَكُ لِلسِّتْرِ مِنَ الْحَسَدِ . وَذَلِكَ أَنَّ الْحَاسِدَ مُفَنِّدٌ لِحُكْمِ اللهِ . بَاغٍ عَلَى عِبَادِهِ . عَاتٍ عَلَى رَبِّهِ . يَعْتَدُّ نِعَمَ اللهِ نِقَمًا وَمَزِيدَهُ غُبَرًا . وَعَدْلَ قَضَائِهِ حَيْفًا لِلنَّاسِ حَالٌ وَلَهُ حَالٌ . لَيْسَ يَهْدَأُ لَيْلُهُ . وَلَا يَنَامُ جَشَعُهُ . وَلَا يَنْفَعُهُ عَيْشُهُ . مُحْتَقِرٌ لِنِعَمِ اللهِ عَلَيْهِ . مُتَسَخِّطٌ مَا جَرَتْ بِهِ أَقْدَارُهُ . وَلَا يَبْرُدُ غَلِيلُهُ . وَلَا تُؤْمَنُ غَوَائِلُهُ . إِنْ سَالَمْتَهُ وَتَرَكَ . وَإِنْ وَاصَلْتَهُ قَطَعَكَ . وَإِنْ صَرَمْتَهُ سَبَقَكَ . ذُكِرَ حَاسِدٌ عِنْدَ بَعْضِ الْحُكَمَاءِ فَقَالَ : يَا عَجَبًا لِرَجُلٍ أَسْلَكَهُ الشَّيْطَانُ مَهَاوِيَ الضَّلَالَةِ . وَأَوْرَدَهُ فُحَمَ الْهَلَكَةِ . فَصَارَ لِنِعَمِ اللهِ تَعَالَى بِالْمَرَاصِدِ إِنْ أَنَالَهَا مَنْ أَحَبَّ مِنْ عِبَادِهِ . أَشْعَرَ قَلْبَهُ الْأَسَفَ عَلَى مَا لَمْ يُقْدَرْ لَهُ . وَأَغَارَهُ الْكَلَفُ بِمَا لَمْ يَكُنْ لِيَنَالَهُ . قَالَ سُلَيْمَانُ التَّيْمِيُّ : الْحَسَدُ يُضْعِفُ الْيَقِينَ وَيُسْهِرُ الْعَيْنَ وَيُكْثِرُ الْهَمَّ . وَلِأَبِي الْعَتَاهِيَةِ :

أَيَا رَبِّ إِنَّ النَّاسَ لَا يُنْصِفُونَنِي ... وَكَيْفَ وَلَوْ أَنْصَفْتُهُمْ ظَلَمُونِي
وَإِنْ كَانَ لِي شَيْءٌ تَصَدَّوْا لِأَخْذِهِ ... وَإِنْ جِئْتُ أَبْغِي مِنْهُمُ مَنَعُونِي
وَإِنْ نَالَهُمْ بَذْلِي فَلَا شُكْرَ عِنْدَهُمْ ... وَإِنْ أَنَا لَمْ أَبْذِلْ لَهُمْ شَتَمُونِي

وَإِنْ طَرَقَتْنِي نِقْمَةٌ فَرِحُوا بِهَا وَإِنْ صَحِبَتْنِي نِعْمَةٌ حَسَدُونِي
سَأَمْنَعُ قَلْبِي أَنْ يَحِنَّ إِلَيْهِمِ وَأَحْجُبُ عَنْهُمْ نَاظِرِي وَجُفُونِي

كَتَبَ ٱبْنُ بِشْرٍ ٱلْمَرْوَزِيُّ إِلَى ٱبْنِ ٱلْمُبَارَكِ هٰذِهِ ٱلْأَبْيَاتَ :

كُلُّ ٱلْعَدَاوَةِ قَدْ تُرْجَى إِمَاتَتُهَا إِلَّا عَدَاوَةَ مَنْ عَادَاكَ مِنْ حَسَدِ
فَإِنَّ فِي ٱلْقَلْبِ مِنْهَا عُقْدَةً عُقِدَتْ وَلَيْسَ يَفْتَحُهَا رَاقٍ إِلَى ٱلْأَبَدِ

قَالَ بَعْضُهُمْ :

يَا طَالِبَ ٱلْعَيْشِ فِي أَمْنٍ وَفِي دَعَةٍ رَغْدًا بِلَا قَتَرٍ صَفْوًا بِلَا رَنَقِ
خَلِّصْ فُؤَادَكَ مِنْ غِلٍّ وَمِنْ حَسَدٍ فَٱلْغِلُّ فِي ٱلْقَلْبِ مِثْلُ ٱلْغُلِّ فِي ٱلْعُنُقِ

(لابن عبد ربّه)

وَقَالَ آخَرُ :

إِيَّاكَ وَٱلْحَسَدَ ٱلَّذِي هُوَ آفَةٌ فَتَوَقَّهُ وَتَوَقَّ غِرَّةَ مَنْ حَسَدْ
إِنَّ ٱلْحَسُودَ إِذَا أَرَاكَ مَوَدَّةً بِٱلْقَوْلِ فَهْوَ لَكَ ٱلْعَدُوُّ ٱلْمُجْتَهِدْ

وَلِبَعْضِ ٱلْأُدَبَاءِ يَنْصَحُ ٱلْحَسُودَ :

لَا يُحْزِنَنَّكَ فَقْرٌ إِنْ عَرَاكَ وَلَا تَتْبَعْ أَخَا لَكَ فِي مَالٍ لَهُ حَسَدَا
فَإِنَّهُ فِي رَخَاءٍ فِي مَعِيشَتِهِ وَأَنْتَ تَلْقَى بِذَاكَ ٱلْهَمَّ وَٱلنَّكَدَا

حفظ اللسان

١٠٩ إِعْلَمْ أَنَّهُ يَنْبَغِي لِلْعَاقِلِ ٱلْمُكَلَّفِ أَنْ يَحْفَظَ لِسَانَهُ عَنْ جَمِيعِ ٱلْكَلَامِ إِلَّا كَلَامًا تَظْهَرُ ٱلْمَصْلَحَةُ فِيهِ. وَمَتَى ٱسْتَوَى ٱلْكَلَامُ وَتَرْكُهُ فِي ٱلْمَصْلَحَةِ فَٱلسُّنَّةُ ٱلْإِمْسَاكُ عَنْهُ. لِأَنَّهُ قَدْ يَجُرُّ ٱلْكَلَامُ ٱلْمُبَاحُ إِلَى

حَرَامٍ أَوْ مَكْرُوهٍ . بَلْ هٰذَا كَثِيرٌ وَغَالِبٌ فِي الْعَادَةِ . وَالسَّلَامَةُ لَا يُعَادِلُهَا شَيْءٌ . قَالَ وَهْبُ بْنُ الْوَرْدِ : بَلَغَنَا أَنَّ الْحِكْمَةَ عَشَرَةُ أَجْزَاءٍ تِسْعَةٌ مِنْهَا فِي الصَّمْتِ وَالْعَاشِرَةُ فِي عُزْلَةِ النَّاسِ . وَمِنْ كَلَامِ الْحُكَمَاءِ : مَنْ نَطَقَ مِنْ غَيْرِ خَيْرٍ فَقَدْ لَغَا . وَمَنْ نَظَرَ فِي غَيْرِ اعْتِبَارٍ فَقَدْ سَهَا . وَمَنْ سَكَتَ فِي غَيْرِ فِكْرٍ فَقَدْ لَهَا . وَقِيلَ : لَوْ قَرَأْتَ صَحِيفَتَكَ . لَأَعْمَدَتْ صَفِيحَتَكَ . وَلَوْ رَأَيْتَ مَا فِي مِيزَانِكَ . لَخَتَمْتَ عَنْ لِسَانِكَ . وَقِيلَ : الْكَلِمَةُ أَسِيرَةٌ فِي وِثَاقِ الرَّجُلِ . فَإِذَا تَكَلَّمَ بِهَا صَارَ فِي وِثَاقِهَا . يَقُولُ اللِّسَانُ كُلَّ صَبَاحٍ وَكُلَّ مَسَاءٍ لِلْجَوَارِحِ : كَيْفَ أَنْتُنَّ . فَيَقُلْنَ بِخَيْرٍ إِنْ تَرَكْتَنَا (للابشيهي)

قَالَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ :

إِنَّ الْقَلِيلَ مِنَ الْكَلَامِ بِأَهْلِهِ ... حَسَنٌ وَإِنَّ كَثِيرَهُ مَمْقُوتُ
مَا زَلَّ ذُو صَمْتٍ وَمَا مِنْ مُكْثِرٍ ... إِلَّا يَزِلُّ وَمَا يُعَابُ صَمُوتُ
إِنْ كَانَ يَنْطِقُ نَاطِقٌ مِنْ فَضْلِهِ ... فَالصَّمْتُ دُرٌّ زَانَهُ يَاقُوتُ

قَالَ بَعْضُ الْحُكَمَاءِ : إِذَا قُلْتَ فَأَوْجِزْ . فَإِذَا بَلَغْتَ حَاجَتَكَ فَلَا تَتَكَلَّفْ . وَقَالَ أَيْضًا : أَنْتَ سَالِمٌ مَا سَكَتَّ . فَإِذَا تَكَلَّمْتَ فَلَكَ أَوْ عَلَيْكَ . وَقَالَ عَمْرُو بْنُ الْعَاصِ : الْكَلَامُ كَالدَّوَاءِ إِنْ أَقْلَلْتَ مِنْهُ نَفَعَ . وَإِنْ أَكْثَرْتَ مِنْهُ صَدَعَ . وَقَالَ لُقْمَانُ لِابْنِهِ : يَا بُنَيَّ إِنَّ مِنَ الْكَلَامِ مَا هُوَ أَشَدُّ مِنَ الْحَجَرِ . وَأَنْفَذُ مِنْ وَخْزِ الْإِبَرِ . وَأَمَرُّ مِنَ الصَّبِرِ . وَأَحَرُّ مِنَ الْجَمْرِ . وَإِنَّ الْقُلُوبَ مَزَارِعُ فَازْرَعْ فِيهَا طَيِّبَ

ٱلْكَلَامِ . فَإِنْ لَمْ يَنْبُتْ فِيهَا كُلُّهُ نَبَتَ بَعْضُهُ . وَقَالَ عَلِيٌّ : مَا حَبَسَ ٱللهُ جَارِحَةً فِي حِصْنٍ أَوْثَقَ مِنَ ٱللِّسَانِ . ٱلْأَسْنَانُ أَمَامَهُ وَٱلشَّفَتَانِ مِنْ وَرَاءِ ذٰلِكَ . وَٱللَّهَاةُ مُطْبِقَةٌ عَلَيْهِ وَٱلْقَلْبُ مِنْ وَرَاءِ ذٰلِكَ . فَٱتَّقِ ٱللهَ وَلَا تُطْلِقْ هٰذَا ٱلْمَحْبُوسَ مِنْ حَبْسِهِ إِلَّا إِذَا أَمِنْتَ شَرَّهُ . وَقَالَ بَعْضُ ٱلْأُدَبَاءِ : ٱحْبِسْ لِسَانَكَ قَبْلَ أَنْ يُطِيلَ حَبْسَكَ (للشبراوي)

قَالَ ٱلشَّاعِرُ :

وَٱحْفَظْ لِسَانَكَ وَٱحْتَرِزْ مِنْ لَفْظِهِ ... فَٱلْمَرْءُ يَسْلَمُ بِٱللِّسَانِ وَيَعْطَبُ
وَزِنِ ٱلْكَلَامَ إِذَا نَطَقْتَ وَلَا تَكُنْ ... ثَرْثَارَةً فِي كُلِّ نَادٍ تَخْطُبُ

قَالَ أَبُو بَكْرِ بْنُ سَعْدُونَ :

سِجْنُ ٱللِّسَانِ هُوَ ٱلسَّلَامَةُ لِلْفَتَى ... مِنْ كُلِّ نَازِلَةٍ لَهَا ٱسْتِصْحَالُ
إِنَّ ٱللِّسَانَ إِذَا حَلَلْتَ عِقَالَهُ ... أَلْقَاكَ فِي شَنْعَاءَ لَيْسَ تُقَالُ

قَالَ أَبُو عُثْمَانَ بْنُ لِئُونَ ٱلتُّجِيبِيُّ :

نَزِّهْ لِسَانَكَ عَنْ قَوْلٍ تُعَابُ بِهِ ... وَٱرْغَبْ بِسَمْعِكَ عَنْ قِيلٍ وَعَنْ قَالِ
لَا تَبْغِ غَيْرَ ٱلَّذِي يَعْنِيكَ وَٱطَّرِحِ ٱلْفُضُولَ تَحْيَ قَرِيرَ ٱلْعَيْنِ وَٱلْبَالِ

كتمان السر

١١١ قَالَ حَكِيمٌ : كَمَا أَنَّهُ لَا خَيْرَ فِي آنِيَةٍ لَا تُمْسِكُ مَا فِيهَا . كَذٰلِكَ لَا خَيْرَ فِي صَدْرٍ لَا يَكْتُمُ سِرَّهُ . قَالَ آخَرُ : مَنْ كَتَمَ سِرَّهُ سَرَّهُ . وَأَمِنَ ٱلنَّاسُ شَرَّهُ . وَمَنْ حَكَمَ لِسَانَهُ شَانَهُ . وَأَفْسَدَ شَانَهُ . وَقَالَ بَعْضُهُمْ : مَنْ زَعَمَ أَنَّهُ يَجِدُ رَاحَةً فِي إِفْشَاءِ سِرِّهِ إِلَى غَيْرِهِ فَقَدِ ٱتَّهَمَ عَقْلَهُ .

لِأَنَّ مَشَقَّةَ ٱلِٱسْتِبْدَادِ بِٱلسِّرِّ أَقَلُّ مِنْ مَشَقَّةِ إِفْشَائِهِ بِسَبَبِ ٱلْمُشَارَكَةِ (للشبراوي)

قَالَ ٱلْقَاضِي ٱلْأَسْعَدُ أَبُو ٱلْمَكَارِمِ ٱلْمِصْرِيُّ ٱلْكَاتِبُ:

وَأَكْتُمُ ٱلسِّرَّ حَتَّى عَنْ إِعَادَتِهِ إِلَى ٱلْمُسِرِّ بِهِ مِنْ غَيْرِ نِسْيَانِ
وَذَاكَ أَنَّ لِسَانِي لَيْسَ يُعْلِمُهُ سَمْعِي بِسِرِّ ٱلَّذِي قَدْ كَانَ نَاجَانِي

١١٢ (فِي ٱلتَّاجِ): إِنَّ بَعْضَ مُلُوكِ ٱلْعَجَمِ ٱسْتَشَارَ وَزِيرَيْهِ. فَقَالَ أَحَدُهُمَا: لَا يَنْبَغِي لِلْمَلِكِ أَنْ يَسْتَشِيرَ مِنَّا أَحَدًا إِلَّا خَالِيًا. فَإِنَّهُ أَمُوتُ لِلسِّرِّ وَأَحْزَمُ لِلرَّأْيِ وَأَجْدَرُ بِٱلسَّلَامَةِ وَأَعْفَى لِبَعْضِنَا مِنْ غَائِلَةِ بَعْضٍ. فَإِنَّ إِفْشَاءَ ٱلسِّرِّ لِرَجُلٍ وَاحِدٍ أَوْثَقُ مِنْ إِفْشَائِهِ إِلَى ٱثْنَيْنِ. وَإِفْشَاءَهُ إِلَى ثَلَاثَةٍ كَإِفْشَائِهِ إِلَى جَمَاعَةٍ. فَإِذَا كَانَ ٱلسِّرُّ عِنْدَ وَاحِدٍ كَانَ أَحْرَى أَنْ لَا يَظْهَرَ رَغْبَةً وَرَهْبَةً. وَإِنْ كَانَ عِنْدَ ٱثْنَيْنِ دَخَلَتْ عَلَى ٱلْمَلِكِ ٱلشُّبْهَةُ وَٱتَّسَعَتْ عَلَى ٱلرَّجُلَيْنِ ٱلْمَعَارِيضُ فَإِنْ عَاقَبَهُمَا عَاقَبَ ٱثْنَيْنِ بِذَنْبِ وَاحِدٍ. وَإِنِ ٱتَّهَمَهُمَا ٱتَّهَمَ بَرِيئًا بِخِيَانَةِ مُجْرِمٍ. وَإِنْ عَفَا عَنْهُمَا كَانَ ٱلْعَفْوُ عَنْ أَحَدِهِمَا وَلَا ذَنْبَ لَهُ وَعَنِ ٱلْآخَرِ وَلَا حُجَّةَ مَعَهُ

الغيبة

١١٣ عَابَ رَجُلٌ رَجُلًا عِنْدَ بَعْضِ ٱلْأَشْرَافِ فَقَالَ لَهُ: قَدِ ٱسْتَدْلَلْتُ عَلَى كَثْرَةِ عُيُوبِكَ بِمَا تُكْثِرُ مِنْ عُيُوبِ ٱلنَّاسِ. لِأَنَّ طَالِبَ ٱلْعُيُوبِ إِنَّمَا يَطْلُبُهَا بِقَدْرِ مَا فِيهِ مِنْهَا. أَمَا سَمِعْتَ قَوْلَ ٱلشَّاعِرِ:

لَا تَهْتِكَنْ مِنْ مَسَاوِي ٱلنَّاسِ مَا سَتَرُوا فَيَهْتِكَ ٱللهُ سِتْرًا مِنْ مَسَاوِيكَا

وَاذْكُرْ مَحَاسِنَ مَا فِيهِمْ إِذَا ذُكِرُوا وَلَا تَعِبْ أَحَدًا مِنْهُمْ بِمَا فِيكَا

(لابن عبد ربّه)

قَالَ ٱبْنُ ٱلْحَاجِّ ٱلدَّلَفِيُّ :

إِنَّ ٱلْكَرِيمَ ٱلَّذِي تَبْقَى مَوَدَّتُهُ وَيَحْفَظُ ٱلسِّرَّ إِنْ صَافَى وَإِنْ صَرَمَا
لَيْسَ ٱلْكَرِيمُ ٱلَّذِي إِنْ غَابَ صَاحِبُهُ بَثَّ ٱلَّذِي كَانَ مِنْ أَسْرَارِهِ عَلِمَا

وَقَالَ أَيْضًا :

إِذَا مَا كَتَمْتُ ٱلسِّرَّ عَمَّنْ أَوَدُّهُ تَوَهَّمَ أَنَّ ٱلْوِدَّ غَيْرُ حَقِيقِ
وَلَمْ أُخْفِ عَنْهُ ٱلسِّرَّ مِنْ ضِنَّةٍ بِهِ وَلٰكِنَّنِي أَخْشَى صَدِيقَ صَدِيقِي

قَالَ بَعْضُ ٱلْحُكَمَاءِ : لَا تُطِعْ كُلَّ حَلَّافٍ مُهِينٍ هَمَّازٍ مَشَّاءٍ بِنَمِيمٍ ٱلْآيَةَ . وَحَسْبُكَ بِٱلنَّمَّامِ خِسَّةً وَرَذِيلَةً سُقُوطُهُ وَضَعَتُهُ (وَٱلْهَمَّازُ ٱلْمُغْتَابُ ٱلَّذِي يَأْكُلُ لُحُومَ ٱلنَّاسِ ٱلطَّاعِنُ فِيهِمْ) . قَالَ حَكِيمٌ : أَلَا أُخْبِرُكُمْ بِشِرَارِكُمْ . قَالُوا : بَلَى . قَالَ : شِرَارُكُمُ ٱلْمَشَّاؤُونَ بِٱلنَّمِيمَاتِ ٱلْمُفْسِدُونَ بَيْنَ ٱلْأَحِبَّةِ ٱلْبَاغُونَ ٱلْعُيُوبَ . وَقِيلَ مَلْعُونٌ ذُو ٱلْوَجْهَيْنِ . مَلْعُونٌ ذُو ٱللِّسَانَيْنِ . مَلْعُونٌ كُلُّ شَغَّازٍ . مَلْعُونٌ كُلُّ قَتَّاتٍ . مَلْعُونٌ كُلُّ نَمَّامٍ . مَلْعُونٌ كُلُّ مَنَّانٍ (وَٱلشَّغَّازُ ٱلْمُحَرِّشُ بَيْنَ ٱلنَّاسِ يُلْقِي بَيْنَهُمُ ٱلْعَدَاوَةَ . وَٱلْقَتَّاتُ ٱلنَّمَّامُ . وَٱلْمَنَّانُ ٱلَّذِي يَعْمَلُ ٱلْخَيْرَ وَيَمُنُّ بِهِ) . قَالَ آخَرُ : ٱحْذَرُوا أَعْدَاءَ ٱلْعُقُولِ وَٱللُّصُوصَ ٱلْمُوَدَّاتِ . وَهُمُ ٱلسُّعَاةُ وَٱلنَّمَّامُونَ . إِذَا سَرَقَ ٱللُّصُوصُ ٱلْمَتَاعَ سَرَقُوا هُمُ ٱلْمَوَدَّاتِ . وَفِي ٱلْمَثَلِ ٱلسَّائِرِ : مَنْ أَطَاعَ ٱلْوَاشِيَ ضَيَّعَ ٱلصَّدِيقَ وَقَدْ تُقْطَعُ ٱلشَّجَرَةُ فَتَنْبُتُ

وَيَقْطَعُ اللَّحْمَ السَّيْفُ فَيَنْدَمِلُ . وَاللِّسَانُ لَا يَنْدَمِلُ جُرْحُهُ . قَالَ صَالِحُ بْنُ عَبْدِ الْقُدُّوسِ :

قُلْ لِلَّذِي لَسْتُ أَدْرِي مِنْ تَلَوُّنِهِ ... أَنَاصِحٌ أَمْ عَلَى غِشٍّ يُنَاجِينِي
إِنِّي لَأَكْثَرُ مِمَّا سُمْتَنِي عَجَبًا ... يَدٌ تَشُجُّ وَأُخْرَى مِنْكَ تَأْسُونِي
تَغْتَابُنِي عِنْدَ أَقْوَامٍ وَتَمْدَحُنِي ... فِي آخَرِينَ وَكُلٌّ عَنْكَ يَأْتِينِي
هٰذَانِ شَيْئَانِ قَدْ نَافَيْتَ بَيْنَهُمَا ... فَاكْفُفْ لِسَانَكَ عَنْ شَتْمِي وَتَزْيِينِي

١١٤ وَقَالَ الْمَأْمُونُ : النَّمِيمَةُ لَا تُقَرِّبُ مَوَدَّةً إِلَّا أَفْسَدَتْهَا . وَلَا عَدَاوَةً إِلَّا جَدَّدَتْهَا وَلَا جَمَاعَةً إِلَّا بَدَّدَتْهَا . ثُمَّ لَا بُدَّ لِمَنْ عُرِفَ بِهَا وَنُسِبَ إِلَيْهَا أَنْ يُجْتَنَبَ وَيُخَافَ مِنْ مَعْرِفَتِهِ وَلَا يُوثَقَ بِمَكَانِهِ . وَأَنْشَدَ بَعْضُهُمْ :

مَنْ نَمَّ فِي النَّاسِ لَمْ تُؤْمَنْ عَقَارِبُهُ ... عَلَى الصَّدِيقِ وَلَمْ تُؤْمَنْ أَفَاعِيهِ
كَالسَّيْلِ بِاللَّيْلِ لَا يَدْرِي بِهِ أَحَدٌ ... مِنْ أَيْنَ جَاءَ وَلَا مِنْ أَيْنَ يَأْتِيهِ
أَلْوَيْلُ لِلْعَهْدِ مِنْهُ كَيْفَ يَنْقُضُهُ ... وَالْوَيْلُ لِلْوُدِّ مِنْهُ كَيْفَ يُفْنِيهِ

(للابشيهي)

الصدق والكذب

١١٥ قَالَ عَلِيُّ بْنُ عُبَيْدَةَ : الْكَذِبُ شِعَارُ الْخِيَانَةِ وَتَحْرِيفُ الْعِلْمِ وَخَوَاطِرُ الزُّورِ وَتَسْوِيلُ أَضْغَاثِ النَّفْسِ وَأُعْوِجَاجُ التَّرْكِيبِ وَاخْتِلَافُ الْبُنْيَةِ . وَعَنْ حُمُولِ الذِّكْرِ مَا يَكُونُ صَاحِبُهُ قَالَ أَعْرَابِيٌّ لِابْنِهِ وَسَمِعَهُ يَكْذِبُ : يَا بُنَيَّ عَجِبْتُ مِنَ الْكَذَّابِ الْمُشِيدِ بِكَذِبِهِ وَإِنَّمَا يَدُلُّ عَلَى عَيْبِهِ وَيَتَعَرَّضُ لِلْعِقَابِ مِنْ رَبِّهِ . فَالْآثَامُ لَهُ عَادَةٌ . وَالْأَخْبَارُ عَنْهُ

مُتَضَادَّةٌ . إِنْ قَالَ حَقًّا لَمْ يُصَدَّقْ . وَإِنْ أَرَادَ خَيْرًا لَمْ يُوَفَّقْ . فَهُوَ الْجَانِي عَلَى نَفْسِهِ بِفِعَالِهِ . وَالدَّالُّ عَلَى فَضِيحَتِهِ بِمَقَالِهِ . فَمَا صَحَّ مِنْ صِدْقِهِ نُسِبَ إِلَى غَيْرِهِ وَمَا صَحَّ مِنْ كَذِبِ غَيْرِهِ نُسِبَ إِلَيْهِ (لابن عبد ربّه)

قَالَ بَعْضُهُمْ :

إِيَّاكَ مِنْ كَذِبِ الْكَذُوبِ وَإِفْكِهِ فَلَرُبَّمَا مَزَجَ الْيَقِينَ بِشَكِّهِ
وَلَرُبَّمَا ضَحِكَ الْكَذُوبُ تَفَكُّهًا وَبَكَى مِنَ الشَّيْءِ الَّذِي لَمْ يَبْكِهِ
وَلَرُبَّمَا صَمَتَ الْكَذُوبُ تَخَلُّقًا وَسَكَا مِنَ الشَّيْءِ الَّذِي لَمْ يُشْكِهِ
وَلَرُبَّمَا كَذَبَ امْرُؤٌ بِكَلَامِهِ وَبِصَمْتِهِ وَبُكَائِهِ وَبِضَحْكِهِ

المزاح

١١٦ قَالَ الْحَجَّاجُ بْنُ يُوسُفَ لِابْنِ الْقُرَيَّةِ : مَا زَالَتِ الْحُكَمَاءُ تَكْرَهُ الْمُزَاحَ وَتَنْهَى عَنْهُ . فَقَالَ : الْمُزَاحُ مِنْ أَدْنَى مَنْزِلَتِهِ إِلَى أَقْصَاهَا عَشَرَةُ أَبْوَابٍ . الْمُزَاحُ أَوَّلُهُ فَرَحٌ وَآخِرُهُ تَرَحٌ . الْمُزَاحُ نَقَائِضُ السُّفَهَاءِ كَالشِّعْرِ نَقَائِضُ الشُّعَرَاءِ . وَالْمُزَاحُ يُوغِرُ صَدْرَ الصَّدِيقِ . وَيُنَفِّرُ الرَّفِيقَ . وَالْمُزَاحُ يُبْدِي السَّرَائِرَ . لِأَنَّهُ يُظْهِرُ الْمَعَايِبَ . وَالْمُزَاحُ يُسْقِطُ الْمُرُوءَةَ . وَيُبْدِي الْحَنَى . لَمْ يَجُرَّ الْمُزَاحُ خَيْرًا . وَكَثِيرًا مَا جَرَّ شَرًّا . الْغَالِبُ بِالْمُزَاحِ وَاتِرٌ . وَالْمَغْلُوبُ بِهِ ثَائِرٌ . وَالْمُزَاحُ يَجْلُبُ الشَّتْمَ صَغِيرُهُ . وَالْحَرْبَ كَبِيرُهُ . وَلَيْسَ بَعْدَ الْحَرْبِ إِلَّا عَفْوٌ بَعْدَ قُدْرَةٍ . فَقَالَ الْحَجَّاجُ : حَسْبُكَ الْمَوْتُ خَيْرٌ مِنْ عَفْوٍ مَعَهُ قُدْرَةٌ . وَذُكِرَ الْمُزَاحُ بِحَضْرَةِ خَالِدِ بْنِ صَفْوَانَ فَقَالَ : يُشَقِّقُ أَحَدُكُمْ أَخَاهُ مِثْلَ الْخَرْدَلِ . وَيُفْرِغُ عَلَيْهِ مِثْلَ

ٱلْمِرْجَلِ . وَيَرْمِيهِ مِثْلَ ٱلْجُنْدَلِ . ثُمَّ يَقُولُ : إِنَّمَا كُنْتُ أَمْزَحُ . أَخَذَ هٰذَا ٱلْمَعْنَى مَحْمُودُ بْنُ ٱلْحُسَيْنِ ٱلْوَرَّاقُ فَقَالَ :

تَلْقَى ٱلْفَتَى يَلْقَى أَخَاهُ وَخِدْنَهُ ... فِي لَحْنِ مَنْطِقِهِ بِمَا لَا يُغْفَرُ
وَيَقُولُ كُنْتُ مُمَازِحًا وَمُلَاعِبًا ... هَيْهَاتِ نَارُكَ فِي ٱلْحَشَى تَتَسَعَّرُ
أَوَمَا عَلِمْتَ وَكَانَ جَهْلُكَ غَالِبًا ... أَنَّ ٱلْمُزَاحَ هُوَ ٱلسِّبَابُ ٱلْأَصْغَرُ

(للقيرواني)

الصداقة وخلوص المودة

١١٧ (قِيلَ فِي ٱلْمُبْهِجِ) : ٱلصَّدِيقُ ٱلصَّدُوقُ ثَانِي ٱلنَّفْسِ وَثَالِثُ ٱلْعَيْنَيْنِ . (وَمِنْهُ) ٱلصَّدِيقُ ٱلصَّدُوقُ . كَٱلشَّقِيقِ ٱلشَّفُوقِ . (وَمِنْهُ) ٱلصَّدِيقُ عُمْدَةُ ٱلصَّدِيقِ وَعُدَّتُهُ . وَنُصْرَتُهُ وَعُقْدَتُهُ . وَرَبِيعُهُ وَزَهْرَتُهُ . وَمُشْتَرِيهِ وَزُهَرَتُهُ . وَمِنْهُ لِقَاءُ ٱلْخَلِيلِ شِفَاءُ ٱلْغَلِيلِ . وَلَيْسَ لِلصَّدِيقِ إِذَا حَضَرَ عَدِيلٌ . وَلَا عَنْهُ إِذَا غَابَ بَدِيلٌ . وَمَثَلُ ٱلصَّدِيقَيْنِ كَٱلْيَدِ تَسْتَعِينُ بِٱلْيَدِ وَٱلْعَيْنِ بِٱلْعَيْنِ . (وَمِنْهُ) لِقَاءُ ٱلصَّدِيقِ رُوحُ ٱلْحَيَاةِ . وَفِرَاقُهُ سُمُّ ٱلْمَمَاتِ . (وَمِنْهُ) لَا تُسَاغُ مَرَارَةُ ٱلْأَوْقَاتِ . إِلَّا بِحَلَاوَةِ ٱلْإِخْوَانِ ٱلثِّقَاتِ . فَٱسْتَرِحْ مِنْ غُمَّةِ ٱلزَّمَانِ بِمُؤَانَسَةِ ٱلْخُلَّانِ . (وَمِنْهُ) ٱلْحَاجَةُ إِلَى ٱلْأَخِ ٱلْمُعِينِ . كَٱلْحَاجَةِ إِلَى ٱلْمَاءِ ٱلْمَعِينِ . وَلِبَعْضِهِمْ فِي مَعْنَى هٰذَا ٱلْبَابِ :

مَا ضَاعَ مَنْ كَانَ لَهُ صَاحِبٌ ... يَقْدِرُ أَنْ يُصْلِحَ مِنْ شَانِهِ
فَإِنَّمَا ٱلدُّنْيَا بِسُكَّانِهَا ... وَإِنَّمَا ٱلْمَرْءُ بِإِخْوَانِهِ

١١٨ قَالَ أَبُو تَمَّامٍ :

ذُو الْوُدِّ مِنِّي وَذُو الْقُرْبَى بِمَنْزِلَةٍ ... وَإِخْوَتِي أُسْوَةٌ عِنْدِي وَإِخْوَانِي
عِصَابَةٌ جَاوَرَتْ آدَابُهُمْ أَدَبِي ... فَهُمْ وَإِنْ فُرِّقُوا فِي الْأَرْضِ جِيرَانِي
أَرْوَاحُنَا فِي مَكَانٍ وَاحِدٍ وَغَدَتْ ... أَبْدَانُنَا بِشَآمٍ أَوْ خُرَاسَانِ

قَالَ غَيْرُهُ :

إِنَّ الصَّدَاقَةَ أَوْلَاهَا السَّلَامُ وَمِنْ ... بَعْدِ السَّلَامِ طَعَامٌ ثُمَّ تَرْحِيبُ
وَبَعْدَ ذَاكَ كَلَامٌ فِي مُلَاطَفَةٍ ... وَضِحْكُ ثَغْرٍ وَإِحْسَانٌ وَتَقْرِيبُ
وَأَصْلُ ذَلِكَ أَنْ تَبْغِي شَمَائِلَهَا ... بَيْنَ الْأَحِبَّةِ تَأْيِيدٌ وَتَأْدِيبُ
لَمْ تَنْسَ غَيْبًا وَلَمْ تَمْلَلْ إِذَا حَضَرُوا ... قَدْ زَانَ ذَلِكَ تَهْذِيبٌ وَتَرْتِيبُ
إِنَّ الْكِرَامَ إِذَا مَا صَادَقُوا صَدَقُوا ... لَمْ يَثْنِهِمْ عَنْهُ تَرْغِيبٌ وَتَرْهِيبُ

قَالَ إِسْحَاقُ ظَهِيرُ الدِّينِ الْمَوْصِلِيُّ :

لَا تَنْسُبُونِي يَا ثِقَاتِي إِلَى ... غَدْرٍ فَلَيْسَ الْغَدْرُ مِنْ شِيَمِي
أَقْسَمْتُ بِالذَّهَابِ مِنْ عَيْشِنَا ... وَبِالْمَسَرَّاتِ الَّتِي وَلَّتِ
إِنِّي عَلَى عَهْدِهِمْ لَمْ أَحْلُ ... وَعُقْدَةُ الْمِيثَاقِ مَا حُلَّتِ

١١٩ ذَكَرَ صَاحِبُ كِتَابِ الْأَغَانِي فِي أَخْبَارِ عَلَوِيَّةَ الْمَجْنُونِ أَنَّهُ دَخَلَ يَوْمًا عَلَى الْمَأْمُونِ وَهُوَ يَرْقُصُ وَيُصَفِّقُ بِيَدَيْهِ وَيُغَنِّي بِهَذَيْنِ الْبَيْتَيْنِ :

عَذِيرِي مِنَ الْإِنْسَانِ لَا إِنْ جَفَوْتُهُ ... صَفَالِي وَلَا إِنْ صِرْتُ طَوْعَ يَدَيْهِ
وَإِنِّي لَمُشْتَاقٌ إِلَى ظِلِّ صَاحِبٍ ... يَرُوقُ وَيَصْفُو إِنْ كَدُرْتُ عَلَيْهِ

فَسَمِعَ الْمَأْمُونُ وَجَمِيعُ مَنْ حَضَرَ الْمَجْلِسَ مِنَ الْمُغَنِّينَ وَغَيْرِهِمْ مَا لَمْ يَعْرِفُوا

وَٱسْتَظْرَفَهُ ٱلْمَأْمُونُ . وَقَالَ : ٱدْنُ يَا عَلَوِيَّةُ وَرَدِّدْهَا . فَرَدَّدَهَا عَلَيْهِ سَبْعَ مَرَّاتٍ . فَقَالَ ٱلْمَأْمُونُ : يَا عَلَوِيَّةُ خُذِ ٱلْخِلَافَةَ وَأَعْطِنِي هٰذَا ٱلصَّاحِبَ

(لبهاء الدين)

١٢٠ قَالَ بَشَّارٌ :

خَيْرُ إِخْوَانِكَ ٱلْمُشَارِكُ فِي ٱلْمُرِّ وَأَيْنَ ٱلشَّرِيكُ فِي ٱلْمُرِّ أَيْنَا
أَلَّذِي إِنْ شَهِدتَّ سَرَّكَ فِي ٱلْحَيِّ وَإِنْ غِبْتَ كَانَ سَمْعًا وَعَيْنَا
أَنْتَ فِي مَعْشَرٍ إِذَا غِبْتَ عَنْهُمْ بَدَلُوا كُلَّ مَا يَزِينُكَ شَيْنَا
وَإِذَا مَا رَأَوْكَ قَالُوا جَمِيعًا أَنْتَ مِنْ أَكْرَمِ ٱلْبَرَايَا عَلَيْنَا
مَا أَرَى لِلْأَنَامِ وِدًّا صَحِيحًا صَارَ كُلُّ ٱلْوِدَادِ زُورًا وَمَيْنَا

قَالَ بَشَّارُ بْنُ بُرْدٍ :

إِذَا كُنْتَ فِي كُلِّ ٱلْأُمُورِ مُعَاتِبًا صَدِيقَكَ لَمْ تَلْقَ ٱلَّذِي لَا تُعَاتِبُهْ
وَإِنْ أَنْتَ لَمْ تَشْرَبْ مِرَارًا عَلَى ٱلْقَذَى ظَمِئْتَ وَأَيُّ ٱلنَّاسِ تَصْفُو مَشَارِبُهْ
فَعِشْ وَاحِدًا أَوْ صِلْ أَخَاكَ فَإِنَّهُ مُقَارِفُ ذَنْبٍ مَرَّةً وَمُجَانِبُهْ

١٢١ كَانَ لِمُحَمَّدِ بْنِ حَازِمٍ ٱلْبَاهِلِيِّ صَدِيقٌ عَلَى طُولِ ٱلْأَيَّامِ . فَنَالَ مَرْتَبَةً مِنَ ٱلسُّلْطَانِ وَعَلَا قَدْرُهُ فَجَفَا مُحَمَّدًا وَتَغَيَّرَ لَهُ . فَقَالَ فِي ذٰلِكَ مُحَمَّدُ بْنُ حَازِمٍ :

وَصَلَ ٱلْمُلُوكُ إِلَى ٱلتَّعَالِي وَوَفَا ٱلْمُلُوكِ مِنَ ٱلْمُحَالِ
مَالِي رَأَيْتُكَ لَا تَدُو مُ عَلَى ٱلْمَوَدَّةِ لِلرِّجَالِ
إِنْ كَانَ ذَا أَدَبٍ وَظَرْ فٍ قُلْتَ ذَاكَ أَخُو ضَلَالِ

أَوْ كَانَ ذَا نَسَكٍ وَدِينٍ قُلْتَ ذَاكَ مِنَ ٱلتُّقَالِ
أَوْ كَانَ فِي وَسَطٍ مِنَ ٱلْأَمْرَيْنِ قُلْتَ يُرِيعُ مَالِي
فَبِمِثْلِ ذَا ثَكِلَتْكَ أُمُّكَ تَبْتَغِي رُتَبَ ٱلْمَعَالِي

١٢٢ قَالَ ٱلْعَنَزِيُّ وَأَنْشَدَنِي بَعْضُ أَصْحَابِنَا لِحَمَّادٍ :

كَمْ مِنْ أَخٍ لَكَ لَسْتَ تُنْكِرُهُ مَا دُمْتَ مِنْ دُنْيَاكَ فِي يُسْرِ
مُتَصَنِّعٌ لَكَ فِي مَوَدَّتِهِ يَلْقَاكَ بِٱلتَّرْحِيبِ وَٱلْبِشْرِ
يُطْرِي ٱلْوَفَاءَ وَذَا ٱلْوَفَاءِ وَيَلْحَى ٱلْغَدْرَ مُجْتَهِدًا وَذَا ٱلْغَدْرِ
فَإِذَا عَدَا وَٱلدَّهْرُ ذُو غِيَرٍ دَهْرٌ عَلَيْكَ عَدَا مَعَ ٱلدَّهْرِ
فَٱرْفِضْ بِإِجْمَالٍ مَوَدَّةَ مَنْ يَقْلِي ٱلْمُقِلَّ وَيَعْشَقُ ٱلْمُثْرِي
وَعَلَيْكَ مَنْ حَالَاهُ وَاحِدَةٌ فِي ٱلْعُسْرِ إِمَّا كُنْتَ وَٱلْيُسْرِ
لَا تَخْلِطَنَّهُمُ بِغَيْرِهِمِ مَنْ يَخْلِطُ ٱلْعِقْيَانَ بِٱلصُّفْرِ

قَالَ ٱلْقَاضِي عَبْدُ ٱلْجَوَّادِ ٱلْمَنُوفِيُّ :

أَتَزْعُمُ أَنَّكَ ٱلْخِدْنُ ٱلْمُفَدَّى وَأَنْتَ مُصَادِقٌ أَعْدَايَ حَقَّا
إِلَيَّ إِلَيَّ فَٱجْعَلْنِي صَدِيقًا وَصَادِقْ مَنْ أُصَادِقُهُ تُحِقَّا
وَجَانِبْ مَنْ أُعَادِيهِ إِذَا مَا أَرَدْتَ تَكُونَ لِي خِدْنًا وَتَبْقَى

قَالَ أَوْسُ بْنُ حَجَرٍ :

وَلَيْسَ أَخُوكَ ٱلدَّائِمُ ٱلْعَهْدِ بِٱلَّذِي يَذُمُّكَ إِنْ وَلَّى وَيُرْضِيكَ مُقْبِلَا
وَلَكِنْ أَخُوكَ ٱلنَّائِي مَا دُمْتَ آمِنًا وَصَاحِبُكَ ٱلْأَدْنَى إِذَا ٱلْأَمْرُ أَعْضَلَا

١٢٣ قَالَ ٱلْعُتَابِيُّ : ٱلْإِخْوَانُ ثَلَاثَةُ أَصْنَافٍ . فَرْعٌ بَائِنٌ مِنْ أَصْلِهِ

وَأَصْلٌ مُتَّصِلٌ بِفَرْعِهِ . وَفَرْعٌ لَيْسَ لَهُ أَصْلٌ . فَأَمَّا ٱلْفَرْعُ ٱلْبَائِنُ مِنْ أَصْلِهِ فَإِخَاءٌ بُنِيَ عَلَى مَوَدَّةٍ ثُمَّ ٱنْقَطَعَتْ فَحُفِظَ عَلَى زِمَامِ ٱلصُّحْبَةِ . وَأَمَّا ٱلْأَصْلُ ٱلْمُتَّصِلُ بِفَرْعِهِ فَإِخَاءٌ أَصْلُهُ ٱلْكَرَمُ وَأَغْصَانُهُ ٱلتَّقْوَى . وَأَمَّا ٱلْفَرْعُ ٱلَّذِي لَا أَصْلَ لَهُ فَٱلْمَوَدَّةُ ٱلظَّاهِرُ ٱلَّذِي لَيْسَ لَهُ بَاطِنٌ (لابن عبد ربه)

١٢٤ قَالَ ٱلْكَبَرِيُّ :

وَخَلِيلٍ لَمْ أَخُنْهُ سَاعَةً ... فِي دَمِي كَفَّيْهِ ظُلْمًا قَدْ غَمَسْ
كَانَ فِي سِرِّي وَجَهْرِي ثِقَتِي ... لَسْتُ عَنْهُ فِي مُهِمٍّ أَحْتَرِسْ
سَتَرَ ٱلْبُغْضَ بِأَلْفَاظِ ٱلْهَوَى ... وَٱدَّعَى ٱلْوُدَّ بِغِشٍّ وَدَلَسْ
إِنْ رَآنِي قَالَ لِي خَيْرًا وَإِنْ ... غِبْتُ عَنْهُ قَالَ شَرًّا وَدَحَسْ
ثُمَّ لَمَّا أَمْكَنَتْهُ فُرْصَةٌ ... حَمَلَ ٱلسَّيْفَ عَلَى مَجْرَى ٱلنَّفَسْ
وَأَرَادَ ٱلرُّوحَ لٰكِنْ خَانَهُ ... قَدَرٌ أَيْقَظَ مَنْ كَانَ نَعَسْ

وَقَالَ ٱبْنُ أَبِي حَازِمٍ :

وَصَاحِبٍ كَانَ لِي وَكُنْتُ لَهُ ... أَشْفَقَ مِنْ وَالِدٍ عَلَى وَلَدِ
كُنَّا كَسَاقٍ تَسْعَى بِهَا قَدَمٌ ... أَوْ كَذِرَاعٍ نِيطَتْ إِلَى عَضُدِ
حَتَّى إِذَا دَبَّتِ ٱلْحَوَادِثُ فِي ... عَظْمِي وَحَلَّ ٱلزَّمَانُ مِنْ عُقَدِي
إِحْوَلَّ عَنِّي وَكَانَ يَنْظُرُ مِنْ ... طَرْفِي وَيَرْمِي بِسَاعِدِي وَيَدِي

١٢٥ قَالَ بَعْضُ ٱلْحُكَمَاءِ : ٱلْإِخَاءُ جَوْهَرَةٌ رَقِيقَةٌ . وَهِيَ مَا لَمْ تُرَقَّهَا وَتَحْرُسْهَا مُعَرَّضَةٌ لِلْآفَاتِ فَرْضُ ٱلْأَبِيِّ بِٱلْجَفَاءِ لَهُ حَتَّى تَصِلَ إِلَى قُرْبِهِ . وَبِٱلْكَظْمِ حَتَّى يَعْتَذِرَ إِلَيْكَ مِنْ ظُلْمِكَ . وَٱلرِّضَا حَتَّى لَا

تَستَكثِرَ مِنْ نَفسِكَ بِالْفَضلِ وَلَا مِنْ أَخِيكَ بِالتَّقصِيرِ . (وَلِمَحْمُودٍ الْوَرَّاقِ) :

لَا بِرَّ أَعْظَمُ مِنْ مُسَاعَدَةٍ فَاشْكُرْ أَخَاكَ عَلَى مُسَاعَدَتِهْ
وَإِذَا هَفَا فَأَقِلْهُ هَفْوَتَهُ حَتَّى يَعُودَ أَخًا كَعَادَتِهْ
فَالصَّفْحُ عَنْ زَلَلِ الصَّدِيقِ وَإِنْ أَعْيَاكَ خَيْرٌ مِنْ مُعَانَدَتِهْ

١٢٦ قَالَ ابْنُ طَاهِرٍ فِي حُسْنِ الْعِشْرَةِ :

أُوَاصِلُ مَنْ هَوِيتُ عَلَى خِلَالٍ أَذُودُ بِهِنَّ لَيَّاتِ الْمَقَالِ
وَأَحْفَظُ سِرَّهُ وَالْغَيْبَ مِنْهُ وَأَرْعَى عَهْدَهُ فِي كُلِّ حَالِ
وَفَاءٌ لَا يَحُولُ بِهِ انْتِكَاثٌ وَوُدٌّ لَا تُخَوِّنُهُ اللَّيَالِي
وَأُوثِرُهُ عَلَى عُسْرٍ وَيُسْرٍ وَيَنْفُذُ حُكْمَهُ فِي سِرِّ مَالِي
وَأَغْفِرُ نَبْوَةَ الْإِدْلَالِ مِنْهُ إِذَا مَا لَمْ يَكُنْ غَيْرَ الدَّلَالِ
وَمَا أَنَا بِالْمَلُولِ وَلَا بِجَافٍ وَلَا الْغَدْرُ الْمُذَمَّمُ مِنْ فِعَالِي

قَالَ بَعْضُهُمْ يَصِفُ خِدَاعَ النَّاسِ وَنِفَاقَهُمْ :

وَإِخْوَانٍ تَخِذْتُهُمُ دُرُوعًا فَكَانُوهَا وَلَكِنْ لِلْأَعَادِي
وَخِلْتُهُمُ سِهَامًا صَائِبَاتٍ فَكَانُوهَا وَلَكِنْ فِي فُؤَادِي
وَقَالُوا قَدْ صَفَتْ مِنَّا قُلُوبٌ لَقَدْ صَدَقُوا وَلَكِنْ عَنْ وَدَادِي
وَقَالُوا قَدْ سَعَيْنَا كُلَّ سَعْيٍ لَقَدْ صَدَقُوا وَلَكِنْ فِي فَسَادِ

١٢٧ وَأَنْشَدَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ :

فَلَا تَصْحَبْ أَخَا السُّوءِ وَإِيَّاكَ وَإِيَّاهُ

فَكَمْ مِنْ جَاهِلٍ أَوْدَى حَلِيمًا حِينَ آخَاهُ
يُقَاسُ ٱلْمَرْءُ بِٱلْمَرْءِ إِذَا مَا ٱلْمَرْءُ مَاشَاهُ
وَفِي ٱلنَّاسِ مِنَ ٱلنَّاسِ مَقَايِيسٌ وَأَشْبَاهُ
وَفِي ٱلْعَيْنِ عَلَى ٱلْعَيْنِ إِذَا تَنْطِقُ أَفْوَاهُ
وَلِلْقَلْبِ عَلَى ٱلْقَلْبِ دَلِيلٌ حِينَ يَلْقَاهُ

كَتَبَ ٱلْمُعْتَصِمُ صَاحِبُ ٱلْمَرِيَّةِ إِلَى ٱبْنِ عَمَّارٍ:

وَزَهَّدَنِي فِي ٱلنَّاسِ مَعْرِفَتِي بِهِمْ وَطُولُ ٱخْتِبَارِي صَاحِبًا بَعْدَ صَاحِبِ
فَلَمْ تُرِنِي ٱلْأَيَّامُ خِلًّا تَسُرُّنِي مَبَادِيهِ إِلَّا سَاءَنِي فِي ٱلْعَوَاقِبِ
وَلَا كُنْتُ أَرْجُوهُ لِدَفْعِ مُلِمَّةٍ مِنَ ٱلدَّهْرِ إِلَّا كَانَ إِحْدَى ٱلْمَصَائِبِ

المطل في الوعد

١٢٨ قَالَ عَبْدُ ٱلرَّحْمَانِ ٱبْنُ أُمِّ ٱلْحَكَمِ لِعَبْدِ ٱلْمَلِكِ بْنِ مَرْوَانَ فِي مَوَاعِدَ وَعَدَهَا إِيَّاهُ فَمَطَلَهُ بِهَا: نَحْنُ إِلَى ٱلْفِعْلِ أَحْوَجُ مِنَّا إِلَى ٱلْقَوْلِ. وَأَنْتَ بِٱلْإِنْجَازِ أَوْلَى مِنْكَ مِنَ ٱلْمَطْلِ. وَٱعْلَمْ أَنَّكَ لَا تَسْتَحِقُّ ٱلشُّكْرَ إِلَّا بِإِنْجَازِكَ ٱلْوَعْدَ وَٱسْتِتْمَامِكَ ٱلْمَعْرُوفَ. قَالَ أَبُو مُسْلِمٍ ٱلْخَوْلَانِيُّ: إِنَّ أَوْقَعَ ٱلْمَعْرُوفِ فِي ٱلْقُلُوبِ وَأَبْرَدَهُ عَلَى ٱلْأَكْبَادِ مَعْرُوفٌ مُنْتَظَرٌ بِوَعْدٍ لَا يُكَدِّرُهُ ٱلْمَطْلُ. كَتَبَ ٱلْعُتَابِيُّ إِلَى بَعْضِ أَهْلِ ٱلسُّلْطَانِ: أَمَّا بَعْدُ فَإِنَّ سَحَابَ وَعْدِكَ قَدْ أَبْرَقَتْ فَلْيَكُنْ وَبْلُهَا سَالِمًا مِنْ عِلَلِ ٱلْمَطْلِ. وَٱلسَّلَامُ (لابن عبد ربّه)

في التواضع والكبر

١٢٩ إعْلَمْ أَنَّ ٱلْكِبْرَ وَٱلْإِعْجَابَ يَسْلُبَانِ ٱلْفَضَائِلَ. وَيُكْسِبَانِ ٱلرَّذَائِلَ. وَحَسْبُكَ مِنْ رَذِيلَةٍ تَمْنَعُ مِنْ سَمَاعِ ٱلنُّصْحِ وَقَبُولِ ٱلتَّأْدِيبِ. وَتَسْلُبُ ٱلرِّئَاسَةَ وَٱلسِّيَادَةَ. وَٱلْكِبْرُ يُكْسِبُ ٱلْمَقْتَ وَيَمْنَعُ مِنَ ٱلتَّأَلُّفِ. وَلَمْ تَزَلِ ٱلْحُكَمَاءُ تَتَحَامَى ٱلْكِبْرَ وَتَأْنَفُ مِنْهُ. وَنَظَرَ أَفْلَاطُونُ إِلَى رَجُلٍ جَاهِلٍ مُعْجَبٍ بِنَفْسِهِ فَقَالَ: وَدِدْتُ أَنِّي مِثْلُكَ فِي ظَنِّكَ وَأَنَّ أَعْدَائِي مِثْلُكَ فِي ٱلْحَقِيقَةِ. وَرَأَى رَجُلٌ رَجُلًا يَخْتَالُ فِي مَشْيِهِ فَقَالَ: جَعَلَنِي ٱللهُ مِثْلَكَ فِي نَفْسِكَ وَلَا جَعَلَنِي مِثْلَكَ فِي نَفْسِي (للابشيهي)

قَالَ بَعْضُهُمْ:

قُلْ لِلَّذِي تَاهَ فِي دُنْيَاهُ مُفْتَخِرًا ضَاعَ ٱفْتِخَارُكَ بَيْنَ ٱلْمَاءِ وَٱلطِّينِ
إِذَا تَفَقَّدْتَ فِي ٱلْأَجْدَاثِ مُعْتَبِرًا هُنَاكَ تَنْظُرُ تِيجَانَ ٱلسَّلَاطِينِ

وَأَحْسَنُ مِنْ هٰذَا ٱلْقَوْلِ قَوْلُ ٱلْقَائِلِ:

يَا صَاحِ لَا تَكُ بِٱلْعَلْيَاءِ مُفْتَخِرًا إِنْ كُنْتَ لَمْ تُولِ نَفْعًا قَطُّ بَلْ ضَرَرَا
إِنِّي أَرَى شَجَرَ ٱلصَّفْصَافِ مُرْتَفِعًا إِلَى ٱلْعُلُوِّ وَلٰكِنْ لَا أَرَى ثَمَرَا

قَالَ آخَرُ:

إِتَّضِعْ لِلنَّاسِ إِنْ رُمْتَ ٱلْعُلَا وَٱكْظِمِ ٱلْغَيْظَ وَلَا تُبْدِي ٱلضَّجَرْ
وَٱجْعَلِ ٱلْمَعْرُوفَ ذُخْرًا إِنَّهُ لِلْفَتَى أَفْضَلُ شَيْءٍ يُدَّخَرْ
إِحْمِلِ ٱلنَّاسَ عَلَى أَخْلَاقِهِمْ فَبِهِ تَمْلِكُ أَعْنَاقَ ٱلْبَشَرْ

ٱلْبَابُ ٱلثَّامِنُ
فِي ٱلذَّكَاءِ وَٱلْأَدَبِ

في العقل وماهيته

١٣٠ قَالَ سَهْلٌ ٱلتَّسْتَرِيُّ: أَلْعَقْلُ أَنْ تَسْتَغْنِيَ بِهِ عَنْ كُلِّ شَيْءٍ دُونَهُ جَلَّ جَلَالُهُ. أَمَّا ذَاتُهُ فَقَالَ بَعْضُهُمْ: أَلْعَقْلُ ذَاتُهُ جَوْهَرٌ مُضِيءٌ وَنُورٌ مُجَرَّدٌ وَلَيْسَ بِعَرَضٍ. خَلَقَهُ ٱللهُ وَجَعَلَ نُورَهُ فِي ٱلْقَلْبِ يُدْرِكُ بِهِ ٱلْمَعْقُولَاتِ بِٱلْوَسَائِطِ وَٱلْمَحْسُوسَاتِ بِٱلْمُشَاهَدَةِ. وَهُوَ مَنَالٌ إِلَى ٱلدُّنْيَا وَٱلْآخِرَةِ وَإِلَى ٱلْعُلُومِ ٱلشَّرْعِيَّةِ وَٱلْعَقْلِيَّةِ. آلَةٌ لِلْمُؤْمِنِ يَعْمَلُ بِهِ. وَٱلْعَقْلُ ذَاتُهُ شَيْءٌ وَاحِدٌ وَلَهُ وَجْهَانِ. أَحَدُهُمَا ٱلْعَقْلُ ٱلْمُشْتَرَكُ بَيْنَ ٱلْمُؤْمِنِ وَٱلْكَافِرِ وَيُعَبَّرُ عَنْهُ بِعَقْلِ ٱلْمَعَاشِ. وَٱلْوَجْهُ ٱلثَّانِي ٱلْعَقْلُ ٱلْخَاصُّ بِٱلْمُؤْمِنِ وَهُوَ ٱلْمُعَبَّرُ عَنْهُ بِعَقْلِ ٱلْهِدَايَةِ. فَمَنْ رَزَقَهُ ٱللهُ ٱلْهِدَايَةَ فَهُوَ ٱلْمُؤْمِنُ ٱلْعَاقِلُ (الكنز المدفون)

مَا أَحْسَنَ مَا قَالَ بَعْضُهُمْ:

إِنِّي لَآمَنُ مِنْ عَدُوٍّ عَاقِلٍ وَأَخَافُ خِلًّا يَعْتَرِيهِ جُنُونُ
وَٱلْعَقْلُ فَنٌّ وَاحِدٌ وَطَرِيقُهُ أَدْرَى وَأَرْصَدُ وَٱلْجُنُونُ فُنُونُ

في شرف العقل

١٣١ أَلْعَقْلُ أَحْسَنُ حِلْيَةٍ. وَٱلْعِلْمُ أَفْضَلُ قُنْيَةٍ. لَا سَيْفَ كَٱلْحَقِّ. وَلَا عَدْلَ كَٱلصِّدْقِ. أَلْجَهْلُ مَطِيَّةُ سُوءٍ مَنْ رَكِبَهَا زَلَّ. وَمَنْ صَحِبَهَا

ضَلَّ. مِنَ ٱلْجَهْلِ صُحْبَةُ ٱلْجُهَّالِ. وَمِنَ ٱلذُّلِّ عِشْرَةُ ذَوِي ٱلضَّلَالِ. خَيْرُ ٱلْمَوَاهِبِ ٱلْعَقْلُ. وَشَرُّ ٱلْمَصَائِبِ ٱلْجَهْلُ. مَنْ صَاحَبَ ٱلْعُلَمَاءَ وَقُرَ. وَمَنْ عَاشَرَ ٱلسُّفَهَاءَ حُقِرَ. مَنْ لَمْ يَتَعَلَّمْ فِي صِغَرِهِ. لَمْ يَتَقَدَّمْ فِي كِبَرِهِ. وَقِيلَ: أَصْلُ ٱلْعِلْمِ ٱلرَّغْبَةُ وَثَمَرَتُهُ ٱلْعِبَادَةُ. وَأَصْلُ ٱلزُّهْدِ ٱلرَّهْبَةُ وَثَمَرَتُهُ ٱلسَّعَادَةُ. وَأَصْلُ ٱلْمُرُوَّةِ ٱلْحَيَاءُ وَثَمَرَتُهَا ٱلْعِفَّةُ. أَلْعَقْلُ أَقْوَى أَسَاسٍ. وَٱلتَّقْوَى أَفْضَلُ لِبَاسٍ. أَلْجَاهِلُ يَطْلُبُ ٱلْمَالَ. وَٱلْعَاقِلُ يَطْلُبُ ٱلْكَمَالَ. لَمْ يُدْرِكِ ٱلْعِلْمَ مَنْ لَا يُطِيلُ دَرْسَهُ. وَلَا يَكُدُّ نَفْسَهُ. كَمْ مِنْ ذَلِيلٍ أَعَزَّهُ عَقْلُهُ. وَعَزِيزٍ أَذَلَّهُ جَهْلُهُ (للشبراوي)

١٣٢ حَكَى ٱلْكِسَائِيُّ أَنَّهُ دَخَلَ عَلَى ٱلرَّشِيدِ يَوْمًا فَأَمَرَ بِإِحْضَارِ ٱلْأَمِينِ وَٱلْمَأْمُونِ لَدَيْهِ. وَقَالَ: فَلَمْ يَلْبَثْ قَلِيلًا أَنْ أَقْبَلَا كَكَوْكَبَيْ أُفُقٍ يُزَيِّنُهُمَا هُدَاهُمَا وَوَقَارُهُمَا. وَقَدْ غَضَّا أَبْصَارَهُمَا وَقَارَبَا خَطْوَهُمَا حَتَّى وَقَفَا فِي مَجْلِسِهِ. فَسَلَّمَا عَلَيْهِ بِٱلْخِلَافَةِ وَدَعَوَا لَهُ بِأَحْسَنِ ٱلدُّعَاءِ. فَٱسْتَدْنَاهُمَا وَأَسْنَدَ مُحَمَّدًا عَنْ يَمِينِهِ وَعَبْدَ ٱللهِ عَنْ يَسَارِهِ. ثُمَّ أَمَرَنِي أَنْ أُلْقِيَ عَلَيْهِمَا أَبْوَابًا مِنَ ٱلنَّحْوِ. فَمَا سَأَلْتُهُمَا شَيْئًا إِلَّا أَحْسَنَا ٱلْجَوَابَ عَنْهُ. فَسَرَّهُ ذٰلِكَ سُرُورًا عَظِيمًا وَقَالَ: كَيْفَ تَرَاهُمَا. فَقُلْتُ:

أَرَى قَمَرَيْ أُفْقٍ وَفَرْعَيْ بَشَامَةٍ يُزَيِّنُهُمَا عِرْقٌ كَرِيمٌ وَمَحْتِدُ
سَلِيلَيْ أَمِيرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَحَائِزَيْ مَوَارِيثِ مَا أَبْقَى ٱلنَّبِيُّ ٱلْمُؤَيَّدُ
يَسُدَّانِ أَنْفَاقَ ٱلنِّفَاقِ بِشِيمَةٍ يُزَيِّنُهَا حَزْمٌ وَعَضْبٌ مُهَنَّدُ

ثُمَّ قُلْتُ: مَا رَأَيْتُ أَعَزَّ ٱللهُ أَمِيرَ ٱلْمُؤْمِنِينَ أَحَدًا مِنْ أَبْنَاءِ ٱلْخِلَافَةِ

وَأَغْصَانِ هٰذِهِ الشَّجَرَةِ الزَّلَالِيَّةِ آدَبَ مِنْهُمَا أَلْسُنًا. وَلَا أَحْسَنَ أَلْفَاظًا. وَلَا أَشَدَّ اقْتِدَارًا مِنْهُمَا عَلَى تَأْدِيَةِ مَا حَفِظَا وَرَوَيَا. أَسْأَلُ اللهَ تَعَالَى أَنْ يَزِيدَ بِهِمَا الْحَقَّ تَأْيِيدًا وَعِزًّا. وَيُدْخِلَ بِهِمَا إِلَى أَهْلِ الضَّلَالِ ذُلًّا وَقَمْعًا. فَأَمَّنَ الرَّشِيدُ عَلَى دُعَائِي. ثُمَّ ضَمَّهُمَا إِلَيْهِ وَجَمَعَ عَلَيْهِمَا يَدَيْهِ. فَلَمْ يَبْسُطْهُمَا حَتَّى رَأَيْتُ الدُّمُوعَ تَتَحَدَّرُ عَلَى صَدْرِهِ. ثُمَّ أَمَرَهُمَا بِالْخُرُوجِ (كتاب الدراري للحلبي)

قَالَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ:

أَلنَّاسُ مِنْ جِهَةِ التِّمْثَالِ أَكْفَاءُ ... أَبُوهُمُ آدَمُ وَالْأُمُّ حَوَّاءُ

فَإِنْ يَكُنْ لَهُمُ فِي أَصْلِهِمْ شَرَفٌ ... يُفَاخِرُونَ بِهِ فَالطِّينُ وَالْمَاءُ

مَا الْفَخْرُ إِلَّا لِأَهْلِ الْعِلْمِ إِنَّهُمُ ... عَلَى الْهُدَى لِمَنِ اسْتَهْدَى أَدِلَّاءُ

وَقَدْرُ كُلِّ امْرِئٍ مَا كَانَ يُحْسِنُهُ ... وَالْجَاهِلُونَ لِأَهْلِ الْعِلْمِ أَعْدَاءُ

وَإِنْ أَتَيْتَ بِجُودٍ فِي ذَوِي نَسَبٍ ... فَإِنَّ نِسْبَتَنَا جُودٌ وَعَلْيَاءُ

فَفُزْ بِعِلْمٍ تَعِشْ حَيًّا بِهِ أَبَدًا ... أَلنَّاسُ مَوْتَى وَأَهْلُ الْعِلْمِ أَحْيَاءُ

١٣٣ إِعْلَمْ أَنَّ الْعِلْمَ شَرَفٌ لِلْإِنْسَانِ. وَفَخْرٌ لَهُ فِي جَمِيعِ الْأَزْمَانِ. وَهُوَ الْعِزُّ الَّذِي لَا يَبْلَى جَدِيدُهُ. وَالْكَنْزُ الَّذِي لَا يَفْنَى مَزِيدُهُ. وَقَدْرُهُ عَظِيمٌ. وَفَضْلُهُ جَسِيمٌ. وَلَقَدْ أَحْسَنَ مَنْ قَالَ:

مَا أَحْسَنَ الْعَقْلَ وَالْمَحْمُودُ مَنْ عَقَلَا ... وَأَقْبَحَ الْجَهْلَ وَالْمَذْمُومُ مَنْ جَهِلَا

فَلَيْسَ يَصْلُحُ نُطْقُ الْمَرْءِ فِي جَدَلٍ ... وَالْجَهْلُ يُفْسِدُهُ يَوْمًا إِذَا سُئِلَا

١٣٤ ثُمَّ اعْلَمْ أَنَّ الدُّنْيَا رُبَّمَا أَقْبَلَتْ عَلَى الْجَاهِلِ بِالِاتِّفَاقِ. وَأَدْبَرَتْ

عَنِ ٱلْعَالِمِ بِٱلْإِسْتِحْقَاقِ . فَإِنْ أَتَاكَ مِنْهَا مُلِمَّةٌ مَعَ جَهْلٍ . أَوْ فَاتَكَ مِنْهَا بُغْيَةٌ مَعَ عَقْلٍ . فَلَا يَحْمِلَنَّكَ ذٰلِكَ عَلَى ٱلرَّغْبَةِ فِي ٱلْجَهْلِ . فَدَوْلَةُ ٱلْجَاهِلِ مِنَ ٱلْمُمْكِنَاتِ . وَدَوْلَةُ ٱلْعَاقِلِ مِنَ ٱلْوَاجِبَاتِ . وَلَيْسَ مَنْ أَمْكَنَهُ شَيْءٌ فِي ذَاتِهِ . كَمَنِ ٱسْتَوْجَبَهُ بِآدَابِهِ وَآلَاتِهِ . وَأَيْضًا فَدَوْلَةُ ٱلْجَاهِلِ كَٱلْغَرِيبِ ٱلَّذِي يَحِنُّ إِلَى ٱلنُّقْلَةِ . وَدَوْلَةُ ٱلْعَاقِلِ كَٱلنَّسِيبِ ٱلْمُتَمَكِّنِ ٱلْوُصْلَةِ

لَا تَيْأَسَنَّ إِذَا مَا كُنْتَ ذَا أَدَبٍ عَلَى خُمُولِكَ أَنْ تَرْقَى إِلَى ٱلْفَلَكِ
فَبَيْنَمَا ٱلذَّهَبُ ٱلْإِبْرِيزُ مُخْتَلِطٌ بِٱلتُّرْبِ إِذْ صَارَ إِكْلِيلًا عَلَى ٱلْمَلِكِ

١٣٥ وَقَالَ حَكِيمٌ : يَنْبَغِي لِلْمَرْءِ أَنْ لَا يَفْرَحَ بِمَرْتَبَةٍ تَرَقَّاهَا بِغَيْرِ عَقْلٍ . وَلَا بِمَنْزِلَةٍ رَفِيعَةٍ حَلَّهَا بِغَيْرِ فَضْلٍ . فَلَا بُدَّ أَنْ يُزِيلَهُ ٱلْجَهْلُ عَنْهَا . وَيَسْلُبَهُ مِنْهَا . فَيَحُطَّ إِلَى رُتْبَتِهِ . وَيَرْجِعَ إِلَى قِيمَتِهِ . بَعْدَ أَنْ تَظْهَرَ عُيُوبُهُ . وَتَكْثُرَ ذُنُوبُهُ . وَيَصِيرَ مَادِحُهُ هَاجِيًا . وَصَدِيقُهُ مُعَادِيًا

لَا تَقْعُدَنَّ عَنِ ٱكْتِسَابِ فَضِيلَةٍ أَبَدًا وَإِنْ أَدَّتْ إِلَى ٱلْإِعْدَامِ
جَهْلُ ٱلْفَتَى عَارٌ عَلَيْهِ لِذَاتِهِ وَخُمُولُهُ عَارٌ عَلَى ٱلْأَيَّامِ

(للشبراوي)

١٣٦ سُئِلَ ٱلْأَحْنَفُ بْنُ قَيْسٍ عَنِ ٱلْعَقْلِ فَقَالَ : رَأْسُ ٱلْأَشْيَاءِ فِيهِ قِوَامُهَا وَبِهِ تَمَامُهَا لِأَنَّهُ سِرَاجُ مَا بَطَنَ . وَمِلَاكُ مَا عَلَنَ . وَسَائِسُ ٱلْحَدِّ . وَزِينَةُ كُلِّ أَحَدٍ . لَا تَسْتَقِيمُ ٱلْحَيَاةُ إِلَّا بِهِ . وَلَا تَدُورُ ٱلْأُمُورُ إِلَّا عَلَيْهِ

(للقيرواني)

قَالَ ٱلْخَضْرَاوِيُّ :

وَأَفْضَلُ قَسْمِ ٱللهِ لِلْمَرْءِ عَقْلُهُ ... فَلَيْسَ مِنَ ٱلْخَيْرَاتِ شَيْءٌ يُقَارِبُهْ
يَزِينُ ٱلْفَتَى فِي ٱلنَّاسِ صِحَّةُ عَقْلِهِ ... وَإِنْ كَانَ مَحْظُورًا عَلَيْهِ مَكَاسِبُهْ
وَشَيْنُ ٱلْفَتَى فِي ٱلنَّاسِ قِلَّةُ عَقْلِهِ ... وَإِنْ كَرُمَتْ أَعْرَاقُهُ وَمَنَاسِبُهْ
إِذَا أَكْمَلَ ٱلرَّحْمَانُ لِلْمَرْءِ عَقْلَهُ ... فَقَدْ كَمُلَتْ أَخْلَاقُهُ وَمَآرِبُهْ

وَقَالَ آخَرُ :

أَلْعَقْلُ حُلَّةُ فَخْرٍ مَنْ تَسَرْبَلَهَا ... كَانَتْ لَهُ نَسَبًا تُغْنِي عَنِ ٱلنَّسَبِ
وَٱلْعَقْلُ أَفْضَلُ مَا فِي ٱلنَّاسِ كُلِّهِمِ ... بِٱلْعَقْلِ يَنْجُو ٱلْفَتَى مِنْ حَوْمَةِ ٱلطَّلَبِ

١٣٧ قِيلَ : إِنَّ ٱلْعُمْيَانَ أَذْكَى مِنْ غَيْرِهِمْ . وَقِيلَ لِقَتَادَةَ : مَا بَالُ ٱلْعُمْيَانِ نَجِدُهُمْ أَذْكَى مِنَ ٱلْبُصَرَاءِ . فَقَالَ : لِأَنَّ ٱلْقُوَّةَ ٱلْبَاصِرَةَ مِنْهُمْ ٱنْقَلَبَتْ إِلَى بَاطِنِهِمْ

قَالَ ٱبْنُ عَبَّاسٍ لَمَّا كُفَّ بَصَرُهُ :

إِنْ يَأْخُذِ ٱللهُ مِنْ عَيْنَيَّ نُورَهُمَا ... فَفِي لِسَانِي وَقَلْبِي مِنْهُمَا نُورُ
قَلْبِي ذَكِيٌّ وَعَقْلِي غَيْرُ ذِي دَخَلٍ ... وَفِي فَمِي صَارِمٌ كَٱلسَّيْفِ مَشْهُورُ

(لابن عبد ربّه)

في العلم وشرفه

١٣٨ قَالَ بَعْضُ ٱلْحُكَمَاءِ : أَلْعِلْمُ خَلِيلٌ وَٱلْحِلْمُ وَزِيرُهُ . وَٱلْعَقْلُ دَلِيلُهُ . وَٱلْعَمَلُ قَائِدُهُ وَٱلْوَفْقُ وَالِدُهُ . وَٱلْبِرُّ أَخُوهُ وَٱلصَّبْرُ أَمِيرُ جُنُودِهِ . وَقَالَ بَعْضُ ٱلْحُكَمَاءِ : لِمِثْقَالِ ذَرَّةٍ مِنَ ٱلْعِلْمِ أَفْضَلُ مِنْ جِهَادِ ٱلْجَاهِلِ

أَلْفَ عَامٍ . وَقَالَ ٱلْإِمَامُ ٱلشَّافِعِيُّ : لَيْسَ بَعْدَ ٱلْفَرَائِضِ أَفْضَلُ مِنْ طَلَبِ ٱلْعِلْمِ فَهُوَ نُورٌ يَهْتَدِي بِهِ ٱلْحَائِرُ (لابي نصر المقدسي)

قَالَ بَعْضُ ٱلْأُدَبَاءِ :

وَٱلْعِلْمُ أَشْرَفُ شَيْءٍ قَالَهُ رَجُلٌ ... مَنْ لَمْ يَكُنْ فِيهِ عِلْمٌ لَمْ يَكُنْ رَجُلَا
تَعَلَّمِ ٱلْعِلْمَ وَٱعْمَلْ يَا أَخِيَّ بِهِ ... فَٱلْعِلْمُ زَيْنٌ لِمَنْ بِٱلْعِلْمِ قَدْ عَمِلَا

وَفِي مَعْنَاهُ أَنْشَدُوا :

بِٱلْعِلْمِ تَحْيَا نُفُوسٌ قَطُّ مَا عَرَفَتْ ... مِنْ قَبْلِ مَا ٱلْفَرْقُ بَيْنَ ٱلصِّدْقِ وَٱلْمَيْنِ
ٱلْعِلْمُ لِلنَّفْسِ نُورٌ يُسْتَدَلُّ بِهِ ... عَلَى ٱلْحَقَائِقِ مِثْلُ ٱلنُّورِ لِلْعَيْنِ

١٣٩ وَقَالَ ٱلزُّبَيْرُ بْنُ أَبِي بَكْرٍ : كَتَبَ إِلَيَّ أَبِي مِنَ ٱلْعِرَاقِ : يَا بُنَيَّ عَلَيْكَ بِٱلْعِلْمِ فَإِنَّكَ إِنِ ٱفْتَقَرْتَ إِلَيْهِ كَانَ مَالًا . وَإِنِ ٱسْتَغْنَيْتَ بِهِ كَانَ جَمَالًا . وَأَنْشَدَ فِي مَعْنَاهُ :

أَلْعِلْمُ مُبْلِغُ قَوْمٍ ذِرْوَةَ ٱلشَّرَفِ ... وَصَاحِبُ ٱلْعِلْمِ مَحْفُوظٌ مِنَ ٱلتَّلَفِ
يَا صَاحِبَ ٱلْعِلْمِ مَهْلًا لَا تُدَنِّسْهُ ... بِٱلْمُوبِقَاتِ فَمَا لِلْعِلْمِ مِنْ خَلَفِ
أَلْعِلْمُ يَرْفَعُ بَيْتًا لَا عِمَادَ لَهُ ... وَٱلْجَهْلُ يَهْدِمُ بَيْتَ ٱلْعِزِّ وَٱلشَّرَفِ

١٤٠ وَقَالَ بَعْضُ ٱلْفُضَلَاءِ : يَنْبَغِي لِكُلِّ عَاقِلٍ أَنْ يُبَالِغَ فِي تَعْظِيمِ ٱلْعُلَمَاءِ مَا أَمْكَنَ وَلَا يَعُدَّ غَيْرَهُمْ مِنَ ٱلْأَحْيَاءِ . وَقَدْ أَجَادَ ٱلْحَرِيرِيُّ بِقَوْلِهِ

وَمِنَ ٱلْجَهَالَةِ أَنْ تُعَظِّمَ جَاهِلًا ... لِصِقَالِ مَلْبَسِهِ وَرَوْنَقِ نَقْشِهِ
وَٱعْلَمْ بِأَنَّ ٱلتِّبْرَ فِي بَطْنِ ٱلثَّرَى ... خَافٍ إِلَى أَنْ يَسْتَبِينَ بِنَبْشِهِ
وَفَضِيلَةُ ٱلدِّينَارِ يَظْهَرُ سِرُّهَا ... مِنْ حَكِّهِ لَا مِنْ مَلَاحَةِ نَقْشِهِ

وقيل في معنى ذلك :

عاب التعلم قوم لا عقول لهم ... وما عليه إذا عابوه من ضرر
ما ضر شمس الضحى والشمس طالعة ... أن لا يرى ضوءها من ليس ذا بصر

١٤١ وقال علي : العلم خير من المال . العلم يحرسك وأنت تحرس المال . والعلم حاكم والمال محكوم عليه . والعلم يزيد بالإنفاق والمال ينقص بالنفقة . وعن ابن عباس أنه قال : خير سليمان بن داود بين العلم والملك والمال . فاختار العلم فأعطي الملك والمال معه . وقال الإمام مالك بن إنس : ليس العلم بكثرة الرواية إنما العلم نور يجعله في قلب من يشاء . وما أحسن ما قيل :

(مع) فقيه جلاء للقلوب من العمى ... وعون على الدين الذي أمره غنم
فخالط رواة العلم واصحب خيارهم ... فصحبتهم زين وخلطتهم غنم
ولا تعدون عينك عنهم فإنهم ... نجوم هدى إن غاب نجم بدا نجم
فوالله لولا العلم ما اتضح الهدى ... ولا لاح من غيب الأمور لنا رسم

١٤٢ وعن ابن المبارك أنه قال : لا يزال المرء عالما ما طلب العلم فإذا ظن أنه قد علم فقد جهل . وعن عثمان بن أبي شيبة قال : سمعت وكيعا يقول : لا يكون الرجل عالما حتى يسمع ممن هو أسن منه ، وممن هو مثله ، وممن هو دونه . وعن أبي مسعود أنه قال : منهومان لا يشبعان طالب العلم وطالب الدنيا وهما لا يستويان . أما طالب العلم فيزداد رضا الرحمن . وأما طالب الدنيا فيزداد في الطغيان

وَقَالَ بَعْضُهُمْ :

لَوْ كَانَ نُورُ ٱلْعِلْمِ يُدْرَكُ بِٱلْمُنَى ... مَا كَانَ يَبْقَى فِي ٱلْبَرِيَّةِ جَاهِلُ
إِجْهَدْ وَلَا تَكْسَلْ وَلَا تَكُ غَافِلًا ... فَنَدَامَةُ ٱلْعُقْبَى لِمَنْ يَتَكَاسَلُ

قَالَ غَيْرُهُ :

مِفْتَاحُ رِزْقِكَ تَقْوَى ٱللهِ فَٱتَّقِهِ ... وَلَيْسَ مِفْتَاحُهُ حِرْصًا وَلَا طَمَعَا
وَٱلْعِلْمُ أَجْمَلُ ثَوْبٍ أَنْتَ لَابِسُهُ ... فَٱخْتَرْ لَهُ عَمَلَيْنِ ٱلدِّينَ وَٱلْوَرَعَا

قَالَ غَيْرُهُ :

وَفِي ٱلْجَهْلِ قَبْلَ ٱلْمَوْتِ مَوْتٌ لِأَهْلِهِ ... وَأَجْسَادُهُمْ دُونَ ٱلْقُبُورِ قُبُورُ
وَإِنَّ ٱمْرَأً لَمْ يَحْيَ بِٱلْعِلْمِ قَلْبُهُ ... فَلَيْسَ لَهُ حَتَّى ٱلنُّشُورِ نُشُورُ

قِيلَ أَيْضًا :

لِكُلِّ مُجِدٍّ فِي ٱلْوَرَى نَفْعُ فَاضِلِ ... وَلَيْسَ يُفِيدُ ٱلْعِلْمُ مِنْ دُونِ عَامِلِ
يُسَابِقُ بَعْضُ ٱلنَّاسِ بَعْضًا بِجُهْدِهِمْ ... وَمَا كُلُّ كَرٍّ بِٱلْهَوَى كَرَّ بَاسِلِ
إِذَا لَمْ يَكُنْ نَفْعٌ لِذِي ٱلْعِلْمِ وَٱلْحِجَى ... فَمَا هُوَ بَيْنَ ٱلنَّاسِ إِلَّا كَجَاهِلِ
كَذَاكَ إِذَا لَمْ يَنْفَعِ ٱلْمَرْءُ غَيْرَهُ ... يُعَدُّ كَشَوْكٍ بَيْنَ زَهْرِ ٱلْخَمَائِلِ

وَقِيلَ أَيْضًا :

أَلْمَالُ يَفْنَى مَعَ ٱلْأَيَّامِ إِنْ قَلَبَتْ ... لَكِنَّ ذَا يَصْحَبُ ٱلْإِنْسَانَ لِلتُّرَبِ
إِغْنَمْ جَنَى ثَمَرَةٍ تَحْظَ بِنَيْلِ مُنًى ... وَتَعْلُ بِٱلْقَدْرِ فَوْقَ ٱلسَّبْعَةِ ٱلشُّهُبِ

١٤٣ قَالَ ٱلْمَاهَبَاذِيُّ مُغْرِيًا عَلَى تَأْثِيرِ ٱلْعِلْمِ :

يَا سَاعِيًا وَطِلَابُ ٱلْمَالِ هِمَّتُهُ ... إِنِّي أَرَاكَ ضَعِيفَ ٱلْعَقْلِ وَٱلدِّينِ

عَلَيْكَ بِٱلْعِلْمِ لَا تَطْلُبْ لَهُ بَدَلًا ... وَٱعْلَمْ بِأَنَّكَ فِيهِ غَيْرُ مَغْبُونِ
أَلْعِلْمُ يُجْدِي وَيَبْقَى لِلْفَتَى أَبَدًا ... وَٱلْمَالُ يَفْنَى وَإِنْ أَجْدَى إِلَى حِينِ
هٰذَاكَ عِزٌّ وَذَا ذُلٌّ لِصَاحِبِهِ ... مَا زَالَ بِٱلْبُعْدِ بَيْنَ ٱلْعِزِّ وَٱلْهُونِ

قَالَ أَبُو بَكْرِ بْنُ دُرَيْدٍ :

لَا تَحْقِرَنْ عَالِمًا وَإِنْ خَلُقَتْ ... أَثْوَابُهُ فِي عُيُونِ رَامِقِهِ
وَٱنْظُرْ إِلَيْهِ بِعَيْنِ ذِي خَطَرٍ ... مُهَذَّبِ ٱلرَّأْيِ فِي طَرَائِقِهِ
فَٱلْمِسْكُ مَهْمَا تَرَاهُ مُمْتَهَنًا ... بِفِهْرِ عَطَّارِهِ وَسَاحِقِهِ
حَتَّى تَرَاهُ بِعَارِضَيْ مَلِكٍ ... وَمَوْضِعِ ٱلتَّاجِ مِنْ مَفَارِقِهِ

قَالَ أَبُو ٱلْأَسْوَدِ ٱلدُّؤَلِيُّ :

أَلْعِلْمُ زَيْنٌ وَتَشْرِيفٌ لِصَاحِبِهِ ... فَٱطْلُبْ هُدِيتَ فُنُونَ ٱلْعِلْمِ وَٱلْأَدَبَا
كَمْ سَيِّدٍ بَطَلٍ آبَاؤُهُ نُجُبٌ ... كَانُوا ٱلرُّؤُسَ فَأَمْسَى بَعْدَهُمْ ذَنَبَا
وَمُقْرِفٍ خَامِلِ ٱلْآبَاءِ ذِي أَدَبٍ ... نَالَ ٱلْمَعَالِيَ بِٱلْآدَابِ وَٱلرُّتَبَا
أَلْعِلْمُ كَنْزٌ وَذُخْرٌ لَا فَنَاءَ لَهُ ... نِعْمَ ٱلْقَرِينُ إِذَا مَا صَاحِبٌ صَحِبَا
قَدْ يَجْمَعُ ٱلْمَالَ شَخْصٌ ثُمَّ يُحْرِمُهُ ... عَمَّا قَلِيلٍ فَيَلْقَى ٱلذُّلَّ وَٱلْحَرَبَا
وَجَامِعُ ٱلْعِلْمِ مَغْبُوطٌ بِهِ أَبَدًا ... وَلَا يُحَاذِرُ مِنْهُ ٱلْفَوْتَ وَٱلسَّلَبَا
يَا جَامِعَ ٱلْعِلْمِ نِعْمَ ٱلذُّخْرُ تَجْمَعُهُ ... لَا تَعْدِلَنَّ بِهِ دُرًّا وَلَا ذَهَبَا

١٤٤ قَالَ غَيْرُهُ :

بِٱلْعِلْمِ وَٱلْعَقْلِ لَا بِٱلْمَالِ وَٱلذَّهَبِ ... يَزْدَادُ رَفْعُ ٱلْفَتَى قَدْرًا بِلَا طَلَبِ
فَٱلْعِلْمُ طَوْقُ ٱلنُّهَى يَزْهُو بِهِ شَرَفًا ... وَٱلْجَهْلُ قَيْدٌ لَهُ يُنْمِيهِ بِٱللَّعَبِ

كَمْ يَرْفَعُ ٱلْعِلْمُ أَشْخَاصًا إِلَى رُتَبٍ ... وَيَخْفِضُ ٱلْجَهْلُ أَشْرَافًا بِلَا أَدَبِ
أَلْعِلْمُ كَنْزٌ فَلَا تَفْنَى ذَخَائِرُهُ ... وَٱلْمَرْءُ مَا زَادَ عِلْمًا زَادَ بِٱلرُّتَبِ
فَٱلْعِلْمَ فَاطْلُبْ لِكَيْ يُجْدِيكَ جَوْهَرُهُ ... كَٱلْقُوتِ لِلْجِسْمِ لَا تَطْلُبْ غِنَى ٱلذَّهَبِ

قَالَ آخَرُ:

مَا حَوَى ٱلْعِلْمَ جَمِيعًا أَحَدٌ ... لَا وَلَوْ مَارَسَهُ أَلْفَ سَنَهْ
إِنَّمَا ٱلْعِلْمُ بَعِيدٌ غَوْرُهُ ... فَخُذُوا مِنْ كُلِّ شَيْءٍ أَحْسَنَهْ

قَالَ بَعْضُهُمْ:

تَعَلَّمْ مَا ٱسْتَطَعْتَ بِحَيْثُ تَسْعَى ... فَإِنَّ ٱلْعِلْمَ زَيْنٌ لِلرِّجَالِ
لِأَنَّ ٱلْعِلْمَ فِي ٱلدُّنْيَا جَمَالٌ ... وَفِي ٱلْعُقْبَى تُنَالُ بِهِ ٱلْمَعَالِي

قَالَ آخَرُ:

أَلْعِلْمُ زَيْنٌ فَكُنْ لِلْعِلْمِ مُكْتَسِبًا ... وَكُنْ لَهُ طَالِبًا مَا عِشْتَ مُقْتَبِسَا
إِرْكَنْ إِلَيْهِ وَثِقْ بِٱللهِ وَٱغْنَ بِهِ ... وَكُنْ حَلِيمًا رَزِينَ ٱلْعَقْلِ مُحْتَرِسَا
وَكُنْ فَتًى مَاسِكًا مَحْضَ ٱلتُّقَى وَرِعًا ... لِلدِّينِ مُغْتَنِمًا فِي ٱلْعِلْمِ مُنْغَمِسَا
فَمَنْ تَخَلَّقَ بِٱلْآدَابِ ظَلَّ بِهَا ... رَئِيسَ قَوْمٍ إِذَا مَا فَارَقَ ٱلرُّؤَسَا

وصف الكتاب

١٤٥ أَلْكِتَابُ نِعْمَ ٱلْأَنِيسُ فِي سَاعَةِ ٱلْوَحْدَةِ. وَنِعْمَ ٱلْمَعْرِفَةُ فِي دَارِ ٱلْغُرْبَةِ. وَنِعْمَ ٱلْقَرِينُ وَٱلدَّخِيلُ. وَنِعْمَ ٱلزَّائِرُ وَٱلنَّزِيلُ. وِعَاءٌ مُلِئَ عِلْمًا وَظَرْفًا. وَإِنَاءٌ مُلِئَ مَزْحًا وَجِدًّا. وَحَبَّذَا بُسْتَانٌ يُحْمَلُ فِي خُرْجٍ وَرَوْضٌ يُقْلَبُ فِي حِجْرٍ. هَلْ سَمِعْتَ بِشَجَرَةٍ تُؤْتِي أُكُلَهَا كُلَّ حِينٍ

بِأَوَانٍ مُخْتَلِفَةٍ وَطُعُومٍ مُتَبَايِنَةٍ. هَلْ سَمِعْتَ بِشَجَرَةٍ لَا تَذْوِي. وَزَهْرٍ لَا يُنْوِي. وَثَمَرٍ لَا يَفْنَى. وَمَنْ لَكَ بِجَلِيسٍ يُفِيدُ الشَّيْءَ وَخِلَافَهُ وَالْجِنْسَ وَضِدَّهُ. يَنْطِقُ عَنِ الْمَوْتَى وَيُتَرْجِمُ عَنِ الْأَحْيَاءِ. إِنْ غَضِبْتَ لَمْ يَغْضَبْ. وَإِنْ عَرْبَدْتَ لَمْ يَصْخَبْ. أَكْتَمُ مِنَ الْأَرْضِ. وَأَنَمُّ مِنَ الرِّيحِ. وَأَهْوَى مِنَ الْهَوَى. وَأَخْدَعُ مِنَ الْمُنَى وَأَمْتَعُ مِنَ الضُّحَى. وَأَنْطَقُ مِنْ سَحْبَانَ وَائِلٍ وَأَعْيَا مِنْ بَاقِلٍ. هَلْ سَمِعْتَ بِمُعَلِّمٍ تَحَلَّى بِخِلَالٍ كَثِيرَةٍ وَجَمَعَ أَوْصَافًا عَدِيدَةً. عَرَبِيٍّ فَارِسِيٍّ يُونَانِيٍّ هِنْدِيٍّ سِنْدِيٍّ رُومِيٍّ. إِنْ وَعَظَ أَسْمَعَ. وَإِنْ أَلْهَى أَمْتَعَ. وَإِنْ أَبْكَى أَدْمَعَ. وَإِنْ ضَرَبَ أَوْجَعَ. يُفِيدُكَ وَلَا يَسْتَفِيدُ مِنْكَ. وَيَزِيدُكَ وَلَا يَسْتَزِيدُ مِنْكَ. إِنْ وَجَدَ فَعِبْرَةٌ. وَإِنْ مَزَحَ فَنُزْهَةٌ. قَبْرُ الْأَسْرَارِ وَمَخْزِنُ الْوَدَائِعِ قَيْدُ الْعُلُومِ. وَيَنْبُوعُ الْحِكَمِ وَمَعْدِنُ الْمَكَارِمِ. وَمُؤْنِسٌ لَا يَنَامُ. يُفِيدُكَ عِلْمَ الْأَوَّلِينَ. وَيُخْبِرُكَ عَنْ كَثِيرٍ مِنْ أَخْبَارِ الْمُتَأَخِّرِينَ. هَلْ سَمِعْتَ فِي الْأَوَّلِينَ أَوْ بَلَغَكَ أَنَّ أَحَدًا مِنَ السَّالِفِينَ جَمَعَ هَذِهِ الْأَوْصَافَ مَعَ قِلَّةِ مُؤْنَتِهِ وَخِفَّةِ مَحْمِلِهِ. لَا يَرْزَؤُكَ شَيْئًا مِنْ دُنْيَاكَ. نِعْمَ الْمُدَّخَرُ وَالْعُدَّةُ. وَالْمُسْتَغَلُّ وَالْحِرْفَةُ. جَلِيسٌ لَا يُطْرِيكَ وَرَفِيقٌ لَا يَمَلُّكَ. يُطِيعُكَ فِي اللَّيْلِ طَاعَتَهُ فِي النَّهَارِ. وَيُطِيعُكَ فِي السَّفَرِ طَاعَتَهُ فِي الْحَضَرِ. إِنْ أَطَلْتَ النَّظَرَ إِلَيْهِ أَطَالَ إِمْتَاعَكَ. وَشَحَذَ طِبَاعَكَ. وَبَسَطَ لِسَانَكَ. وَجَوَّدَ بَيَانَكَ. وَفَخَّمَ أَلْفَاظَكَ. إِنْ أَلِفْتَهُ خَلَّدَ عَلَى الْأَيَّامِ ذِكْرَكَ. وَإِنْ دَرَسْتَهُ رَفَعَ فِي الْخَلْقِ قَدْرَكَ. وَإِنْ نَعَتَّهُ نَوَّهَ عِنْدَهُمْ بِاسْمِكَ. يُقْعِدُ الْعَبِيدَ فِي مَقَاعِدِ السَّادَاتِ. وَيُجْلِسُ السُّوقَةَ فِي مَجَالِسِ

ٱلْمُلُوكِ فَأَكْرِمْ بِهِ مِنْ صَاحِبٍ . وَأَعْزِزْ بِهِ مِنْ مُوَافِقٍ (الكنز المدفون)

١٤٦ أَرْسَلَ بَعْضُ ٱلْخُلَفَاءِ فِي طَلَبِ بَعْضِ ٱلْعُلَمَاءِ لِيُسَامِرَهُ . فَلَمَّا جَاءَ ٱلْخَادِمُ إِلَيْهِ وَجَدَهُ جَالِسًا وَحَوَالَيْهِ كُتُبٌ وَهُوَ يُطَالِعُ فِيهَا . فَقَالَ لَهُ : إِنَّ أَمِيرَ ٱلْمُؤْمِنِينَ يَسْتَدْعِيكَ . فَقَالَ : قُلْ عِنْدِي قَوْمٌ مِنَ ٱلْحُكَمَاءِ أُحَادِثُهُمْ فَإِذَا فَرَغْتُ مِنْهُمْ حَضَرْتُ . فَلَمَّا عَادَ ٱلْخَادِمُ إِلَى ٱلْخَلِيفَةِ وَأَخْبَرَهُ بِذٰلِكَ قَالَ لَهُ : وَيْحَكَ مَنْ هٰؤُلَاءِ ٱلْحُكَمَاءُ ٱلَّذِينَ كَانُوا عِنْدَهُ . قَالَ : وَٱللّٰهِ يَا أَمِيرَ ٱلْمُؤْمِنِينَ مَا كَانَ عِنْدَهُ أَحَدٌ . قَالَ : فَأَحْضِرْهُ ٱلسَّاعَةَ كَيْفَ كَانَ . فَلَمَّا حَضَرَ ذٰلِكَ ٱلْعَالِمُ . قَالَ لَهُ ٱلْخَلِيفَةُ : مَنْ هٰؤُلَاءِ ٱلْحُكَمَاءُ ٱلَّذِينَ كَانُوا عِنْدَكَ . قَالَ : يَا أَمِيرَ ٱلْمُؤْمِنِينَ

لَنَا جُلَسَاءٌ مَا نَمَلُّ حَدِيثَهُمْ أَلِبَّاءُ مَأْمُونُونَ غَيْبًا وَمَشْهَدَا
يُفِيدُونَنَا مِنْ عِلْمِهِمْ عِلْمَ مَا مَضَى وَرَأْيًا وَتَأْدِيبًا وَمَجْدًا وَسُؤْدَدَا
فَإِنْ قُلْتَ أَمْوَاتٌ فَلَمْ تَعْدُ أَمْرَهُمْ وَإِنْ قُلْتَ أَحْيَاءٌ فَلَسْتَ مُفَنِّدَا

فَعَلِمَ ٱلْخَلِيفَةُ أَنَّهُ يُشِيرُ بِذٰلِكَ إِلَى ٱلْكُتُبِ وَلَمْ يُنْكِرْ عَلَيْهِ تَأْخُرَهُ

١٤٧ طَلَبَ ٱلْمُكْتَفِي مِنْ وَزِيرِهِ كُتُبًا يَلْهُو بِهَا وَيَقْطَعُ بِمُطَالَعَتِهَا زَمَانَهُ . فَتَقَدَّمَ ٱلْوَزِيرُ إِلَى ٱلنُّوَّابِ بِتَحْصِيلِ ذٰلِكَ وَعَرْضِهِ عَلَيْهِ قَبْلَ حَمْلِهِ إِلَى ٱلْخَلِيفَةِ . فَحَصَّلُوا شَيْئًا مِنْ كُتُبِ ٱلتَّارِيخِ فِيهَا شَيْءٌ مِمَّا جَرَى فِي ٱلْأَيَّامِ ٱلسَّالِفَةِ مِنْ وَقَائِعِ ٱلْمُلُوكِ وَأَخْبَارِ ٱلْوُزَرَاءِ وَمَعْرِفَةِ ٱلتَّحَيُّلِ فِي ٱسْتِخْرَاجِ ٱلْأَمْوَالِ . فَلَمَّا رَآهُ ٱلْوَزِيرُ قَالَ لِنُوَّابِهِ : إِنَّكُمْ أَشَدُّ ٱلنَّاسِ عَدَاوَةً لِي . أَنَا قُلْتُ لَكُمْ حَصِّلُوا لَهُ كُتُبًا يَلْهُو بِهَا وَيَشْتَغِلُ بِهَا

عَنِّي وَعَنْ غَيْرِي . فَقَدْ حَصَّلْتُمْ لَهُ مَا يَعْرِفُهُ مَصَارِعَ ٱلْوُزَرَاءِ وَيُوجِدُهُ ٱلطَّرِيقَ إِلَى ٱسْتِخْرَاجِ ٱلْمَالِ وَيَعْرِفُهُ خَرَابَ ٱلْبِلَادِ مِنْ عِمَارَتِهَا . رُدُّوهَا وَحَصِّلُوا لَهُ كُتُبًا فِيهَا حِكَايَاتٌ تُلْهِيهِ وَأَشْعَارٌ تُطْرِبُهُ (للفخري)

قَالَ ٱبْنُ دُوسْتَ فِي ٱلْحِفْظِ وَٱلِٱسْتِظْهَارِ :

عَلَيْكَ بِٱلْحِفْظِ دُونَ ٱلْجَمْعِ فِي ٱلْكُتُبِ فَإِنَّ لِلْكُتُبِ آفَاتٍ تُفَرِّقُهَا
أَلْمَاءُ يُغْرِقُهَا وَٱلنَّارُ تُحْرِقُهَا وَٱلْفَارُ يَخْرُقُهَا وَٱللِّصُّ يَسْرِقُهَا

في البيان والبلاغة والفصاحة

١٤٨ قَالَ ٱبْنُ ٱلْمُعْتَزِّ : ٱلْبَيَانُ تَرْجُمَانُ ٱلْقُلُوبِ وَصَيْقَلُ ٱلْعُقُولِ . وَأَمَّا حَدُّهُ فَقَدْ قَالَ ٱلْجَاحِظُ : ٱلْبَيَانُ ٱسْمٌ جَامِعٌ لِكُلِّ مَا كَشَفَ لَكَ عَنِ ٱلْمَعْنَى . وَقَالَ ٱلْيُونَانِيُّ : ٱلْبَلَاغَةُ وُضُوحُ ٱلدَّلَالَةِ وَٱنْتِهَازُ ٱلْفُرْصَةِ وَحُسْنُ ٱلْإِشَارَةِ . وَقَالَ ٱلْهِنْدِيُّ : ٱلْبَلَاغَةُ تَصْحِيحُ ٱلْأَقْسَامِ . وَٱخْتِيَارُ ٱلْكَلَامِ . وَقَالَ ٱلْكِنْدِيُّ : يَجِبُ لِلْبَلِيغِ أَنْ يَكُونَ قَلِيلَ ٱللَّفْظِ كَثِيرَ ٱلْمَعَانِي وَقِيلَ : إِنَّ مُعَاوِيَةَ سَأَلَ عَمْرَو بْنَ ٱلْعَاصِ : مَنْ أَبْلَغُ ٱلنَّاسِ . فَقَالَ : أَقَلُّهُمْ لَفْظًا وَأَسْهَلُهُمْ مَعْنًى وَأَحْسَنُهُمْ بَدِيهَةً . وَقَالَ أَبُو عَبْدِ ٱللهِ وَزِيرُ ٱلْمَهْدِيِّ : ٱلْبَلَاغَةُ مَا فَهِمَتْهُ ٱلْعَامَّةُ وَرَضِيَتْ بِهِ ٱلْخَاصَّةُ . وَقَالَ ٱلْبُحْتُرِيُّ : خَيْرُ ٱلْكَلَامِ مَا قَلَّ . وَجَلَّ . وَدَلَّ . وَلَمْ يُمِلَّ . وَقَالُوا : ٱلْبَلَاغَةُ مَيْدَانٌ لَا يُقْطَعُ إِلَّا بِسَوَابِقِ ٱلْأَذْهَانِ . وَلَا يُسْلَكُ إِلَّا بِبَصَائِرِ ٱلْبَيَانِ . قَالَ ٱلشَّاعِرُ :

لَكَ ٱلْبَلَاغَةُ مَيْدَانٌ نَشَأْتَ بِهِ وَكُنَّا بِقُصُورٍ عَنْكَ نَعْتَرِفُ

مَهْدِيَ الْعُذْرَ فِي نَظْمٍ بَعَثْتُ بِهِ ... مَنْ عِنْدَهُ الدُّرُّ لَا يُهْدَى لَهُ الصَّدَفُ

١٤٩ وَقَالَ الثَّعَالِبِيُّ: الْبَلِيغُ مَا كَانَ لَفْظُهُ فَخْلًا وَمَعْنَاهُ بِكْرًا. وَقَالَ الْإِمَامُ فَخْرُ الدِّينِ الرَّازِيُّ فِي حَدِّ الْبَلَاغَةِ: إِنَّهَا بُلُوغُ الرَّجُلِ بِعِبَارَتِهِ كُنْهَ مَا فِي قَلْبِهِ مَعَ الِاحْتِرَازِ عَنِ الْإِيجَازِ الْمُخِلِّ. وَالتَّطْوِيلِ الْمُمِلِّ. وَأَمَّا الْفَصَاحَةُ فَقَدْ قَالَ الْإِمَامُ فَخْرُ الدِّينِ الرَّازِيُّ عَنْهَا: اعْلَمْ أَنَّ الْفَصَاحَةَ خُلُوصُ الْكَلَامِ مِنَ التَّعْقِيدِ. وَأَصْلُهَا مِنْ قَوْلِهِمْ أَفْصَحَ اللَّبَنُ إِذَا أُخِذَتْ عَنْهُ الرَّغْوَةُ. وَأَكْثَرُ الْبُلَغَاءِ لَا يَكَادُونَ يُفَرِّقُونَ بَيْنَ الْبَلَاغَةِ وَالْفَصَاحَةِ. بَلْ يَسْتَعْمِلُونَهُمَا اسْتِعْمَالَ الشَّيْئَيْنِ الْمُتَرَادِفَيْنِ عَلَى مَعْنًى وَاحِدٍ فِي تَسْوِيَةِ الْحُكْمِ بَيْنَهُمَا. وَيَزْعُمُ بَعْضُهُمْ أَنَّ الْبَلَاغَةَ فِي الْمَعَانِي وَالْفَصَاحَةَ فِي الْأَلْفَاظِ. وَيَسْتَدِلُّ بِقَوْلِهِمْ مَعْنًى بَلِيغٌ وَلَفْظٌ فَصِيحٌ وَقَالَ يَحْيَى بْنُ خَالِدٍ: مَا رَأَيْتُ رَجُلًا قَطُّ إِلَّا هِبْتُهُ حَتَّى يَتَكَلَّمَ. فَإِنْ كَانَ فَصِيحًا عَظُمَ فِي صَدْرِي. وَإِنْ قَصَّرَ سَقَطَ مِنْ عَيْنِي (اللابشيهي)

في الشعر

١٥٠ كَانَ يُقَالُ: الشِّعْرُ دِيوَانُ الْعَرَبِ وَمَعْدِنُ حِكْمَتِهَا وَكَنْزُ أَدَبِهَا. وَيُقَالُ: الشِّعْرُ لِسَانُ الزَّمَانِ. وَالشُّعَرَاءُ لِلْكَلَامِ أُمَرَاءُ. وَقَالَ بَعْضُ السَّلَفِ: الشِّعْرُ جُزْلٌ مِنْ كَلَامِ الْعَرَبِ تُقَامُ بِهِ الْمَجَالِسُ وَتُسْتَنْجَحُ بِهِ الْحَوَائِجُ وَتُشْفَى بِهِ السَّخَائِمُ. وَيُقَالُ: الْمَدْحُ مُهْرَةُ الْكِرَامِ. وَإِعْطَاءُ الشُّعَرَاءِ مِنْ سِرِّ الْوَالِدَيْنِ. وَقَالَ بَعْضُهُمْ: أَنْصِفِ الشُّعَرَاءَ فَإِنَّ ظُلَامَتَهُمْ تَبْقَى وَعِقَابَهُمْ لَا يَفْنَى. وَهُمُ الْحَاكِمُونَ عَلَى الْحُكَّامِ. وَقَالَ

آخر : الشعر الجيد هو السحر الحلال . والعذب الزلال . إن من الشعر لحكمة وإن من البيان لسحرا . وكان يقال : النثر يتطاير تطاير الشرر . والشعر يبقى بقاء النقش في الحجر . وقيل لحمزة بن بيض : من أشعر الناس . قال . من إذا قال أسرع . وإذا وصف أبدع . وإذا مدح رفع . وإذا هجا وضع . وقال دعبل في كتابه الموضوع في مدح الشعراء : إنه لا يكذب أحد إلا اجتراه الناس فقالوا : كذاب . إلا الشاعر فإن يكذب يستحسن كذبه . ويحتمل ذلك له ولا يكون ذلك عيبا عليه . ثم لا يلبث أن يقال : أحسنت . (وفيه) أن الرجل الملك أو السوقة إذا صير ابنه في الكتاب أمر معلمه أن يعلمه الشعر . لأنه توصل به المجالس . وتضرب فيه الأمثال وتعرف به محاسن الأخلاق ومشاينها فتذم وتحمد وتهجى وتمدح . وأي شرف أبقى من شرف يبقى بالشعر . (وفيه) أن امرأ القيس كان من أبناء الملوك . وكان من أهل بيته وبني أبيه أكثر من ثلاثين ملكا فبادوا وباد ذكرهم . وبقي ذكره إلى القيامة . وإنما أمسك ذكره شعره . وقال : أحسن ما مدح به الشعر قول أبي تمام حيث يقول :

ولولا خلال سنها الشعر ما درى بناة المعالي كيف تبنى المكارم

وأحسن منه :

أرى الشعر يحيي الجود والبأس بالذي تبقيه أرواح له عطرات

وما المجد لولا الشعر إلا معاهد وما الناس إلا أعظم نخرات

١٥١ (فَصْلٌ لِأَبِي بَكْرٍ الْخُوارَزْمِيِّ جَامِعٌ لِمَدْحِ الشُّعَرَاءِ) مَا ظَنُّكَ بِقَوْمٍ الْاقْتِصَارُ مَحْمُودٌ إِلَّا مِنْهُمْ. وَالْكَذِبُ مَذْمُومٌ وَمَرْدُودٌ إِلَّا فِيهِمْ. إِذَا ذَمُّوا ثَلَمُوا. وَإِذَا مَدَحُوا سَلَبُوا. وَإِذَا رَضُوا رَفَعُوا الْوَضِيعَ. وَإِذَا غَضِبُوا. وَضَعُوا الرَّفِيعَ. وَإِذَا أَقَرُّوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ بِالْكَبَائِرِ. لَمْ يَلْزَمْ حَدٌّ. وَلَمْ تَمْتَدَّ إِلَيْهِمْ بِالْعُقُوبَةِ يَدٌ. غَنِيُّهُمْ لَا يُصَادَرُ. وَفَقِيرُهُمْ لَا يُسْتَحْقَرُ. وَشَيْخُهُمْ يُوَقَّرُ. وَشَابُّهُمْ لَا يُسْتَصْغَرُ. سِهَامُهُمْ تَنْفُذُ فِي الْأَعْرَاضِ. وَشَهَادَتُهُمْ مَقْبُولَةٌ وَإِنْ لَمْ يَنْطِقْ بِهَا سِجِلٌّ وَلَمْ يَشْهَدْ بِهَا عَدْلٌ. بَلْ مَا ظَنُّكَ بِقَوْمٍ هُمْ صَيَارِفَةُ أَخْلَاقِ الرِّجَالِ. وَسَمَاسِرَةُ النَّقْصِ وَالْكَمَالِ. بَلْ مَا ظَنُّكَ بِقَوْمٍ اسْمُهُمْ نَاطِقٌ بِالْفَضْلِ. وَاسْمُ صِنَاعَتِهِمْ مُشْتَقٌّ مِنَ الْعَقْلِ. بَلْ مَا ظَنُّكَ بِقَوْمٍ هُمْ أُمَرَاءُ الْكَلَامِ. يُقَصِّرُونَ طَوِيلَهُ. وَيُطَوِّلُونَ قَصِيرَهُ. يُقَصِّرُونَ مَحْدُودَهُ. وَيُخَفِّفُونَ ثَقِيلَهُ. وَلِمَ لَا أَقُولُ: مَا ظَنُّكَ بِقَوْمٍ يَتْبَعُهُمُ الْغَاوُونَ. وَفِي كُلِّ وَادٍ يَهِيمُونَ

(لابي نصر المقدسي)

في الأدب

١٥٢ قَالَ الْعَلَاءُ بْنُ أَيُّوبَ كَانَ يُقَالُ: مَثَلُ الْأَدِيبِ ذِي الْقَرِيحَةِ مَثَلُ دَائِرَةٍ تُدَارُ مِنْ خَارِجِهَا. فَهِيَ فِي كُلِّ دَارَةٍ تُدَارُ تَتَّسِعُ وَتَزْدَادُ عِظَمًا. وَمَثَلُ الْأَدِيبِ غَيْرِ ذِي الْقَرِيحَةِ مَثَلُ دَائِرَةٍ تُدَارُ مِنْ دَاخِلِهَا فَهِيَ عَنْ قَلِيلٍ تَبْلُغُ إِلَى بَاطِنِهَا. أَوْصَى بَعْضُ الْحُكَمَاءِ بَنِيهِ فَقَالَ لَهُمْ: الْأَدَبُ أَكْرَمُ الْجَوَاهِرِ طَبِيعَةً وَأَنْفَسُهَا قِيمَةً. يَرْفَعُ الْأَحْسَابَ الْوَضِيعَةَ.

وَيُفِيدُ الرَّغَائِبَ الْجَلِيلَةَ . وَيُغْنِي مِنْ غَيْرِ عَشِيرَةٍ . وَيُكْثِرُ الْأَنْصَارَ مِنْ غَيْرِ رَزِيَّةٍ . فَالْبَسُوهُ حُلَّةً . وَتَزَيَّنُوا بِهِ حِلْيَةً . يُؤَانِسُكُمْ فِي الْوَحْشَةِ . وَيَجْمَعُ الْقُلُوبَ الْمُخْتَلِفَةَ . وَأَنْشَدَ الْأَصْمَعِيُّ :

إِنْ كَانَ لِلْعَقْلِ مَوْلُودٌ فَلَسْتُ أَرَى ... ذَا الْعَقْلِ مُسْتَوْحِشًا مِنْ حَادِثِ الْأَدَبِ

إِنِّي رَأَيْتُهُمَا كَالْمَاءِ مُخْتَلِطًا ... بِالتُّرْبِ تَظْهَرُ عَنْهُ زَهْرَةُ الْعُشُبِ

١٥٣ وَقَالَ بُزُرْجُمِهْرُ : مَا وَرَّثَتِ الْآبَاءُ الْأَبْنَاءَ خَيْرًا مِنَ الْأَدَبِ . لِأَنَّهُمْ بِهِ يَكْسِبُونَ الْمَالَ وَبِالْجَهْلِ يُتْلِفُونَهُ : وَقَالَ : حُسْنُ الْخُلُقِ خَيْرُ قَرِينٍ وَالْأَدَبُ خَيْرُ مِيرَاثٍ وَالتَّقْوَى خَيْرُ زَادٍ . وَقَالَ أَيْضًا : لَيْتَ شِعْرِي أَيَّ شَيْءٍ أَدْرَكَ مَنْ فَاتَهُ الْأَدَبُ . وَأَيَّ شَيْءٍ فَاتَ مَنْ أَدْرَكَ الْأَدَبَ . وَقَالَ ابْنُ عَائِشَةَ الْقُرَشِيُّ : أَهْلُ الْأَدَبِ هُمُ الْأَكْثَرُونَ وَإِنْ قَلُّوا . وَمَحَلُّ الْأُنْسِ أَيْنَ حَلُّوا . وَقَالَ خَالِدُ بْنُ صَفْوَانَ لِابْنِهِ : يَا بُنَيَّ الْأَدَبُ بَهَاءُ الْمُلُوكِ وَرِيَاشُ السُّوقَةِ وَالنَّاسُ بَيْنَ هَاتَيْنِ فَتَعَلَّمْهُ تَجِدْهُ حَيْثُ تُحِبُّ . وَقَالَ بَعْضُ الظَّاهِرِيَّةِ : لَوْ عَلِمَ الْجَاهِلُونَ مَا الْأَدَبُ . لَأَيْقَنُوا أَنَّهُ الطَّرَبُ . وَقَالَ حَكِيمٌ لِابْنِهِ : يَا بُنَيَّ عِزُّ السُّلْطَانِ يَوْمٌ لَكَ وَيَوْمٌ عَلَيْكَ . وَعِزُّ الْمَالِ وَشِيكٌ ذَهَابُهُ . جَدِيرٌ انْقِطَاعُهُ وَانْقِلَابُهُ . وَعِزُّ الْحَسَبِ إِلَى خُمُولٍ وَدُثُورٍ وَذُبُولٍ . وَعِزُّ الْأَدَبِ رَاتِبٌ وَاصِبٌ . لَا يَزُولُ بِزَوَالِ الْمَالِ وَلَا يَتَحَوَّلُ بِتَحَوُّلِ السُّلْطَانِ . وَيُقَالُ : مَنْ قَعَدَ بِهِ حَسَبُهُ . نَهَضَ بِهِ أَدَبُهُ . وَقَالَ ابْنُ الْمُعْتَزِّ : حِلْيَةُ الْأَدَبِ لَا تُخْفَى . وَحُرْمَتُهُ لَا تُجْفَى . وَالْأَدَبُ صُورَةُ الْعَقْلِ فَحَسِّنْ عَقْلَكَ كَيْفَ

شِئْتَ . قَالَ بُزُرْجُمِهْرُ : مَنْ كَثُرَ أَدَبُهُ . كَثُرَ شَرَفُهُ وَإِنْ كَانَ قَبْلُ وَضِيعًا وَبَعُدَ صِيتُهُ وَإِنْ كَانَ خَامِلًا . وَسَادَ وَإِنْ كَانَ غَرِيبًا . وَكَثُرَتِ الْحَاجَةُ إِلَيْهِ وَإِنْ كَانَ فَقِيرًا . وَقَالُوا : الْأَدَبُ أَدَبَانِ أَدَبُ الْغَرِيزَةِ وَهُوَ الْأَصْلُ وَأَدَبُ الرِّوَايَةِ وَهُوَ الْفَرْعُ . وَلَا يَتَفَرَّعُ الشَّيْءُ إِلَّا عَنْ أَصْلِهِ . وَلَا يَنْمُو الْأَصْلُ إِلَّا بِاتِّصَالِ الْمَادَّةِ (للشريشي)

١٥٤ وَقَالَ حَبِيبٌ فَأَحْسَنَ :

وَمَا السَّيْفُ إِلَّا زُبْرَةٌ لَوْ تَرَكْتَهُ عَلَى الْخِلْقَةِ الْأُولَى لَمَا كَانَ يَقْطَعُ

وَقَالَ آخَرُ :

مَا وَهَبَ اللهُ لِامْرِئٍ هِبَةً أَفْضَلَ مِنْ عَقْلِهِ وَمِنْ أَدَبِهْ
هُمَا كَمَالُ الْفَتَى فَإِنْ فُقِدَا فَفَقْدُهُ لِلْحَيَاةِ أَحْسَنُ بِهْ

وَقِيلَ : إِذَا كَانَ الرَّجُلُ ظَاهِرَ الْأَدَبِ ظَاهِرَ النَّبْتِ تَأَدَّبَ بِأَدَبِهِ وَصَلُحَ بِصَلَاحِهِ أَهْلُهُ وَوُلْدُهُ . وَقَالَ الشَّاعِرُ :

رَأَيْتُ صَلَاحَ الْمَرْءِ يُصْلِحُ أَهْلَهُ وَيُعْدِيهِمِ عِنْدَ الْفَسَادِ إِذَا فَسَدْ
يُعَظَّمُ فِي الدُّنْيَا لِأَجْلِ صَلَاحِهِ وَيُحْفَظُ بَعْدَ الْمَوْتِ فِي الْأَهْلِ وَالْوَلَدْ

قَالَ غَيْرُهُ :

لَعَمْرُكَ مَا الْإِنْسَانُ إِلَّا ابْنُ يَوْمِهِ عَلَى مَا تَجَلَّى يَوْمُهُ لَا ابْنُ أَمْسِهِ
وَمَا الْفَخْرُ بِالْعَظْمِ الرَّمِيمِ وَإِنَّمَا فَخَارُ الَّذِي يَبْنِي الْفَخَارَ بِنَفْسِهِ

١٥٥ الْأَدَبُ مَالٌ . وَاسْتِعْمَالُهُ كَمَالٌ . بِالْعَقْلِ يَصْلُحُ كُلُّ أَمْرٍ . وَبِالْحِلْمِ يُقْطَعُ كُلُّ شَرٍّ (للشبراوي)

قَالَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ :

حَرِّصْ بَنِيكَ عَلَى الْآدَابِ فِي الصِّغَرِ ... كَيْمَا تَقَرَّ بِهِمْ عَيْنَاكَ فِي الْكِبَرِ

وَإِنَّمَا مَثَلُ الْآدَابِ تَجْمَعُهَا ... فِي عُنْفُوَانِ الصِّبَا كَالنَّقْشِ فِي الْحَجَرِ

هِيَ الْكُنُوزُ الَّتِي تَنْمُو ذَخَائِرُهَا ... وَلَا يُخَافُ عَلَيْهَا حَادِثُ الْعِبَرِ

إِنَّ الْأَدِيبَ إِذَا زَلَّتْ بِهِ قَدَمٌ ... يَهْوِي عَلَى فُرُشِ الدِّيبَاجِ وَالسُّرُرِ

قَالَ غَيْرُهُ :

مَنْ لَمْ يَرَ التَّأْدِيبَ فِي صِغَرِ الصِّبَا ... شَمَخَ الْفَلَاحُ عَلَيْهِ فِي وَقْتِ الْكِبَرْ

الآداب الظاهرة

١٥٦ (الْآدَابُ فِي الْأَكْلِ) . قَالَ بَعْضُهُمْ : إِذَا أَكَلَ أَحَدُكُمْ فَلْيَذْكُرِ اسْمَ اللهِ فِي أَوَّلِ أَكْلِهِ وَآخِرِهِ . وَعَلَى مَنْ يَأْكُلُ أَنْ يَلْحَقَ بِالْآدَابِ وَالرُّسُومِ الْمُسْتَحْسَنَةِ . مِنْهَا أَنْ يَأْكُلَ بِيَمِينِهِ وَيَشْرَبَ بِيَمِينِهِ . وَأَلَّا يَأْكُلَ وَيَشْرَبَ قَائِمًا . وَأَوْصَى رَجُلٌ مِنْ خَدَمِ الْمُلُوكِ ابْنَهُ فَقَالَ : إِذَا أَكَلْتَ فَضُمَّ شَفَتَيْكَ وَلَا تَلْتَفِتَنَّ يَمِينًا وَلَا شِمَالًا وَتَلَقَّمَنَّ بِسِكِّينٍ . وَلَا تَجْلِسْ فَوْقَ مَنْ هُوَ أَشْرَفُ مِنْكَ وَأَرْفَعُ مَنْزِلًا . وَلَا تَبْصُقْ فِي الْأَمَاكِنِ النَّظِيفَةِ . وَمِنْ حُسْنِ الْآدَابِ أَنْ يُعْرَضَ عَنِ الْبِطْنَةِ . قَالَ بَعْضُهُمْ . مَنْ قَلَّ طَعَامُهُ صَحَّ جِسْمُهُ وَصَفَا قَلْبُهُ . مَنْ كَثُرَ طَعَامُهُ سَقِمَ جِسْمُهُ وَقَسَا قَلْبُهُ . قَالَ آخَرُ : لَا تُمِيتُوا الْقُلُوبَ بِكَثْرَةِ الطَّعَامِ وَالشَّرَابِ . فَإِنَّ الْقَلْبَ كَالزَّرْعِ . إِذَا كَثُرَ عَلَيْهِ الْمَاءُ مَاتَ . قَالَ ابْنُ الْمُقَفَّعِ : كَانَتْ مُلُوكُ الْأَعَاجِمِ إِذَا رَأَتِ الرَّجُلَ نَهِمًا شَرِهًا

أَخْرَجُوهُ مِنْ طَبَقَةِ الْجِدِّ إِلَى بَابِ الْهَزْلِ وَمِنْ بَابِ التَّعْظِيمِ إِلَى بَابِ الِاحْتِقَارِ (للابشيهي)

١٥٧ (وَأَمَّا أَدَبُ الْمُضَيِّفِ) فَهُوَ أَنْ يَخْدُمَ أَضْيَافَهُ وَيُظْهِرَ لَهُمُ الْغِنَى وَبَسْطَ الْوَجْهِ فَقَدْ قِيلَ: الْبَشَاشَةُ فِي الْوَجْهِ خَيْرٌ مِنَ الْقِرَى. قَالُوا: فَكَيْفَ بِمَنْ يَأْتِي بِهَا وَهُوَ ضَاحِكٌ. وَقَدْ ضَمَّنَ الشَّيْخُ شَمْسُ الدِّينِ الْبُدَيْوِيُّ هٰذَا الْكَلَامَ بِأَبْيَاتٍ فَقَالَ:

إِذَا الْمَرْءُ وَافَى مَنْزِلًا مِنْكَ قَاصِدًا ... قِرَاكَ وَأَرْمَتْهُ لَدَيْكَ الْمَسَالِكُ
فَكُنْ بَاسِمًا فِي وَجْهِهِ مُتَهَلِّلًا ... وَقُلْ مَرْحَبًا أَهْلًا وَيَوْمٌ مُبَارَكُ
وَقَدِّمْ لَهُ مَا تَسْتَطِيعُ مِنَ الْقِرَى ... عَجُولًا وَلَا تَبْخَلْ بِمَا هُوَ هَالِكُ
فَقَدْ قِيلَ بَيْتٌ سَالِفٌ مُتَقَدِّمٌ ... تَدَاوَلَهُ زَيْدٌ وَعَمْرٌو وَمَالِكُ
بَشَاشَةُ وَجْهِ الْمَرْءِ خَيْرٌ مِنَ الْقِرَى ... فَكَيْفَ بِمَنْ يَأْتِي بِهِ وَهْوَ ضَاحِكُ

قَالَ الْعَرَبُ: تَمَامُ الضِّيَافَةِ الطَّلَاقَةُ عِنْدَ أَوَّلِ وَهْلَةٍ وَإِطَالَةُ الْحَدِيثِ عِنْدَ الْمُؤَاكَلَةِ. وَلِلّٰهِ دَرُّ مَنْ قَالَ:

أَللّٰهُ يَعْلَمُ أَنَّهُ مَا سَرَّنِي ... شَيْءٌ كَطَارِقَةِ الضُّيُوفِ النُّزَّلِ
مَا زِلْتُ بِالتَّرْحِيبِ حَتَّى خِلْتُنِي ... ضَيْفًا لَهُ وَالضَّيْفَ رَبَّ الْمَنْزِلِ

وَمَا أَحْسَنَ مَا قَالَ سَيْفُ الدَّوْلَةِ بْنُ حَمْدَانَ:

مَنْزِلُنَا رَحْبٌ لِمَنْ زَارَهُ ... نَحْنُ سَوَاءٌ فِيهِ وَالطَّارِقُ
وَكُلُّ مَا فِيهِ حَلَالٌ لَهُ ... إِلَّا الَّذِي حَرَّمَهُ الْخَالِقُ

قَالَ عَاصِمُ بْنُ وَائِلٍ:

وَإِنَّا لَنَقْرِي الضَّيْفَ قَبْلَ نُزُولِهِ ... وَنُشْبِعُهُ بِالْبِشْرِ مِنْ وَجْهِ ضَاحِكِ

١٥٨ وَمِنْ آدَابِ الْمُضِيفِ أَنْ يُحَدِّثَ أَضْيَافَهُ بِمَا تَمِيلُ إِلَيْهِ نُفُوسُهُمْ. وَلَا يَنَامَ قَبْلَهُمْ. وَلَا يَشْكُوَ الزَّمَانَ بِحُضُورِهِمْ. وَيَبِشَّ عِنْدَ قُدُومِهِمْ وَيَتَأَلَّمَ عِنْدَ وَدَاعِهِمْ. وَأَنْ لَا يُحَدِّثَ بِمَا يَرُوعُهُمْ بِهِ. وَيَجِبُ عَلَى الْمُضِيفِ أَنْ يُرَاعِيَ خَوَاطِرَ أَضْيَافِهِ كَيْفَمَا أَمْكَنَ. وَلَا يَغْضَبَ عَلَى أَحَدٍ بِحُضُورِهِمْ. وَلَا يُنَغِّصَ عَيْشَهُمْ بِمَا يَكْرَهُونَهُ. وَلَا يَعْبِسَ بِوَجْهِهِ. وَلَا يُظْهِرَ نَكَدًا. وَلَا يَنْهَرَ أَحَدًا وَلَا يَشْتُمَهُ بِحَضْرَتِهِمْ بَلْ يُدْخِلَ عَلَى قُلُوبِهِمُ السُّرُورَ بِكُلِّ مَا أَمْكَنَ. وَعَلَيْهِ أَنْ يَسْهَرَ مَعَ أَضْيَافِهِ وَيُؤَانِسَهُمْ بِلَذِيذِ الْمُحَادَثَةِ وَغَرِيبِ الْحِكَايَاتِ. وَأَنْ يَسْتَمِيلَ قُلُوبَهُمْ بِالْبَذْلِ لَهُمْ مِنْ غَرَائِبِ الطُّرَفِ إِنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ ذَلِكَ. وَعَلَى الْمُضِيفِ إِذَا قَدَّمَ الطَّعَامَ إِلَى أَضْيَافِهِ أَنْ لَا يَنْتَظِرَ مَنْ يَحْضُرُ مِنْ عَشِيرَتِهِ. فَقَدْ قِيلَ: ثَلَاثَةٌ تُضْنِي سِرَاجٌ لَا يُضِيءُ وَرَسُولٌ بَطِيءٌ. وَمَائِدَةٌ يُنْتَظَرُ لَهَا مَنْ يَجِيءُ. وَمِنَ السُّنَّةِ أَنْ يُشَيِّعَ الْمُضِيفُ الضَّيْفَ إِلَى بَابِ الدَّارِ (للابشيهي)

١٥٩ قَالَ بَعْضُ السَّلَفِ: مَا اسْتَكْمَلَ عَقْلَ امْرِئٍ حَتَّى يَكُونَ فِيهِ عَشْرُ خِصَالٍ. الرُّشْدُ مِنْهُ مَأْمُولٌ. وَالْكِبْرُ مِنْهُ مَأْمُونٌ. نَصِيبُهُ مِنَ الدُّنْيَا الْقُوتُ. وَالذُّلُّ أَحَبُّ إِلَيْهِ مِنَ الْعِزِّ. وَالْفَقْرُ أَحَبُّ إِلَيْهِ مِنَ الْغِنَى يَسْتَقِلُّ كَثِيرَ الْمَعْرُوفِ مِنْ نَفْسِهِ. وَيَسْتَكْثِرُ قَلِيلَ الْمَعْرُوفِ مِنْ غَيْرِهِ. وَلَا يَسْأَمُ مِنْ طَلَبِ الْعِلْمِ طُولَ عُمْرِهِ. وَلَا يَتَبَرَّمُ مِنْ طَلَبِ الْحَوَائِجِ قَلْبُهُ. وَالْعَاشِرَةُ أَنْ يَرَى النَّاسَ كُلَّهُمْ خَيْرًا مِنْهُ (لابن المعتز)

أَلْبَابُ التَّاسِعُ
فِي اللَّطَائِفِ

الحداد والامير

١٦٠ حكى القاضي أبو عبد الله الآمدي النائب قال : دخلت على الأمير السعيد أبي ظفر أيام ولايته للثغر فوجدته يقطر دهنا على خنصره . فسألته عن سببه فذكر ضيق خاتمه وأنه ورم بسببه . فقلت له : الرأي قطع حلقته قبل أن يتفاقم الأمر . فقال : من يصلح لذلك . فاستدعيت ظافرا الحداد الشاعر فقطع الحلقة وأنشد بديها :

قصر عن أوصافك العالم ... وكثر الناثر والناظم
من يكن البحر له راحة ... يضيق عن خنصره الخاتم

فاستحسنه الأمير ووهب له الحلقة . وكانت من ذهب

وكان بين يدي الأمير غزال مستأنس وقد ربض وجعل رأسه في حجره . فقال ظافر بديها :

عجبت لجرأة هذا الغزال ... وأمر تخطى له واعتمد
وأعجب به إذ بدا جاثما ... وكيف اظمأن وأنت أسد

فزاد الأمير والحاضرون في الاستحسان (بدائع البدائه للازدي)

١٦١ قال بعض الشعراء يصف الفقير والغني :

من كان يملك درهمين تعلمت ... شفتاه أنواع الكلام فقالا

وَتَقَدَّمَ ٱلْإِخْوَانُ فَٱسْتَمَعُوا لَهُ وَرَأَيْتَهُ بَيْنَ ٱلْوَرَى مُخْتَالَا
لَوْلَا دَرَاهِمُهُ ٱلَّتِي يَزْهُو بِهَا لَوَجَدْتَهُ فِي ٱلنَّاسِ أَسْوَأَ حَالَا
إِنَّ ٱلْغَنِيَّ إِذَا تَكَلَّمَ بِٱلْخَطَا قَالُوا صَدَقْتَ وَمَا نَطَقْتَ مُحَالَا
أَمَّا ٱلْفَقِيرُ إِذَا تَكَلَّمَ صَادِقًا قَالُوا كَذَبْتَ وَأَبْطَلُوا مَا قَالَا
إِنَّ ٱلدَّرَاهِمَ فِي ٱلْمَوَاطِنِ كُلِّهَا تَكْسُو ٱلرِّجَالَ مَهَابَةً وَجَمَالَا
فَهِيَ ٱللِّسَانُ لِمَنْ أَرَادَ فَصَاحَةً وَهِيَ ٱلسِّلَاحُ لِمَنْ أَرَادَ قِتَالَا

الحجاج والفتية

١٦٢ أَمَرَ ٱلْحَجَّاجُ صَاحِبَ حَرَسِهِ أَنْ يَطُوفَ بِٱللَّيْلِ فَمَنْ رَآهُ بَعْدَ ٱلْعِشَاءِ سَكْرَانَ ضَرَبَ عُنُقَهُ. فَطَافَ لَيْلَةً مِنَ ٱللَّيَالِي فَوَجَدَ ثَلَاثَةَ فِتْيَانٍ يَتَمَايَلُونَ وَعَلَيْهِمْ أَمَارَاتُ ٱلسُّكْرِ. فَأَحَاطَتْ بِهِمِ ٱلْغِلْمَانُ. وَقَالَ لَهُمْ صَاحِبُ ٱلْحَرَسِ: مَنْ أَنْتُمْ حَتَّى خَالَفْتُمْ أَمْرَ أَمِيرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَخَرَجْتُمْ فِي مِثْلِ هٰذَا ٱلْوَقْتِ. فَقَالَ أَحَدُهُمْ:

أَنَا ٱبْنُ مَنْ دَانَتِ ٱلرِّقَابُ لَهُ مَا بَيْنَ مَخْزُومِهَا وَهَاشِمِهَا
تَأْتِيهِ بِٱلرَّغْمِ وَهْيَ صَاغِرَةٌ يَأْخُذُ مِنْ مَالِهَا وَمِنْ دَمِهَا

فَأَمْسَكَ عَنْهُ وَقَالَ: لَعَلَّهُ مِنْ أَقَارِبِ أَمِيرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ. ثُمَّ قَالَ لِلْآخَرِ: وَأَنْتَ مَنْ تَكُونُ. فَقَالَ:

أَنَا ٱبْنُ مَنْ لَا تَنْزِلُ ٱلدَّهْرَ قِدْرُهُ وَإِنْ نَزَلَتْ يَوْمًا فَسَوْفَ تَعُودُ
تَرَى ٱلنَّاسَ أَفْوَاجًا إِلَى ضَوْءِ نَارِهِ فَمِنْهُمْ قِيَامٌ حَوْلَهَا. وَقُعُودُ

فَأَمْسَكَ عَنْهُ وَقَالَ: لَعَلَّهُ ٱبْنُ أَشْرَفِ ٱلْعَرَبِ. ثُمَّ قَالَ لِلْآخَرِ:

وَأَنْتَ مَنْ تَكُونُ . فَأَنْشَدَ عَلَى الْبَدِيهَةِ :

أَنَا ابْنُ مَنْ خَاضَ الصُّفُوفَ بِعَزْمِهِ وَقَوَّمَهَا بِالسَّيْفِ حَتَّى اسْتَقَامَتِ
وَرَكْبَاهُ لَا يَنْفَكُّ رِجْلَاهُ مِنْهُمَا إِذَا الْخَيْلُ فِي يَوْمِ الْكَرِيهَةِ وَلَّتِ

فَأَمْسَكَ عَنِ الْآخَرِ وَقَالَ : لَعَلَّهُ ابْنُ أَشْجَعِ الْعَرَبِ وَاحْتَفَظَ عَلَيْهِمْ . فَلَمَّا كَانَ الصَّبَاحُ رَفَعَ أَمْرَهُمْ إِلَى أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ فَأَحْضَرَهُمْ وَكَشَفَ عَنْ حَالِهِمْ . فَإِذَا الْأَوَّلُ ابْنُ حَجَّامٍ . وَالثَّانِي ابْنُ قَوَّالٍ . وَالثَّالِثُ ابْنُ حَائِكٍ . فَتَعَجَّبَ مِنْ فَصَاحَتِهِمْ وَقَالَ لِجُلَسَائِهِ : عَلِّمُوا أَوْلَادَكُمُ الْأَدَبَ فَوَاللهِ لَوْلَا فَصَاحَتُهُمْ لَضَرَبْتُ أَعْنَاقَهُمْ (للنواجي)

ابو العلاء وكتاب الفصوص

١٦٣ أَلَّفَ أَبُو الْعَلَاءِ صَاعِدٌ كُتُبًا مِنْهَا كِتَابُ الْفُصُوصِ . وَاتَّفَقَ لِهَذَا الْكِتَابِ مِنْ عَجَائِبِ الِاتِّفَاقِ أَنَّ أَبَا الْعَلَاءِ دَفَعَهُ حِينَ كَمَلَ لِغُلَامٍ لَهُ يَحْمِلُهُ بَيْنَ يَدَيْهِ . وَعَبَرَ النَّهْرَ نَهْرَ قُرْطُبَةَ . فَخَانَتِ الْغُلَامَ رِجْلُهُ فَسَقَطَ فِي النَّهْرِ هُوَ وَالْكِتَابُ . فَقَالَ فِي ذَلِكَ بَعْضُ الشُّعَرَاءِ وَهُوَ الْعُرَيْفُ بَيْتًا مَطْبُوعًا بِحَضْرَةِ الْمَنْصُورِ وَهُوَ :

قَدْ غَاصَ فِي الْبَحْرِ كِتَابُ الْفُصُوصْ وَهَكَذَا كُلُّ ثَقِيلٍ يَغُوصْ

فَضَحِكَ الْمَنْصُورُ وَالْحَاضِرُونَ . فَلَمْ يَرُعْ ذَلِكَ صَاعِدًا وَلَا هَالَهُ . وَقَالَ مُرْتَجِلًا مُجِيبًا لِابْنِ الْعُرَيْفِ :

عَادَ إِلَى مَعْدِنِهِ إِنَّمَا تُوجَدُ فِي قَعْرِ الْبِحَارِ الْفُصُوصْ

(كتاب المعجب لعبد الواحد المراكشي)

١٦٤ قَالَ ٱبْنُ شَرَفٍ يَصِفُ دَارًا وَيَتَشَكَّى بَعُوضَهَا :

لَكَ مَنْزِلٌ كَمَلَتْ سَتَارَتُهُ لَنَا لِلَّهْوِ لَكِنْ تَحْتَ ذَاكَ حَدِيثُ
غَنَّى ٱلذُّبَابُ وَظَلَّ يَزْمُرُ حَوْلَهُ فِيهِ ٱلْبَعُوضُ وَيَرْقُصُ ٱلْبُرْغُوثُ

قَالَ آخَرُ فِي هٰذَا ٱلْمَعْنَى :

لَيْلُ ٱلْبَرَاغِيثِ وَٱلْبَعُوضِ لَيْلٌ طَوِيلٌ بِلَا غُمُوضِ
فَذَاكَ يَنْزُو بِغَيْرِ رَقْصٍ وَذَا يُغَنِّي بِلَا عَرُوضِ

فتىً فصيح

١٦٥ دَخَلَ مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ ٱلْمَلِكِ بْنِ صَالِحٍ عَلَى ٱلْمَأْمُونِ حِينَ قُبِضَتْ ضِيَاعُهُمْ وَهُوَ غُلَامٌ صَغِيرٌ. فَقَالَ : ٱلسَّلَامُ عَلَيْكَ يَا أَمِيرَ ٱلْمُؤْمِنِينَ . مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ ٱلْمَلِكِ سَلِيلُ نِعْمَتِكَ وَٱبْنُ دَوْلَتِكَ وَغُصْنٌ مِنْ أَغْصَانِ دَوْحَتِكَ. أَفَتَأْذَنُ لِي فِي ٱلْكَلَامِ . قَالَ : نَعَمْ. فَحَمِدَ ٱللهَ تَعَالَى وَشَكَرَهُ ثُمَّ قَالَ : أَمْتَعَنَا ٱللهُ بِحَيَاطَةِ دِينِنَا وَدُنْيَانَا . وَرِعَايَةِ أَقْصَانَا وَأَدْنَانَا . بِبَقَائِكَ يَا أَمِيرَ ٱلْمُؤْمِنِينَ . وَنَسْأَلُهُ أَنْ يَزِيدَ فِي عُمُرِكَ مِنْ أَعْمَارِنَا . وَفِي أَثَرِكَ مِنْ آثَارِنَا . وَيُقِيكَ ٱلْأَذَى بِأَسْمَاعِنَا وَأَبْصَارِنَا . هٰذَا مَقَامُ ٱلْعَائِذِ بِظِلِّكَ . ٱلْهَارِبِ إِلَى كَنَفِكَ وَفَضْلِكَ . ٱلْفَقِيرِ إِلَى رَحْمَتِكَ وَعَدْلِكَ . ثُمَّ سَأَلَ حَوَائِجَهُ فَقَضَاهَا (للشريشي)

علي بن الجهم

١٦٦ سَخِطَ ٱلْمُتَوَكِّلُ عَلَى عَلِيِّ بْنِ ٱلْجَهْمِ فَنَفَاهُ إِلَى خُرَاسَانَ . وَكَتَبَ أَنْ يُصْلَبَ إِذَا وَرَدَهَا يَوْمًا إِلَى ٱللَّيْلِ . فَلَمَّا وَصَلَ إِلَى ٱلشَّاذِيَاخِ حَبَسَهُ

طَاهِرُ بْنُ عَبْدِ اللهِ ثُمَّ أَخْرَجَهُ . فَصَلَبَهُ إِلَى اللَّيْلِ مُجَرَّدًا . فَقَالَ :

لَمْ يَصْلِبُوا بِالشَّاذِيَاخِ عَشِيَّةَ اثْـ إِثْنَيْنِ مَسْبُوقًا وَلَا مَجْهُولَا
نَصَبُوا بِحَمْدِ اللهِ مِلْءَ عُيُونِهِمْ شَرَفًا وَمِلْءَ صُدُورِهِمْ تَبْجِيلَا
مَا ازْدَادَ إِلَّا رِفْعَـةً وَسَعَادَةً وَازْدَادَتِ الْأَعْدَاءُ عَنْهُ نُكُولَا
هَلْ كَانَ إِلَّا اللَّيْثَ فَارَقَ غِيلَهُ فَرَأَيْتَهُ فِي مَحْمِلٍ مَحْمُولَا
مَا عَابَهُ أَنْ قَدْ نَزَعْتَ لِبَاسَهُ كَالسَّيْفِ أَفْضَلُ مَا يُرَى مَسْلُولَا

وَقَالَ فِي الْحَبْسِ :

قَالُوا حُبِسْتَ فَقُلْتُ لَيْسَ بِضَائِرٍ حَبْسِي وَأَيُّ مُهَنَّدٍ لَا يُغْمَدُ
أَوَ مَا رَأَيْتَ اللَّيْثَ يَأْلَفُ غِيلَهُ كِبْرًا وَأَوْبَاشُ السِّبَاعِ تَصَيَّدُ
فَالشَّمْسُ لَوْلَا أَنَّهَا مَحْجُوبَةٌ عَنْ نَاظِرَيْكَ لَمَا أَضَاءَ الْفَرْقَدُ
وَالنَّارُ فِي أَحْجَارِهَا مَخْبُوءَةٌ لَا تَصْطَلِي إِنْ لَمْ تُثِرْهَا الْأَزْنُدُ
وَالْحَبْسُ إِنْ لَمْ تَغْشَهُ لِدَنِيَّةٍ شَنْعَاءَ نِعْمَ الْمَنْزِلُ الْمُتَوَرَّدُ

درواس بن حبيب وهشام

١٦٧ قَحِطَتِ الْبَادِيَةُ أَيَّامَ هِشَامِ بْنِ عَبْدِ الْمَلِكِ . فَوَفَدَ عَلَيْهِ رُؤُسُ الْقَبَائِلِ . فَجَلَسَ لَهُمْ وَفِيهِمْ صَبِيٌّ ابْنُ أَرْبَعَ عَشْرَةَ سَنَةً يُسَمَّى دِرْوَاسَ ابْنَ حَبِيبٍ . فِي رَأْسِهِ ذُؤَابَةٌ وَعَلَيْهِ بُرْدَةٌ يَمَانِيَـةٌ فَاسْتَصْغَرَهُ هِشَامٌ وَقَالَ لِحَاجِبِهِ : مَا يَشَاءُ أَحَدٌ أَنْ يَصِلَ إِلَيْنَا إِلَّا وَصَلَ حَتَّى الصِّبْيَانُ . فَقَالَ دِرْوَاسُ : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ إِنَّ دُخُولِي لَمْ يُخِلَّ بِكَ وَلَا انْتَقَصَكَ وَلَكِنَّهُ شَرَّفَنِي . وَإِنَّ هَؤُلَاءِ قَدِمُوا لِأَمْرٍ فَهَابُوكَ دُونَهُ . وَإِنَّ الْكَلَامَ

نَشْرٌ وَالسُّكُوتَ طَيٌّ لَا يُعْرَفُ إِلَّا بِنَشْرِهِ . فَأَعْجَبَهُ كَلَامُهُ وَقَالَ : اُنْشُرْ لَا أُمَّ لَكَ . فَقَالَ : إِنَّا أَصَابَتْنَا سِنُونَ ثَلَاثٌ . فَسَنَةٌ أَكَلَتِ اللَّحْمَ . وَسَنَةٌ أَذَابَتِ الشَّحْمَ . وَسَنَةٌ أَنْقَتِ الْعَظْمَ . وَفِي يَدَيْكُمْ فُضُولُ أَمْوَالٍ فَإِنْ كَانَتْ لِلَّهِ عَزَّ وَجَلَّ فَفَرِّقُوهَا عَلَى عِبَادِهِ . وَإِنْ كَانَتْ لَهُمْ فَلَا تَحْبِسُوهَا عَنْهُمْ . وَإِنْ كَانَتْ لَكُمْ فَتَصَدَّقُوا بِهَا عَلَيْهِمْ فَإِنَّ اللَّهَ يَجْزِي الْمُتَصَدِّقِينَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ . وَإِنَّ الْوَالِيَ مِنَ الرَّعِيَّةِ كَالرُّوحِ مِنَ الْجَسَدِ لَا حَيَاةَ لَهُ إِلَّا بِهِ . فَقَالَ هِشَامٌ مَا تَرَكَ الْغُلَامُ فِي وَاحِدَةٍ مِنَ الثَّلَاثِ عُذْرًا . وَأَمَرَ بِمِائَةِ أَلْفِ دِينَارٍ فَفُرِّقَتْ فِي أَهْلِ الْبَادِيَةِ . وَأَمَرَ لَهُ بِمِائَةِ أَلْفِ دِرْهَمٍ فَقَالَ : أَرْدُدْهَا فِي جَائِزَةِ الْعَرَبِ فَمَا لِي حَاجَةٌ فِي خَاصَّةِ نَفْسِي دُونَ عَامَّةِ النَّاسِ (للشريشي)

الشاعر المتزوي

١٦٨ يُحْكَى أَنَّ بَعْضَ الْأَعْرَابِ امْتَدَحَ بَعْضَ الرُّؤَسَاءِ بِقَصِيدَةٍ بَدِيعَةٍ . فَلَمَّا قَرَأَهَا عَلَيْهِ اسْتَكْثَرَهَا عَلَيْهِ بَعْضُ الْحَاضِرِينَ وَنَسَبَهُ إِلَى سَرِقَتِهَا . فَأَرَادَ الْمَمْدُوحُ أَنْ يَعْرِفَ حَقِيقَةَ الْحَالِ . فَرَسَمَ لَهُ بِمُدٍّ مِنَ الشَّعِيرِ وَقَالَ فِي نَفْسِهِ : إِنْ كَانَ لَهُ بَدِيهَةٌ فِي النَّظْمِ فَلَا بُدَّ أَنْ يَقُولَ شَيْئًا فِي شَرْحِ حَالِهِ . فَأَخَذَ الْمُدَّ الشَّعِيرَ فِي رِدَائِهِ وَخَرَجَ فَقَالَ الْمَمْدُوحُ لِلْبَوَّابِينَ سِرًّا : لَا تُمَكِّنُوهُ مِنَ الْخُرُوجِ . فَوَقَفَ الْأَعْرَابِيُّ فِي الدِّهْلِيزِ حَائِرًا . فَبَعَثَ إِلَيْهِ الْمَمْدُوحُ مَنْ سَأَلَهُ وَقَالَ لَهُ : مَا شَأْنُكَ يَا أَعْرَابِيُّ . فَقَالَ : إِنِّي امْتَدَحْتُ الْأَمِيرَ بِقَصِيدَةٍ . قَالَ : فَمَا أَجَازَكَ

عَلَيْهَا . قَالَ : هٰذَا ٱلْمُدُّ ٱلشَّعِيرَ . فَقَالَ لَهُ : هَلْ قُلْتَ فِي ذٰلِكَ شَيْئًا . قَالَ نَعَمْ . قَالَ : مَا هُوَ . فَأَنْشَدَ بَدِيهًا :

يَقُولُونَ لِي أَرْخَصْتَ شِعْرَكَ فِي ٱلْوَرَى ... فَقُلْتُ لَهُمْ مِنْ عُدْمِ أَهْلِ ٱلْمَكَارِمِ
أَجِزْتُ عَلَى شِعْرِي ٱلشَّعِيرَ وَإِنَّهُ ... كَثِيرٌ إِذَا خَلَّصْتَهُ مِنْ بَهَائِمِ

فَلَمَّا بَلَغَ ٱلْمَمْدُوحَ هٰذَانِ ٱلْبَيْتَانِ أُعْجِبَ بِهِمَا . وَعَلِمَ أَنَّ ٱلْقَصِيدَةَ مِنْ نَظْمِهِ . فَرَسَمَ لَهُ بِجَائِزَةٍ سَنِيَّةٍ

المنصور وابن هبيرة

١٦٩ لَمَّا حَاضَرَ ٱلْمَنْصُورُ ٱبْنَ هُبَيْرَةَ بَعَثَ إِلَيْهِ ٱبْنُ هُبَيْرَةَ وَقَالَ : بَارِزْنِي . فَقَالَ : لَا أَفْعَلُ . فَقَالَ ٱبْنُ هُبَيْرَةَ لَأَشْهَرَنَّ ٱمْتِنَاعَكَ وَلَأُعَيِّرَنَّكَ بِهِ . فَقَالَ ٱلْمَنْصُورُ : مَثَلُنَا مَا قِيلَ : إِنَّ خِنْزِيرًا بَعَثَ إِلَى ٱلْأَسَدِ وَقَالَ : قَاتِلْنِي . فَقَالَ ٱلْأَسَدُ : لَسْتَ بِكُفْوِي . فَإِنِّي إِنْ قَتَلْتُكَ لَمْ يَكُنْ لِي فَخْرٌ . وَإِنْ قَتَلْتَنِي لَحَقَنِي وَصْمٌ عَظِيمٌ . فَقَالَ لَأُخْبِرَنَّ ٱلسِّبَاعَ بِنُكُولِكَ . فَقَالَ ٱلْأَسَدُ : ٱحْتِمَالُ ٱلْعَارِ فِي ذٰلِكَ أَيْسَرُ مِنَ ٱلتَّلَطُّخِ بِدَمِكَ . فَخَجِلَ ٱبْنُ هُبَيْرَةَ وَكَفَّ عَنْهُ (للنواجي)

١٧٠ مَا أَرَقَّ وَأَجْوَدَ مَا قَالَ بَعْضُهُمْ فِي ٱلْفِرَاقِ :

مَا ٱلدَّارُ قَدْ غِبْتُمْ يَا سَادَتِي دَارُ ... كَلَّا وَلَا ٱلْجَارُ مُذْ غِبْتُمْ لَنَا جَارُ
غِبْتُمْ فَأَوْحَشْتُمُ ٱلدُّنْيَا بِبُعْدِكُمُ ... وَأَظْلَمَتْ بَعْدَكُمْ رُحْبٌ وَأَقْطَارُ
لَيْتَ ٱلْغُرَابَ ٱلَّذِي نَادَى بِفُرْقَتِنَا ... يَعْرَى مِنَ ٱلرِّيشِ لَا تَحْوِيهِ أَوْكَارُ
تُرَى تَعُودُ لَيَالِينَا ٱلَّتِي سَلَفَتْ ... كَمَا عَهِدْنَا وَتَجْمَعُ بَيْنَنَا ٱلدَّارُ

١٧١ أَرْسَلَ شَاعِرٌ هَدِيَّةً إِلَى مَلِكٍ وَشَفَعَهَا بِهٰذِهِ الْأَبْيَاتِ :

أَتَتْ سُلَيْمَانَ يَوْمَ الْعَرْضِ قُنْبُرَةٌ ... تُبْدِي إِلَيْهِ جَرَادًا كَانَ فِي فِيهَا
وَأَنْشَدَتْ فِي لِسَانِ الْحَالِ قَائِلَةً ... إِنَّ الْهَدِيَّةَ مِنْ مِقْدَارِ هَادِيهَا
لَوْ أَنَّ يُهْدَى إِلَى الْإِنْسَانِ قِيمَتُهُ ... لَكَانَ تُهْدِي إِلَيْكَ الدُّنْيَا مَا فِيهَا

فَاسْتَحْسَنَهَا الْمَلِكُ وَأَجَازَهُ . (طرائف اللطائف)

١٧٢ قَالَ الْأَصْمَعِيُّ فِي تَغْرِيدِ الْبُلْبُلِ :

أَيُّهَا الْبُلْبُلُ الْمُغَرِّدُ فِي النَّخْلِ غَرِيبًا مِنْ أَهْلِهِ حَيْرَانَا
أَفِرَاقًا تَشْكُوهُ أَمْ دِمْتَ تَدْعُو ... فَوْقَ أَفْنَانِ نَخْلَةٍ وَرْشَانَا
هَاجَ لِي صَوْتُكَ الْمُغَرِّدُ شَجْوًا ... رُبَّ صَوْتٍ يُهَيِّجُ الْأَحْزَانَا

١٧٣ وَقَالَ نَصْرُ بْنُ سَيَّارٍ فِي مَنْ لَا يَتَصَدَّى إِلَى صَغَائِرِ الشُّرُورِ :

أَرَى بَيْنَ الرَّمَادِ وَمِيضَ نَارٍ ... وَيُوشِكُ أَنْ يَكُونَ لَهَا ضِرَامُ
فَإِنْ لَمْ تُطْفِهَا عُقَلَاءُ قَوْمٍ ... يَكُونُ وَقُودَهَا جُثَثٌ وَهَامُ
فَإِنَّ النَّارَ بِالْعُودَيْنِ تُذْكَى ... وَإِنَّ الْحَرْبَ أَوَّلُهَا كَلَامُ

١٧٤ إِجْتَمَعَ يَوْمًا آلُ الصَّحَابَةِ فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ :

أَلْمَوْتُ بَابٌ وَكُلُّ النَّاسِ تَدْخُلُهُ ... يَا لَيْتَ شِعْرِي بَعْدَ الْبَابِ مَا الدَّارُ

فَقَالَ عُمَرُ :

أَلدَّارُ دَارُ نَعِيمٍ إِنْ عَمِلْتَ بِمَا ... يُرْضِي الْإِلٰهَ وَإِنْ خَالَفْتَ فَالنَّارُ

فَأَجَازَهُ عُثْمَانُ :

هُمَا مَحَلَّانِ مَا لِلنَّاسِ غَيْرُهُمَا ... فَانْظُرْ لِنَفْسِكَ أَيَّ الدَّارِ تَخْتَارُ

فَأَجَازَهُ عَلِيٌّ بِقَوْلِهِ :

مَا لِلْعِبَادِ سِوَى الْفِرْدَوْسِ إِنْ عَمِلُوا ... وَإِنْ هَفَوْا هَفْوَةً فَالرَّبُّ غَفَّارُ

١٧٥ قَالَ أَعْرَابِيٌّ يَتَشَوَّقُ إِلَى بَلَدِهِ :

ذَكَرْتُ بِلَادِي فَاسْتَهَلَّتْ مَدَامِعِي ... بِشَوْقٍ إِلَى عَهْدِ الصِّبَا الْمُتَقَادِمِ

حَنَنْتُ إِلَى رَبْعٍ بِهِ أُخْضَرُ شَارِبِي ... وَقُطِّعَ عَنِّي فِيهِ عِقْدُ التَّمَائِمِ

١٧٦ قَالَ ابْنُ عَلَاءٍ مُوَدِّعًا :

لَأُوَدِّعَنَّكَ ثُمَّ تَدْمَعُ مُقْلَتِي ... إِنَّ الدُّمُوعَ هِيَ الْوَدَاعُ الثَّانِي

فِي فُرْقَةِ الْأَحْبَابِ شُغْلٌ شَاغِلٌ ... وَالْمَوْتُ صِدْقًا فُرْقَةُ الْإِخْوَانِ

١٧٧ قَالَ شَمْسُ الْمَعَالِي قَابُوسُ وَكَانَتْ أَصْحَابُهُ قَدْ خَرَجَتْ عَنْ طَاعَتِهِ :

قُلْ لِلَّذِي بِصُرُوفِ الدَّهْرِ عَيَّرَنَا ... هَلْ عَانَدَ الدَّهْرَ إِلَّا مَنْ لَهُ خَطَرُ

فِي السَّمَاءِ نُجُومٌ مَا لَهَا عَدَدٌ ... وَلَيْسَ يُكْسَفُ إِلَّا الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ

١٧٨ حَدَّثَ إِسْحَاقُ الْمَوْصِلِيُّ قَالَ : كُنْتُ عِنْدَ الْفَضْلِ بْنِ الرَّبِيعِ يَوْمًا فَدَخَلَ إِلَيْهِ ابْنُ ابْنِهِ عَبْدُ اللهِ بْنُ الْعَبَّاسِ بْنِ الْفَضْلِ وَهُوَ طِفْلٌ . وَكَانَ يَرِقُّ عَلَيْهِ لِأَنَّ أَبَاهُ مَاتَ فِي حَيَاتِهِ . فَأَجْلَسَهُ فِي حُجْرِهِ وَضَمَّهُ إِلَيْهِ وَدَمَعَتْ عَيْنَاهُ . فَأَنْشَأْتُ أَقُولُ :

مَدَّ لَكَ اللهُ الْحَيَاةَ مَدَّا ... حَتَّى يَكُونَ ابْنُكَ هٰذَا جَدَّا

مُؤَزَّرًا بِمَجْدِهِ مُرَدَّى ... ثُمَّ يُفَدَّى مِثْلَ مَا تُفَدَّى

أَشْبَهَ مِنْكَ سُنَّةً وَجِدًّا ... وَشِيَمًا مَرْضِيَةً وَمَجْدَا

كَأَنَّهُ أَنْتَ إِذَا تَبَدَّى ... شَمَائِلًا مَحْمُودَةً وَقَدَّا

قَالَ : فَتَبَسَّمَ ٱلْفَضْلُ وَقَالَ : أَمْتَعَنِي ٱللهُ بِكَ يَا أَبَا مُحَمَّدٍ . فَقَدْ عُوِّضْتُ مِنَ ٱلْحُزْنِ سُرُورًا وَتَسَلَّيْتُ بِقَوْلِكَ . وَكَذٰلِكَ يَكُونُ إِنْ شَاءَ ٱللهُ

١٧٩ أَخْبَرَ ٱلصُّولِيُّ قَالَ : عَتَبَ ٱلْمَأْمُونُ عَلَى إِسْحَاقَ فِي شَيْءٍ فَكَتَبَ إِلَيْهِ رُقْعَةً وَأَوْصَلَهَا إِلَيْهِ مِنْ يَدِهِ . فَفَتَحَهَا ٱلْمَأْمُونُ فَإِذَا فِيهَا قَوْلُهُ :

لَاشَيْءَ أَعْظَمُ مِنْ جُرْمِي سِوَى أَمَلِي لِحُسْنِ عَفْوِكَ عَنْ ذَنْبِي وَعَنْ زَلَلِي
فَإِنْ يَكُنْ ذَا وَذَا فِي ٱلْقَدْرِ قَدْ عَظُمَا فَأَنْتَ أَعْظَمُ مِنْ جُرْمِي وَمِنْ أَمَلِي

فَضَحِكَ ثُمَّ قَالَ : يَا إِسْحَاقُ عُذْرُكَ أَعْلَى قَدْرًا مِنْ جُرْمِكَ . وَمَا جَالَ بِفِكْرِي وَلَا أَحْضَرْتُهُ بَعْدَ ٱنْقِضَائِهِ عَلَى ذِكْرِي (الاغاني)

١٨٠ تَعَذَّرَ بَعْضُهُمْ لِلْحَرْبِ فَقَالَ :

قَامَتْ تُشَجِّعُنِي هِنْدٌ فَقُلْتُ لَهَا إِنَّ ٱلشَّجَاعَةَ مَقْرُونٌ بِهَا ٱلْعَطَبُ
لَا وَٱلَّذِي مَنَعَ ٱلْأَبْصَارَ رُؤْيَتَهُ مَا يَشْتَهِي ٱلْمَوْتَ عِنْدِي مَنْ لَهُ أَدَبُ

لِلْحَرْبِ قَوْمٌ أَضَلَّ ٱللهُ سَعْيَهُمُ إِذَا دَعَتْهُمْ إِلَى نِيرَانِهَا وَثَبُوا
وَلَسْتُ مِنْهُمْ وَلَا أَهْوَى فِعَالَهُمُ لَا ٱلْقَتْلُ يُعْجِبُنِي مِنْهُمْ وَلَا ٱلسَّلَبُ

١٨١ قَالَ مَحْمُودُ ٱلْوَرَّاقُ فِي هٰذَا ٱلْمَعْنَى :

أَيُّهَا ٱلْفَارِسُ ٱلْمُشِيحُ ٱلْمُغِيرُ إِنَّ قَلْبِي مِنَ ٱلسِّلَاحِ يَطِيرُ
لَيْسَ لِي قُوَّةٌ عَلَى رَهَجِ ٱلْخَيْلِ إِذَا ثَوَّرَ ٱلْغُبَارَ مُثِيرُ
وَٱسْتَدَارَتْ رَحَى ٱلْحُرُوبِ بِقَوْمٍ فَقَتِيلٌ وَهَارِبٌ وَأَسِيرُ

حَيْثُ لَا يَنْطِقُ ٱلْجَبَانُ مِنَ ٱلذُّعْرِ وَيَعْلُو ٱلصِّيَاحُ وَٱلتَّكْبِيرُ
أَنَا فِي مِثْلِ هٰذَا وَهٰذَا بَلِيدٌ وَلَبِيبٌ فِي غَيْرِهِ نِحْرِيرُ

١٨٢ مَثَلَ دِعْبِلٌ بَيْنَ يَدَيْ بَعْضِ أُمَرَاءِ الرَّقَّةِ فَقَالَ أَصْلَحَ اللهُ الْأَمِيرَ: مَاذَا أَقُولُ إِذَا أَتَيْتُ مَعَاشِرِي صُفْرًا يَدِي مِنْ عِنْدِ أَرْوَمِ مُخْزِلِ
إِنْ قُلْتُ أَعْطَانِي كَذَبْتُ وَإِنْ أَقُلْ ضَنَّ الْأَمِيرُ بِمَالِهِ لَمْ يَجْمُلِ
وَلَأَنْتَ أَعْلَمُ بِالْمَكَارِمِ وَالْعُلَى مِنْ أَنْ أَقُولَ فَعَلْتَ مَا لَمْ تَفْعَلِ
فَاخْتَرْ لِنَفْسِكَ مَا أَقُولُ فَإِنَّنِي لَا بُدَّ مُخْبِرُهُمْ وَإِنْ لَمْ أُسْأَلِ
قَالَ لَهُ. قَاتَلَكَ اللهُ: وَأَمَرَ لَهُ بِعَشَرَةِ آلَافِ دِرْهَمٍ (لابن عبد ربّه)

١٨٣ وَصَفَ بَعْضُ الشُّعَرَاءِ رَجُلًا يَحْمِي خَبِيثًا:
رَأَيْتُ مُنَافِقًا يَحْمِي خَبِيثًا وَكُلٌّ مِنْهُمَا بِالظُّلْمِ يَسْعَى
قَدِ اتَّفَقَا وَلٰكِنْ فِي فَسَادٍ كَعَقْرَبَ رَاكِبٍ لِلشَّرِّ أَفْعَى

ابو عبادة البحتري عند المتوكّل

١٨٤ حَدَّثَ أَبُو عِبَادَةَ الْبُحْتُرِيُّ الشَّاعِرُ وَكَانَ الْمُتَوَكِّلُ أَدْخَلَهُ فِي نُدَمَائِهِ قَالَ: دَخَلْتُ عَلَى الْمُتَوَكِّلِ يَوْمًا فَرَأَيْتُ فِي يَدَيْهِ دُرَّتَيْنِ مَا رَأَيْتُ أَشْرَفَ مِنْ نُورِهِمَا. وَلَا أَنْقَى بَيَاضًا وَلَا أَكْبَرَ. فَأَدَمْتُ النَّظَرَ إِلَيْهِمَا وَلَمْ أَصْرِفْ طَرْفِي عَنْهُمَا. وَرَآنِي الْمُتَوَكِّلُ فَرَمَى إِلَيَّ الَّتِي كَانَتْ فِي يَدِهِ الْيُمْنَى. فَقَبَّلْتُ الْأَرْضَ وَجَعَلْتُ أُفَكِّرُ فِيمَا يُضْحِكُهُ طَمَعًا فِي الْأُخْرَى. فَعَنَّ لِي أَنْ قُلْتُ:

بِسُرَّ مَرَّا لَنَا إِمَامٌ تَعْرُفُ مِنْ كَفِّهِ الْبِجَارُ
خَلِيفَةٌ يُرْتَجَى وَيُخْشَى كَأَنَّهُ جَنَّةٌ وَنَارُ
أَلْمُلْكُ فِيهِ وَفِي بَنِيهِ مَا اخْتَلَفَ اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ

يَدَاهُ فِي ٱلْجُودِ ضَرَّتَانِ هٰذِي عَلَى هٰذِهِ تَغَارُ
وَلَيْسَ تَأْتِي ٱلْيَمِينُ شَيْئًا إِلَّا أَتَتْ مِثْلَهُ ٱلْيَسَارُ

فَرَمَى بِٱلدُّرَّةِ ٱلَّتِي كَانَتْ فِي يَسَارِهِ وَقَالَ : خُذْهَا يَا عَيَّارُ (للازدي)

١٨٥ مَرِضَ ٱبْنُ عُنَيْنٍ فَكَتَبَ إِلَى ٱلسُّلْطَانِ هٰذَيْنِ ٱلْبَيْتَيْنِ :

أَنْظُرْ إِلَيَّ بِعَيْنِ مَوْلًى لَمْ يَزَلْ يُولِي ٱلنَّدَى وَتَلَافَ قَبْلَ تَلَافِي
أَنَا كَٱلَّذِي أَحْتَاجُ مَا يَحْتَاجُهُ فَٱغْنَمْ دُعَائِي وَٱلثَّنَاءَ ٱلْوَافِي

فَحَضَرَ ٱلسُّلْطَانُ إِلَى عِيَادَتِهِ . وَأَتَى إِلَيْهِ بِأَلْفِ دِينَارٍ وَقَالَ لَهُ : أَنْتَ ٱلَّذِي . وَهٰذِهِ ٱلصِّلَةُ . وَأَنَا ٱلْعَائِدُ (لبهاء الدين)

١٨٦ كَانَ ٱلْإِمَامُ فَخْرُ ٱلدِّينِ ٱلرَّازِيُّ فِي مَجْلِسِ دَرْسِهِ إِذْ أَقْبَلَتْ حَمَامَةٌ خَلْفَهَا صَقْرٌ يُرِيدُ صَيْدَهَا . فَأَلْقَتْ نَفْسَهَا فِي حُجْرِهِ كَٱلْمُسْتَجِيرَةِ بِهِ فَأَنْشَدَ شَرَفُ ٱلدِّينِ بْنُ عُنَيْنٍ أَبْيَاتًا فِي هٰذَا ٱلْمَعْنَى . مِنْهَا :

جَاءَتْ سُلَيْمَانَ ٱلزَّمَانِ حَمَامَةٌ وَٱلْمَوْتُ يَلْمَعُ مِنْ جَنَاحَيْ خَاطِفِ
مَنْ أَنْبَأَ ٱلْوَرْقَاءَ أَنَّ مَحَلَّكُمْ حَرَمٌ وَأَنَّكَ مَلْجَأٌ لِلْخَائِفِ

(تاريخ الذهبي)

١٨٧ رَكِبَ مُصْعَبُ ٱلْوَالِي يَوْمًا بِبَغْدَادَ فِي جِرَّاقَتِهِ فَٱعْتَرَضَهُ مُقَدِّسُ ٱبْنُ صَيْفِيٍّ ٱلْخُلُوقِيُّ ٱلشَّاعِرُ . وَقَدْ أُدْنِيَتْ مِنَ ٱلشَّطِّ لِيَخْرُجَ . فَقَالَ : أَيُّهَا ٱلْأَمِيرُ إِنْ رَأَيْتَ أَنْ تَسْمَعَ مِنِّي أَبْيَاتًا . فَقَالَ : قُلْ . فَأَنْشَأَ يَقُولُ :

عَجِبْتُ لِجِرَّاقَةِ ٱبْنِ ٱلْحُسَيْنِ لَأَغْرَقَتْ كَيْفَ لَا تَغْرَقُ
وَبَحْرَانِ مِنْ فَوْقِهَا وَاحِدٌ وَآخَرُ مِنْ تَحْتِهَا مُطْبِقُ

وَأَعْجَبُ مِنْ ذٰلِكَ أَعْوَادُهَا وَقَدْ مَسَّهَا كَيْفَ لَا تُورِقُ

فَقَالَ طَاهِرٌ: أَعْطُوهُ ثَلَاثَةَ آلَافِ دِينَارٍ (لابن خلّكان)

جرير والفرزدق والاخطل في مجلس عبد الملك

١٨٨ إِجْتَمَعَ جَرِيرٌ وَٱلْفَرَزْدَقُ وَٱلْأَخْطَلُ فِي مَجْلِسِ عَبْدِ ٱلْمَلِكِ. فَأَحْضَرَ بَيْنَ يَدَيْهِ كِيسًا فِيهِ خَمْسُ مِائَةِ دِينَارٍ. وَقَالَ لَهُمْ: لِيَقُلْ كُلٌّ مِنْكُمْ بَيْتًا فِي مَدْحِ نَفْسِهِ فَأَيُّكُمْ غَلَبَ فَلَهُ ٱلْكِيسُ. فَبَدَرَ ٱلْفَرَزْدَقُ فَقَالَ:

أَنَا ٱلْقَطْرَانُ وَٱلشُّعَرَاءُ جَرْبَى وَفِي ٱلْقَطْرَانِ لِلْجَرْبَى شِفَاءُ

فَقَالَ ٱلْأَخْطَلُ:

فَإِنْ تَكُ زِقَّ زَامِلَةٍ فَإِنِّي أَنَا ٱلطَّاعُونُ لَيْسَ لَهُ دَوَاءُ

فَقَالَ جَرِيرٌ:

أَنَا ٱلْمَوْتُ ٱلَّذِي آتِي عَلَيْكُمْ فَلَيْسَ لِهَارِبٍ مِنِّي نَجَاءُ

فَقَالَ: خُذِ ٱلْكِيسَ فَلَعَمْرِي إِنَّ ٱلْمَوْتَ يَأْتِي عَلَى كُلِّ شَيْءٍ

(طبقات الشعراء لابن سلّام)

الرَّكاض والرشيد

١٨٩ أُدْخِلَ ٱلرَّكَّاضُ وَهُوَ ٱبْنُ أَرْبَعِ سِنِينَ إِلَى ٱلرَّشِيدِ لِيَتَعَجَّبَ مِن فِطْنَتِهِ. فَقَالَ لَهُ: مَا تُحِبُّ أَنْ أَهَبَ لَكَ. قَالَ: جَمِيلَ رَأْيِكَ. فَإِنِّي أَفُوزُ بِهِ فِي ٱلدُّنْيَا وَٱلْآخِرَةِ. فَأَمَرَ بِدَنَانِيرَ وَدَرَاهِمَ فَصُبَّتْ بَيْنَ يَدَيْهِ. فَقَالَ لَهُ: ٱخْتَرِ ٱلْأَحَبَّ إِلَيْكَ فَقَالَ: ٱلْأَحَبُّ إِلَيَّ أَمِيرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ. وَهٰذَا مِنْ هٰذَيْنِ وَضَرَبَ بِيَدِهِ إِلَى ٱلدَّنَانِيرِ. فَضَحِكَ ٱلرَّشِيدُ وَأَمَرَ

بِضَمِّهِ إِلَى وَلَدِهِ وَالْإِجْرَاءِ عَلَيْهِ (لكمال الدين الحلبي)

١٩٠ كَتَبَ الْبُسْتِيُّ إِلَى بَعْضِ أَصْحَابِهِ وَكَانَ مُعْتَقَلًا:

فَدَيْتُكَ يَا رُوحَ الْمَكَارِمِ وَالْعُلَا بِأَنْفَسِ مَا عِنْدِي مِنَ الرُّوحِ وَالنَّفْسِ
حُبِسْتَ فَمِنْ بَعْدِ الْكُسُوفِ تَبَلُّجٌ تُضِيءُ بِهِ الْآفَاقُ كَالْبَدْرِ وَالشَّمْسِ
فَلَا تَعْتَقِدْ لِلْحَبْسِ هَمًّا وَوَحْشَةً فَقَبْلَكَ قِدْمًا كَانَ يُوسُفُ فِي الْحَبْسِ

١٩١ قَالَ ابْنُ عَرَبْشَاهَ يُغْرِي عَلَى طَلَبِ الْمَجْدِ:

لَا يُؤْيِسَنَّكَ مِنْ مَجْدٍ تَبَاعُدُهُ فَإِنَّ لِلْمَجْدِ تَدْرِيجًا وَتَرْتِيبَا
إِنَّ الْقَنَاةَ الَّتِي شَاهَدْتَ رِفْعَتَهَا تَنْمُو فَتَنْبُتُ أُنْبُوبًا فَأُنْبُوبَا

١٩٢ كَانَ ابْنُ أَبِي صَقْرٍ طَعَنَ فِي السِّنِّ وَضَعُفَ عَنِ الْمَشْيِ. فَصَارَ يَتَوَكَّأُ عَلَى عَصًا فَقَالَ فِي ذَلِكَ:

كُلُّ مَرْءٍ إِذَا تَفَكَّرْتَ فِيهِ وَتَأَمَّلْتَهُ رَأَيْتَ ظَرِيفَا
كُنْتُ أَمْشِي عَلَى اثْنَتَيْنِ قَوِيًّا صِرْتُ أَمْشِي عَلَى ثَلَاثٍ ضَعِيفَا

١٩٣ زَلَّتْ بِالْأَتَابِكِ صَاحِبِ الْمَوْصِلِ بَغْلَتُهُ فَأَنْشَدَ ابْنُ الْأَثِيرِ:

إِنْ زَلَّتِ الْبَغْلَةُ مِنْ تَحْتِهِ فَإِنَّ فِي زَلَّتِهَا عُذْرَا
حَمَّلَهَا مِنْ عِلْمِهِ شَاهِقًا وَمِنْ نَدَى رَاحَتِهِ بَحْرَا

١٩٤ قَالَ ابْنُ السَّرَّاجِ الْوَرَّاقُ يَعْتِبُ عَلَى نَفْسِهِ:

يَا خَجْلَتِي وَصَحَائِفِي قَدْ سُوِّدَتْ وَصَحَائِفُ الْأَبْرَارِ فِي إِشْرَاقِ
وَمُوَبِّخٍ لِي فِي الْقِيَامَةِ قَائِلٌ أَكَذَا تَكُونُ صَحَائِفُ الْوَرَّاقِ

١٩٥ حَضَرَ ابْنُ الْحَجَّاجِ فِي دَعْوَةِ رَجُلٍ فَأَخَّرَ الطَّعَامَ إِلَى الْمَسَاءِ فَقَالَ:

يَا صَاحِبَ ٱلْبَيْتِ ٱلَّذِي ضِيفَانُهُ مَاتُوا جَمِيعَا
أَدَعَوْتَنَا حَتَّى نَمُو تَ بِدَائِنَا عَطَشًا وَجُوعَا
مَا لِي أَرَى فَلَكَ ٱلرَّغِيفِ لَدَيْكَ مُشْتَرَفًا رَفِيعَا
كَٱلْبَدْرِ لَا نَرْجُو إِلَى وَقْتِ ٱلْمَسَاءِ لَهُ طُلُوعَا

١٩٦ قَالَ ٱبْنُ حَمْدِيسٍ يَتَشَوَّقُ إِلَى صِقِلِّيَةَ وَهِيَ مَكَانُ مَنْشَاهُ :

ذَكَرْتُ صِقِلِّيَةً وَٱلْأَسَى يُجَدِّدُ لِلنَّفْسِ تَذْكَارَهَا
فَإِنْ كُنْتُ أُخْرِجْتُ مِنْ جَنَّةٍ فَإِنِّي أُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا
وَلَوْلَا مُلُوحَةُ مَاءِ ٱلْبُكَا حَسِبْتُ دُمُوعِيَ أَنْهَارَهَا

١٩٧ حُكِيَ أَنَّ جُمْهُورَ شُعَرَاءِ مِصْرَ كَانَ مِنْ عَادَتِهِمْ أَنْ يَأْتُوا ٱلْوَالِيَ كُلَّ سَنَةٍ فِي ٱلْعِيدِ فَيُهَنِّئُونَهُ بِٱلْقَصَائِدِ وَيَنَالُونَ مِنْهُ ٱلْجَوَائِزَ . فَبَيْنَمَا كَانُوا لَدَيْهِ ذَاتَ سَنَةٍ يُعَيِّدُونَهُ بِٱلْأَشْعَارِ حَدَثَتْ زَلْزَلَةٌ شَدِيدَةٌ ٱرْتَجَّتْ مِنْهَا دِيَارُ مِصْرَ . فَٱلْتَفَتَ ٱلْوَالِي إِلَى ٱلشُّعَرَاءِ وَقَالَ لَهُمْ : هَلْ مِنْكُمْ مَنْ يُطْرِفُنَا بَدِيهًا بِبَيْتٍ مَضْمُونُهُ هٰذِهِ ٱلزَّلْزَلَةُ . فَقَالَ بَعْضُهُمْ :

يَا حَاكِمَ ٱلْفَضْلِ إِنَّ ٱلْحَقَّ مُتَّضِحٌ لَدَى ٱلْكِرَامِ أَيَا ٱبْنَ ٱلسَّادَةِ ٱلنُّجَبَا
مَا زُلْزِلَتْ مِصْرُ مِنْ كَيْدٍ أَلَمَّ بِهَا لٰكِنَّهَا رَقَصَتْ مِنْ عَدْلِكُمْ طَرَبَا

الأعمى والأعور

١٩٨ سَمِعْتُ أَعْمَى مَرَّةً قَائِلًا يَا قَوْمُ مَا أَصْعَبَ فَقْدَ ٱلْبَصَرْ
أَجَابَهُ أَعْوَرُ مِنْ خَلْفِهِ عِنْدِيَ مِنْ ذٰلِكَ نِصْفُ ٱلْخَبَرْ

١٩٩ قَالَ ٱبْنُ ٱلدَّهَّانِ فِي غُلَامٍ لَسَبَتْهُ نَخْلَةٌ فِي شَفَتِهِ :

بِأَبِي مَنْ لَسَبَتْهُ نَخْلَةٌ ... آلَمَتْ أَكْرَمَ شَيْءٍ وَأَجَلْ
حَسِبَتْ أَنَّ بِفِيهِ بَيْتَهَا ... إِذْ رَأَتْ رِيقَتَهُ مِثْلَ الْعَسَلْ

٢٠٠ أَنْشَدَ ابْنُ صُرْدُرَّ ابْنَ جَهِيرٍ لَمَّا عَادَ إِلَى الْوِزَارَةِ بَعْدَ الْعَزْلِ :

قَدْ رَجَعَ الْحَقُّ إِلَى نِصَابِهِ ... وَأَنْتَ مِنْ كُلِّ الْوَرَى أَوْلَى بِهِ
مَا كُنْتَ إِلَّا السَّيْفَ سَلَّتْهُ يَدٌ ... ثُمَّ أَعَادَتْهُ إِلَى قِرَابِهِ
هَزَّتْهُ حَتَّى أَبْصَرَتْهُ صَارِمًا ... رَوْنَقُهُ يُغْنِيهِ عَنْ ضَرَّابِهِ

٢٠١ قَالَ أَحْمَدُ بْنُ فَارِسٍ الرَّازِيُّ اللُّغَوِيُّ يَصِفُ مَا كَانَ عَلَيْهِ :

وَقَالُوا كَيْفَ حَالُكَ قُلْتُ خَيْرٌ ... تُقَضَّى حَاجَةٌ وَتَفُوتُ حَاجُ
إِذَا ازْدَحَمَتْ هُمُومُ الصَّدْرِ قُلْنَا ... عَسَى يَوْمًا يَكُونُ لَهَا انْفِرَاجُ
نَدِيمِي هِرَّتِي وَأَنِيسُ نَفْسِي ... دَفَاتِرُ لِي وَمَعْشُوقِي السِّرَاجُ

٢٠٢ أَرْسَلَ الْبَدِيعُ الْأَسْطُرُلَابِيُّ هَدِيَّةً لِبَعْضِ الْأُمَرَاءِ فَأَنْشَدَ :

أُهْدِي لِمَجْلِسِهِ الْكَرِيمِ وَإِنَّمَا ... أُهْدِي لَهُ مَا حُزْتُ مِنْ نَعْمَائِهِ
كَالْبَحْرِ يُمْطِرُهُ السَّحَابُ وَمَالَهُ ... فَضْلٌ عَلَيْهِ لِأَنَّهُ مِنْ مَائِهِ

٢٠٣ كَانَ الْخَلِيلُ بْنُ أَحْمَدَ يُقَطِّعُ الْعَرُوضَ . فَدَخَلَ عَلَيْهِ وَلَدُهُ فِي تِلْكَ الْحَالَةِ فَخَرَجَ إِلَى النَّاسِ وَقَالَ : إِنَّ أَبِي قَدْ جُنَّ . فَدَخَلَ النَّاسُ عَلَيْهِ وَهُوَ يُقَطِّعُ الْعَرُوضَ . فَأَخْبَرُوهُ بِمَا قَالَ ابْنُهُ . فَقَالَ لَهُ :

لَوْ كُنْتَ تَعْلَمُ مَا أَقُولُ عَذَرْتَنِي ... أَوْ كُنْتَ تَعْلَمُ مَا تَقُولُ عَذَلْتُكَا
لَكِنْ جَهِلْتَ مَقَالَتِي فَعَذَلْتَنِي ... وَعَلِمْتُ أَنَّكَ جَاهِلٌ فَعَذَرْتُكَا

(نزهة الالباء في طبقات الادباء لابي بركات الانباري)

٢٠٤ شَخَصَ مُضَرُ وَرَبِيعَةُ وَإِيَادٌ وَأَنْمَارٌ أَوْلَادُ نِزَارٍ إِلَى أَرْضِ نَجْرَانَ. فَبَيْنَمَا هُمْ يَسِيرُونَ إِذْ رَأَى مُضَرُ كَلَأً قَدْ رُعِيَ فَقَالَ: ٱلْبَعِيرُ ٱلَّذِي رَعَى هٰذَا أَعْوَرُ. فَقَالَ رَبِيعَةُ: وَهُوَ أَزْوَرُ. قَالَ إِيَادٌ: وَهُوَ أَبْتَرُ. وَقَالَ أَنْمَارٌ: وَهُوَ شَرُودٌ. فَلَمْ يَسِيرُوا إِلَّا قَلِيلًا حَتَّى لَقِيَهُمْ رَجُلٌ عَلَى رَاحِلَةٍ فَسَأَلَهُمْ عَنِ ٱلْبَعِيرِ. فَقَالَ مُضَرُ: أَهُوَ أَعْوَرُ. قَالَ: نَعَمْ. قَالَ رَبِيعَةُ: أَهُوَ أَزْوَرُ. قَالَ: نَعَمْ. قَالَ إِيَادٌ: أَهُوَ أَبْتَرُ. قَالَ: نَعَمْ. قَالَ أَنْمَارٌ: أَهُوَ شَرُودٌ. قَالَ: نَعَمْ. فَقَالَ: هٰذِهِ وَٱللهِ صِفَاتُ بَعِيرِي دُلُّونِي عَلَيْهِ. فَحَلَفُوا أَنَّهُمْ مَا رَأَوْهُ. فَلَزِمَهُمْ وَقَالَ: كَيْفَ أُصَدِّقُكُمْ وَأَنْتُمْ تَصِفُونَ بَعِيرِي بِصِفَتِهِ. فَسَارُوا حَتَّى قَرُبُوا نَجْرَانَ فَنَزَلُوا بِٱلْأَفْعَى ٱلْجُرْهُمِيِّ. فَنَادَى صَاحِبُ ٱلْبَعِيرِ: هٰؤُلَاءِ ٱلْقَوْمُ وَصَفُوا لِي بَعِيرًا بِصِفَتِهِ ثُمَّ أَنْكَرُوهُ. فَقَالَ ٱلْجُرْهُمِيُّ: كَيْفَ وَصَفْتُمُوهُ وَلَمْ تَرَوْهُ. فَقَالَ مُضَرُ: رَأَيْتُهُ يَرْعَى جَانِبًا وَيَدَعُ جَانِبًا فَعَلِمْتُ أَنَّهُ أَعْوَرُ. وَقَالَ رَبِيعَةُ: رَأَيْتُ إِحْدَى يَدَيْهِ ثَابِتَةَ ٱلْأَثَرِ وَٱلْأُخْرَى فَاسِدَةَ ٱلْأَثَرِ فَعَلِمْتُ أَنَّهُ أَفْسَدَهَا بِشِدَّةِ وَطْئِهِ لِأَزْوَارِهِ. وَقَالَ إِيَادٌ: عَرَفْتُ بُتْرَهُ بِإِجْمَاعِ بَعْرِهِ وَلَوْ كَانَ ذَيًّا لَتَفَرَّقَ. وَقَالَ أَنْمَارٌ: إِنَّمَا عَرَفْتُ أَنَّهُ شَرُودٌ لِكَوْنِ أَنَّهُ كَانَ يَرْعَى فِي ٱلْمَكَانِ ٱلْمُلْتَفِّ نَبْتُهُ ثُمَّ يَجُوزُ إِلَى مَكَانٍ أَرَقَّ مِنْهُ وَأَخْبَثَ. فَقَالَ ٱلْأَفْعَى: لَيْسُوا بِأَصْحَابِ بَعِيرِكَ. ثُمَّ سَأَلَهُمْ مَنْ هُمْ فَأَخْبَرُوهُ. فَرَحَّبَ وَأَضَافَهُمْ وَبَالَغَ فِي إِكْرَامِهِمْ (ثمرات الاوراق للحموي)

أَلْبَابُ ٱلْعَاشِرُ
فِي ٱلْمَدِيحِ

٢٠٥ أَقْبَلَ أَعْرَابِيٌّ إِلَى دَاوُدَ بْنِ ٱلْمُهَلَّبِ فَقَالَ لَهُ: إِنِّي مَدَحْتُكَ فَٱسْتَمِعْ. قَالَ: عَلَى رِسْلِكَ. ثُمَّ دَخَلَ بَيْتَهُ وَتَقَلَّدَ سَيْفَهُ وَخَرَجَ فَقَالَ: قُلْ فَإِنْ أَحْسَنْتَ حَكَّمْنَاكَ وَإِنْ أَسَأْتَ قَتَلْنَاكَ. فَأَنْشَأَ يَقُولُ:

أَمِنْتُ بِدَاوُدٍ وَجُودِ يَمِينِهِ ... مِنَ ٱلْحَدَثِ ٱلْخَشْيِ وَٱلْيَأْسِ وَٱلْفَقْرِ
فَأَصْبَحْتُ لَا أَخْشَى بِدَاوُدَ نَبْوَةً ... مِنَ ٱلْحَدَثَانِ إِذْ شَدَدْتُ بِهِ إِزْرِي
لَهُ حُكْمُ لُقْمَانٍ وَصُورَةُ يُوسُفٍ ... وَحُكْمُ سُلَيْمَانٍ وَعَدْلُ أَبِي بَكْرِ
فَتًى تَفْرَقُ ٱلْأَمْوَالُ مِنْ جُودِ كَفِّهِ ... كَمَا يَفْرَقُ ٱلشَّيْطَانُ مِنْ لَيْلَةِ ٱلْقَدْرِ

فَقَالَ لَهُ: قَدْ حَكَّمْنَاكَ فَإِنْ شِئْتَ عَلَى قَدْرِكَ وَإِنْ شِئْتَ عَلَى قَدْرِي. فَقَالَ: عَلَى قَدْرِي. فَأَعْطَاهُ خَمْسِينَ أَلْفًا. فَقَالَ لَهُ جُلَسَاؤُهُ: هَلَّا ٱحْتَكَمْتَ عَلَى قَدْرِ ٱلْأَمِيرِ. قَالَ: لَمْ يَكُ فِي مَالِهِ مَا يَفِي بِقَدْرِهِ. قَالَ لَهُ دَاوُدُ: أَنْتَ فِي هٰذِهِ أَشْعَرُ مِنْكَ فِي شِعْرِكَ وَأَمَرَ لَهُ بِمِثْلِ مَا أَعْطَاهُ

٢٠٦ قَالَ ٱبْنُ عَبْدِ رَبِّهِ دَخَلْتُ عَلَى أَبِي ٱلْعَبَّاسِ ٱلْقَائِدِ فَأَنْشَدْتُهُ:

أَللّٰهُ جَرَّدَ لِلنَّدَى وَٱلْبَاسِ ... سَيْفًا فَقَلَّدَهُ أَبَا ٱلْعَبَّاسِ
مَلِكٌ إِذَا ٱسْتَقْبَلْتَ غُرَّةَ وَجْهِهِ ... قَبَضَ ٱلرَّجَاءُ إِلَيْكَ رُوحَ ٱلْيَاسِ
وَبِهِ عَلَيْكَ مِنَ ٱلْحَيَاةِ سَكِينَةٌ ... وَمَحَبَّةٌ تَجْرِي مِنَ ٱلْأَنْفَاسِ
وَإِذَا أَحَبَّ ٱللّٰهُ يَوْمًا عَبْدَهُ ... أَلْقَى عَلَيْهِ مَحَبَّةً لِلنَّاسِ

ثُمَّ سَأَلْتُهُ حَاجَةً فِيهَا بَعْضُ الْغِلَظِ. فَتَلَكَّأَ عَلَيَّ. فَوَقَّعْتُ فِي سِحَاءَةٍ:

مَا ضَرَّ عِنْدَكَ حَاجَتِي مَا هَزَّهَا ... عُذْرًا إِذَا أَعْطَيْتَ نَفْسَكَ قَدْرَهَا

أُنْظُرْ إِلَى عَرْضِ الْبِلَادِ وَطُولِهَا ... أَوَلَسْتَ أَكْرَمَ أَهْلِهَا وَأَبَرَّهَا

حَاشَى لِجُودِكَ أَنْ يُوَعِّرَ حَاجَتِي ... ثِقَتِي بِجُودِكَ سَهَّلَتْ لِي وَعْرَهَا

لَا يَجْتَنِي حُلْوَ الْمَحَامِدِ مَاجِدٌ ... حَتَّى يَذُوقَ مِنَ الْمَطَالِبِ مُرَّهَا

فَقَضَى الْحَاجَةَ وَسَارَعَ إِلَيْهَا (لابن عبد ربّه)

٢٠٧ وَصَفَ مَرْوَانُ بْنُ أَبِي حَفْصَةَ بَنِي مَطَرٍ فَقَالَ:

بَنُو مَطَرٍ يَوْمَ اللِّقَاءِ كَأَنَّهُمْ ... أُسُودٌ لَهَا فِي غِيلِ خَفَّانَ أَشْبُلُ

هُمُ يَمْنَعُونَ الْجَارَ حَتَّى كَأَنَّمَا ... لِجَارِهِمِ بَيْنَ السِّمَاكَيْنِ مَنْزِلُ

هُمُ الْقَوْمُ إِنْ قَالُوا أَصَابُوا وَإِنْ دُعُوا ... أَجَابُوا وَإِنْ أَعْطَوْا أَطَابُوا وَأَجْزَلُوا

وَمَا يَسْتَطِيعُ الْفَاعِلُونَ فِعَالَهُمْ ... وَإِنْ أَحْسَنُوا فِي النَّائِبَاتِ وَأَجْمَلُوا

٢٠٨ حَدَّثَ مُحَمَّدٌ الرَّاوِيَةُ قَالَ: دَخَلْتُ عَلَى الرَّشِيدِ وَعِنْدَهُ الْفَضْلُ ابْنُ الرَّبِيعِ وَيَزِيدُ بْنُ مَزْيَدٍ. وَبَيْنَ يَدَيْهِ خِوَانٌ لَطِيفٌ عَلَيْهِ جِرْمَانِ وَرَغِيفَانِ سَمِيذٌ وَدَجَاجَتَانِ. فَقَالَ لِي: أَنْشِدْنِي. فَأَنْشَدْتُهُ قَصِيدَةَ النَّمَرِيِّ الْعَيْنِيَّةَ فَلَمَّا بَلَغْتُ إِلَى قَوْلِهِ:

إِنَّ الْمَكَارِمَ وَالْمَعْرُوفَ أَوْدِيَةٌ ... أَحَلَّكَ اللهُ مِنْهَا حَيْثُ يَتَّسِعُ

إِذَا رَفَعْتَ امْرَأً فَاللهُ يَرْفَعُهُ ... وَمَنْ وَضَعْتَ مِنَ الْأَقْوَامِ مُتَّضِعُ

نَفْسِي فِدَاؤُكَ وَالْأَبْطَالُ مُعْلَمَةٌ ... يَوْمَ الْوَغَى وَالْمَنَايَا صَابِهَا فَزِعُ

قَالَ فَرَمَى بِالْخِوَانِ بَيْنَ يَدَيْهِ وَصَاحَ وَقَالَ: هٰذَا وَاللهِ أَطْيَبُ

مِنْ كُلِّ طَعَامٍ وَكُلِّ شَيْءٍ . وَبَعَثَ إِلَيْهِ بِسَبْعَةِ آلَافِ دِينَارٍ

٢٠٩ حَكَى ٱلْمَنْصُورُ ٱلنَّمَرِيُّ قَالَ : دَخَلْتُ عَلَى ٱلرَّشِيدِ يَوْمًا وَلَمْ أَكُنْ أَعْدَدْتُ لَهُ مَدْحًا . فَوَجَدْتُهُ نَشِيطًا طَيِّبَ ٱلنَّفْسِ فَرُمْتُ شَيْئًا فَمَا جَاءَنِي . وَنَظَرَ إِلَيَّ مُسْتَنْطِقًا فَقُلْتُ :

إِذَا ٱعْتَاصَ ٱلْمَدِيحُ عَلَيْكَ فَٱمْدَحْ أَمِيرَ ٱلْمُؤْمِنِينَ تَجِدْ مَقَالَا
وَعُدْ بِفِنَائِهِ وَٱجْنَحْ إِلَيْهِ تَنَلْ عُرْفًا وَلَمْ تَذْلُلْ سُؤَالَا
فِنَاءٌ لَا تَزَالُ بِهِ رِكَابٌ وَضَعْنَ مَدَائِحًا وَحَمَلْنَ مَالَا

فَقَالَ : لِلّٰهِ دَرُّكَ لَئِنْ قَصَّرْتَ ٱلْقَوْلَ لَقَدْ أَطَلْتَ ٱلْمَعْنَى . وَأَمَرَ لِي بِصِلَةٍ سَنِيَّةٍ

٢١٠ لَمَّا تَوَلَّى ٱبْنُ زِيَادٍ أَعْمَالَ ٱلْأَهْوَازِ فَقَصَدَهُ عُجَرْدٌ إِلَيْهَا وَقَالَ فِيهِ :

يَحْيَى ٱمْرُؤٌ زَيَّنَهُ رَبُّهُ بِفِعْلِهِ ٱلْأَقْدَمِ وَٱلْأَحْدَثِ
إِنْ قَالَ لَمْ يَكْذِبْ وَإِنْ وَدَّ لَمْ يَقْطَعْ وَإِنْ عَاهَدَ لَمْ يَنْكُثِ
أَصْبَحَ فِي أَخْلَاقِهِ كُلِّهَا مُوَكَّلًا بِٱلْأَسْهَلِ ٱلْأَدْمَثِ
طَبِيعَةٌ مِنْهُ عَلَيْهَا جَرَى فِي خُلُقٍ لَيْسَ بِمُسْتَحْدَثِ
وَرَّثَهُ ذَاكَ أَبُوهُ فَيَا طِيبَ ثَنَاءِ ٱلْوَارِثِ ٱلْمُورِثِ

فَوَصَلَهُ يَحْيَى بِصِلَةٍ سَنِيَّةٍ وَحَمَلَهُ وَكَسَاهُ . وَأَقَامَ عِنْدَهُ مُدَّةً ثُمَّ ٱنْصَرَفَ

٢١١ إِمْتَدَحَ رَبِيعَةُ ٱلرَّقِّيُّ ٱلْعَبَّاسَ بْنَ مُحَمَّدٍ بِقَصِيدَةٍ لَمْ يُسْبَقْ إِلَيْهَا حُسْنًا وَهِيَ طَوِيلَةٌ يَقُولُ فِيهَا :

لَوْ قِيلَ لِلْعَبَّاسِ يَا ٱبْنَ مُحَمَّدٍ قُلْ لَا وَأَنْتَ مُخَلَّدٌ مَا قَالَهَا
مَا إِنْ أُعَدُّ مِنَ ٱلْمَكَارِمِ خَصْلَةً إِلَّا وَجَدْتُكَ عَمَّهَا أَوْ خَالَهَا

وَإِذَا ٱلْمُلُوكُ تَسَايَرُوا فِي بَلْدَةٍ كَانُوا كَوَاكِبَهَا وَكُنْتَ هِلَالَهَا
إِنَّ ٱلْمَكَارِمَ لَمْ تَزَلْ مَعْقُولَةً حَتَّى حَلَلْتَ بِرَاحَتَيْكَ عِقَالَهَا

٢١٢ أَنْشَدَ أَبُو إِسْحَاقَ ٱبْنُ إِبْرَاهِيمَ ٱلْفَضْلَ بْنَ يَحْيَى ٱلْبَرْمَكِيَّ:

عِنْدَ ٱلْمُلُوكِ مَضَرَّةٌ وَمَنَافِعُ وَأَرَى ٱلْبَرَامِكَ لَا تَضُرُّ وَتَنْفَعُ
إِنَّ ٱلْعُرُوقَ إِذَا ٱسْتَسَرَّ بِهَا ٱلثَّرَى أَشَرَ ٱلنَّبَاتُ بِهَا وَطَابَ ٱلْمَزْرَعُ
فَإِذَا نَكَرْتَ مِنَ ٱمْرِئٍ أَعْرَاقَهُ وَقَدِيمَهُ فَٱنْظُرْ إِلَى مَا يَصْنَعُ

قَالَ فَأَعْجَبَهُ ٱلشِّعْرُ فَقَالَ: يَا أَبَا مُحَمَّدٍ كَأَنِّي لَمْ أَسْمَعْ هٰذَا ٱلْقَوْلَ إِلَّا ٱلسَّاعَةَ. وَمَا لَهُ عِنْدِي إِلَّا أَنِّي لَمْ أُكَافِئْهُ عَلَيْهِ. فَقُلْتُ: وَكَيْفَ ذٰلِكَ أَصْلَحَكَ ٱللهُ وَقَدْ وَهَبْتَ لَهُ ثَلَاثِينَ أَلْفَ دِرْهَمٍ فَقَالَ: لَا مَا ثَلَاثُونَ أَلْفَ دِينَارٍ بِمُكَافِئَةٍ لَهُ فَكَيْفَ ثَلَاثُونَ أَلْفَ دِرْهَمٍ (الاغاني)

قَالَ أَبُو ٱلشِّيصِ ٱلْخُزَاعِيُّ يَمْدَحُ بَعْضَ ٱلْأُمَرَاءِ:

تَكَلَّمَتْ فِيكَ أَوْصَافٌ خُصِصْتَ بِهَا فَكُلُّنَا بِكَ مَسْرُورٌ وَمُغْتَبِطُ
أَلْسِنٌ ضَاحِكَةٌ وَٱلْكَفُّ مَانِحَةٌ وَٱلنَّفْسُ وَاسِعَةٌ وَٱلْوَجْهُ مُنْبَسِطُ

٢١٣ قَالَ إِبْرَاهِيمُ بْنُ ٱلْعَبَّاسِ: لِفَضْلِ بْنِ سَهْلٍ يَدٌ تَقَاصَرَ عَنْهَا ٱلْمَثَلُ. فَظَاهِرُهَا لِلْقَبْلِ. وَبَسْطَتُهَا لِلْغِنَى. وَسَطْوَتُهَا لِلْأَجَلِ. أَخَذَهُ ٱبْنُ ٱلرُّومِيِّ فَقَالَ لِإِبْرَاهِيمَ بْنِ ٱلْمُدَبِّرِ:

أَصْبَحْتَ بَيْنَ ضَرَاعَةٍ وَتَحَمُّلٍ وَٱلْمَرْءُ بَيْنَهُمَا يَمُوتُ هَزِيلَا
فَٱمْدُدْ إِلَيَّ يَدًا تَعَوَّدَ بَطْنُهَا بَذْلَ ٱلنَّوَالِ وَظَهْرُهَا ٱلتَّقْبِيلَا

٢١٤ قَالَ ٱبْنُ ٱلْمَوْلَى لِيَزِيدَ بْنِ قَبِيصَةَ بْنِ ٱلْمُهَلَّبِ:

وَإِذَا تُبَاعُ كَرِيمَةٌ أَوْ تُشْتَرَى ... فَسِوَاكَ بَائِعُهَا وَأَنْتَ الْمُشْتَرِي
وَإِذَا تَوَعَّرَتِ الْمَسَالِكُ لَمْ يَكُنْ ... مِنْهَا السَّبِيلُ إِلَى نَدَاكَ بِأَوْعَرِ
وَإِذَا صَنَعْتَ صَنِيعَةً أَتْمَمْتَهَا ... بِيَدَيْنِ لَيْسَ نَدَاهُمَا بِمُكَدَّرِ
يَا وَاحِدَ الْعَرَبِ الَّذِي مَا إِنْ لَهُمْ ... مِنْ مَذْهَبٍ عَنْهُ وَلَا مِنْ مَقْصَرِ

٢١٥ قَالَ أُمَيَّةُ بْنُ أَبِي الصَّلْتِ الشَّاعِرُ النَّصْرَانِيُّ :

أَأَذْكُرُ حَاجَتِي أَمْ قَدْ كَفَانِي ... حَيَاؤُكَ إِنَّ شِيمَتَكَ الْحَيَاءُ
وَعِلْمُكَ بِالْحُقُوقِ وَأَنْتَ فَرْعٌ ... لَكَ الْحَسَبُ الْمُهَذَّبُ وَالسَّنَاءُ
خَلِيلٌ لَا يُغَيِّرُهُ صَبَاحٌ ... عَنِ الْخُلُقِ الْجَمِيلِ وَلَا مَسَاءُ
وَأَرْضُكَ كُلُّ مَكْرُمَةٍ بَنَتْهَا ... بَنُو تَيْمٍ وَأَنْتَ لَهَا سَمَاءُ
إِذَا أَثْنَى عَلَيْكَ الْمَرْءُ يَوْمًا ... كَفَاهُ مِنْ تَعَرُّضِهِ الثَّنَاءُ
تُبَارِي الرِّيحَ مَكْرُمَةً وَمَجْدًا ... إِذَا مَا الْكَلْبُ أَحْجَرَهُ الشِّتَاءُ

٢١٦ قَالَ آخَرُ يَمْدَحُ آلَ الْمُهَلَّبِ :

آلُ الْمُهَلَّبِ قَوْمٌ خُوِّلُوا شَرَفًا ... مَا نَالَهُ عَرَبِيٌّ لَا وَلَا كَادَا
لَوْ قِيلَ لِلْمَجْدِ حِدْ عَنْهُمْ وَخَلِّهِمِ ... بِمَا اكْتَسَبْتَ مِنَ الدُّنْيَا لَمَا حَادَا
إِنَّ الْمَكَارِمَ أَرْوَاحٌ يَكُونُ لَهَا ... آلُ الْمُهَلَّبِ دُونَ النَّاسِ أَجْسَادَا

٢١٧ قَالَتِ امْرَأَةٌ مِنْ إِيَادٍ :

أَلْخَيْلُ تَعْلَمُ يَوْمَ الرَّوْعِ إِنْ هُزِمَتْ ... أَنَّ ابْنَ عَمْرٍو لَدَى الْهَيْجَاءِ يَحْمِيهَا
لَمْ يُبْدِ فَحْشًا وَلَمْ يَهْدِدْ لِمَعْظَمَةٍ ... وَكُلَّ مَكْرُمَةٍ يَلْقَى يُسَامِيهَا
أَلْمُسْتَشَارُ لِأَمْرِ الْقَوْمِ يَحْزُبُهُمْ ... إِذَا الْهُنَاتُ أَهَمَّ الْقَوْمَ مَا فِيهَا

لا يَرْهَبُ الْجَارُ مِنْهُ غَدْرَةً أَبَدًا وَإِنْ أَلَمَّتْ أُمُورٌ فَهْوَ كَافِيهَا

٢١٨ قَالَ ابْنُ الرُّومِيِّ يَمْدَحُ بَعْضَهُمْ:

كُلُّ الْخِلَالِ الَّتِي فِيكُمْ مَحَاسِنُكُمْ تَشَابَهَتْ مِنْكُمُ الْأَخْلَاقُ وَالْخُلُقُ
كَأَنَّكُمْ شَجَرُ الْأُتْرُجِّ طَابَ مَعًا حَمْلًا وَنَشْرًا وَطَابَ الْعُودُ وَالْوَرَقُ

٢١٩ قَالَ شَاعِرٌ يَمْدَحُ قَوْمًا بِالْكَرَمِ:

نَصَبُوا بِقَارِعَةِ الطَّرِيقِ خِيَامَهُمْ يَتَسَابَقُونَ عَلَى قِرَى الضِّيفَانِ
وَيَكَادُ مُوقِدُهُمْ يَجُودُ بِنَفْسِهِ حُبَّ الْقِرَى حَطَبًا عَلَى النِّيرَانِ

٢٢٠ غَنَّى يَوْمًا أَحْمَدُ بْنُ يَحْيَى الْمَكِّيُّ الْأَمِينَ:

تَعِشْ عُمُرَ نُوحٍ فِي سُرُورٍ وَغِبْطَةٍ وَفِي خَفْضِ عَيْشٍ لَيْسَ فِي طُولِهِ إِثْمُ
تُسَاعِدُكَ الْأَقْدَارُ فِيهِ وَتَثْنِي إِلَيْكَ وَتَرْعَى فَضْلَكَ الْعُرْبُ وَالْعُجْمُ

٢٢١ وَمِنْ جَمِيلِ مَا جَاءَ فِي بَابِ الْمَدِيحِ قَوْلُ بَعْضِهِمْ:

يَا دَهْرُ بِعْ رُتَبَ الْمَعَالِي بَعْدَهُ بِيعَ السَّمَاحِ رَبِحْتَ أَمْ لَمْ تَرْبَحِ
قَدِّمْ وَأَخِّرْ مَنْ تُرِيدُ فَإِنَّهُ مَاتَ الَّذِي قَدْ كُنْتَ مِنْهُ تَسْتَحِي

٢٢٢ وَقَالَ آخَرُ:

كَرِيمٌ يَغُضُّ الطَّرْفَ فَضْلُ حَيَائِهِ وَيَدْنُو وَأَطْرَافُ الرِّمَاحِ دَوَانِ
وَكَالسَّيْفِ إِنْ لَانَتْهُ لَانَ مَسُّهُ وَحَدَّاهُ إِنْ خَاشَنْتَهُ خَشِنَانِ

٢٢٣ مَدَحَ بَعْضُهُمْ أَمِيرًا فَقَالَ:

عَلِمَ اللهُ كَيْفَ أَنْتَ فَأَعْطَا كَ الْمَحَلَّ الْجَلِيلَ مِنْ سُلْطَانِهِ

٢٢٤ قَالَ آخَرُ:

مَنْ قَاسَ جَدْوَاكَ بِالْغَمَامِ فَمَا أَنْصَفَ فِي الْحُكْمِ بَيْنَ شَكْلَيْنِ
أَنْتَ إِذَا جُدْتَ ضَاحِكٌ أَبَدًا وَهْوَ إِذَا جَادَ دَامِعُ الْعَيْنِ

٢٢٥ قَالَ غَيْرُهُ :

مَا نَوَالُ الْغَمَامِ وَقْتَ رَبِيعٍ كَنَوَالِ الْأَمِيرِ يَوْمَ سَخَاءِ
فَنَوَالُ الْأَمِيرِ بَدْرَةُ مَالٍ وَنَوَالُ الْغَمَامِ قَطْرَةُ مَاءِ

٢٢٦ قَالَ يَزِيدُ الْمُهَلَّبِيُّ فِي الْمُنْتَصِرِ بَعْدَ أَنْ وُلِّيَ الْخِلَافَةَ :

لِيَهْنِكَ مُلْكٌ بِالسَّعَادَةِ طَائِرُهْ مَوَارِدُهُ مَحْمُودَةٌ وَمَصَادِرُهْ
فَأَنْتَ الَّذِي كُنَّا نُرَجِّي فَلَمْ نَخِبْ كَمَا يَرْتَجِي مِنْ وَاقِعِ الْغَيْثِ بَاكِرُهْ
بِمُنْتَصِرٍ بِاللهِ تَمَّتْ أُمُورُنَا وَمَنْ يَنْتَصِرْ بِاللهِ فَاللهُ نَاصِرُهْ

٢٢٧ دَخَلَ النَّابِغَةُ عَلَى النُّعْمَانِ بْنِ الْمُنْذِرِ فَحَيَّاهُ تَحِيَّةَ الْمُلُوكِ ثُمَّ قَالَ : أَيُفَاخِرُكَ ذُو فَائِشٍ وَأَنْتَ سَائِسُ الْعَرَبِ . وَغُرَّةُ الْحَسَبِ . وَاللَّاتِ لَأَمْسُكَ أَيْمَنُ مِنْ يَوْمِهِ . وَلَعَبْدُكَ أَكْرَمُ مِنْ قَوْمِهِ . وَلَقَفَاكَ أَحْسَنُ مِنْ وَجْهِهِ . وَلَيَسَارُكَ أَجْوَدُ مِنْ يَمِينِهِ . وَلَظَنُّكَ أَصْدَقُ مِنْ يَقِينِهِ . وَلَوَعْدُكَ أَبْلَجُ مِنْ رِفْدِهِ . وَلَخَالُكَ أَشْرَفُ مِنْ جَدِّهِ . وَلَنَفْسُكَ أَمْنَعُ مِنْ جُنْدِهِ . وَلَيَوْمُكَ أَزْهَرُ مِنْ زَهْرِهِ . وَلَفَتْرَكَ أَبْسَطُ مِنْ شِبْرِهِ . وَأَنْشَدَ :

أَخْلَاقُ مَجْدِكَ جَلَّتْ مَا لَهَا خَطَرٌ فِي الْبَأْسِ وَالْجُودِ بَيْنَ الْحِلْمِ وَالْخَفَرِ
مُتَوَّجٌ بِالْمَعَالِي فَوْقَ مَفْرِقِهِ وَفِي الْوَغَى ضَيْغَمٌ فِي صُورَةِ الْقَمَرِ
إِذَا دَجَا الْخَطْبُ جَلَّاهُ بِصَارِمِهِ كَمَا يُجَلِّي زَمَانُ الْمَحْلِ بِالْمَطَرِ

فَتَهَلَّلَ وَجْهُ النُّعْمَانِ سُرُورًا . ثُمَّ أَمَرَ أَنْ يُمْلَأَ فُوهُ دُرًّا وَيُكْسَى

أَثْوَابَ الرِّضَا (وَهِيَ جِبَابٌ أَطْوَاقُهَا الذَّهَبُ فِي قُضُبِ الزُّمُرُّدِ). ثُمَّ قَالَ: هٰكَذَا فَلْتُمْدَحِ الْمُلُوكُ (أَلِف باء لابن الحجّاج البلوي)

٢٢٨ دَخَلَ ابْنُ الْخَيَّاطِ الْمَلَكِيُّ عَلَى الْمَهْدِيِّ وَامْتَدَحَهُ فَأَمَرَ لَهُ بِخَمْسِينَ أَلْفَ دِرْهَمٍ. فَسَأَلَهُ أَنْ يَأْذَنَ لَهُ فِي تَقْبِيلِ يَدِهِ فَأَذِنَ فَقَبَّلَهَا وَخَرَجَ. فَمَا انْتَهَى إِلَى الْبَابِ حَتَّى فَرَّقَ الْمَالَ بِأَسْرِهِ. فَعُوتِبَ عَلَى ذٰلِكَ فَاعْتَذَرَ وَأَنْشَدَ يَقُولُ:

لَمَسْتُ بِكَفِّي كَفَّهُ أَبْتَغِي الْغِنَى ... وَلَمْ أَدْرِ أَنَّ الْجُودَ مِنْ كَفِّهِ يُعْدِي
فَلَا أَنَا مِنْهُ مَا أَفَادَ ذَوُو الْغِنَى ... أُفِدتُ وَأَعْدَانِي فَأَتْلَفْتُ مَا عِنْدِي

فَعَجِبَ بِهِمَا الْمَهْدِيُّ وَغَنَّى بِهِمَا وَأَمَرَ لَهُ بِخَمْسِينَ أَلْفَ دِينَارٍ

٢٢٩ دَخَلَ أَعْرَابِيٌّ عَلَى خَالِدِ بْنِ عَبْدِ اللهِ الْقَسْرِيِّ فَقَالَ:

أَخَالِدُ إِنِّي لَمْ أَزُرْكَ لِحَاجَةٍ ... سِوَى أَنَّنِي عَافٍ وَأَنْتَ جَوَادُ
أَخَالِدُ بَيْنَ الْحَمْدِ وَالْأَجْرِ حَاجَتِي ... فَأَيُّهُمَا تَأْتِي فَأَنْتَ عِمَادُ

فَقَالَ لَهُ خَالِدٌ: سَلْ حَاجَتَكَ. قَالَ مِائَةُ أَلْفِ دِرْهَمٍ. قَالَ خَالِدٌ أَسْرَفْتَ فَأَحْطُطْنَا مِنْهَا. قَالَ: حَطَطْتُكَ أَلْفًا. فَقَالَ خَالِدٌ: مَا أَعْجَبَ مَا سَأَلْتَ وَمَا حَطَطْتَ. فَقَالَ: لَا يَعْجَبِ الْأَمِيرُ. سَأَلْتُهُ عَلَى قَدْرِهِ وَحَطَطْتُهُ عَلَى قَدْرِي. فَضَحِكَ مِنْهُ وَأَمَرَ لَهُ بِصِلَةٍ

٢٣٠ حَبَسَ الْحَجَّاجُ يَزِيدَ بْنَ الْمُهَلَّبِ لِبَاقٍ عَلَيْهِ كَانَ بِخُرَاسَانَ. وَأَقْسَمَ لَيَسْتَأْدِيَنَّهُ كُلَّ يَوْمٍ مِائَةَ أَلْفِ دِرْهَمٍ. فَبَيْنَمَا هُوَ قَدْ جَبَاهَا لَهُ ذَاتَ يَوْمٍ إِذْ دَخَلَ عَلَيْهِ الْأَخْطَلُ فَأَنْشَدَهُ:

أَبَا خَالِدٍ ضَاقَتْ خُرَاسَانُ بَعْدَكُمْ وَقَالَ ذَوُو الْحَاجَاتِ أَيْنَ يَزِيدُ
وَمَا قَطَرَتْ بِالشَّرْقِ بَعْدَكَ قَطْرَةٌ وَلَا اخْضَرَّ بِالْمُزْنِ بَعْدَكَ عُودُ
وَمَا لِسَرِيرٍ بَعْدَ بُعْدِكَ بَهْجَةٌ وَمَا لِجَوَادٍ بَعْدَ جُودِكَ جُودُ

فَقَالَ: يَا غُلَامُ أَعْطِهِ الْمِائَةَ أَلْفِ دِرْهَمٍ فَإِنَّا نَصْبِرُ عَلَى عَذَابِ الْحَجَّاجِ وَلَا نُحِبُّ الْأَخْطَلَ. فَبَلَغَتِ الْحَجَّاجَ فَقَالَ: لِلَّهِ دَرُّ يَزِيدَ لَوْ كَانَ تَارِكًا لِلسَّخَاءِ يَوْمًا لَتَرَكَهُ الْيَوْمَ وَهُوَ يَتَوَقَّعُ الْمَوْتَ (لليمني)

٢٣١ وَمِنْ رَقِيقِ شِعْرِ ابْنِ الْعَبَّاسِ الصَّوْلِيِّ قَوْلُهُ فِي الْمَدِيحِ وَالشُّكْرِ:

فَلَوْ كَانَ لِلشُّكْرِ شَخْصٌ يَبِينُ إِذَا مَا تَأَمَّلَهُ النَّاظِرُ
لَمَثَّلْتُهُ لَكَ حَتَّى تَرَاهُ فَتَعْلَمَ أَنِّي امْرُؤٌ شَاكِرُ

٢٣٢ كَتَبَ بَدِيعُ الزَّمَانِ لِأَحَدِ الْخُلَفَاءِ:

يَا سَيِّدَ الْأُمَرَا فَخْرًا فَمَا مَلِكٌ إِلَّا تَمَنَّاكَ مَوْلًى وَاشْتَهَاكَ أَبَا
وَكَادَ يَحْكِيكَ صَوْبُ الْغَيْثِ مُنْسَكِبًا لَوْ كَانَ طَلْقَ الْمُحَيَّا يَمْطُرُ الذَّهَبَا
وَالدَّهْرُ لَوْ لَمْ يَخُنْ وَالشَّمْسُ لَوْ نَطَقَتْ وَاللَّيْثُ لَوْ لَمْ يَصُلْ وَالْبَحْرُ لَوْ عَذُبَا

٢٣٣ وَلِلْبُحْتُرِيِّ فِي الْمَدِيحِ:

لَا تَنْظُرَنَّ إِلَى الْعَبَّاسِ عَنْ صِغَرٍ فِي السِّنِّ وَانْظُرْ إِلَى الْمَجْدِ الَّذِي سَادَا
إِنَّ النُّجُومَ نُجُومَ الْجَوِّ أَحْقَرُهَا فِي الْعَيْنِ أَكْثَرُهَا فِي الْجَوِّ إِصْعَادَا

٢٣٤ قَالَ أَبُو نُوَاسٍ يَمْدَحُ بَنِي حَمْدَانَ:

لَئِنْ خُلِقَ الْأَنَامُ لِحُبِّ كَاسٍ وَمِزْمَارٍ وَطُنْبُورٍ وَعُودِ
فَلَمْ يُخْلَقْ بَنُو حَمْدَانَ إِلَّا لِبَأْسٍ أَوْ لِنَجْدٍ أَوْ لِجُودِ

أَلْبَابُ الْحَادِي عَشَرَ
فِي الْفَخْرِ وَالْحَمَاسَةِ وَالْهَجْوِ

٢٣٥ كَانَ أَبُو سُفْيَانَ مِنْ أَشْعَرِ قُرَيْشٍ وَهُوَ الْقَائِلُ عَنْ قَبِيلَتِهِ مُفْتَخِرًا :

لَقَدْ عَلِمَتْ قُرَيْشٌ غَيْرَ فَخْرٍ بِأَنَّا نَحْنُ أَجْوَدُهُمْ حِصَانَا
وَأَكْثَرُهُمْ دُرُوعًا سَابِغَاتٍ وَأَمْضَاهُمْ إِذَا طَعَنُوا سِنَانَا
وَأَدْفَعُهُمْ عَنِ الضَّرَّاءِ عَنْهُمْ وَأَبْيَنُهُمْ إِذَا نَطَقُوا لِسَانَا

٢٣٦ قَالَ السَّيِّدُ عَلِيُّ بْنُ إِسْمَاعِيلَ بْنِ الْقَاسِمِ :

أَنَا مِنْ قَوْمٍ إِذَا مَا غَضِبُوا أَطْعَمُوا الْأَرْمَاحَ حَبَّاتِ الْقُلُوبْ
وَهُمُ فِي السِّلْمِ كَالْمَاءِ صَفَا لِصَدِيقٍ وَحَمِيمٍ وَقَرِيبْ
فِيهِمِ فَخْرِي وَفِيهِمْ قُدْوَتِي وَبِهِمْ نِلْتُ مِنَ الْعُلْيَا نَصِيبْ
وَبِفَضْلِ اللهِ رَبِّي لَمْ أَزَلْ فِي مَرَاقِي الْعِزِّ وَالْعَيْشِ الرَّطِيبْ
لَيْسَ لِي إِلَّا الْمَعَالِي أَرَبٌ فَعَلَى كَاهِلِهَا صَارَ الرُّكُوبْ
إِنْ دَعَا دَاعٍ إِلَى غَيْرِ الْعُلَا لَا تَرَانِي لِدُعَاهُ مِنْ مُجِيبْ

٢٣٧ مَرَّ ابْنُ بَشِيرٍ بِأَبِي عُثْمَانَ الْمَازِنِيِّ فَجَلَسَ إِلَيْهِ سَاعَةً . فَرَأَى مَنْ فِي مَجْلِسِهِ يَتَعَجَّبُونَ مِنْ نَعْلٍ كَانَتْ فِي رِجْلِهِ خَلَقَةٍ فَأَخَذَ وَرَقَةً وَكَتَبَ :

كَمْ أَرَى ذَا تَعَجُّبٍ مِنْ نِعَالِي وَرِضَائِي مِنْهَا بِلُبْسِ الْبَوَالِي
مَنْ يُغَالِي مِنَ الرِّجَالِ بِنَعْلٍ فَسِوَايَ إِذًا بِهِنَّ يُغَالِي
لَوْ حَدَاهُنَّ لِلْجَمَالِ فَإِنِّي فِي سِوَاهُنَّ زِينَتِي وَجَمَالِي

فِي إِخَاءٍ وَفِي وَفَاءٍ وَرَائِي وَلِسَانِي وَمَنْطِقِي وَفِعَالِي
مَا وَقَانِي ٱلْخَفَا وَبَلَّغَنِي ٱلْحَا جَةَ مِنْهَا فَإِنَّنِي لَا أُبَالِي

٢٣٨ قَالَ ٱلْحَرِيشُ بْنُ هِلَالٍ ٱلْقُرَيْعِيُّ :

نُعَرِّضُ لِلسُّيُوفِ إِذَا ٱلْتَقَيْنَا وُجُوهًا لَا تُعَرَّضُ لِلطِّعَامِ
وَلَسْتُ بِخَالِعٍ عَنِّي ثِيَابِي إِذَا هَرَّ ٱلْكُمَاةُ وَلَا أُرَامِي
وَلَكِنِّي يَجُولُ ٱلْمُهْرُ تَحْتِي إِلَى ٱلْغَارَاتِ بِٱلْعَضْبِ ٱلْحُسَامِ

٢٣٩ قَالَ أَبُو ٱلْحَسَنِ ٱلْمَعْرُوفُ بِلَحْظَةَ ٱلْبَرْمَكِيُّ :

أَنَا ٱبْنُ أُنَاسٍ مَوَّلَ ٱلنَّاسَ جُودُهُمْ فَأَضْحَوْا حَدِيثًا لِلنَّوَالِ ٱلْمُشَهَّرِ
فَلَمْ يَخْلُ مِنْ إِحْسَانِهِمْ لَفْظُ مُخْبِرٍ فَلَمْ يَخْلُ مِنْ تَقْرِيظِهِمْ بَطْنُ دَفْتَرِ

٢٤٠ قَالَ رَجُلٌ مِنَ ٱلْفَزَارِيِّينَ :

وَإِلَّا يَكُنْ عَظْمِي طَوِيلًا فَإِنَّنِي لَهُ بِٱلْخِصَالِ ٱلصَّالِحَاتِ وَصُولُ
وَلَا خَيْرَ فِي حُسْنِ ٱلْجُسُومِ وَنُبْلِهَا إِذَا لَمْ تَزِنْ حُسْنَ ٱلْجُسُومِ عُقُولُ
إِذَا كُنْتُ فِي ٱلْقَوْمِ ٱلطِّوَالِ عَلَوْتُهُمْ بِعَارِفَةٍ حَتَّى يُقَالَ طَوِيلُ
وَكَمْ قَدْ رَأَيْنَا مِنْ فُرُوعٍ كَثِيرَةٍ تَمُوتُ إِذَا لَمْ تُحْيِهِنَّ أُصُولُ
وَلَمْ أَرَ كَٱلْمَعْرُوفِ أَمَّا مَذَاقُهُ فَحُلْوٌ وَأَمَّا وَجْهُهُ فَجَمِيلُ

٢٤١ قَالَ ٱمْرُؤُ ٱلْقَيْسِ :

فَلَوْ أَنَّ مَا أَسْعَى لِأَدْنَى مَعِيشَةٍ كَفَانِي وَلَمْ أَطْلُبْ قَلِيلًا مِنَ ٱلْمَالِ
وَلَٰكِنَّمَا أَسْعَى لِمَجْدٍ مُؤَثَّلٍ وَقَدْ يُدْرِكُ ٱلْمَجْدَ ٱلْمُؤَثَّلَ أَمْثَالِي

٢٤٢ قَالَ حَاتِمٌ ٱلطَّائِيُّ :

أَيَا ٱبْنَةَ عَبْدِ ٱللهِ وَٱبْنَةَ مَالِكٍ ... وَيَا ٱبْنَةَ ذِي ٱلْبُرْدَيْنِ وَٱلْفَرَسِ ٱلْوَرْدِ
إِذَا مَا صَنَعْتِ ٱلزَّادَ فَٱلْتَمِسِي لَهُ ... أَكِيلًا فَإِنِّي لَسْتُ آكِلَهُ وَحْدِي
أَخًا طَارِقًا أَوْ جَارَ بَيْتٍ فَإِنَّنِي ... أَخَافُ مَذَمَّاتِ ٱلْأَحَادِيثِ مِنْ بَعْدِي
وَإِنِّي لَعَبْدُ ٱلضَّيْفِ مَا دَامَ ثَاوِيًا ... وَمَا فِيَّ إِلَّا تِلْكَ مِنْ شِيمَةِ ٱلْعَبْدِ

٢٤٣ قَالَ حَسَّانُ بْنُ ثَابِتٍ:

أَصُونُ عِرْضِي بِمَالِي لَا أُدَنِّسُهُ ... لَا بَارَكَ ٱللهُ بَعْدَ ٱلْعِرْضِ فِي ٱلْمَالِ
أَحْتَالُ لِلْمَالِ إِنْ أَوْدَى فَأَجْمَعُهُ ... وَلَسْتُ لِلْعِرْضِ إِنْ أَوْدَى بِمُحْتَالِ

٢٤٤ قَالَ أَبُو دُلَفَ ٱلْعِجْلِيُّ:

أَجُودُ بِنَفْسِي دُونَ قَوْمِي دَافِعًا ... لِمَا نَابَهُمْ قِدْمًا وَأَغْشَى ٱلدَّوَاهِيَا
وَأَقْتَحِمُ ٱلْأَمْرَ ٱلْمَخُوفَ ٱقْتِحَامُهُ ... لِأُدْرِكَ مَجْدًا أَوْ أُعَاوِدَ ثَاوِيَا

(الاغاني والحماسة)

الهجو

٢٤٥ قَالَ أَبُو نُوَاسٍ فِي بَخِيلٍ:

سِيَّانِ كَسْرُ رَغِيفِهِ ... أَوْ كَسْرُ عَظْمٍ مِنْ عِظَامِهْ
فَٱرْفُقْ بِكَسْرِ رَغِيفِهِ ... إِنْ كُنْتَ تَرْغَبُ فِي كَلَامِهْ
وَتَرَاهُ مِنْ خَوْفِ ٱلنُّزُو ... لِ بِهِ يُرَوَّعُ فِي مَنَامِهْ

وَقَالَ أَيْضًا:

خَانَ عَهْدِي عَمْرٌو وَمَا خِنْتُ عَهْدَهْ ... وَجَفَانِي وَمَا تَغَيَّرْتُ بَعْدَهْ
لَيْسَ لِي مُذْ حَيِيتُ ذَنْبٌ إِلَيْهِ ... غَيْرَ أَنِّي يَوْمًا تَغَدَّيْتُ عِنْدَهْ

وَلَهُ أَيْضًا :

أَبُو جَعْفَرٍ رَجُلٌ عَالِمٌ ... بِمَا يُصْلِحُ ٱلْمَعِدَةَ ٱلْفَاسِدَهْ
تَخَوَّفَ تُخْمَةَ أَضْيَافِهِ ... فَعَوَّدَهَا أَكْلَةً وَاحِدَهْ

٢٤٦ قَالَ ٱلْخُوَارَزْمِيُّ فِي طَبِيبٍ :

أَبُو سَعِيدٍ رَاحِلٌ لِلْكِرَامْ ... وَمُنْسَفٌ يَنْسِفُ عُمْرَ ٱلْأَنَامْ
لَمْ أَرَهُ إِلَّا خَشِيتُ ٱلرَّدَى ... وَقُلْتُ يَا رُوحِي عَلَيْكِ ٱلسَّلَامْ
يَبْقَى وَيَفْنَى ٱلنَّاسُ مِنْ شُؤْمِهِ ... قُومُوا ٱنْظُرُوا كَيْفَ نَجَاةُ ٱلسَّأَمْ
ثُمَّ تَرَاهُ آمِنًا سَالِمًا ... يَا مَلَكَ ٱلْمَوْتِ إِلَى كَمْ تَنَامْ

٢٤٧ يُحْكَى أَنَّ ٱلْوَزِيرَ أَبَا عَلِيٍّ ٱلْخَاقَانِيَّ كَانَ ضَجُورًا كَثِيرَ ٱلتَّقَلُّبِ. فَكَانَ يُوَلِّي ٱلْعَمَلَ ٱلْوَاحِدَ عِدَّةً مِنَ ٱلْعُمَّالِ فِي ٱلْأَيَّامِ ٱلْقَلِيلَةِ. حَتَّى إِنَّهُ وَلَّى ٱلْكُوفَةَ فِي عِشْرِينَ يَوْمًا سَبْعَةً مِنَ ٱلْعُمَّالِ. فَقِيلَ فِيهِ :

وَزِيرٌ قَدْ تَكَامَلَ فِي ٱلرَّقَاعَهْ ... يُوَلِّي ثُمَّ يَعْزِلُ بَعْدَ سَاعَهْ
إِذَا أَهْلُ ٱلرُّشَى ٱجْتَمَعُوا عَلَيْهِ ... فَخَيْرُ ٱلْقَوْمِ أَوْفَرُهُمْ بِضَاعَهْ

٢٤٨ قَالَ بَعْضُهُمْ يَهْجُو بَخِيلًا :

رَأَى ٱلصَّيْفَ مَكْتُوبًا عَلَى بَابِ دَارِهِ ... فَصَحَّفَهُ ضَيْفًا فَقَامَ إِلَى ٱلسَّيْفِ
وَقُلْنَا لَهُ خَيْرًا فَظَنَّ بِأَنَّنَا ... نَقُولُ خُبْزًا فَمَاتَ مِنَ ٱلْخَوْفِ

٢٤٩ هَجَا آخَرُ طَبِيبًا فَقَالَ :

قَالَ حِمَارُ ٱلطَّبِيبِ مُوسَى ... لَوْ أَنْصَفُونِي لَكُنْتُ أَرْكَبْ
لِأَنَّنِي جَاهِلٌ بَسِيطٌ ... وَرَاكِبِي جَاهِلٌ مُرَكَّبْ

٢٥٠ قَالَ ٱبْنُ عَبْدِ رَبِّهِ يَهْجُو رَجُلًا جَبَانًا :

إِذَا صَوَّتَ ٱلْعُصْفُورُ طَارَ فُؤَادُهُ وَلَيْثٌ حَدِيدُ ٱلنَّابِ عِنْدَ ٱلثَّرَائِدِ

قَالَ آخَرُ :

لَوْ أَنَّ خِفَّةَ عَقْلِهِ فِي رِجْلِهِ سَبَقَ ٱلْغَزَالَ وَلَمْ يَفُتْهُ ٱلْأَرْنَبُ

٢٥١ قَالَ بَعْضُهُمْ يَهْجُو ٱلْمُبَرِّدَ مُحَمَّدَ بْنَ يَزِيدَ ٱلنَّحْوِيَّ :

سَأَلْنَا عَنْ ثُمَالَةَ كُلَّ حَيٍّ فَقَالَ ٱلْقَائِلُونَ وَمَنْ ثُمَالَهْ

فَقُلْتُ مُحَمَّدُ بْنُ يَزِيدَ مِنْهُمْ فَقَالُوا ٱلْآنَ زِدتَّ بِهِمْ جَهَالَهْ

٢٥٢ قَالَ غَيْرُهُ :

يَا قَبَّحَ ٱللهُ أَقْوَامًا إِذَا ذُكِرُوا بَنِي عُمَيْرَةَ رَهْطَ ٱللُّؤْمِ وَٱلْعَارِ

قَوْمٌ إِذَا خَرَجُوا مِنْ سَوْءَةٍ وَلَجُوا فِي سَوْءَةٍ لَمْ يُجِنُّوهَا بِأَسْتَارِ

٢٥٣ قَالَتْ كَنْزَةُ أُمُّ شَمْلَةَ ٱلْمُنْقَرِيِّ فِي مَيَّةَ صَاحِبَةِ ذِي ٱلرُّمَّةِ :

أَلَا حَبَّذَا أَهْلُ ٱلْمَلَا غَيْرَ أَنَّهُ إِذَا ذُكِرَتْ مَيٌّ فَلَا حَبَّذَا هِيَا

عَلَى وَجْهِ مَيٍّ مَسْحَةٌ مِنْ مَلَاحَةٍ وَفِي ٱلْقَلْبِ مِنْهَا ٱلْحَزْيُ لَوْ كَانَ بَادِيَا

أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱلْمَاءَ يُخْلِفُ طَعْمُهُ وَإِنْ كَانَ لَوْنُ ٱلْمَاءِ أَبْيَضَ صَافِيَا

إِذَا مَا أَتَاهُ وَارِدٌ مِنْ ضَرُورَةٍ تَوَلَّى بِأَضْعَافِ ٱلَّذِي جَاءَ ظَامِيَا

٢٥٤ قِيلَ : إِنَّهُ ٱفْتَخَرَ رَجُلٌ عَلَى ٱبْنِ ٱلدَّهَّانِ ٱلشَّاعِرِ فَأَجَابَهُ :

لَا تَحْسَبَنْ أَنَّ بِٱلشِّعْرِ مِثْلَنَا سَتَصِيرُ

فَلِلدَّجَاجَةِ رِيشٌ لَكِنَّهَا لَا تَطِيرُ

ابن كلدة عند كسرى

٢٥٥ وَفَدَ ابْنُ كَلْدَةَ الثَّقَفِيُّ عَلَى كِسْرَى فَانْتَصَبَ بَيْنَ يَدَيْهِ. فَقَالَ لَهُ كِسْرَى: مَنْ أَنْتَ. قَالَ: أَنَا الْحَارِثُ بْنُ كَلْدَةَ. قَالَ: أَعَرَبِيٌّ أَنْتَ. قَالَ: نَعَمْ وَمِنْ صَمِيمِهَا. قَالَ: فَمَا صِنَاعَتُكَ. قَالَ: طَبِيبٌ. قَالَ: وَمَا تَصْنَعُ الْعَرَبُ بِالطِّبِّ مَعَ جَهْلِهَا وَضُعْفِ عُقُولِهَا وَقِلَّةِ قَبُولِهَا وَسُوءِ غِذَائِهَا. فَقَالَ: ذٰلِكَ أَجْدَرُ أَيُّهَا الْمَلِكُ إِذَا كَانَتْ بِهٰذِهِ الصِّفَةِ أَنْ تَحْتَاجَ إِلَى مَا يُصْلِحُ جَهْلَهَا وَيُقِيمُ عِوَجَهَا. وَيَسُوسُ أَبْدَانَهَا. وَيُعَدِّلُ أَسْنَادَهَا. قَالَ الْمَلِكُ: كَيْفَ لَهَا بِأَنْ تَعْرِفَ مَا تَعْهَدُهُ عَلَيْهَا. لَوْ عَرَفَتِ الْحَقَّ لَمْ تُنْسَبْ إِلَى الْجَهْلِ. قَالَ الْحَارِثُ: أَيُّهَا الْمَلِكُ إِنَّ اللهَ جَلَّ اسْمُهُ قَسَّمَ الْعُقُولَ بَيْنَ الْعِبَادِ كَمَا قَسَّمَ الْأَرْزَاقَ وَأَخَذَ الْقَوْمُ نَصِيبَهُمْ. فَفِيهِمْ مَا فِي النَّاسِ مِنْ جَاهِلٍ وَعَالِمٍ وَعَاجِزٍ وَحَازِمٍ. قَالَ الْمَلِكُ: فَمَا الَّذِي تَجِدُ فِي أَخْلَاقِهِمْ. وَتَحْفَظُ مِنْ مَذَاهِبِهِمْ. قَالَ الْحَارِثُ: لَهُمْ أَنْفُسٌ سَخِيَّةٌ. وَقُلُوبٌ جَرِيَّةٌ. وَعُقُولٌ صَحِيَّةٌ مَرْضِيَّةٌ. وَأَحْسَابٌ نَقِيَّةٌ. فَيُمْرِقُ الْكَلَامُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ مُرُوقَ السَّهْمِ مِنَ الْوَتَرِ. أَلْيَنَ مِنَ الْمَاءِ. وَأَعْذَبَ مِنَ الْهَوَاءِ. يُطْعِمُونَ الطَّعَامَ. وَيَضْرِبُونَ الْهَامَ. وَعِزُّهُمْ لَا يُرَامُ. وَجَارُهُمْ لَا يُضَامُ. وَلَا يُرَوَّعُ إِذَا نَامَ. لَا يُقْرُّونَ بِفَضْلِ أَحَدٍ مِنَ الْأَقْوَامِ. مَا خَلَا الْمَلِكَ الْهُمَامَ الَّذِي لَا يُقَاسُ بِهِ أَحَدٌ مِنَ الْأَنَامِ. قَالَ كِسْرَى: لِلّٰهِ دَرُّكَ مِنْ عَرَبِيٍّ لَقَدْ أَصَبْتَ عِلْمًا وَخُصِصْتَ بِهِ مِنْ بَيْنِ الْحُمْقِ فِطْنَةً وَفَهْمًا. ثُمَّ أَمَرَ بِإِعْطَائِهِ وَصِلَتِهِ وَقَضَى حَوَائِجَهُ (لابن عبد ربّه)

أَلْبَابُ ٱلثَّانِي عَشَرَ
فِي ٱلْأَلْغَازِ

٢٥٦ قَدْ أَلْغَزَ بَعْضُهُمْ فِي ٱلْقَلَمِ:

وَأَرْقَشَ مَرْهُوفِ ٱلشَّبَاةِ مُهَفْهَفٍ ... يُشَتِّتُ شَمْلَ ٱلْخَطْبِ وَهْوَ جَمِيعُ
تَدِينُ لَهُ ٱلْآفَاقُ شَرْقًا وَمَغْرِبًا ... وَتَعْنُو لَهُ مُلَّاكُهَا وَتُطِيعُ
حَمَى ٱلْمُلْكَ مَفْطُومًا كَمَا كَانَ تَحْتَمِي ... بِهِ ٱلْأُسْدُ فِي ٱلْآجَامِ وَهْوَ رَضِيعُ

٢٥٧ وَقَالَ آخَرُ فِيهِ:

وَذِي خُضُوعٍ رَاكِعٍ سَاجِدٍ ... وَدَمْعُهُ مِنْ جَفْنِهِ جَارِي
مُوَاظِبُ ٱلْخَمْسِ لِأَوْقَاتِهَا ... مُنْقَطِعٌ فِي خِدْمَةِ ٱلْبَارِي

٢٥٨ وَقَالَ غَيْرُهُ فِيهِ:

فَلَا هُوَ يَمْشِي لَا وَلَا هُوَ مُقْعَدٌ ... وَمَا إِنْ لَهُ رَأْسٌ وَلَا كَفٌّ لَامِسِ
وَلَا هُوَ حَيٌّ لَا وَلَا هُوَ مَيِّتٌ ... وَلَكِنَّهُ شَخْصٌ يُرَى فِي ٱلْمَجَالِسِ
يَزِيدُ عَلَى سُمِّ ٱلْأَفَاعِي لُعَابُهُ ... يَدِبُّ دَبِيبًا فِي ٱلدُّجَى وَٱلْحَنَادِسِ
يُفَرِّقُ أَوْصَالًا لِصَمْتٍ يَجُنُّهُ ... وَتُفْرَى بِهِ ٱلْأَوْدَاجُ تَحْتَ ٱلْقَلَانِسِ
إِذَا مَا رَأَتْهُ ٱلْعَيْنُ تَحْقِرُ شَأْنَهُ ... وَهَيْهَاتَ يَبْدُو ٱلنَّقْصُ عِنْدَ ٱلْكَرَادِسِ

٢٥٩ وَقِيلَ أَيْضًا فِيهِ:

وَأَهْيَفَ مَذْبُوحٍ عَلَى صَدْرِ غَيْرِهِ ... يُتَرْجِمُ عَنْ ذِي مَنْطِقٍ وَهْوَ أَبْكَمُ
تَرَاهُ قَصِيرًا كُلَّمَا طَالَ عُمْرُهُ ... وَيُضْحِي بَلِيغًا وَهْوَ لَا يَتَكَلَّمُ

وَجَاءَ أَيْضًا فِيهِ :

بَصِيرٌ بِمَا يُوحَى إِلَيْهِ وَمَا لَهُ ... لِسَانٌ وَلَا قَلْبٌ وَلَا هُوَ سَامِعُ
كَأَنَّ ضَمِيرَ الْقَلْبِ بَاحَ بِسِرِّهِ ... إِلَيْهِ إِذَا مَا حَرَّكَتْهُ الْأَصَابِعُ

٢٦٠ وَجَاءَ أَيْضًا فِي مَعْنَاهُ :

وَأَخْرَسَ يَنْطِقُ بِالْمُحْكَمَاتِ ... وَجُثْمَانُهُ صَامِتٌ أَجْوَفُ
بِمَكَّةَ يَنْطِقُ فِي خُفْيَةٍ ... وَبِالشَّامِ مَنْطِقُهُ يُعْرَفُ

٢٦١ قَالَ آخَرُ مُلْغِزًا فِي دَوَاةٍ :

وَمُرْضِعَةٍ أَوْلَادُهَا بَعْدَ ذَبْحِهِمْ ... لَهَا لَبَنٌ مَا لَذَّ يَوْمًا لِشَارِبِ
وَفِي بَطْنِهَا السِّكِّينُ وَالثَّدْيُ رَأْسُهَا ... وَأَوْلَادُهَا مَذْخُورَةٌ لِلنَّوَائِبِ

٢٦٢ وَأَلْغَزَ أَبُو الْحَسَنِ بْنُ التِّلْمِيذِ الطَّبِيبُ النَّصْرَانِيُّ فِي الْمِيزَانِ :

مَا وَاحِدٌ مُخْتَلِفُ الْأَسْمَاءِ ... يَعْدِلُ فِي الْأَرْضِ وَفِي السَّمَاءِ
يَحْكُمُ بِالْقِسْطِ بِلَا رِيَاءِ ... أَعْمَى يُرِي الْإِرْشَادَ كُلَّ رَاءِ
أَخْرَسُ لَا مِنْ عِلَّةٍ وَدَاءِ ... يُغْنِي عَنِ التَّصْرِيحِ بِالْإِيمَاءِ
يُجِيبُ إِنْ نَادَاهُ ذُو امْتِرَاءِ ... بِالرَّفْعِ وَالْخَفْضِ عَنِ النِّدَاءِ
يُفْصِحُ إِنْ عُلِّقَ فِي الْهَوَاءِ

٢٦٣ قَالَ آخَرُ فِي الْبَيْضَةِ :

أَلَا قُلْ لِأَهْلِ الرَّأْيِ وَالْعِلْمِ وَالْأَدَبْ ... وَكُلِّ بَصِيرٍ بِالْأُمُورِ لَدَى أَرَبْ
أَلَا خَبِّرُونِي أَيَّ شَيْءٍ رَأَيْتُمُ ... مِنَ الطَّيْرِ فِي أَرْضِ الْأَعَاجِمِ وَالْعَرَبْ
قَدِيمٌ حَدِيثٌ قَدْ بَدَا وَهُوَ حَاضِرٌ ... يُصَادُ بِلَا صَيْدٍ وَإِنْ جَدَّ فِي الطَّلَبْ

وَيُؤْكَلُ أَحْيَانًا طَبِيخًا وَتَارَةً قَلِيًّا وَمَشْوِيًّا إِذَا دُسَّ فِي ٱللَّهَبْ
وَلَيْسَ لَهُ لَحْمٌ وَلَيْسَ لَهُ دَمٌ وَلَيْسَ لَهُ عَظْمٌ وَلَيْسَ لَهُ عَصَبْ
وَلَيْسَ لَهُ رِجْلٌ وَلَيْسَ لَهُ يَدٌ وَلَيْسَ لَهُ رَأْسٌ وَلَيْسَ لَهُ ذَنَبْ
وَلَا هُوَ حَيٌّ لَا وَلَا هُوَ مَيِّتٌ أَلَا خَبِّرُونِي إِنَّ هٰذَا هُوَ ٱلْعَجَبْ

٢٦٤ أَلْغَزَ أَبُو مُحَمَّدٍ ٱبْنُ ٱلْخَشَّابِ ٱلْبَغْدَادِيُّ فِي كِتَابٍ:

وَذِي أَوْجُهٍ لٰكِنَّهُ غَيْرُ بَائِحٍ بِسِرٍّ وَذُو ٱلْوَجْهَيْنِ لِلسِّرِّ مُظْهِرُ
تُنَاجِيكَ بِٱلْأَسْرَارِ أَسْرَارُ وَجْهِهِ فَتَسْمَعُهَا بِٱلْعَيْنِ مَا دُمْتَ تَنْظُرُ

٢٦٥ قُلِعَ لِأُسَامَةَ بْنِ ٱلْمُنْقِذِ ضِرْسٌ فَقَالَ فِيهِ مُلْغِزًا:

وَصَاحِبٍ لَا أَمَلُّ ٱلدَّهْرَ صُحْبَتَهُ يَشُقُّ لِنَفْعِي وَيَسْعَى سَعْيَ مُجْتَهِدِ
لَمْ أَلْقَهُ مُذْ تَصَاحَبْنَا فَحِينَ بَدَا لِنَاظِرَيَّ ٱفْتَرَقْنَا فُرْقَةَ ٱلْأَبَدِ

٢٦٦ أَلْغَزَ ٱبْنُ زَكَرِيَّاءَ بْنِ سَلَامَةَ ٱلْحَصْكَفِيُّ فِي نَعْشِ ٱلْمَوْتَى:

أَتَعْرِفُ شَيْئًا فِي ٱلسَّمَاءِ نَظِيرُهُ إِذَا سَارَ صَاحَ ٱلنَّاسُ حَيْثُ يَسِيرُ
فَتَلْقَاهُ مَرْكُوبًا وَتَلْقَاهُ رَاكِبًا وَكُلُّ أَمِيرٍ يَعْتَلِيهِ أَسِيرُ
يَحُضُّ عَلَى ٱلتَّقْوَى وَيُكْرَهُ قُرْبُهُ وَيَنْفُرُ مِنْهُ ٱلنَّفْسُ وَهْوَ نَذِيرُ
وَلَمْ يُسْتَزَرْ عَنْ رَغْبَةٍ فِي زِيَارَةٍ وَلٰكِنْ عَلَى رَغْمِ ٱلْمَزُورِ يَزُورُ

٢٦٧ وَقَدْ أَحْسَنَ ٱلصَّاحِبُ بَهَاءُ ٱلدِّينِ زُهَيْرٌ وَزِيرُ ٱلْمَلِكِ ٱلصَّالِحِ مُلْغِزًا فِي قُفْلٍ:

وَأَسْوَدَ عَارٍ أَنْحَلَ ٱلْبَرْدُ جِسْمَهُ وَمَا زَالَ مِنْ أَوْصَافِهِ ٱلْحِرْصُ وَٱلْمَنْعُ
وَأَعْجَبُ شَيْءٍ كَوْنُهُ ٱلدَّهْرَ حَارِسًا وَلَيْسَ لَهُ عَيْنٌ وَلَيْسَ لَهُ سَمْعُ

٢٦٨ أُغْزُ فِي طَاحُونَةٍ :

وَمُسْرِعَةٍ فِي سَيْرِهَا طُولَ دَهْرِهَا تَرَاهَا مَدَى ٱلْأَيَّامِ تَمْشِي وَلَا تَتْعَبْ
وَفِي سَيْرِهَا مَا تَقْطَعُ ٱلْأَكْلَ سَاعَةً وَتَأْكُلُ مَعْ طُولِ ٱلْمَدَى وَهْيَ لَا تَشْرَبْ
وَمَا قَطَعَتْ فِي ٱلسَّيْرِ خَمْسَةَ أَذْرُعٍ وَلَا ثُلُثَ ثُمْنٍ مِنْ ذِرَاعٍ وَلَا أَقْرَبْ

٢٦٩ قَالَ بَعْضُهُمْ فِي حِذَاءٍ :

مَطِيَّةٌ فَارِسُهَا رَاجِلٌ تَحْمِلُهُ وَهْوَ لَهَا حَامِلُ
وَاقِفَةٌ فِي ٱلْبَابِ مَرْذُولَةٌ لَا تَشْرَبُ ٱلدَّهْرَ وَلَا تَأْكُلُ

٢٧٠ قَالَ غَيْرُهُ فِي ٱلْمَوْزِ :

مَا ٱسْمُ شَيْءٍ حَسَنٍ شَكْلُهُ تَلْقَاهُ عِنْدَ ٱلنَّاسِ مَوْزُونَا
تَرَاهُ مَعْدُودًا فَإِنْ زِدْتَهُ وَاوًا وَنُونًا صَارَ مَوْزُونَا

٢٧١ قَالَ آخَرُ فِي ٱلنَّارِ :

أَيُّ صَغِيرٍ يَنْمُو عَلَى عَجَلٍ يَعِيشُ بِٱلرِّيحِ وَهْيَ تُهْلِكُهُ
يَغْلِبُ أَقْوَى جِسْمٍ وَيَغْلِبُهُ أَضْعَفُ جِسْمٍ بِحَيْثُ يُدْرِكُهُ

٢٧٢ أُلْغَزَ آخَرُ فِي يَدِ ٱلْهَاوَنِ :

خَبِّرُونِي أَيُّ شَيْءٍ أَوْسَعُ مَا فِيهِ فَمْهْ
وَٱبْنُهُ فِي بَطْنِهِ يَرْ فُسُهُ وَيَلْكُمْهْ
وَقَدْ عَلَا صِيَاحُهُ وَلَمْ يَجِدْ مَنْ يَرْحَمْهْ

٢٧٣ وَقَالَ آخَرُ فِي ٱلْإِبْرَةِ :

وَذَاتِ ذَوَائِبٍ تَنْجَرُّ طُولًا وَرَاهَا فِي ٱلْمَجِيءِ وَفِي ٱلذَّهَابِ

بِعَيْنٍ لَمْ تَذُقْ لِلنَّوْمِ طَعْمًا وَلَا ذَرَفَتْ لِدَمْعٍ ذِي ٱنْسِكَابِ
وَمَا لَبِسَتْ مَدَى ٱلْأَيَّامِ ثَوْبًا وَتَكْسُو ٱلنَّاسَ أَنْوَاعَ ٱلثِّيَابِ

٢٧٤ أَلْغَزَ ٱلصَّلَاحُ ٱلصَّفَدِيُّ فِي عِيدٍ:

يَا كَاتِبًا بِفَضْلِهِ كُلُّ أَدِيبٍ يَشْهَدُ
مَا ٱسْمٌ عَلِيلٌ قَلْبُهُ وَفَضْلُهُ لَا يُجْحَدُ
لَيْسَ بِذِي جِسْمٍ يُرَى وَفِيهِ عَيْنٌ وَيَدُ

٢٧٥ قَالَ آخَرُ فِي غَزَالٍ:

إِسْمُ مَنْ هَاجَ خَاطِرِي أَرْبَعٌ فِي صُنُوفِهِ
فَإِذَا زَالَ رُبْعُهُ زَالَ بَاقِي حُرُوفِهِ

٢٧٦ قَالَ آخَرُ فِي ٱلْمَاءِ:

يُمِيتُ وَيُحْيِي وَهْوَ مَيْتٌ بِنَفْسِهِ وَيَمْشِي بِلَا رِجْلٍ إِلَى كُلِّ جَانِبِ
يُرَى فِي حَضِيضِ ٱلْأَرْضِ طَوْرًا وَتَارَةً تَرَاهُ تَسَامَى فَوْقَ طُورِ ٱلسَّحَائِبِ

٢٧٧ قَالَ آخَرُ فِي مِصْرَاعِ ٱلْبَابِ:

عَجِبْتُ لِبَحْرَيْنِ مِنْ كُلِّ لَذَّةٍ يَبِيتَانِ طُولَ ٱللَّيْلِ يَعْتَنِقَانِ
إِذَا أَمْسَيَا كَانَا عَلَى ٱلنَّاسِ مَرْصَدًا وَعِنْدَ طُلُوعِ ٱلْفَجْرِ يَفْتَرِقَانِ

٢٧٨ قَالَ غَيْرُهُ فِي نَارٍ:

وَمَا ٱسْمٌ ثُلَاثِيٌّ لَهُ ٱلنَّفْعُ وَٱلضَّرَرْ لَهُ طَلْعَةٌ تُغْنِي عَنِ ٱلشَّمْسِ وَٱلْقَمَرْ
وَلَيْسَ لَهُ وَجْهٌ وَلَيْسَ لَهُ قَفَا وَلَيْسَ لَهُ سَمْعٌ وَلَيْسَ لَهُ بَصَرْ

أَلْبَابُ ٱلثَّالِثَ عَشَرَ
فِي ٱلْوَصْفِ

٢٧٩ وَصَفَ ٱلْيُوسُفِيُّ غُلَامًا فَقَالَ: يَعْرِفُ ٱلْمُرَادَ بِٱللَّحْظِ. كَمَا يَفْهَمُهُ بِٱللَّفْظِ. وَيُعَايِنُ فِي ٱلنَّاظِرِ. مَا يَجْرِي فِي ٱلْخَاطِرِ. يَرَى ٱلنُّصْحَ فَرْضًا يَجِبُ أَدَاؤُهُ. وَٱلْإِحْسَانَ حَتْمًا يَلْزَمُ قَضَاؤُهُ. إِنِ ٱسْتُفْرِغَ فِي ٱلْخِدْمَةِ جَهْدَهُ. خُيِّلَ إِلَيْهِ أَنَّهُ بَذَلَ عَفْوَهُ. أَثْبَتُ مِنَ ٱلْجِدَارِ إِذَا ٱسْتُعْمِلَ. وَأَسْرَعُ مِنَ ٱلْبَرْقِ إِذَا ٱسْتُعْجِلَ (للثعالبي)

٢٨٠ تَظَلَّمَ رَجُلٌ لِلْمَأْمُونِ مِنْ عَامِلٍ لَهُ فَقَالَ لَهُ: يَا أَمِيرَ ٱلْمُؤْمِنِينَ مَا تَرَكَ لَنَا فِضَّةً إِلَّا فَضَّهَا. وَلَا ذَهَبًا إِلَّا ذَهَبَ بِهِ. وَلَا مَاشِيَةً إِلَّا مَشَى بِهَا. وَلَا غَلَّةً إِلَّا غَلَّهَا. وَلَا ضَيْعَةً إِلَّا أَضَاعَهَا. وَلَا عَقْلًا إِلَّا عَقَلَهُ. وَلَا عِرْضًا إِلَّا عَرَضَ لَهُ. وَلَا جَلِيلًا إِلَّا أَجَلَّهُ. وَلَا دَقِيقًا إِلَّا أَدَقَّهُ. فَعَجِبَ ٱلْمَأْمُونُ مِنْ فَصَاحَتِهِ وَقَضَى حَاجَتَهُ (للشريشي)

٢٨١ حَدَّثَ ٱبْنُ أَعْرَابِيٍّ قَالَ: أَجْرَى هَارُونُ ٱلرَّشِيدُ ٱلْخَيْلَ فَجَاءَ فَرَسٌ يُقَالُ لَهُ ٱلْمُشَمَّرُ سَابِقًا. وَكَانَ ٱلرَّشِيدُ مُعْجَبًا بِذٰلِكَ ٱلْفَرَسِ. فَأَمَرَ ٱلشُّعَرَاءَ أَنْ يَقُولُوا فِيهِ. فَبَدَرَهُمْ أَبُو ٱلْعَتَاهِيَةِ فَقَالَ:

جَاءَ ٱلْمُشَمَّرُ وَٱلْأَفْرَاسُ يَقْدُمُهَا هُونًا عَلَى رِسْلِهِ مِنْهَا وَمَا ٱنْبَهَرَا
وَخَلَّفَ ٱلرِّيحَ حَسْرَى وَهْيَ جَاهِدَةٌ وَمَرَّ يَخْتَطِفُ ٱلْأَبْصَارَ وَٱلنَّظَرَا
فَأَجْزَلَ صِلَتَهُ وَمَا جَسَرَ أَحَدٌ أَنْ يُجِيزَ أَبَا ٱلْعَتَاهِيَةِ (الاغاني)

٢٨٢ لَقِيَ ٱلْحَجَّاجُ أَعْرَابِيًّا فَقَالَ لَهُ: مَا بِيَدِكَ. فَقَالَ: عَصَايَ أَرْكُزُهَا لِصَلَاتِي. وَأُعِدُّهَا لِعُدَاتِي. وَأَسُوقُ بِهَا دَابَّتِي. وَأَقْوَى بِهَا عَلَى سَفَرِي. وَأَعْتَمِدُ عَلَيْهَا فِي مِشْيَتِي يَتَّسِعُ خَطْوِي. وَأَثِبُ بِهَا عَلَى ٱلنَّهْرِ. وَتُؤْمِنُنِي ٱلْعَثْرَ. وَأُلْقِي عَلَيْهَا كِسَائِي. فَيُقِينِي ٱلْحَرَّ. وَيُجَنِّبُنِي ٱلْقَرَّ. وَتُدْنِي إِلَيَّ مَا بَعُدَ عَنِّي. وَهِيَ مَحْمِلُ سَفْرَتِي. وَعَلَاقَةُ أَدْوَاتِي. أَقْرَعُ بِهَا ٱلْأَبْوَابَ. وَأُلْقِي بِهَا عَقُورَ ٱلْكِلَابِ. وَتَنُوبُ عَنِ ٱلرُّمْحِ ٱلطَّعَّانِ. وَعَنِ ٱلسَّيْفِ عِنْدَ مُنَازَلَةِ ٱلْأَقْرَانِ. وَرِثْتُهَا عَنْ أَبِي وَسَأُورِثُهَا ٱبْنِي مِنْ بَعْدِي. وَأَهُشُّ بِهَا عَلَى غَنَمِي. وَلِي فِيهَا مَآرِبُ أُخْرَى. فَبُهِتَ ٱلْحَجَّاجُ وَٱنْصَرَفَ (لبهاء الدين)

٢٨٣ ذَمَّ أَعْرَابِيٌّ رَجُلًا فَقَالَ: إِنْ سَأَلَ أَلْحَفَ. وَإِنْ سُئِلَ سَوَّفَ. وَإِنْ حَدَّثَ حَلَفَ. وَإِذَا وَعَدَ أَخْلَفَ. وَإِذَا صَنَعَ أَتْلَفَ. وَإِذَا طَبَخَ أَقْرَفَ. وَإِذَا سَامَرَ نَشَّفَ. وَإِذَا نَامَ خَوَّفَ. وَإِذَا هَمَّ بِٱلْفِعْلِ ٱلْجَمِيلِ تَوَقَّفَ. يَنْظُرُ نَظَرَ ٱلْحُسُودِ. وَيُعْرِضُ إِعْرَاضَ ٱلْحَقُودِ. بَيْنَمَا هُوَ خِلٌّ وَدُودٌ. إِذَا هُوَ خَلٌّ وَدُودٌ. فِنَاؤُهُ شَاسِعٌ. وَضَيْفُهُ جَائِعٌ. وَشَرُّهُ شَائِعٌ. وَسِرُّهُ ذَائِعٌ. وَلَوْنُهُ فَاقِعٌ. وَجَفْنُهُ دَامِعٌ. وَدِيَارُهُ بَلَاقِعُ. رَدِيءُ ٱلْمَنْظَرِ. سَيِّءُ ٱلْمُخْبَرِ. يَبْخَلُ إِذَا أَيْسَرَ. وَيَهْلَعُ إِذَا أَعْسَرَ. وَيَكْذِبُ إِذَا أَخْبَرَ. وَيَكْفُرُ إِذَا كَبَّرَ. إِنْ عَاهَدَ غَدَرَ. وَإِنْ خَاصَمَ فَجَرَ. وَإِنْ حَمَّلَ أَوْقَرَ. وَإِنْ خُوطِبَ نَفَرَ

٢٨٤ سُئِلَ سَنَاقِدِسُ عَنِ ٱلْمَرْكَبِ فَكَتَبَ: بَيْتٌ بِلَا أَسَاسٍ. قَبْرٌ مُؤَلَّفٌ.

وَسُئِلَ عَنِ اللهِ سُبْحَانَهُ فَكَتَبَ: مَعْقُولٌ مَجْهُولٌ. وَاحِدٌ لَا نَظِيرَ لَهُ مَطْلُوبٌ غَيْرُ مُدْرَكٍ سُبْحَانَهُ لَا إِلٰهَ إِلَّا هُوَ. وَسُئِلَ عَنِ الْمَوْتِ فَكَتَبَ: نَوْمٌ لَا انْتِبَاهَ مَعَهُ رَاحَةُ الْمَرْضَى. نَقِيضُ الْبُنْيَةِ. انْفِصَالُ الِاتِّصَالِ. الرُّجُوعُ إِلَى الْعُنْصُرِ. شَهْوَةُ الْفُقَرَاءِ. فَزَعُ الْأَغْنِيَاءِ. سَفَرُ الْبَدَنِ. فِقْدَانُ الْإِخْوَانِ. وَسُئِلَ عَنِ الْهَرَمِ فَكَتَبَ: شَرٌّ يُتَمَنَّى. مَرَضُ الْأَصِحَّاءِ. مَوْتُ الْحَيَاةِ. صَاحِبُهُ مَيِّتٌ يَتَحَرَّكُ. وَسُئِلَ عَنِ الْمَالِ فَكَتَبَ: خَادِمُ الشَّهَوَاتِ. هَمٌّ فِي كُلِّ يَوْمٍ. شَرٌّ مَحْبُوبٌ. وَسُئِلَ عَنِ الْحُسْنِ فَكَتَبَ: تَصْوِيرِيٌّ طَبِيعِيٌّ. زَهْرَةٌ تَذْبُلُ. وَسُئِلَ عَنِ الشَّمْسِ فَكَتَبَ: عَيْنُ الْفَلَكِ النَّهَارِيِّ. عِلَّةُ الْعَوْرَاتِ. وَسَبَبُ الثَّمَرَاتِ. وَعَنِ الْقَمَرِ فَكَتَبَ: عَقِيبُ الشَّمْسِ. سِرَاجٌ لَيْلِيٌّ. وَسُئِلَ عَنِ الْإِنْسَانِ فَكَتَبَ: مَلْعَبَةُ الْبَخْتِ. مَطْلُوبُ السِّنِينَ. أُمْنِيَّةُ الْأَرْضِ. وَسُئِلَ عَنِ الْأَرْضِ فَكَتَبَ: قَاعِدَةُ الْفَلَكِ. (على زعم الاقدمين) أَصْلٌ ثَابِتٌ فِي الْهَوَاءِ. أُمُّ الثَّمَرَاتِ. وَسُئِلَ عَنِ الْفَلَّاحِ فَكَتَبَ: خَادِمُ الْغِذَاءِ. وَسُئِلَ عَنِ الْأَعْدَاءِ فَكَتَبَ:

إِنِّي بُلِيتُ بِأَرْبَعٍ لَمْ يُخْلَقُوا إِلَّا لِشِدَّةِ شَقْوَتِي وَعَنَائِي
إِبْلِيسُ وَالدُّنْيَا وَنَفْسِي وَالْهَوَى كَيْفَ الْخَلَاصُ وَكُلُّهُمْ أَعْدَائِي

٢٨٥ وَصَفَ الْكَاتِبُ مَحْمُودٌ كَاتِبًا فَقَالَ: وَهٰذَا فُلَانٌ آتَاهُ اللهُ الْحِكْمَةَ وَفَصْلَ الْخِطَابِ. وَمَكَّنَهُ مِنْ أَزِمَّةِ جِيَادِ الْمَعَانِي. فَهِيَ تَجْرِي بِأَمْرِهِ رُخَاءً حَيْثُ أَصَابَ. وَمَنَحَهُ فَضِيلَتَيِ الْعِلْمِ وَالْعَمَلِ. فَإِذَا كَتَبَ

أَخَذَتِ ٱلْأَرْضُ زُخْرُفَهَا وَٱزَّيَّنَتْ (الكنز المدفون)

٢٨٦ وَقَدْ أَحْسَنَ ٱلشَّاعِرُ فِي وَصْفِ ٱلطَّاوُوسِ حَيْثُ قَالَ :

سُبْحَانَ مَنْ مِنْ خَلْقِهِ ٱلطَّاوُوسُ طَيْرٌ عَلَى أَشْكَالِهِ رَئِيسُ
تَشْرُقُ فِي دَارَاتِهِ شُمُوسُ فِي ٱلرَّأْسِ مِنْهُ شَجَرٌ مَغْرُوسُ
كَأَنَّهُ بَنَفْسَجٌ يَمِيسُ أَوْ هُوَ زَهْرُ خَرَمٍ يَبِيسُ

٢٨٧ قَالَ بَعْضُهُمْ فِي وَصْفِ ٱلْفُسْتُقِ :

كَأَنَّمَا ٱلْفُسْتُقُ ٱلْمَمْلُوحُ حِينَ بَدَا مُشَقَّقًا فِي لَطِيفَاتِ ٱلطَّوَافِيرِ
وَٱللُّبُّ مَا بَيْنَ قِشْرَيْهِ يَلُوحُ لَنَا كَأَلْسُنِ ٱلطَّيْرِ مَا بَيْنَ ٱلْمَنَاقِيرِ

٢٨٨ وَقِيلَ فِي ٱلْفُسْتُقِ أَيْضًا :

تَفَكَّرْتُ فِي مَعْنَى ٱلثِّمَارِ فَلَمْ أَجِدْ لَهَا ثَمَرًا يَبْدُو بِحُسْنٍ مُجَرَّدِ
سِوَى ٱلْفُسْتُقِ ٱلرَّطْبِ ٱلْجَنِيِّ فَإِنَّهُ زَهَا بِمَعَانٍ زُيِّنَتْ بِتَجَرُّدِ
غَلَالَةُ مَرْجَانٍ عَلَى جِسْمِ فِضَّةٍ وَأَحْشَاءُ يَاقُوتٍ وَقَلْبُ زَبَرْجَدِ

٢٨٩ قَالَ ٱبْنُ ٱلْأَرْمَوِيِّ يَصِفُ ٱلْجُلَّنَارَ :

بَدَا لَنَا ٱلْجُلَّنَارُ فِي ٱلْقُضُبِ وَٱلطَّلُّ يَبْدُو عَلَيْهِ كَٱلْحَبَبِ
كَأَنَّمَا أَكْؤُسُ ٱلْعَقِيقِ بِهِ قَدْ مُلِّئَتْ مِنْ بُرَادَةِ ٱلذَّهَبِ

٢٩٠ وَمِمَّا جَاءَ فِي وَصْفِ ٱلْأَزْهَارِ وَٱلرَّبِيعِ قَوْلُ بَعْضِهِمْ :

غَدَوْنَا عَلَى ٱلرَّوْضِ ٱلَّذِي طَلَّهُ ٱلنَّدَى سُحَيْرًا وَأَوْدَاجُ ٱلْأَبَارِيقِ تُسْفَكُ
فَلَمْ نَرَ شَيْئًا كَانَ أَحْسَنَ مَنْظَرًا مِنَ ٱلنَّوْرِ يَجْرِي دَمْعُهُ وَهُوَ يَضْحَكُ

٢٩١ قَالَ بَعْضُ ٱلشُّعَرَاءِ يَصِفُ ٱلرَّبِيعَ :

مَرْحَبًا بِالرَّبِيعِ فِي آذَارِ وَبِإِشْرَاقِ بَهْجَةِ الْأَنْوَارِ
مِنْ شَقِيقٍ وَأُقْحُوَانٍ وَوَرْدٍ وَخِزَامٍ وَنَرْجِسٍ وَبَهَارِ

٢٩٢ قَالَ غَيْرُهُ :

أَمَا تَرَى الْأَرْضَ قَدْ أَعْطَتْكَ زَهْرَتَهَا بِخُضْرَةٍ وَاكْتَسَى بِالنَّوْرِ عَارِيهَا
فَلِلسَّمَاءِ بُكَاءٌ فِي جَوَانِبِهَا وَلِلرَّبِيعِ ابْتِسَامٌ فِي نَوَاحِيهَا

٢٩٣ قَالَ آخَرُ فِي الْغَمَامِ :

إِنَّ السَّمَاءَ إِذَا لَمْ تَبْكِ مُقْلَتُهَا لَمْ تَضْحَكِ الْأَرْضُ عَنْ شَيْءٍ مِنَ الزَّهَرِ
وَالْأَرْضُ لَا تَنْجَلِي أَنْوَارُهَا أَبَدًا إِلَّا إِذَا رَمِدَتْ مِنْ شِدَّةِ الْمَطَرِ

٢٩٤ قَالَ أَبُو الْحَزْمِ بْنُ جَهْوَرٍ فِي الْوَرْدِ :

أَلْوَرْدُ أَحْسَنُ مَا رَأَتْ عَيْنِي وَأَذْ كَى مَا سَقَى مَاءَ السَّحَابِ الْجَامِدُ
خَضَعَتْ نَوَاوِيرُ الرِّيَاضِ لِحُسْنِهِ فَتَذَلَّلَتْ تَنْقَادُ وَهْيَ شَوَارِدُ
وَإِذَا تَبَدَّى الْغَضُّ فِي أَغْصَانِهِ يَزْهُو فَذَا مَيْتٌ وَهٰذَا حَاسِدُ
وَإِذَا أَتَى وَفْدُ الرَّبِيعِ مُبَشِّرًا بِطُلُوعِ وَفْدَتِهِ فَنِعْمَ الْوَافِدُ
لَيْسَ الْمُبَشِّرُ كَالْمُبَشَّرِ بِاسْمِهِ خَيْرٌ عَلَيْهِ مِنَ النُّبُوَّةِ شَاهِدُ
وَإِذَا تَعَرَّى الْوَرْدُ مِنْ أَوْرَاقِهِ بَقِيَتْ عَوَارِفُهُ فَهُنَّ خَوَالِدُ

٢٩٥ قَالَ آخَرُ فِي الْيَاسَمِينِ :

وَالْأَرْضُ تَبْسِمُ عَنْ ثُغُورِ رِيَاضِهَا وَالْأُفْقُ يُسْفِرُ تَارَةً وَيُقَطِّبُ
وَكَأَنَّ مُخْضَرَّ الرِّيَاضِ مُلَاءَةٌ وَالْيَاسَمِينَ لَهَا طِرَازٌ مُذْهَبُ

٢٩٦ قَالَ الْأَخْطَلُ الْأَهْوَازِيُّ فِي السُّوسَنِ :

سَقْيًا لِأَرْضٍ إِذَا مَا نِمْتُ نَبَّهَنِي ... بَعْدَ الْهُدُوِّ بِهَا قَرْعُ النَّوَاقِيسِ
كَأَنَّ سُوسَنَهَا فِي كُلِّ شَارِفَةٍ ... عَلَى الْمَيَادِينِ أَذْنَابُ الطَّوَاوِيسِ

٢٩٧ وَقِيلَ فِي السَّفَرْجَلِ :

حَازَ السَّفَرْجَلُ لَذَّاتِ الْوَرَى فَغَدَا ... عَلَى الْفَوَاكِهِ بِالتَّفْضِيلِ مَشْهُورَا
كَالرَّاحِ طَعْمًا وَشَمِّ الْمِسْكِ رَائِحَةً ... وَالتِّبْرِ لَوْنًا وَشَكْلِ الْبَدْرِ تَدْوِيرَا

٢٩٨ وَقِيلَ فِي الْخَوْخِ :

وَرِمَاحٍ بِغَيْرِ طَعْنٍ وَضَرْبٍ ... بَلْ لِأَكْلٍ وَمَصِّ لُبٍّ وَرَشْفِ
كَمُلَتْ فِي اسْتِوَائِهَا وَاسْتَقَامَتْ ... بِاعْتِدَالٍ وَحُسْنِ قَدٍّ وَلُطْفِ

٢٩٩ قَالَ آخَرُ يَصِفُ نَاعُورَةً :

وَنَاعُورَةٍ قَالَتْ وَقَدْ حَالَ لَوْنُهَا ... وَأَضْلُعُهَا كَادَتْ تُعَدُّ مِنَ السُّقْمِ
أَدُورُ عَلَى قَلْبِي لِأَنِّي فَقَدْتُهُ ... وَأَمَّا دُمُوعِي فَهْيَ تَجْرِي عَلَى جِسْمِي

٣٠٠ قَالَ الْبُحْتُرِيُّ يَصِفُ الشَّامَ :

عُنِيتُ بِشَرْقِ الْأَرْضِ قِدْمًا وَغَرْبِهَا ... أَجُوبُ إِلَى آفَاقِهَا وَأَسِيرُهَا
فَلَمْ أَرَ مِثْلَ الشَّامِ دَارَ إِقَامَةٍ ... لِوَاحٍ أَعَادِيهَا وَكَأْسٍ أُدِيرُهَا
مَصَحَّةُ أَبْدَانٍ وَنُزْهَةُ أَعْيُنٍ ... وَلَهْوٌ لِنَفْسٍ دَائِمٌ لِي سُرُورُهَا
مُقَدَّسَةٌ جَادَ الرَّبِيعُ بِلَادَهَا ... فَفِي كُلِّ أَرْضٍ رَوْضَةٌ وَغَدِيرُهَا

٣٠١ أَحْسَنُ مَا قِيلَ فِي وَصْفِ الشَّطْرَنْجِ قَوْلُ ابْنِ الْمُعْتَزِّ :

يَا عَائِبَ الشَّطْرَنْجِ مِنْ جَهْلِهِ ... وَلَيْسَ فِي الشَّطْرَنْجِ مِنْ بَاسِ
فِي فَهْمِهَا عِلْمٌ وَفِي لَعِبِهَا ... شُغْلٌ عَنِ الْغِيبَةِ لِلنَّاسِ

وَتَشْغَلُ ٱلْهَائِمَ عَنْ حُزْنِهِ وَصَاحِبَ ٱلْكَاسِ عَنِ ٱلْكَاسِ
وَصَاحِبُ ٱلْحَرْبِ بِتَدْبِيرِهَا يَزْدَادُ فِي ٱلشِّدَّةِ وَٱلْبَاسِ
وَأَهْلُهَا فِي حُسْنِ آدَابِهِمْ مِنْ خَيْرِ أَصْحَابٍ وَجُلَّاسِ

٣٠٢ وَقَدْ أَحْسَنَ ٱبْنُ دَقِيقِ ٱلْعِيدِ فِي وَصْفِ وَزِيرٍ كَثِيرِ ٱلتَّلَوُّنِ :

مُقْبِلٌ مُدْبِرٌ بَعِيدٌ قَرِيبٌ مُحْسِنٌ مُذْنِبٌ عَدُوٌّ حَبِيبُ
عَجَبٌ مِنْ عَجَائِبِ ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْـ ـرِ وَنَوْعٌ فَرْدٌ وَشَكْلٌ غَرِيبُ

٣٠٣ قَالَ إِسْحَاقُ بْنُ خَلَفٍ ٱلْبَهْرَانِيُّ فِي وَصْفِ ٱلنَّحْوِ :

أَلنَّحْوُ يُصْلِحُ مِنْ لِسَانِ ٱلْأَلْكَنِ وَٱلْمَرْءُ تُعْظِمُهُ إِذَا لَمْ يَلْحَنِ
فَإِذَا طَلَبْتَ مِنَ ٱلْعُلُومِ أَجَلَّهَا فَأَجَلُّهَا مِنْهَا مُقِيمُ ٱلْأَلْسُنِ

٣٠٤ وَصَفَ ٱبْنُ شِرْوَيْهِ ٱلْحُمَّى قَالَ :

وَزَائِرَةٍ تَزُورُ بِلَا رَقِيبٍ وَتَنْزِلُ بِٱلْفَتَى مِنْ غَيْرِ حُبِّهْ
وَمَا أَحَدٌ يُحِبُّ ٱلْقُرْبَ مِنْهَا وَلَا تَحْلُو زِيَارَتُهَا بِقَلْبِهْ
تَبِيتُ بِبَاطِنِ ٱلْأَحْشَاءِ مِنْهُ فَيَطْلُبُ بُعْدَهَا مِنْ عِظْمِ كَرْبِهْ
وَتَمْنَعُهُ لَذِيذَ ٱلْعَيْشِ حَتَّى تُنَغِّصَهُ بِمَأْكَلِهِ وَشُرْبِهْ
أَتَتْ لِزِيَارَتِي مِنْ غَيْرِ وَعْدٍ وَكَمْ مِنْ زَائِرٍ لَا مَرْحَبًا بِهْ

قَالَ بَعْضُ ٱلشُّعَرَاءِ يَصِفُ فِرَاقَ ٱلْخُلَّانِ :

أَلْقَلْبُ مِنْ فُرْقَةِ ٱلْخِلَّانِ يَحْتَرِقُ وَٱلدَّمْعُ كَٱلدُّرِّ فِي ٱلْخَدَّيْنِ يَسْتَبِقُ
إِنْ فَاضَ مَاءُ دُمُوعِي لَمْ يَكُنْ عَجَبًا أَلْعُودُ يَقْطُرُ مَاءً وَهْوَ مُحْتَرِقُ

ألباب الرابع عشر
في الحكايات

ابن الزبيري ومعاوية

٣٠٥ كان لعبد الله بن الزبيري أرض وكان له فيها عبيد يعملون فيها. وإلى جانبها أرض لمعاوية وفيها أيضاً عبيد يعملون فيها. فدخل عبيد معاوية في أرض عبد الله بن الزبيري فكتب عبد الله كتاباً إلى معاوية يقول له فيه: أما بعد يا معاوية فإن عبيدك قد دخلوا في أرضي. فانههم عن ذلك وإلا كان لي ولك شان والسلام. فلما وقف معاوية على كتابه وقرأه دفعه إلى ولده يزيد. فلما قرأه قال له معاوية: يا بني ما ترى. قال: أرى أن تبعث إليه جيشاً يكون أوله عنده وآخره عندك يأتونك برأسه. فقال: بل غير ذلك خير منه يا بني. ثم أخذ ورقة وكتب فيها جواب كتاب عبد الله بن الزبير يقول فيه: أما بعد فقد وقفت على كتاب ولد حواري وساءني ما ساءه. والدنيا بأسرها هينة عندي في جنب رضاه. نزلت عن أرضي لك فأضفها إلى أرضك بما فيها من العبيد والأموال والسلام. فلما وقف عبد الله بن الزبير على كتاب معاوية كتب إليه: قد وقفت على كتاب أمير المؤمنين أطال الله بقاءه ولا أعدمه الرأي الذي أحله من قريش هذا المحل والسلام. فلما وقف معاوية على كتاب عبد الله بن

ٱلزُّبَيْرِ وَقَرَأَهُ رَمَى بِهِ إِلَى ٱبْنِهِ يَزِيدَ . فَلَمَّا قَرَأَهُ تَهَلَّلَ وَجْهُهُ وَأَسْفَرَ . فَقَالَ لَهُ أَبُوهُ : يَا بُنَيَّ مَنْ عَفَا سَادَ . وَمَنْ حَلُمَ عَظُمَ . وَمَنْ تَجَاوَزَ ٱسْتَمَالَ إِلَيْهِ ٱلْقُلُوبَ . فَإِذَا ٱبْتُلِيتَ بِشَيْءٍ مِنْ هٰذِهِ ٱلْأَدْوَاءِ . فَدَاوِهِ بِمِثْلِ هٰذَا ٱلدَّوَاءِ

المنصور ومحمد بن جعفر

٣٠٦ قِيلَ : كَانَ ٱلْمَنْصُورُ مُعْجَبًا بِمُحَادَثَةِ مُحَمَّدِ بْنِ جَعْفَرٍ وَلِعِظَمِ قَدْرِهِ يَفْزَعُونَ إِلَيْهِ فِي ٱلشَّفَاعَاتِ . فَثَقُلَ ذٰلِكَ عَلَى ٱلْمَنْصُورِ فَحَجَبَهُ مُدَّةً . ثُمَّ لَمْ يَصْبِرْ عَنْهُ . فَأَمَرَ ٱلرَّبِيعَ أَنْ يُكَلِّمَهُ فِي ذٰلِكَ فَكَلَّمَهُ وَقَالَ : ٱعْفُ أَمِيرَ ٱلْمُؤْمِنِينَ لَا تُثَقِّلْ عَلَيْهِ فِي ٱلشَّفَاعَاتِ . فَقَبِلَ ذٰلِكَ مِنْهُ . فَلَمَّا تَوَجَّهَ إِلَى ٱلْبَابِ ٱعْتَرَضَهُ قَوْمٌ مِنْ قُرَيْشٍ مَعَهُمْ رِقَاعٌ فَسَأَلُوهُ إِيصَالَهَا إِلَى ٱلْمَنْصُورِ . فَقَصَّ عَلَيْهِمِ ٱلْقِصَّةَ فَأَبَوْا إِلَّا أَنْ يَأْخُذَهَا . فَقَالَ : ٱقْذِفُوهَا فِي كُمِّي . ثُمَّ دَخَلَ عَلَيْهِ وَهُوَ فِي ٱلْخَضْرَاءِ مُشْرِفٌ عَلَى مَدِينَةِ ٱلسَّلَامِ وَمَا حَوْلَهَا مِنَ ٱلْبَسَاتِينِ . فَقَالَ لَهُ : أَمَا تَرَى إِلَى حُسْنِهَا يَا أَبَا عَبْدِ ٱللهِ . فَقَالَ لَهُ : يَا أَمِيرَ ٱلْمُؤْمِنِينَ بَارَكَ ٱللهُ لَكَ فِيمَا آتَاكَ وَهَنَّاكَ بِإِتْمَامِ نِعْمَتِهِ عَلَيْكَ فِيمَا أَعْطَاكَ . فَمَا بَنَتِ ٱلْعَرَبُ فِي دَوْلَةِ ٱلْإِسْلَامِ وَلَا ٱلْعَجَمُ فِي سَالِفِ ٱلْأَيَّامِ أَحْصَنَ وَلَا أَحْسَنَ مِنْ مَدِينَتِكَ وَلٰكِنْ سَجَّتُهَا فِي عَيْنِي خَصْلَةٌ . قَالَ : وَمَا هِيَ . قَالَ : لَيْسَ لِي فِيهَا ضَيْعَةٌ . فَتَبَسَّمَ وَقَالَ : قَدْ حَسَّنْتُهَا فِي عَيْنِكَ بِثَلَاثِ ضِيَاعٍ قَدْ أَقْطَعْتُكَهَا . فَقَالَ : لِلهِ دَرُّكَ يَا أَمِيرَ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِنَّكَ شَرِيفُ ٱلْمَوَارِدِ كَرِيمُ ٱلْمَصَادِرِ . فَجَعَلَ ٱللهُ تَعَالَى

بَاقِي عُمْرِكَ أَكْثَرَ مِنْ مَاضِيهِ . ثُمَّ قَامَ مَعَهُ يَوْمَهُ ذٰلِكَ . فَلَمَّا نَهَضَ لِيَقُومَ بَدَتِ ٱلرِّقَاعُ مِنْ كُمِّهِ فَجَعَلَ يَرُدُّهُنَّ وَيَقُولُ : ٱرْجِعْنَ خَائِبَاتٍ خَاسِرَاتٍ . فَضَحِكَ ٱلْمَنْصُورُ وَقَالَ : بِحَقِّي عَلَيْكَ إِلَّا أَخْبَرْتَنِي وَأَعْلَمْتَنِي بِخَبَرِ هٰذِهِ ٱلرِّقَاعِ . فَأَعْلَمَهُ وَقَالَ : مَا أَتَيْتَ يَا ٱبْنَ مُعَلِّمِ ٱلْخَيْرِ إِلَّا كَرِيمًا وَتَمَثَّلَ بِقَوْلِ عَبْدِ ٱللهِ بْنِ مُعَاوِيَةَ :

لَسْنَا وَإِنْ أَحْسَابُنَا كَرُمَتْ يَوْمًا عَلَى ٱلْأَحْسَابِ نَتَّكِلُ
نَبْنِي كَمَا كَانَتْ أَوَائِلُنَا تَبْنِي وَنَفْعَلُ مِثْلَ مَا فَعَلُوا

ثُمَّ تَصَفَّحَ ٱلرِّقَاعَ وَقَضَى حَوَائِجَهُمْ عَنْ آخِرِهَا (للابشيهي)

عدل عُمر بن الخطّاب بما اداهُ لعجوزٍ من فقراء رعيته

٣٠٧ ذُكِرَ فِي كِتَابِ ٱلْمَغَازِي عَنْ عَبْدِ ٱللهِ بْنِ ٱلْعَبَّاسِ عَنْ أَبِيهِ قَالَ : خَرَجْتُ لَيْلَةً حَالِكَةً قَاصِدًا دَارَ أَمِيرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ عُمَرَ بْنِ ٱلْخَطَّابِ رَضِيَ ٱللهُ عَنْهُ . فَمَا وَصَلْتُ إِلَى نِصْفِ ٱلطَّرِيقِ إِلَّا وَرَأَيْتُ شَخْصًا أَعْرَابِيًّا جَذَبَنِي بِثَوْبِي وَقَالَ : ٱلْزَمْنِي يَا عَبَّاسُ . فَتَأَمَّلْتُ ٱلْأَعْرَابِيَّ فَإِذَا هُوَ أَمِيرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ عُمَرُ وَهُوَ مُتَنَكِّرٌ . فَتَقَدَّمْتُ إِلَيْهِ وَسَلَّمْتُ عَلَيْهِ وَقُلْتُ لَهُ : إِلَى أَيْنَ يَا أَمِيرَ ٱلْمُؤْمِنِينَ . قَالَ : أُرِيدُ جَوْلَةً بَيْنَ أَحْيَاءِ ٱلْعَرَبِ فِي هٰذَا ٱللَّيْلِ ٱلدَّامِسِ . وَكَانَتْ لَيْلَةَ قَرٍّ . فَتَبِعْتُهُ فَسَارَ وَأَنَا وَرَاءَهُ وَجَعَلَ يَجُولُ بَيْنَ خِيَامِ ٱلْأَعْرَابِ وَبُيُوتِهِمْ وَيَتَأَمَّلُهَا إِلَى أَنْ أَتَيْنَا عَلَى جَمِيعِهَا وَأَوْشَكْنَا أَنْ نَخْرُجَ مِنْهَا . فَنَظَرْنَا وَإِذَا هُنَاكَ خَيْمَةٌ وَفِيهَا ٱمْرَأَةٌ عَجُوزٌ وَحَوْلَهَا صِبْيَةٌ يُعْوِلُونَ عَلَيْهَا وَيَبْكُونَ . وَأَمَامَهَا أَثَافِيُّ عَلَيْهَا قِدْرٌ وَتَحْتَهَا ٱلنَّارُ تَشْتَعِلُ .

وَهِيَ تَقُولُ لِلصَّبِيَّةِ: رُوَيْدًا رُوَيْدًا بَنِيَّ قَلِيلًا وَيَنْضَجُ الطَّعَامُ فَتَأْكُلُونَ. فَوَقَفْنَا بَعِيدًا مِنْ هُنَاكَ وَجَعَلَ عُمَرُ يَتَأَمَّلُ الْعَجُوزَ تَارَةً وَيَنْظُرُ إِلَى الْأَوْلَادِ أُخْرَى. فَطَالَ الْوُقُوفُ. فَقُلْتُ لَهُ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ مَا الَّذِي يُوقِفُكَ سِرْ بِنَا. فَقَالَ: وَاللهِ لَا أَبْرَحُ حَتَّى أَرَاهَا قَدْ صَبَّتْ لِلصِّبْيَةِ فَأَكَلُوا وَاكْتَفَوْا. فَوَقَفْنَا وَقَدْ طَالَ وُقُوفُنَا جِدًّا وَمَلَلْنَا الْمَكَانَ خَوْفًا أَنْ تَسْتَرِيبَ بِنَا الْعُيُونُ. وَالصِّبْيَةُ لَا يَزَالُونَ يَصْرُخُونَ وَيَبْكُونَ وَالْعَجُوزُ تَقُولُ لَهُمْ مَقَالَتَهَا: رُوَيْدًا رُوَيْدًا بَنِيَّ قَلِيلًا وَيَنْضَجُ الطَّعَامُ فَتَأْكُلُونَ: فَقَالَ لِي عُمَرُ: ادْخُلْ بِنَا عِنْدَهَا لِنَسْأَلَهَا. فَدَخَلَ وَدَخَلْتُ وَرَاءَهُ. فَقَالَ لَهَا عُمَرُ: السَّلَامُ عَلَيْكِ يَا خَالَةُ. فَرَدَّتْ عَلَيْهِ السَّلَامَ أَحْسَنَ رَدٍّ. فَقَالَ لَهَا: مَا بَالُ هَؤُلَاءِ الصِّبْيَةِ يَتَصَارَخُونَ وَيَبْكُونَ. فَقَالَتْ لَهُ: لَهُمْ فِيهِ مِنَ الْجُوعِ. فَقَالَ لَهَا: وَلِمَ لَمْ تُطْعِمِيهِمْ مِمَّا فِي الْقِدْرِ. فَقَالَتْ لَهُ: وَمَاذَا فِي الْقِدْرِ لِأُطْعِمَهُمْ لَيْسَ هُوَ إِلَّا عُلَالَةً فَقَطْ إِلَى أَنْ يَضْجَرُوا مِنَ الْعَوِيلِ فَيَغْلِبَهُمُ النَّوْمُ. وَلَيْسَ لِي شَيْءٌ لِأُطْعِمَهُمْ. فَتَقَدَّمَ عُمَرُ إِلَى الْقِدْرِ وَنَظَرَهَا فَإِذَا فِيهَا حَصْبَاءُ وَعَلَيْهَا الْمَاءُ يَغْلِي. فَتَعَجَّبَ مِنْ ذَلِكَ وَقَالَ لَهَا: مَا الْمُرَادُ بِذَلِكَ. فَقَالَتْ: أُوهِمُهُمْ أَنَّ فِيهَا شَيْئًا يُطْبَخُ فَيُؤْكَلُ فَأُعَلِّلُهُمْ بِهِ حَتَّى إِذَا ضَجِرُوا وَغَلَبَ النَّوْمُ عُيُونَهُمْ نَامُوا. فَقَالَ لَهَا عُمَرُ: وَلِمَاذَا أَنْتِ هَكَذَا. فَقَالَتْ لَهُ: أَنَا مَقْطُوعَةٌ لَا أَخَ لِي وَلَا أَبَ وَلَا زَوْجَ وَلَا قَرَابَةَ. فَقَالَ لَهَا: لِمَ لَمْ تَعْرِضِي أَمْرَكِ عَلَى أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ فَيَجْعَلَ لَكِ شَيْئًا مِنْ بَيْتِ الْمَالِ. فَقَالَتْ لَهُ: لَا

حيَّا اللهُ عُمَرَ ونَكَّسَ اللهُ أعلامَهُ وَاللهِ إنَّهُ ظَالِمِي . فَلَمَّا سَمِعَ عُمَرُ مَقَالَتَهَا ارْتَاعَ مِنْ ذٰلِكَ وَقَالَ لَهَا : يَاخَالَةُ بِمَاذَا ظَلَمَكِ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ . قَالَتْ لَهُ : نَعَمْ وَاللهِ ظَلَمَنَا إِنَّ الرَّاعِيَ عَلَيْهِ أَنْ يُفَتِّشَ عَلَى حَالِ كُلِّ مِنْ رَعِيَّتِهِ . لَعَلَّهُ يُوجَدُ فِيهَا مَنْ هُوَ مِثْلِي ضَيِّقُ الْيَدِ كَثِيرُ الصِّبْيَةِ وَلَا مُعِينَ وَلَا مُسَاعِدَ لَهُ فَيَتَوَلَّى لَوَازِمَهُ وَيُسْمَحُ لَهُ مِنْ بَيْتِ الْمَالِ بِمَا يَقُوتُهُ وَعِيَالَهُ أَوْ صِبْيَتَهُ . فَقَالَ لَهَا عُمَرُ : وَمِنْ أَيْنَ يَعْلَمُ عُمَرُ بِحَالِكِ وَمَا أَنْتِ بِهِ مِنَ الْفَاقَةِ مَعَ كَثْرَةِ الصِّبْيَةِ . كَانَ يَجِبُ عَلَيْكِ أَنْ تَتَقَدَّمِي وَتُعْلِمِيهِ بِأَمْرِكِ . فَقَالَتْ : لَا وَاللهِ إِنَّ الرَّاعِيَ الْحُرَّ يَجِبُ عَلَيْهِ أَنْ يُفَتِّشَ عَلَى احْتِيَاجَاتِ رَعِيَّتِهِ خُصُوصًا وَعُمُومًا . فَلَعَلَّ ذٰلِكَ الشَّخْصَ الْفَقِيرَ الْحَالِ الضَّيِّقَ الْيَدِ غَلَبَهُ حَيَاؤُهُ وَمَنَعَهُ مِنَ التَّقَدُّمِ إِلَى رَاعِيهِ لِيُعْلِمَهُ بِحَالِهِ . فَعَلَى عُمَرَ السُّؤَالُ عَنْ حَالِ الْفُقَرَاءِ فِي رَعِيَّتِهِ أَكْثَرَ مِنْ تَقَدُّمِ الْفَقِيرِ إِلَى مَوْلَاهُ لِإِعْلَامِهِ بِحَالِهِ . وَالرَّاعِي الْحُرُّ إِذَا أَهْمَلَ ذٰلِكَ فَيَكُونُ هٰذَا ظُلْمًا مِنْهُ . وَهٰذِهِ سُنَّةُ اللهِ وَمَنْ تَعَدَّاهَا فَقَدْ ظَلَمَ . فَعِنْدَ ذٰلِكَ قَالَ لَهَا عُمَرُ : صَدَقْتِ يَا خَالَةُ وَلٰكِنْ عَلِّلِي الصِّبْيَةَ وَالسَّاعَةَ آتِيكِ : ثُمَّ خَرَجَ وَخَرَجْتُ مَعَهُ وَكَانَ قَدْ بَقِيَ مِنَ اللَّيْلِ ثُلُثُهُ الْأَخِيرُ . فَمَشَيْنَا وَالْكِلَابُ تَنْبَحُنَا وَأَنَا أَطْرُدُهَا وَأَذُبُّهَا عَنِّي وَعَنْهُ إِلَى أَنِ انْتَهَيْنَا إِلَى بَيْتِ الذَّخِيرَةِ . فَفَتَحَهُ وَحْدَهُ وَدَخَلَ وَأَمَرَنِي فَدَخَلْتُ مَعَهُ . فَنَظَرَ يَمِينًا وَشِمَالًا فَعَمَدَ إِلَى كِيسٍ مِنَ الدَّقِيقِ يَحْتَوِي عَلَى مِائَةِ رَطْلٍ وَيُنِيفُ . فَقَالَ لِي : يَا عَبَّاسُ حَوِّلْ عَلَى كَتِفِي فَحَمَّلْتُهُ إِيَّاهُ ثُمَّ قَالَ لِي : احْمِلْ أَنْتَ هَاتِيكَ جَرَّةَ السَّمْنِ . وَأَشَارَ لِي إِلَى جَرَّةٍ هُنَاكَ

فحملتها وخرجنا وأقفل الباب وسرنا وقد انهار من الدقيق على لحيته وعينيه وجبينه. فمشينا إلى أن أنصفنا وقد أتعبه الحمل لأن المكان كان بعيد المسافة. فعرضت نفسي عليه وقلت له: بأبي وأمي يا أمير المؤمنين حول الكيس عنك ودعني أحمله. فقال: لا وأيم الله أنت لا تحمل عني جرائمي وظلمي يوم الدين. واعلم يا عباس أن حمل جبال الحديد وثقلها خير من حمل ظلامة كبرت أو صغرت. ولا سيما هذه العجوز تعلل أولادها بالحصى. يا له من ذنب عظيم عند الله. سر بنا وأسرع يا عباس قبل أن تضجر الصبية من العويل فينامو كما قالت. فسار وأسرع وأنا معه وهو يلهث لهث الثور من التعب إلى أن وصلنا خيمة العجوز. فعند ذلك حول كيس الدقيق عن كتفه ووضعت جرة السمن أمامه. فتقدم هو بذاته وأخذ القدر وكب ما فيها ووضع فيها السمن وجعل بجانبه الدقيق. ثم نظر فإذا النار قد كادت تطفأ فقال للعجوز: أعندك حطب. قالت: نعم يا ابني. وأشارت له إليه. فقام وجاء بقليل منه وكان الحطب أخضر فوضع منه في النار ووضع القدر على الأثافي. وجعل ينكس رأسه إلى الأرض وينفخ بفمه تحت القدر. فوالله إني رأيت دخان الحطب يخرج من خلال لحيته وقد كنس بها الأرض إذ كان يطأطئ رأسه ليتمكن من النفخ. ولم يزل هكذا حتى اشتعلت النار وذاب السمن وابتدأ غليانه. فجعل يحرك السمن بعود في يده الواحدة ويخلط من الدقيق مع السمن في يده الأخرى

إلى أن أُنضج والصبية حوله يتصارخون. فلما طاب الطعام طلب من العجوز إناء فأتته به. فجعل يصب الطبيخ في الإناء وينفخه بفمه ليبرده ويلقم الصغار. ولم يزل يفعل هكذا معهم واحداً بعد واحد حتى أتى جميعهم وشبعوا واكتفوا. وقاموا يلعبون ويضحكون مع بعضهم إلى أن غلب عليهم النوم فناموا. فالتفت عمر عند ذلك إلى العجوز وقال لها: يا خالة أنا من قرابة أمير المؤمنين عمر وسأذكر له حالك. فأتيني غداً صباحاً في دار الإمارة فتجديني هناك فارجي خيراً. ثم ودعها عمر وخرج وخرجت معه فقال لي: يا عباس والله إني حين رأيت العجوز تعلل صبيتها بحصى حسست أن الجبال قد زلزلت واستقرت على ظهري. حتى إذا جئت بما جئت وأطعمتهم ما طبخته لهم واكتفوا وجلسوا يلعبون ويضحكون فحينئذٍ شعرت أن تلك الجبال قد سقطت عن ظهري. ثم أتى عمر داره وأمرني فدخلت معه وبتنا ليلتنا. ولما كان الصباح أتت العجوز فاستغفرها وجعل لها ولصبيتها راتباً من بيت المال تستوفيه شهراً فشهراً (للاتليدي)

معاوية والزرقاء

٣٠٨ حكي عن معاوية أنه لما ولي الخلافة وانتظمت إليه الأمور. وامتلأت منه الصدور. وأذعن لأمره الجمهور. وساعده الله في مراده. استحضر ليلة خواص أصحابه وذاكرهم وقائع أيام صفين. ومن كان يتولى كبر الكريهة من المعروفين. فانهمكوا في القول الصحيح

وَالْمَرِيضِ. وَآلَ حَدِيثُهُمْ إِلَى مَنْ كَانَ يَجْتَهِدُ فِي إِيقَادِ نَارِ الْحَرْبِ عَلَيْهِمْ بِزِيَادَةِ التَّحْرِيضِ. فَقَالُوا: امْرَأَةٌ مِنْ أَهْلِ الْكُوفَةِ تُسَمَّى الزَّرْقَاءَ بِنْتَ عَدِيٍّ كَانَتْ تَعْتَمِدُ الْوُقُوفَ بَيْنَ الصُّفُوفِ. وَتَرْفَعُ صَوْتَهَا صَارِخَةً: يَا أَصْحَابَ عَلِيٍّ. تُسْمِعُهُمْ كَلَامًا كَالصَّوَارِمِ. مُسْتَحِثَّةً لَهُمْ بِقَوْلٍ لَوْ سَمِعَهُ الْجَبَانُ لَقَاتَلَ وَالْمُدْبِرُ لَأَقْبَلَ. وَالْمُسَالِمُ لَحَارَبَ. وَالْفَارُّ لَكَرَّ. وَالْمُتَرَزِّلُ لَاسْتَقَرَّ. فَقَالَ لَهُمْ مُعَاوِيَةُ: أَيُكُمْ يَحْفَظُ كَلَامَهَا. قَالُوا: كُلُّنَا نَحْفَظُهُ. قَالَ: فَمَا تُشِيرُونَ عَلَيَّ فِيهَا. قَالُوا: نُشِيرُ بِقَتْلِهَا فَإِنَّهَا أَهْلٌ لِذَلِكَ. فَقَالَ لَهُمْ مُعَاوِيَةُ: بِئْسَمَا أَشَرْتُمْ بِهِ وَقُبْحًا لِمَا قُلْتُمْ. أَيَحْسُنُ أَنْ يَشْتَهِرَ عَنِّي أَنِّي بَعْدَمَا ظَفِرْتُ وَقَدَرْتُ قَتَلْتُ امْرَأَةً قَدْ وَفَتْ لِصَاحِبِهَا. إِنِّي إِذًا لَلَئِيمٌ. لَا وَاللهِ لَا فَعَلْتُ ذَلِكَ أَبَدًا. ثُمَّ دَعَا بِكَاتِبِهِ فَكَتَبَ كِتَابًا إِلَى وَالِيهِ بِالْكُوفَةِ أَنْ: أَنْفِذْ إِلَيَّ الزَّرْقَاءَ بِنْتَ عَدِيٍّ مَعَ نَفَرٍ مِنْ عَشِيرَتِهَا وَفُرْسَانٍ مِنْ قَوْمِهَا. وَمَهِّدْ لَهَا وِطَاءً لَيِّنًا وَمَرْكَبًا ذَلُولًا. فَلَمَّا وَرَدَ عَلَيْهِ الْكِتَابُ رَكِبَ إِلَيْهَا وَقَرَأَهُ عَلَيْهَا. فَقَالَتْ بَعْدَ قِرَاءَةِ الْكِتَابِ: مَا أَنَا بِزَائِغَةٍ عَنِ الطَّاعَةِ. فَحَمَلَهَا فِي هَوْدَجٍ وَجَعَلَ غِشَاءَهُ خَزًّا مُبَطَّنًا. ثُمَّ أَحْسَنَ صُحْبَتَهَا. فَلَمَّا قَدِمَتْ عَلَى مُعَاوِيَةَ قَالَ لَهَا: مَرْحَبًا وَأَهْلًا خَيْرَ مَقْدَمٍ قَدِمَهُ وَافِدٌ. كَيْفَ حَالُكِ يَا خَالَةُ وَكَيْفَ رَأَيْتِ سَيْرَكِ. قَالَتْ: خَيْرَ مَسِيرٍ. فَقَالَ: هَلْ تَعْلَمِينَ لِمَ بَعَثْتُ إِلَيْكِ. قَالَتْ: لَا يَعْلَمُ الْغَيْبَ إِلَّا اللهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى. قَالَ: أَلَسْتِ رَاكِبَةَ الْجَمَلِ الْأَحْمَرِ يَوْمَ صِفِّينَ. وَأَنْتِ بَيْنَ الصُّفُوفِ تُوقِدِينَ نَارَ الْحَرْبِ

وتُحرّضين على القتال. قالت: نعم. قال: فما حملكِ على ذلك. قالت: يا أمير المؤمنين إنه قدمات الرأس وبتر الذنب. والدهر ذو غير ومن تفكر أبصر. والأمر يحدث بعده الأمر. فقال: صدقتِ فهل تعرفين كلامكِ وتحفظين ما قلتِ. قالت: لا والله. قال: لله أبوكِ فلقد سمعتكِ تقولين: أيها الناس إن المصباح لا يضيء في الشمس. وإن الكواكب لا تضيء مع القمر. وإن البغل لا يسبق الفرس. ولا يقطع الحديد إلا بالحديد. ألا من استرشدنا أرشدناه. ومن سألنا أخبرناه. إن الحق كان يطلب ضالة فأصابها. فصبرًا يا معشر المهاجرين والأنصار. فكأنكم وقد التأم شمل الشتات وظهرت كلمة العدل وغلب الحق باطله. فإنه لا يستوي الحق والمبطل. أفمن كان مؤمنا كمن كان فاسقا. لا يستوون. فالنزال النزال والصبر الصبر. ألا وإن خضاب النساء الحناء وخضاب الرجال الدماء. والصبر خير الأمور عاقبة. ائتوا الحرب غير ناكصين فهذا يوم له ما بعده. يا زرقاء أليس هذا قولكِ وتحريضكِ. قالت: لقد كان ذلك. قال: لقد شاركتِ عليًا في كل دم سفكه. فقالت: أحسن الله بشارتك يا أمير المؤمنين وأدام سلامتك. مثلك من يبشر بخير ويسر جليسه. فقال معاوية: أوقد سرك ذلك. قالت: نعم والله لقد سرني قولك وأنى لي بتصديقه. فقال لها معاوية: والله لوفوكم له بعد موته أعجب إلي من حبكم له في حياته فاذكري حوائجك تقض. فقالت:

يا أَمِيرَ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِنِّي آلَيْتُ عَلَى نَفْسِي أَنْ لَا أَسْأَلَ أَحَدًا بَعْدَ عَلِيٍّ حَاجَةً . فَقَالَ : قَدْ أَشَارَ عَلَيَّ بَعْضُ مَنْ عَرَفَكِ بِقَتْلِكِ . فَقَالَتْ : لُؤْمٌ مِنَ ٱلْمُشِيرِ . وَلَوْ أَطَعْتُهُ لَشَارَكْتُهُ . قَالَ : كَلَّا بَلْ نَعْفُو عَنْكِ وَنُحْسِنُ إِلَيْكِ وَنَزْعَاكِ . فَقَالَتْ : يَا أَمِيرَ ٱلْمُؤْمِنِينَ كَرَمٌ مِنْكَ . وَمِثْلُكَ مَنْ قَدَرَ فَعَفَا وَتَجَاوَزَ عَمَّنْ أَسَاءَ وَأَعْطَى مِنْ غَيْرِ مَسْئَلَةٍ . فَأَعْطَاهَا كُسْوَةً وَدَرَاهِمَ وَأَقْطَعَهَا ضَيْعَةً تُغِلُّ لَهَا فِي كُلِّ سَنَةٍ عَشَرَةَ آلَافِ دِرْهَمٍ . وَأَعَادَهَا إِلَى وَطَنِهَا سَالِمَةً وَكَتَبَ إِلَى وَالِي ٱلْكُوفَةِ بِٱلْوَصِيَّةِ بِهَا وَبِعَشِيرَتِهَا (للابشيهي)

رجلان كريمان حصلا على الامارة بكرمهما

٣٠٩ كَانَ فِي أَيَّامِ خِلَافَةِ سُلَيْمَانَ بْنِ عَبْدِ ٱلْمَلِكِ رَجُلٌ يُقَالُ لَهُ خُزَيْمَةُ بْنُ بِشْرٍ مِنْ بَنِي أَسَدٍ مَشْهُورٌ بِٱلْمُرُوءَةِ وَٱلْكَرَمِ وَٱلْمُوَاسَاةِ . وَكَانَتْ نِعْمَتُهُ وَافِرَةً . فَلَمْ يَزَلْ عَلَى تِلْكَ ٱلْحَالَةِ مِنَ ٱلْكَرَمِ حَتَّى ٱحْتَاجَ إِلَى إِخْوَانِهِ ٱلَّذِينَ كَانَ يُوَاسِيهِمْ وَيَتَفَضَّلُ عَلَيْهِمْ . فَآسَوْهُ حِينًا ثُمَّ إِنَّهُمْ مَلُّوهُ . فَلَمَّا لَاحَ مِنْهُمْ ذٰلِكَ أَتَى ٱمْرَأَتَهُ وَكَانَتِ ٱبْنَةَ عَمِّهِ . فَقَالَ لَهَا : يَا ٱبْنَةَ ٱلْعَمِّ رَأَيْتُ مِنْ إِخْوَانِي تَغَيُّرًا عَمَّا عَهِدْتُ مِنْهُمْ . وَقَدْ عَزَمْتُ عَلَى لُزُومِ بَيْتِي إِلَى أَنْ يَأْتِيَنِي ٱلْمَوْتُ . ثُمَّ إِنَّهُ أَغْلَقَ بَابَهُ وَأَقَامَ يَتَقَوَّتُ بِمَا عِنْدَهُ حَتَّى نَفِدَ جَمِيعُهُ وَبَقِيَ حَائِرًا فِي أَمْرِهِ . وَكَانَ يَوْمَئِذٍ عِكْرِمَةُ ٱلْفَيَّاضُ وَالِيًا عَلَى ٱلْجَزِيرَةِ . فَبَيْنَمَا هُوَ جَالِسٌ فِي دِيوَانِهِ وَعِنْدَهُ جَمَاعَةٌ مِنْ أَهْلِ ٱلْبَلَدِ مِنْ مَعَارِفِهِ إِذْ جَرَى ذِكْرُ خُزَيْمَةَ بْنِ بِشْرٍ . فَسَأَلَهُمْ عِكْرِمَةُ عَنْ حَالِهِ

فَقَالُوا لَهُ : إِنَّهُ فِي أَشَقِّ حَالٍ مِنَ ٱلْفَقْرِ وَقَدْ أَغْلَقَ بَابَهُ وَلَزِمَ بَيْتَهُ . فَقَالَ عِكْرِمَةُ ٱلْفَيَّاضُ : أَمَا وَجَدَ خُزَيْمَةُ بْنُ بِشْرٍ مُوَاسِيًا أَوْ مُكَافِيًا . فَقَالُوا لَهُ : لَا . فَأَمْسَكَ عِكْرِمَةُ عَنْ ذٰلِكَ . وَكَانَ عِكْرِمَةُ فِي ٱلْكَرَمِ بِٱلْمَنْزِلَةِ ٱلْعَظِيمَةِ وَقَدْ سُمِّيَ ٱلْفَيَّاضَ لِزِيَادَةِ كَرَمِهِ وَجُودِهِ . ثُمَّ إِنَّ عِكْرِمَةَ ٱنْتَظَرَ إِلَى أَنْ دَخَلَ ٱللَّيْلُ فَعَمَدَ إِلَى أَرْبَعَةِ آلَافِ دِينَارٍ فَجَعَلَهَا فِي كِيسٍ وَأَمَرَ بِإِسْرَاجِ دَابَّتِهِ . فَرَكِبَهَا وَخَرَجَ سِرًّا مِنْ عِنْدِ أَهْلِهِ وَسَارَ وَمَعَهُ غُلَامٌ وَاحِدٌ يَحْمِلُ ٱلْمَالَ . وَكَانَ ٱللَّيْلُ قَدْ أَنْصَفَ . فَلَمْ يَزَلْ سَائِرًا حَتَّى وَقَفَ عَلَى بَابِ خُزَيْمَةَ فَنَزَلَ عَنْ دَابَّتِهِ بَعِيدًا عَنِ ٱلْبَابِ وَأَمْسَكَهَا لِغُلَامِهِ وَأَخَذَ مِنْهُ ٱلْكِيسَ وَأَتَى بِهِ وَحْدَهُ إِلَى ٱلْبَابِ وَقَرَعَهُ . فَخَرَجَ خُزَيْمَةُ فَقَالَ لَهُ عِكْرِمَةُ وَقَدْ نَكَّرَ صَوْتَهُ : خُذْ هٰذَا أَصْلِحْ بِهِ شَأْنَكَ . فَتَنَاوَلَهُ خُزَيْمَةُ فَرَآهُ ثَقِيلًا فَوَضَعَهُ وَقَبَضَ عَلَى ذَيْلِ عِكْرِمَةَ وَقَالَ لَهُ : أَخْبِرْنِي مَنْ أَنْتَ جُعِلْتُ فِدَاكَ . فَقَالَ لَهُ عِكْرِمَةُ : مَا جِئْتُكَ فِي مِثْلِ هٰذَا ٱلْوَقْتِ وَأُرِيدُ أَنْ تَعْرِفَنِي . فَقَالَ لَهُ خُزَيْمَةُ : وَٱللّٰهِ لَا أَقْبَلُهُ إِلَّا تُخْبِرْنِي مَنْ أَنْتَ . فَقَالَ لَهُ عِكْرِمَةُ : أَنَا جَابِرُ عَثَرَاتِ ٱلْكِرَامِ . فَقَالَ خُزَيْمَةُ : زِدْنِي إِيضَاحًا . فَقَالَ لَهُ عِكْرِمَةُ : لَا وَٱللّٰهِ . وَٱنْصَرَفَ . فَدَخَلَ خُزَيْمَةُ بِٱلْكِيسِ إِلَى ٱمْرَأَتِهِ وَقَالَ لَهَا : أَبْشِرِي فَقَدْ أَتَى ٱللّٰهُ بِٱلْفَرَجِ فَقُومِي أَسْرِجِي . فَقَالَتْ : لَا سَبِيلَ إِلَى ٱلسِّرَاجِ لِأَنَّهُ لَيْسَ لَنَا زَيْتٌ . فَبَاتَ خُزَيْمَةُ يَلْمِسُ ٱلْكِيسَ فَيَجِدُ خُشُونَةَ ٱلدَّنَانِيرِ . وَلَمَّا رَجَعَ عِكْرِمَةُ إِلَى مَنْزِلِهِ سَأَلَتْهُ ٱمْرَأَتُهُ فِيمَ خَرَجَ بَعْدَ هَدْأَةٍ مِنَ ٱللَّيْلِ مُنْفَرِدًا . فَأَجَابَهَا : مَا كُنْتُ لِأَخْرُجَ فِي وَقْتٍ كَذَا

وأُريدُ أَنْ يعلَمَ أَحدٌ بِما خَرَجتُ إِلَيهِ إِلَّا اللهَ فقطْ. فقالَتْ لَهُ: لا بُدَّ لي أَنْ أَعلَمَ ذلِكَ وصاحَتْ وناحَتْ وألَحَّتْ عَلَيهِ بِالطَّلَبِ. فلَمَّا رأَى أَنَّهُ ليسَ لَهُ بُدٌّ قالَ لَها: أُخبِرُكِ بِالأَمرِ فاكتُمِيهِ إِذًا. قالَتْ لَهُ: قُلْ ولا تُبالِ بِذلِكَ. فأَخبَرَها بِالقِصَّةِ عَلَى وَجهِها. أَمَّا ما كانَ مِنْ خُزَيْمَةَ فإِنَّهُ لَمَّا أَصبَحَ صالَحَ غُرَماءَهُ وأَصلَحَ شأْنَهُ وتَجَهَّزَ لِلسَّفَرِ يُرِيدُ الخَلِيفَةَ سُلَيْمانَ ابْنَ عَبدِ المَلِكِ. فَدَخَلَ الحاجِبُ وأَخبَرَ سُلَيْمانَ بِوُصُولِ خُزَيْمَةَ بْنِ بِشْرٍ. وكانَ سُلَيْمانُ يَعرِفُهُ جَيِّدًا بِالمُرُوءَةِ والكَرَمِ فأَذِنَ لَهُ. فلَمَّا دَخَلَ خُزَيْمَةُ وسَلَّمَ عَلَيهِ بِالخِلافَةِ قالَ لَهُ سُلَيْمانُ: يا خُزَيْمَةُ ما أَبطَأَكَ عَنَّا. قالَ: سُوءُ الحالِ يا أَمِيرَ المُؤمِنِينَ. قالَ فَما مَنَعَكَ النَّهضَةَ إِلَينا. قالَ خُزَيْمَةُ: ضُعفِي يا أَمِيرَ المُؤمِنِينَ وقِلَّةُ ما بِيَدِي. قالَ: فَمَنْ أَنهَضَكَ الآنَ. قالَ خُزَيْمَةُ: لَمْ أَشعُرْ يا أَمِيرَ المُؤمِنِينَ بَعدَ هَدأَةٍ مِنَ اللَّيلِ إِلَّا والبابُ يُطرَقُ فَخَرَجتُ فَرأَيتُ شَخصًا وكانَ مِنهُ كَيتَ وكَيتَ. وأَخبَرَهُ بِقِصَّتِهِ مِنْ أَوَّلِها إِلَى آخِرِها. فقالَ لَهُ: أَما عَرَفتَهُ. فقالَ خُزَيْمَةُ: ما سَمِعتُ مِنهُ يا أَمِيرَ المُؤمِنِينَ إِلَّا حِينَ سَأَلتُهُ عَنِ اسمِهِ قالَ: أَنا جابِرُ عَثَراتِ الكِرامِ. قالَ: فتَلَهَّفَ سُلَيْمانُ بْنُ عَبدِ المَلِكِ عَلَى مَعرِفَتِهِ وقالَ: لَوْ عَرَفناهُ لَكافَيْناهُ عَلَى مُرُوءَتِهِ. ثُمَّ قالَ: عَلَيَّ بِالكاتِبِ فَحَضَرَ إِلَيهِ. فكَتَبَ لِخُزَيْمَةَ الوِلايَةَ عَلَى الجَزِيرَةِ وجَمِيعِ عَمَلِ عِكْرِمَةَ وأَجزَلَ لَهُ العَطاءَ وأَحسَنَ ضِيافَتَهُ. وأَمَرَهُ بِالتَّوَجُّهِ مِنْ وَقتِهِ إِلَى الوِلايَةِ فَقَبَّلَ الأَرضَ خُزَيْمَةُ وتَوَجَّهَ مِنْ ساعَتِهِ إِلَى الجَزِيرَةِ. فَلَمَّا قَرُبَ مِنها خَرَجَ عِكْرِمَةُ وكانَ قَدْ بَلَغَهُ عَزْلُهُ وأَقبَلَ لِمُلاقاةِ خُزَيْمَةَ

مَعَ جَمِيعِ أَعْيَانِ ٱلْبَلَدِ. وَسَلَّمُوا عَلَيْهِ وَسَارُوا جَمِيعًا إِلَى أَنْ دَخَلُوا بِهِ ٱلْبَلَدَ. فَنَزَلَ خُزَيْمَةُ فِي دَارِ ٱلْإِمَارَةِ وَأَمَرَ أَنْ يُؤْخَذَ عِكْرِمَةُ وَيُحَاسَبَ. فَحُوسِبَ فَفَضَلَ عَلَيْهِ مَالٌ كَثِيرٌ فَطَلَبَهُ خُزَيْمَةُ مِنْهُ. فَقَالَ لَهُ عِكْرِمَةُ: وَٱللَّهِ مَا لِي دِرْهَمٌ مِنْهُ سَبِيلٌ وَلَا عِنْدِي مِنْهُ دِينَارٌ. فَأَمَرَ خُزَيْمَةُ بِحَبْسِهِ وَأَرْسَلَ يُطَالِبُهُ بِٱلْمَالِ. فَأَرْسَلَ عِكْرِمَةُ يَقُولُ لَهُ: إِنِّي لَسْتُ مِمَّنْ يَصُونُ مَالَهُ بِعِرْضِهِ فَٱصْنَعْ مَا شِئْتَ. فَأَمَرَ خُزَيْمَةُ بِقَيْدِهِ وَضَرْبِهِ. فَكُبِّلَ بِٱلْحَدِيدِ وَضُرِبَ وَضُيِّقَ عَلَيْهِ. فَأَقَامَ كَذَلِكَ شَهْرًا فَأَضْنَاهُ ذَٰلِكَ وَأَضَرَّ بِهِ فَبَلَغَ ٱمْرَأَتَهُ ضُرُّهُ فَجَزِعَتْ عَلَيْهِ وَٱغْتَمَّتْ لِذَٰلِكَ غَمًّا شَدِيدًا. فَدَعَتْ جَارِيَةً لَهَا ذَاتَ عَقْلٍ وَقَالَتْ لَهَا: ٱمْضِي ٱلسَّاعَةَ إِلَى بَابِ خُزَيْمَةَ وَقُولِي لِلْحَاجِبِ: إِنَّ عِنْدِي نَصِيحَةً لِلْأَمِيرِ. فَإِذَا طَلَبَهَا مِنْكِ فَقُولِي: لَا أَقُولُهَا إِلَّا لِلْأَمِيرِ خُزَيْمَةَ. فَإِذَا دَخَلْتِ عَلَيْهِ فَسَلِيهِ ٱلْخَلْوَةَ فَإِذَا فَعَلَ فَقُولِي لَهُ: مَا كَانَ هٰذَا جَزَاءَ جَابِرِ عَثَرَاتِ ٱلْكِرَامِ مِنْكَ بُمْكَافَأَتِكَ لَهُ بِٱلضِّيقِ وَٱلْحَبْسِ وَٱلْحَدِيدِ ثُمَّ بِٱلضَّرْبِ. قَالَ: فَفَعَلَتْ جَارِيَتُهَا ذَٰلِكَ. فَلَمَّا سَمِعَ خُزَيْمَةُ قَوْلَهَا قَالَ: وَاسَوْءَتَاهُ جَابِرُ عَثَرَاتِ ٱلْكِرَامِ غَرِيمِي. قَالَتْ: نَعَمْ. فَأَمَرَ لِوَقْتِهِ بِدَابَّتِهِ فَأُسْرِجَتْ وَرَكِبَ إِلَى وُجُوهِ أَهْلِ ٱلْبَلَدِ فَجَمَعَهُمْ وَسَارَ بِهِمْ إِلَى بَابِ ٱلْحَبْسِ. فَفَتَحَهُ وَدَخَلَ فَرَأَى عِكْرِمَةَ ٱلْفَيَّاضَ فِي قَاعِ ٱلْحَبْسِ مُتَغَيِّرًا قَدْ أَضْنَاهُ ٱلضُّرُّ. فَلَمَّا نَظَرَ عِكْرِمَةُ إِلَى خُزَيْمَةَ وَوُجُوهُ أَهْلِ ٱلْبَلَدِ مَعَهُ أَحْشَمَهُ ذَٰلِكَ فَنَكَّسَ رَأْسَهُ. فَأَقْبَلَ خُزَيْمَةُ وَأَكَبَّ عَلَى رَأْسِهِ فَقَبَّلَهُ. فَرَفَعَ عِكْرِمَةُ رَأْسَهُ وَقَالَ: مَا أَعْقَبَ هٰذَا مِنْكَ. قَالَ خُزَيْمَةُ: كَرِيمٌ فِعَالُكَ

وَسُوءُ مُكَافَأَتِي. فَقَالَ لَهُ عِكْرِمَةُ: يَغْفِرُ اللهُ لَنَا وَلَكَ. ثُمَّ إِنَّ خُزَيْمَةَ أَمَرَ بِقُيُودِهِ أَنْ تُفَكَّ وَأَنْ تُوضَعَ فِي رِجْلَيْهِ نَفْسِهِ. فَقَالَ لَهُ عِكْرِمَةُ: مَا مُرَادُكَ بِذَلِكَ. قَالَ: مُرَادِي أَنْ يَنَالَنِي مِنَ الضُّرِّ مَا نَالَكَ. فَقَالَ لَهُ عِكْرِمَةُ: أُقْسِمُ عَلَيْكَ بِاللهِ أَنْ لَا تَفْعَلَ. وَبَعْدَ ذَلِكَ خَرَجَا جَمِيعًا وَجَاءَا إِلَى دَارِ خُزَيْمَةَ فَوَدَّعَهُ عِكْرِمَةُ وَأَرَادَ الِانْصِرَافَ فَلَمْ يُمَكِّنْهُ مِنْ ذَلِكَ. ثُمَّ أَمَرَ خُزَيْمَةُ بِالْحَمَّامِ فَأُخْلِيَ وَدَخَلَا جَمِيعًا. وَقَامَ خُزَيْمَةُ نَفْسُهُ فَتَوَلَّى خِدْمَةَ عِكْرِمَةَ. ثُمَّ خَرَجَ فَخَلَعَ عَلَيْهِ وَحَمَلَ إِلَيْهِ مَالًا كَثِيرًا وَسَأَلَهُ أَنْ يَسِيرَ مَعَهُ إِلَى أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ سُلَيْمَانَ بْنِ عَبْدِ الْمَلِكِ وَكَانَ يَوْمَئِذٍ مُقِيمًا فِي الرَّمْلَةِ. فَسَارَ مَعَهُ حَتَّى قَدِمَا عَلَى سُلَيْمَانَ. فَدَخَلَ الْحَاجِبُ وَأَخْبَرَهُ بِقُدُومِ خُزَيْمَةَ بْنِ بِشْرٍ. فَرَاعَهُ ذَلِكَ وَقَالَ فِي نَفْسِهِ: وَالِي الْجَزِيرَةِ يَقْدَمُ عَلَيْنَا بِغَيْرِ أَمْرٍ نَامَ قُرْبَ الْعَهْدِ بِهِ. مَا هَذَا إِلَّا لِحَادِثٍ عَظِيمٍ. فَلَمَّا دَخَلَ عَلَيْهِ قَالَ: مَا وَرَاءَكَ يَا خُزَيْمَةُ. قَالَ: خَيْرٌ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ قَالَ: فَمَا أَقْدَمَكَ. قَالَ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ إِنِّي ظَفِرْتُ بِجَابِرِ عَثَرَاتِ الْكِرَامِ فَأَحْبَبْتُ أَنْ أُسَرَّكَ لَمَّا رَأَيْتُ مِنْ شَوْقِكَ إِلَى رُؤْيَتِهِ. قَالَ: وَمَنْ هُوَ. قَالَ: عِكْرِمَةُ الْفَيَّاضُ. فَأَذِنَ لَهُ فِي الدُّخُولِ فَدَخَلَ وَسَلَّمَ عَلَيْهِ بِالْخِلَافَةِ فَرَحَّبَ بِهِ وَأَدْنَاهُ مِنْ مَجْلِسِهِ وَقَالَ لَهُ: يَا عِكْرِمَةُ قَدْ كَانَ خَيْرُكَ لَهُ وَبَالًا عَلَيْكَ. ثُمَّ إِنَّ الْخَلِيفَةَ قَالَ لَهُ: اكْتُبْ حَوَائِجَكَ وَمَا تَخْتَارُهُ فِي رُقْعَةٍ. فَكَتَبَهَا فَقُضِيَتْ عَلَى أَتَمِّ وَجْهٍ. ثُمَّ أَمَرَ لَهُ بِعَشَرَةِ آلَافِ دِينَارٍ وَأَضَافَ لَهُ شَيْئًا كَثِيرًا مِنَ التُّحَفِ وَالظُّرَفِ وَوَلَّاهُ عَلَى الْجَزِيرَةِ وَأَرْمِينِيَةَ

وَأَذْرَبِيجَانَ وَقَالَ لَهُ: أَمْرُ خُرَيْمَةَ بِيَدِكَ إِنْ شِئْتَ أَبْقَيْتَهُ وَإِنْ شِئْتَ عَزَلْتَهُ. قَالَ: بَلْ أَرُدُّهُ إِلَى عَمَلِهِ مُكَرَّمًا يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ. ثُمَّ إِنَّهُمَا انْصَرَفَا جَمِيعًا وَلَمْ يَزَالَا عَامِلَيْنِ لِسُلَيْمَانَ مُدَّةَ خِلَافَتِهِ (ثمرات الاوراق للحموي)

يزيد بن المهلّب عند سليمان بن عبد الملك

٣١٠ قِيلَ إِنَّ الْحَجَّاجَ بْنَ يُوسُفَ أَخَذَ يَزِيدَ بْنَ الْمُهَلَّبِ بْنِ أَبِي صُفْرَةَ وَعَذَّبَهُ وَاسْتَأْصَلَهُ وَاسْتَأْصَلَ مَوْجُودَهُ وَسَجَنَهُ. فَاحْتَالَ يَزِيدُ بِحُسْنِ تَلَطُّفِهِ وَأَرْغَبَ السَّجَّانَ وَاسْتَمَالَهُ. وَهَرَبَ هُوَ وَالسَّجَّانُ وَقَصَدَ الشَّامَ إِلَى سُلَيْمَانَ بْنِ عَبْدِ الْمَلِكِ. وَكَانَ الْخَلِيفَةُ فِي ذٰلِكَ الْوَقْتِ الْوَلِيدَ بْنَ عَبْدِ الْمَلِكِ. فَلَمَّا وَصَلَ يَزِيدُ بْنُ الْمُهَلَّبِ إِلَى سُلَيْمَانَ بْنِ عَبْدِ الْمَلِكِ أَكْرَمَهُ وَأَحْسَنَ إِلَيْهِ وَأَقَامَ عِنْدَهُ. فَكَتَبَ الْحَجَّاجُ إِلَى الْوَلِيدِ يُعْلِمُهُ أَنَّ يَزِيدَ هَرَبَ مِنَ السِّجْنِ وَأَنَّهُ عِنْدَ سُلَيْمَانَ بْنِ عَبْدِ الْمَلِكِ أَخِي أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ وَوَلِيِّ عَهْدِ الْمُسْلِمِينَ. وَأَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ أَعْلَى رَأْيًا. فَكَتَبَ الْوَلِيدُ إِلَى أَخِيهِ سُلَيْمَانَ بِذٰلِكَ. فَكَتَبَ سُلَيْمَانُ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ إِنِّي أَجَرْتُ يَزِيدَ بْنَ الْمُهَلَّبِ لِأَنَّهُ هُوَ وَأَبَاهُ وَإِخْوَتَهُ أَحِبَّاءُ لَنَا مِنْ عَهْدِ آبَائِنَا. وَلَمْ أُجِرْ عَدُوًّا لِأَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ. وَقَدْ كَانَ الْحَجَّاجُ عَذَّبَهُ وَغَرَّمَهُ دَرَاهِمَ كَثِيرَةً ظُلْمًا. ثُمَّ طَلَبَ مِنْهُ بَعْدَهَا مِثْلَ مَا طَلَبَ أَوَّلًا. فَإِنْ رَأَى أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ أَنْ لَا يُخْزِيَنِي فِي ضَيْفِي فَلْيَفْعَلْ فَإِنَّهُ أَهْلُ الْفَضْلِ وَالْكَرَمِ. فَكَتَبَ إِلَيْهِ الْوَلِيدُ إِنَّهُ لَا بُدَّ مِنْ أَنْ تُرْسِلَ إِلَيَّ يَزِيدَ مُقَيَّدًا مَغْلُولًا. فَلَمَّا وَرَدَ ذٰلِكَ عَلَى سُلَيْمَانَ أَحْضَرَ وَلَدَهُ أَيُّوبَ فَقَيَّدَهُ. ثُمَّ دَعَا بِيَزِيدَ بْنِ الْمُهَلَّبِ وَقَيَّدَهُ.

ثُمَّ شَدَّ قَيْدَ هٰذَا إِلَى قَيْدِ هٰذَا بِسِلْسِلَةٍ وَغَلَّهُمَا جَمِيعًا بِغُلَّيْنِ وَحَمَلَهُمَا إِلَى أَخِيهِ ٱلْوَلِيدِ وَكَتَبَ إِلَيْهِ : أَمَّا بَعْدُ يَا أَمِيرَ ٱلْمُؤْمِنِينَ فَقَدْ وَجَّهْتُ إِلَيْكَ يَزِيدَ وَٱبْنَ أَخِيكَ أَيُّوبَ بْنَ سُلَيْمَانَ . وَقَدْ هَمَمْتُ أَنْ أَكُونَ ثَالِثَهُمَا . فَإِنْ هَمَمْتَ يَا أَمِيرَ ٱلْمُؤْمِنِينَ بِقَتْلِ يَزِيدَ فَبِٱللهِ عَلَيْكَ فَٱبْدَأْ بِقَتْلِ أَيُّوبَ . ثُمَّ ٱجْعَلْ يَزِيدَ ثَانِيًا . وَٱجْعَلْنِي إِنْ شِئْتَ ثَالِثًا وَٱلسَّلَامُ . فَلَمَّا دَخَلَ يَزِيدُ ٱبْنُ ٱلْمُهَلَّبِ وَأَيُّوبُ بْنُ سُلَيْمَانَ عَلَى ٱلْوَلِيدِ وَهُمَا فِي سِلْسِلَةٍ أَطْرَقَ ٱلْوَلِيدُ ٱسْتِحْيَاءً وَقَالَ : لَقَدْ أَسَأْنَا إِلَى أَبِي أَيُّوبَ إِذْ بَلَغَنَا بِهٰذَا ٱلْمَبْلَغِ . فَأَخَذَ يَزِيدُ يَتَكَلَّمُ وَيَحْتَجُّ لِنَفْسِهِ . فَقَالَ لَهُ ٱلْوَلِيدُ : مَا تَحْتَاجُ مَا تَحْتَاجُ إِلَى ٱلْكَلَامِ قَدْ قَبِلْنَا عُذْرَكَ وَعَلِمْنَا ظُلْمَ ٱلْحَجَّاجِ . ثُمَّ ٱسْتَحْضَرَ حَدَّادًا فَأَزَالَ عَنْهُمَا ٱلْحَدِيدَ وَأَحْسَنَ إِلَيْهِمَا وَوَصَلَ أَيُّوبَ ٱبْنَ أَخِيهِ بِثَلَاثِينَ أَلْفَ دِرْهَمٍ وَوَصَلَ يَزِيدَ بْنَ ٱلْمُهَلَّبِ بِعِشْرِينَ أَلْفَ دِرْهَمٍ وَرَدَّهُمَا إِلَى سُلَيْمَانَ . وَكَتَبَ كِتَابًا لِلْحَجَّاجِ مَضْمُونُهُ : لَا سَبِيلَ لَكَ عَلَى يَزِيدَ بْنِ ٱلْمُهَلَّبِ فَإِيَّاكَ أَنْ تُعَاوِدَنِي فِيهِ بَعْدَ ٱلْيَوْمِ . فَسَارَ يَزِيدُ بْنُ ٱلْمُهَلَّبِ إِلَى سُلَيْمَانَ بْنِ عَبْدِ ٱلْمَلِكِ . وَأَقَامَ عِنْدَهُ فِي أَعْلَى ٱلْمَرَاتِبِ وَأَفْضَلِ ٱلْمَنَازِلِ (للابشيهي)

عفو كريم واحسانه الى من قتل اباه

٣١١ حُكِيَ أَنَّهُ لَمَّا أَفْضَتِ ٱلْخِلَافَةُ إِلَى بَنِي ٱلْعَبَّاسِ ٱخْتَفَتْ مِنْهُمْ جَمِيعُ رِجَالِ بَنِي أُمَيَّةَ وَكَانَ مِنْهُمْ إِبْرٰهِيمُ بْنُ سُلَيْمَانَ بْنِ عَبْدِ ٱلْمَلِكِ . وَكَانَ إِبْرٰهِيمُ هٰذَا رَجُلًا عَالِمًا كَامِلًا أَدِيبًا وَهُوَ مَعَ ذٰلِكَ فِي سِنِّ ٱلشَّيْبَةِ فَأَخَذُوا لَهُ أَمَانًا مِنَ ٱلسَّفَّاحِ فَأَعْطَاهُ أَبُو ٱلْعَبَّاسِ ٱلسَّفَّاحُ أَمَانًا

وَأَكْرَمَهُ وَقَالَ لَهُ: أَلْزَمْ مَجْلِسِي فَذَاتَ يَوْمٍ قَالَ لَهُ أَبُو الْعَبَّاسِ السَّفَّاحُ: يَا إِبْرَهِيمُ حَدِّثْنِي عَمَّا مَرَّ بِكَ فِي اسْتِخْفَائِكَ مِنَ الْعَدُوِّ. فَقَالَ سَمْعًا وَطَاعَةً يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ. كُنْتُ مُخْتَفِيًا فِي الْحِيرَةِ بِمَنْزِلٍ فِي شَارِعٍ عَلَى الصَّحْرَاءِ فَبَيْنَمَا كُنْتُ يَوْمًا عَلَى ظَهْرِ ذَلِكَ الْبَيْتِ إِذْ بَصُرْتُ بِأَعْلَامٍ سُودٍ قَدْ خَرَجَتْ مِنَ الْكُوفَةِ تُرِيدُ الْحِيرَةَ. فَتَخَيَّلْتُ أَنَّهَا تُرِيدُنِي فَخَرَجْتُ مُسْرِعًا مِنَ الدَّارِ مُتَنَكِّرًا حَتَّى أَتَيْتُ الْكُوفَةَ وَأَنَا لَا أَعْرِفُ أَحَدًا أَخْتَفِي عِنْدَهُ فَبَقِيتُ فِي حَيْرَةٍ. فَنَظَرْتُ وَإِذَا أَنَا بِبَابٍ كَبِيرٍ وَاسِعِ الرَّحَبَةِ فَدَخَلْتُ فِيهِ. فَرَأَيْتُ رَجُلًا وَسِيمًا حَسَنَ الْهَيْئَةِ مُقْبِلًا عَلَى الرَّحَبَةِ وَمَعَهُ أَتْبَاعُهُ فَنَزَلَ عَنْ فَرَسِهِ وَالْتَفَتَ فَرَآنِي فَقَالَ لِي: مَنْ أَنْتَ وَمَا حَاجَتُكَ. فَقُلْتُ رَجُلٌ خَائِفٌ عَلَى دَمِهِ وَجَاءَ يَسْتَجِيرُ فِي مَنْزِلِكَ. فَأَدْخَلَنِي مَنْزِلَهُ وَصَيَّرَنِي فِي حُجْرَةٍ تَلِي حَرَمَهُ وَكُنْتُ عِنْدَهُ فِي كُلِّ مَا أُحِبُّهُ مِنْ طَعَامٍ وَشَرَابٍ وَلِبَاسٍ وَهُوَ لَا يَسْأَلُنِي عَنْ شَيْءٍ مِنْ حَالِي. إِلَّا أَنَّهُ كَانَ يَرْكَبُ فِي كُلِّ يَوْمٍ مِنَ الْفَجْرِ وَيَمْضِي وَلَا يَرْجِعُ إِلَّا قَرِيبَ الظُّهْرِ. فَقُلْتُ لَهُ يَوْمًا: أَرَاكَ تُدْمِنُ الرُّكُوبَ كُلَّ يَوْمٍ فَفِيمَ ذَلِكَ. فَقَالَ لِي: إِنَّ إِبْرَهِيمَ بْنَ سُلَيْمَانَ بْنِ عَبْدِ الْمَلِكِ كَانَ قَدْ قَتَلَ أَبِي ظُلْمًا وَقَدْ بَلَغَنِي أَنَّهُ مُخْتَفٍ فِي الْحِيرَةِ فَأَنَا أَطْلُبُهُ يَوْمِيًّا لَعَلِّي أَجِدُهُ وَأُدْرِكُ مِنْهُ ثَارِي قَالَ: فَلَمَّا سَمِعْتُ ذَلِكَ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ كَثُرَ تَعَجُّبِي وَقُلْتُ فِي نَفْسِي: إِنَّ الْقَدَرَ سَاقَنِي إِلَى حَتْفِي فِي مَنْزِلِ مَنْ يَطْلُبُ دَمِي. فَوَاللهِ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ إِنِّي كَرِهْتُ الْحَيَاةَ: ثُمَّ إِنِّي سَأَلْتُ الرَّجُلَ

عَنِ ٱسْمِهِ وَٱسْمِ أَبِيهِ فَأَخْبَرَنِي فَعَلِمْتُ أَنَّ كَلَامَهُ حَقٌّ وَأَنِّي أَنَا ٱلَّذِي قَتَلَ أَبَاهُ. فَقُلْتُ لَهُ: يَا هٰذَا إِنَّهُ قَدْ وَجَبَ عَلَيَّ حَقُّكَ وَلَمَعْرُوفُكَ لِي يَلْزَمُنِي أَنْ أَدُلَّكَ عَلَى خَصْمِكَ ٱلَّذِي قَتَلَ أَبَاكَ وَأُقَرِّبَ عَلَيْكَ ٱلْخُطْوَةَ. فَقَالَ: وَمَا ذَاكَ. فَقُلْتُ لَهُ: أَنَا إِبْرٰهِيمُ بْنُ عَبْدِ ٱلْمَلِكِ وَأَنَا قَاتِلُ أَبِيكَ فَخُذْ بِثَارِكَ. فَتَبَسَّمَ مِنِّي وَقَالَ: هَلْ أَضْجَرَكَ ٱلِاخْتِفَاءُ وَٱلْبُعْدُ عَنْ مَنْزِلِكَ وَأَهْلِكَ فَأَحْبَبْتَ ٱلْمَوْتَ. فَقُلْتُ: لَا وَٱللهِ وَلٰكِنِّي أَقُولُ لَكَ ٱلْحَقَّ وَإِنِّي قَتَلْتُهُ فِي يَوْمِ كَذَا مِنْ أَجْلِ كَذَا. فَلَمَّا سَمِعَ ٱلرَّجُلُ كَلَامِي هٰذَا وَعَلِمَ صِدْقِي تَغَيَّرَ لَوْنُهُ وَٱحْمَرَّتْ عَيْنَاهُ ثُمَّ فَكَّرَ طَوِيلًا وَٱلْتَفَتَ إِلَيَّ وَقَالَ: أَمَّا أَنْتَ فَسَوْفَ تَلْقَى أَبِي عِنْدَ حَاكِمٍ عَادِلٍ فَيَأْخُذُ بِثَارِهِ مِنْكَ وَأَمَّا أَنَا فَلَا أُخْفِرُ ذِمَّتِي وَلٰكِنِّي أُرِيدُ أَنْ تَخْرُجَ عَنِّي فَإِنِّي لَسْتُ آمَنُ عَلَيْكَ مِنْ نَفْسِي. ثُمَّ إِنَّهُ أَعْطَانِي أَلْفَ دِينَارٍ فَأَبَيْتُ أَخْذَهَا وَٱنْصَرَفْتُ عَنْهُ. فَهٰذَا يَا أَمِيرَ ٱلْمُؤْمِنِينَ أَكْرَمُ رَجُلٍ رَأَيْتُهُ وَسَمِعْتُ عَنْهُ فِي عُمْرِي بَعْدَ أَمِيرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ (للاتليدي)

جود معن بن زائدة

٣١٢ حُكِيَ عَنْ مَعْنِ بْنِ زَائِدَةَ أَنَّ شَاعِرًا مِنَ ٱلشُّعَرَاءِ قَصَدَهُ فَأَقَامَ مُدَّةً يُرِيدُ ٱلدُّخُولَ عَلَيْهِ فَلَمْ يَتَهَيَّأْ لَهُ ذٰلِكَ. فَلَمَّا أَعْيَاهُ ٱلْأَمْرُ سَأَلَ بَعْضَ خَدَمِهِ وَقَالَ لَهُ: أَرْجُوكَ إِذَا دَخَلَ ٱلْأَمِيرُ إِلَى ٱلْبُسْتَانِ أَنْ تُعَرِّفَنِي. فَلَمَّا دَخَلَ مَعْنٌ إِلَى بُسْتَانِهِ لِيَتَنَزَّهَ جَاءَ ٱلْخَادِمُ وَأَخْبَرَ ٱلشَّاعِرَ فَكَتَبَ ٱلشَّاعِرُ بَيْتًا مِنَ ٱلشِّعْرِ عَلَى خَشَبَةٍ وَأَلْقَاهَا فِي ٱلْمَاءِ ٱلْجَارِي إِلَى دَاخِلِ

ٱلْبُسْتَانِ . فَٱتَّفَقَ أَنَّ مَعْنًا كَانَ جَالِسًا فِي ذٰلِكَ ٱلْوَقْتِ عَلَى جَانِبِ ٱلْمَاءِ فَمَرَّتْ عَلَيْهِ ٱلْخَشَبَةُ فَنَظَرَ فِيهَا كِتَابَةً فَأَخَذَهَا وَقَرَأَهَا فَوَجَدَ فِيهَا :

أَيَا جُودَ مَعْنٍ نَاجِ مَعْنًا بِحَاجَتِي فَمَا لِي إِلَى مَعْنٍ سِوَاكَ سَبِيلُ

فَلَمَّا قَرَأَهَا مَعْنٌ قَالَ لِخَادِمِهِ : أَحْضِرِ ٱلرَّجُلَ صَاحِبَ هٰذِهِ ٱلْكِتَابَةِ . فَخَرَجَ وَجَاءَ بِهِ فَقَالَ لَهُ : مَاذَا كَتَبْتَ . فَأَنْشَدَهُ ٱلْبَيْتَ فَلَمَّا تَحَقَّقَهُ أَمَرَ لَهُ بِأَلْفِ دِرْهَمٍ . ثُمَّ إِنَّ مَعْنًا وَضَعَ تِلْكَ ٱلْخَشَبَةَ تَحْتَ ٱلْبِسَاطِ مَكَانَ جُلُوسِهِ . فَلَمَّا كَانَ ٱلْيَوْمُ ٱلثَّانِي جَاءَ فَجَلَسَ فِي مَجْلِسِهِ فَأَلَمَّتْهُ ٱلْخَشَبَةُ فَقَامَ لِيَنْظُرَ مَا أَلَمَّهُ فَرَأَى ٱلْخَشَبَةَ فَأَمَرَ خَادِمَهُ أَنْ يَدْعُوَ ٱلرَّجُلَ . فَمَضَى وَجَاءَ بِهِ فَأَمَرَ لَهُ بِأَلْفِ دِرْهَمٍ ثَانِيَةً . ثُمَّ إِنَّهُ فِي ٱلثَّالِثِ خَرَجَ إِلَى مَجْلِسِهِ فَأَلَمَّتْهُ ٱلْخَشَبَةُ فَدَعَا ٱلشَّاعِرَ وَأَعْطَاهُ أَلْفَ دِرْهَمٍ أَيْضًا . فَلَمَّا رَأَى ٱلشَّاعِرُ هٰذَا ٱلْعَطَاءَ ٱلزَّائِدَ لِأَجْلِ بَيْتٍ وَاحِدٍ مِنَ ٱلشِّعْرِ خَافَ أَنَّ مَعْنًا يُرَاجِعُ عَقْلَهُ وَيَأْخُذُ ٱلْمَالَ مِنْهُ فَهَرَبَ . ثُمَّ إِنَّ مَعْنًا خَرَجَ إِلَى مَجْلِسِهِ فِي ٱلْيَوْمِ ٱلرَّابِعِ فَأَلَمَّتْهُ فَخَطَرَ ٱلشَّاعِرُ بِبَالِهِ فَأَمَرَ خَادِمَهُ أَنْ يُحْضِرَهُ وَيُعْطِيَهُ أَلْفَ دِرْهَمٍ . فَمَضَى ٱلْخَادِمُ وَسَأَلَ عَنْهُ فَقِيلَ لَهُ إِنَّهُ سَافَرَ . فَرَجَعَ وَأَخْبَرَ مَوْلَاهُ . فَلَمَّا بَلَغَهُ أَنَّهُ سَافَرَ اغْتَمَّ جِدًّا وَقَالَ : وَدِدْتُ وَٱللهِ لَوْ أَنَّهُ مَكَثَ وَأَعْطَيْتُهُ كُلَّ يَوْمٍ أَلْفًا حَتَّى لَا يَبْقَى فِي بَيْتِي دِرْهَمٌ

ابرهيم الموصلي والمهدي

٣١٣ حَدَّثَ إِبْرٰهِيمُ ٱلْمَوْصِلِيُّ قَالَ : كَانَ ٱلْمَهْدِيُّ لَا يَشْرَبُ ٱلْخَمْرَ فَأَرَادَنِي عَلَى مُلَازَمَتِهِ وَتَرْكِ ٱلشُّرْبِ فَضَرَبَنِي وَحَبَسَنِي . ثُمَّ دَعَانِي

يَوْمًا فعاتبني على شُرْبِي الخمرَ في منازلِ النَّاسِ وقالَ: لا تدخُلْ على موسى وهارونَ البتَّةَ. ولَئِنْ دخلتَ عليهما لأفعلنَّ بكَ ولأصنعنَّ. فقلتُ: نعمْ. ثمَّ بلغَهُ أنِّي دخلتُ عليهما في نُزهةٍ لهما. فسُعِيَ بهما وبي إلى المهديِّ. فدعاني فسألني فأنكرتُ. فأمرَ بي فجُرِّدتُ فضُرِبتُ ثلاثمائةٍ وستِّينَ سوطًا. فقلتُ لهُ وهوَ يضربُني: إنَّ جُرمي ليسَ منَ الأجرامِ الَّتي يحلُّ لكَ بها سفكُ دمي. فلمَّا قلتُ لهُ هذا: ضربَني بالسَّيفِ في جفنِهِ فشجَّني بهِ وسقطتُ مغشيًّا عليَّ ساعةً. ثمَّ فتحتُ عينيَّ فوقعتا على عينيِ المهديِّ. فرأيتُهما عينيْ نادمٍ. وقالَ لابنِ مالكٍ: خُذْهُ إليكَ. قالَ: فأخرجَني إلى دارِهِ وأنا أرى الدُّنيا في عينيَّ صفراءَ وخضراءَ منْ حرِّ السَّوطِ. وأمرَهُ أنْ يتَّخذَ لي شبيهًا بالقبرِ فيصيِّرني فيهِ. فدعا بكبشٍ وسلخَهُ. فألبسَني جلدَهُ ليسكِّنَ الضَّربَ. ودفعَني إلى خادمةٍ لهُ فصيَّرتْني في ذلكَ القبرِ. فتأذَّيتُ بالنَّزِّ وبالبقِّ في ذلكَ القبرِ. وكانَ فيهِ خلاءٌ أستريحُ إليهِ فقلتُ للأمةِ: أطلبي لي أجرةً عليها فحمٌ وكُندرٌ يُذهبُ عنِّي هذا البقَّ. فأتتني بذلكَ. فلمَّا دخَّنتْ أظلمَ القبرُ عليَّ وكادتْ نفسي تخرجُ منَ الفمِ. فاستراحتْ منْ أذاهُ إلى النَّزِّ فألصقتُ بهِ أنفي حتَّى جفَّ الدُّخانُ. فلمَّا ظننتُ أنِّي قدِ استراحتْ ممَّا كنتُ فيهِ إذا حيَّتانِ مقبلتانِ نحويَ منْ شقِّ القبرِ تدورانِ حولي بخفيفٍ شديدٍ. فهممتُ أنْ آخذَ واحدةً بيديَ اليمنى والأخرى بيديَ اليسرى فإمَّا عليَّ وإمَّا لي. ثمَّ كففتُهما فدخلتا منَ الثُّقبِ الَّذي

خَرَجتا مِنهُ . فَمكثتُ في ذٰلكَ القَبرِ ما شاءَ اللهُ وقُلتُ في الحَبسِ :

أَلا طالَ لَيلي أُراعِي النُّجومَ أُعالِجُ في السَّاقِ كَبلًا ثَقيلا
بِدارِ الهَوانِ وشَرِّ الدِّيارِ أُسامُ بِها الخَسفَ صَبرًا جَميلا
كَثيرُ الأَخِلَّاءِ عِندَ الرَّخاءِ فَلَمَّا حُبِستُ أَراهُم قَليلا
لِطولِ بَلائِيَ مَلَّ الصَّديقُ فَلا يَأمَنَنَّ خَليلٌ خَليلا

ثُمَّ أَخرَجَني المَهدِيُّ وأَحلَفَني (وكُلُّ يَمينٍ لا فُسحَةَ لي فيها) أَنْ لا أَدخُلَ على مُوسى وهارُونَ أَبدًا ولا أُغنِيَهُما وخَلَّى سَبيلي (الاغاني)

المرأة المتظلمة وابن المأمون

٣١٤ حَدَّثَ الشَّيبانيُّ قالَ : جَلَسَ المَأمُونُ يَومًا لِلمَظالِمِ . فَكانَ آخِرَ مَن تَقَدَّمَ إِلَيهِ وقَدَّمَهُ بِالقِيامِ امرَأَةٌ عَلَيها هَيئَةُ السَّفَرِ وعَلَيها ثِيابٌ رَثَّةٌ . فَوَقَفَت بَينَ يَدَيهِ فَقالَتِ : السَّلامُ عَلَيكَ يا أَميرَ المُؤمِنينَ ورَحمَةُ اللهِ وبَرَكاتُهُ . فَنَظَرَ المَأمُونُ إِلى يَحيَى بنِ أَكثَمَ فَقالَ لَها يَحيَى : وعَلَيكِ السَّلامُ يا أَمَةَ اللهِ تَكَلَّمي في حاجَتِكِ . فَقالَتْ :

يا خَيرَ مُنتَصِفٍ يُهدَى لَهُ الرَّشَدُ ويا إِمامًا بِهِ قَد أَشرَقَ البَلَدُ
تَشكُو إِلَيكَ عَميدَ القَومِ أَرمَلَةٌ عَدا عَلَيها فَلَم يُترُكْ لَها سَبَدُ
وابتَزَّ مِنّي ضِياعي بَعدَ مَنعَتِها ظُلمًا وفَرَّقَ مِنّي الأَهلَ والوَلَدُ

فَأَطرَقَ المَأمُونُ حِينًا ثُمَّ رَفَعَ رَأسَهُ إِلَيها وهُوَ يَقُولُ :

في دُونِ ما قُلتِ زالَ الصَّبرُ والجَلَدُ عَنّي وبُرِّحَ مِنّي القَلبُ والكَبِدُ
هٰذا أَذانُ صَلاةِ العَصرِ فَانصَرِفي وأَحضِري الخَصمَ في اليَومِ الَّذي أَعِدُ

والمجلسُ السَّبْتُ إنْ يُقضَ الجلوسُ لنا نُنصِفْكِ منهُ وإلَّا المجلسُ الأحدُ

فلمَّا كانَ اليومُ الأحدُ جلسَ فكانَ أوَّلَ مَنْ تقدَّمَ إليهِ تلكَ المرأةُ. فقالتْ: السَّلامُ عليكَ يا أميرَ المؤمنينَ ورحمةُ اللهِ وبركاتُهُ. فقالَ: وعليكِ السَّلامُ أينَ الخصمُ. فقالتِ: الواقفُ على رأسِكَ يا أميرَ المؤمنينَ. وأومأتْ إلى العبَّاسِ ابنِهِ. فقالَ: يا أحمدُ بنَ أبي خالدٍ خُذْ بيدِهِ فأجلسْهُ معهَا مجلسَ الخصومِ. فجعلَ كلامُها يعلُو كلامَ العبَّاسِ فقالَ لها أحمدُ بنُ أبي خالدٍ: يا أمةَ اللهِ إنَّكِ بينَ يدَيْ أميرِ المؤمنينَ. وإنَّكِ تكلِّمينَ الأميرَ فاخفضِي منْ صوتِكِ. فقالَ المأمونُ: دعْهَا يا أحمدُ فإنَّ الحقَّ أنطقَهَا وأخرسَهُ. ثمَّ قضَى لها بردِّ ضيعتِهَا إليهَا. وظلْمِ العبَّاسِ بظلْمِهِ لها. وأمرَ بالكتابِ لها إلى العاملِ ببلدِهَا أنْ يُوغِرَ لها ضيعتَهَا ويُحسِنَ معاونتَهَا وأمرَ لها بنفقةٍ (لابن عبد ربّه)

المرأة الكريمة

٣١٥ حُكِيَ أنَّ عبدَ اللهِ بنَ عبَّاسٍ كانَ منْ أكابرِ الأجوادِ الكرامِ فنزلَ منزلًا. وكانَ منصرفًا منَ الشَّامِ إلى الحجازِ. فطلبَ منْ غلمانِهِ طعامًا فلمْ يجدُوا. فقالَ لوكيلِهِ: اذهبْ في هذهِ البريَّةِ فلعلَّكَ تجدُ راعيًا أوْ حيًّا فيهِ لبنٌ أوْ طعامٌ. فمضَى الغلمانُ فوقعُوا على عجوزٍ في حيٍّ. فقالُوا لها: عندكِ طعامٌ نبتاعُهُ. قالتْ: أمَّا طعامُ البيعةِ فلا ولكنْ عندِي ما بهِ حاجةٌ لي ولأبنائي. قالُوا: فأينَ بنُوكِ. قالتْ: في رِعْيِ لهُمْ وهذا أوانُ أوْبتِهِمْ. قالُوا: فما أعددتِ لكِ ولهُمْ قالتْ: خُبزةً تحتَ

مَلَّتِهَا. قَالُوا: وَمَا هُوَ غَيْرُ ذٰلِكِ. قَالَتْ: لَا شَيْءَ. قَالُوا: فَجُودِي لَنَا بِشَطْرِهَا. فَقَالَتْ: أَمَّا الشَّطْرُ فَلَا أَجُودُ بِهِ وَأَمَّا الْكُلُّ فَخُذُوهُ. فَقَالُوا لَهَا: تَمْنَعِينَ النِّصْفَ وَتَجُودِينَ بِالْكُلِّ. فَقَالَتْ: نَعَمْ لِأَنَّ إِعْطَاءَ الشَّطْرِ نَقِيصَةٌ. وَإِعْطَاءَ الْكُلِّ كَمَالٌ وَفَضِيلَةٌ. فَأَنَا أَمْنَعُ مَا يَضَعُنِي وَأَمْنَحُ مَا يَرْفَعُنِي. فَأَخَذُوهَا وَلَمْ تَسْأَلْهُمْ مَنْ هُمْ وَلَا مِنْ أَيْنَ جَاءُوا. فَلَمَّا جَاءُوا إِلَى عَبْدِ اللهِ وَأَخْبَرُوهُ بِخَبَرِهَا عَجِبَ مِنْ ذٰلِكَ. ثُمَّ قَالَ لَهُمْ: اُحْمِلُوهَا إِلَيَّ السَّاعَةَ فَرَجَعُوا إِلَيْهَا. وَقَالُوا لَهَا: انْطَلِقِي مَعَنَا إِلَى صَاحِبِنَا فَإِنَّهُ يُرِيدُكِ. فَقَالَتْ: وَمَنْ صَاحِبُكُمْ. قَالُوا: عَبْدُ اللهِ بْنُ عَبَّاسٍ. قَالَتْ: وَأَبِيكُمْ هٰذَا هُوَ الشَّرَفُ الْعَالِي وَذِرْوَتُهُ الرَّفِيعَةُ. وَمَاذَا يُرِيدُ مِنِّي. قَالُوا: مُكَافَأَتَكِ وَبِرَّكِ. فَقَالَتْ: أَوَاهِ وَاللهِ لَوْ كَانَ مَا فَعَلْتُ مَعْرُوفًا مَا أَخَذْتُ لَهُ بَدَلًا. فَكَيْفَ وَهُوَ شَيْءٌ يَجِبُ عَلَى الْخَلْقِ أَنْ يُشَارِكَ فِيهِ بَعْضُهُمْ بَعْضًا. فَلَمْ يَزَالُوا بِهَا إِلَى أَنْ أَخَذُوهَا إِلَيْهِ. فَلَمَّا وَصَلَتْ إِلَيْهِ سَلَّمَتْ عَلَيْهِ فَرَدَّ عَلَيْهَا السَّلَامَ. وَقَرَّبَ مَجْلِسَهَا ثُمَّ قَالَ لَهَا: مِمَّنْ أَنْتِ. قَالَتْ: مِنْ بَنِي كَلْبٍ. قَالَ: فَكَيْفَ حَالُكِ. قَالَتْ: أَسْهَرُ اللَّيْلَ وَأَهْجَعُ أَكْثَرَ اللَّيْلِ وَأَرَى قُرَّةَ الْعَيْنِ فِي شَيْءٍ. فَلَمْ يَكُ مِنَ الدُّنْيَا شَيْءٌ إِلَّا وَقَدْ وَجَدْتُهُ. قَالَ: فَمَا ادَّخَرْتِ لِنَيْلِكِ إِذَا حَضَرُوا. قَالَتْ: أَدَّخِرُ لَهُمْ مَا قَالَهُ حَاتِمُ طَيِّ حَيْثُ قَالَ:

وَلَقَدْ أَبِيتُ عَلَى الطَّوَى وَأَظَلُّهُ ... حَتَّى أَنَالَ بِهِ كَرِيمَ الْمَأْكَلِ

فَازْدَادَ عَبْدُ اللهِ مِنْهَا تَعَجُّبًا. ثُمَّ قَالَ لَهَا: لَوْ جَاءَ بَنُوكِ وَهُمْ جِيَاعٌ مَا

كُنْتِ تَصْنَعِينَ. قَالَتْ: يَا هٰذَا لَقَدْ عَظُمَتْ عِنْدَكَ هٰذِهِ الْخُبْزَةُ حَتَّى أَكْثَرْتَ فِيهَا مَقَالَكَ. وَأَشْغَلْتَ بِهَا بَالَكَ. إِلَهُ عَنْ هٰذَا فَإِنَّهُ يُفْسِدُ النَّفْسَ وَيُؤَثِّرُ فِي الْخِسَّةِ. فَقَالَ عَبْدُ اللهِ: أَحْضِرُوا لِي أَوْلَادَهَا فَأَحْضَرُوهُمْ فَلَمَّا دَنَوْا مِنْهُ رَأَوْا أُمَّهُمْ وَسَلَّمُوا. فَأَدْنَاهُمْ إِلَيْهِ وَقَالَ: إِنِّي لَمْ أَطْلُبْكُمْ وَأُمَّكُمْ لِمَكْرُوهٍ وَإِنَّمَا أُحِبُّ أَنْ أُصْلِحَ مِنْ شَأْنِكُمْ وَأُلَمَّ شَعَثَكُمْ. فَقَالُوا: إِنَّ هٰذَا قَلَّ أَنْ يَكُونَ إِلَّا عَنْ سُؤَالٍ أَوْ مُكَافَأَةٍ لِفِعْلٍ قَدِيمٍ. قَالَ: لَيْسَ شَيْءٌ مِنْ ذٰلِكَ وَلٰكِنْ جَاوَرْتُكُمْ فِي هٰذِهِ اللَّيْلَةِ فَأَحْبَبْتُ أَنْ أَضَعَ بَعْضَ مَالِي فِيكُمْ. قَالُوا: يَا هٰذَا نَحْنُ فِي خَفْضِ عَيْشٍ وَكَفَافٍ مِنَ الرِّزْقِ فَوَجِّهْ نَحْوَ مَنْ يَسْتَحِقُّهُ. وَإِنْ أَرَدْتَ النَّوَالَ مُبْتَدَأً مِنْ غَيْرِ سُؤَالٍ فَتَقَدَّمْ فَمَعْرُوفُكَ مَشْكُورٌ وَبِرُّكَ مَقْبُولٌ. فَقَالَ: نَعَمْ هُوَ ذَاكَ. وَأَمَرَ لَهُمْ بِعَشَرَةِ آلَافِ دِرْهَمٍ وَعِشْرِينَ نَاقَةً. فَقَالَتِ الْعَجُوزُ لِأَوْلَادِهَا: لِيَقُلْ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْكُمْ شَيْئًا مِنَ الشِّعْرِ وَأَنَا أَتْبَعُكُمْ فِي شَيْءٍ مِنْهُ. فَقَالَ الْأَكْبَرُ:

شَهِدَتْ عَلَيْكَ بِطِيبِ الْكَلَامِ ... وَطِيبِ الْفِعَالِ وَطِيبِ الْخَبَرْ

وَقَالَ الْأَوْسَطُ:

تَبَرَّعْتَ بِالْجُودِ قَبْلَ السُّؤَالِ ... فَعَالُ عَظِيمٍ كَرِيمِ الْخَطَرْ

وَقَالَ الْأَصْغَرُ:

وَحَقٌّ لِمَنْ كَانَ ذَا فِعْلُهُ ... بِأَنْ يَسْتَرِقَّ رِقَابَ الْبَشَرْ

وَقَالَتِ الْعَجُوزُ:

فَعَمَّرَكَ ٱللهُ مِنْ مَاجِدٍ ... وَوُقِّيتَ كُلَّ ٱلرَّدَى وَٱلْحَذَرْ

الأعرابي ومالك بن طوق

٣١٦ وَفَدَ أَعْرَابِيٌّ عَلَى مَالِكِ بْنِ طَوْقٍ وَكَانَ زَرِيَّ ٱلْحَالِ رَثَّ ٱلْهَيْئَةِ. فَمُنِعَ مِنَ ٱلدُّخُولِ إِلَيْهِ. فَأَقَامَ بِٱلرَّحَبَةِ أَيَّامًا. فَخَرَجَ مَالِكٌ ذَاتَ يَوْمٍ يُرِيدُ ٱلنُّزْهَةَ حَوْلَ ٱلرَّحَبَةِ. فَعَارَضَهُ ٱلْأَعْرَابِيُّ فَمَنَعَهُ ٱلشُّرْطَةُ ٱزْدِرَاءً بِهِ. فَلَمْ يَنْثَنِ عَنْهُ حَتَّى أَخَذَ بِعِنَانِ فَرَسِهِ ثُمَّ قَالَ: أَيُّهَا ٱلْأَمِيرُ أَنَا عَائِذٌ بِكَ مِنْ شُرَطِكَ. فَنَهَاهُمْ عَنْهُ وَأَبْعَدَهُمْ مِنْهُ ثُمَّ قَالَ لَهُ: هَلْ مِنْ حَاجَةٍ. قَالَ: نَعَمْ أَصْلَحَ ٱللهُ ٱلْأَمِيرَ. قَالَ: وَمَا هِيَ. قَالَ: أَنْ تُصْغِيَ إِلَيَّ بِسَمْعِكَ. وَتَنْظُرَ إِلَيَّ بِطَرْفِكَ. وَتُقْبِلَ عَلَيَّ بِوَجْهِكَ. ثُمَّ أَنْشَدَ:

بِبَابِكَ دُونَ ٱلنَّاسِ أَنْزَلْتُ حَاجَتِي ... وَأَقْبَلْتُ أَسْعَى نَحْوَهُ وَأَطُوفُ
وَيَمْنَعُنِي ٱلْحُجَّابُ وَٱللَّيْلُ مُسْبِلٌ ... وَأَنْتَ بَعِيدٌ وَٱلرِّجَالُ صُفُوفُ
يَطُوفُونَ حَوْلِي بِٱلْقُلُوبِ كَأَنَّهُمْ ... ذِئَابٌ جِيَاعٌ بَيْنَهُنَّ خَرُوفُ
فَأَمَّا وَقَدْ أَبْصَرْتُ وَجْهَكَ مُقْبِلًا ... وَأَصْرِفُ عَنْهُ إِنَّنِي لَضَعِيفُ
وَمَا لِي مِنَ ٱلدُّنْيَا سِوَاكَ وَمَا لِمَنْ ... تَرَكْتُ وَرَانِي مَرْبَعٌ وَمَصِيفُ
وَقَدْ عَلِمَ ٱلْحَيَّانِ قَيْسٌ وَخِنْدِفٌ ... وَمَنْ هُوَ فِيهَا نَازِلٌ وَحَلِيفُ
تَخَطَّيْتُ أَعْنَاقَ ٱلْمُلُوكِ وَرِحْلَتِي ... إِلَيْكَ وَقَدْ أَخْنَتْ عَلَيَّ صُرُوفُ
فَجِئْتُكَ أَبْغِي ٱلْخَيْرَ مِنْكَ فَهَزَّنِي ... بِبَابِكَ مِنْ ضَرْبِ ٱلْعَبِيدِ صُنُوفُ
فَلَا تَجْعَلَنْ لِي نَحْوَ بَابِكَ عَوْدَةً ... فَقَلْبِي مِنْ ضَرْبِ ٱلْعَبِيدِ مَخُوفُ

فَٱسْتَضْحَكَ مَالِكٌ حَتَّى كَادَ يَسْقُطُ عَنْ فَرَسِهِ. ثُمَّ قَالَ لِمَنْ

حَوْلَهُ : مَنْ يُعْطِيهِ دِرْهَمًا بِدِرْهَمَيْنِ وَثَوْبًا بِثَوْبَيْنِ . فَنُثِرَتِ الدَّرَاهِمُ وَوَقَعَتِ الثِّيَابُ عَلَيْهِ مِنْ كُلِّ جَانِبٍ حَتَّى تَحَيَّرَ الْأَعْرَابِيُّ وَاخْتَاطَ عَقْلُهُ لِكَثْرَةِ مَا أُعْطِيَ . فَقَالَ لَهُ مَالِكٌ : هَلْ بَقِيَتْ لَكَ حَاجَةٌ يَا أَخَا الْعَرَبِ . قَالَ : أَمَّا إِلَيْكَ فَلَا . قَالَ : فَإِلَى مَنْ . قَالَ : إِلَى اللهِ أَنْ يُبْقِيَكَ لِلْعَرَبِ فَإِنَّهَا لَا تَزَالُ بِخَيْرٍ مَا بَقِيَتْ لَهَا (للقليوبي)

الخارجيّ والمعتصم

٣١٧ أَخْبَرَ بَعْضُهُمْ قَالَ : مَا رَأَيْتُ رَجُلًا عُرِضَ عَلَيْهِ الْمَوْتُ فَلَمْ يَكْتَرِثْ بِهِ إِلَّا تَمِيمَ بْنَ جَمِيلٍ الْخَارِجِيَّ . كَانَ قَدْ خَرَجَ عَلَى الْمُعْتَصِمِ وَرَأَيْتُهُ قَدْ جِيءَ بِهِ أَسِيرًا . فَدَخَلَ عَلَيْهِ فِي يَوْمِ مَوْكِبٍ وَقَدْ جَلَسَ الْمُعْتَصِمُ لِلنَّاسِ مَجْلِسًا عَامًّا وَدَعَا بِالسَّيْفِ وَالنِّطْعِ . فَلَمَّا مَثُلَ بَيْنَ يَدَيْهِ نَظَرَ إِلَيْهِ الْمُعْتَصِمُ فَأَعْجَبَهُ شَكْلُهُ وَقَدُّهُ وَمَشْيَتُهُ إِلَى الْمَوْتِ غَيْرَ مُكْتَرِثٍ بِهِ . فَأَطَالَ الْفِكْرَةَ فِيهِ ثُمَّ اسْتَنْطَقَهُ لِيَنْظُرَ فِي عَقْلِهِ وَبَلَاغَتِهِ فَقَالَ : يَا تَمِيمُ إِنْ كَانَ لَكَ عُذْرٌ فَأْتِ بِهِ . فَقَالَ : أَمَّا إِذَا أَذِنَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ (جَبَرَ اللهُ بِهِ صَدْعَ الدِّينِ . وَلَمَّ شَعَثَ الْمُسْلِمِينَ . وَأَخْمَدَ شِهَابَ الْبَاطِلِ . وَأَنَارَ سُبُلَ الْحَقِّ) . فَالذُّنُوبُ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ تُخْرِسُ الْأَلْسِنَةَ وَتَصْدَعُ الْأَفْئِدَةَ . وَايْمُ اللهِ لَقَدْ عَظُمَتِ الْجَرِيرَةُ وَانْقَطَعَتِ الْحُجَّةُ . وَسَاءَ الظَّنُّ وَلَمْ يَبْقَ إِلَّا الْعَفْوُ أَوِ الِانْتِقَامُ . وَأَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ أَقْرَبُ إِلَى الْعَفْوِ وَهُوَ أَلْيَقُ شِيَمِهِ الطَّاهِرَةِ . ثُمَّ أَنْشَدَ :

أَرَى الْمَوْتَ بَيْنَ السَّيْفِ وَالنِّطْعِ كَامِنًا يُلَاحِظُنِي مِنْ حَيْثُ لَا أَتَلَفَّتُ

وَأَكْبَرُ ظَنِّي أَنَّكَ ٱلْيَوْمَ قَاتِلِي ... وَأَيُّ ٱمْرِئٍ مِمَّا قَضَى ٱللهُ يُفْلِتُ
وَمَنْ ذَا ٱلَّذِي يَأْتِي بِعُذْرٍ وَحُجَّةٍ ... وَسَيْفُ ٱلْمَنَايَا بَيْنَ عَيْنَيْهِ مُصْلَتُ
وَمَا جَزَعِي مِنْ أَنْ أَمُوتَ وَإِنَّنِي ... لَأَعْلَمُ أَنَّ ٱلْمَوْتَ شَيْءٌ مُوَقَّتُ
وَلٰكِنَّ خَلْفِي صِبْيَةً قَدْ تَرَكْتُهُمْ ... وَأَكْبَادُهُمْ مِنْ حَسْرَةٍ تَتَفَتَّتُ
كَأَنِّي أَرَاهُمْ حِينَ أَنْعَى إِلَيْهِمِ ... وَقَدْ لَطَمُوا تِلْكَ ٱلْخُدُودَ وَصَوَّتُوا
فَإِنْ عِشْتُ عَاشُوا سَالِمِينَ بِغِبْطَةٍ ... أَذُودُ ٱلرَّدَى عَنْهُمْ وَإِنْ مُتُّ مُوِّتُوا

قَالَ فَبَكَى ٱلْمُعْتَصِمُ وَقَالَ: إِنَّ مِنَ ٱلْبَيَانِ لَسِحْرًا. ثُمَّ قَالَ: كَادَ وَٱللهِ يَا تَمِيمُ أَنْ يَسْبِقَ ٱلسَّيْفُ ٱلْعَذَلَ وَقَدْ وَهَبْتُكَ لِلهِ وَلِصِبْيَتِكَ وَأَعْطَاهُ خَمْسِينَ أَلْفَ دِرْهَمٍ (ثمرات الاوراق للحموي)

قصة رجل اجار رجلًا استغاث به وكان خائفًا على دمه فجوزي على احسانه

٣١٨ حَكَى ٱلْعَبَّاسُ حَاجِبُ ٱلْمَنْصُورِ قَالَ: لَمَّا مَلَكَ ٱلْعَبَّاسُ ٱلسَّفَّاحُ ٱلْبِلَادَ مِنْ بَنِي أُمَيَّةَ وَٱسْتَوْلَى عَلَى ٱلْخِلَافَةِ قَطَعَ آثَارَ بَنِي أُمَيَّةَ مِنْ جَمِيعِ ٱلْبِلَادِ. فَبَعْدَ مُدَّةٍ قَلِيلَةٍ تَرَاجَعَ ٱلْمُتَعَصِّبُونَ لِبَنِي أُمَيَّةَ وَأَثَارُوا فِتْنَةً عَظِيمَةً فِي ٱلشَّامِ. وَكَانَ ذٰلِكَ بَعْدَ مَوْتِ أَمِيرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلْعَبَّاسِ ٱلسَّفَّاحِ وَتَوْلِيَةِ ٱلْخِلَافَةِ لِأَخِيهِ أَبِي جَعْفَرٍ ٱلْمَنْصُورِ. فَقَامَ ٱلْأُمَوِيُّونَ عَلَى ٱلْعَبَّاسِيِّينَ وَقَتَلُوا جَمِيعَ مَنْ وَقَعَ مِنْهُمْ فِي أَيْدِيهِمْ. وَبَلَغَنِي ٱلْخَبَرُ وَأَنَا مَاشٍ فِي شَارِعٍ وَمَاضٍ لِأَبْتَاعَ شَيْئًا أَنَّهُمْ طَلَبُونِي وَأَدْرَكُونِي. فَهَرَبْتُ وَدَخَلْتُ دَارًا وَجَدْتُ بَابَهَا مَفْتُوحًا فَلَقِيتُ فِي سَاحَتِهَا شَيْخًا مَهِيبًا جَالِسًا فَقَالَ: مَنِ ٱلرَّجُلُ. فَقُلْتُ: خَائِفٌ عَلَى دَمِهِ وَقَدْ أَدْرَكَهُ ٱلطَّلَبُ. فَقَالَ:

مَرْحَبًا لَا بَأْسَ عَلَيْكَ ادْخُلْ هٰذِهِ الْمَقْصُورَةَ. وَأَشَارَ لِي إِلَى بَابٍ فَدَخَلْتُهُ وَمَضَى مُسْرِعًا وَأَقْفَلَ الْبَابَ وَدَخَلَ حَرَمَهُ وَأَتَانِي مِنْ ثِيَابِهِنَّ وَقَالَ لِي: قُمْ اُسْلَخْ مَا عَلَيْكَ وَالْبَسْ هٰذِهِ الثِّيَابَ لِأَنِّي رَأَيْتُ الطَّلَبَ عَلَيْكَ شَدِيدًا. فَلَبِسْتُ ثِيَابَ النِّسَاءِ ثُمَّ أَدْخَلَنِي إِلَى مَقْصُورَةِ حَرَمِهِ وَجَعَلَنِي بَيْنَهُنَّ. فَمَا لَبِثْتُ قَلِيلًا أَنْ طُرِقَ بَابُ الدَّارِ وَقَدْ حَضَرَتِ الرِّجَالُ فِي طَلَبِي. فَدَخَلَ الرَّجُلُ عِنْدِي وَقَالَ لِي: لَا تَخَفْ بَلْ كُنْ مُسْتَقِرًّا فِي حَرَمِي. ثُمَّ نَزَلَ وَفَتَحَ الْبَابَ لِلنَّاسِ فَطَلَبُونِي مِنْهُ فَأَنْكَرَنِي وَقَالَ: إِنَّهُ لَمْ يَرَنِي. فَقَالُوا لَهُ: نُفَتِّشُ بَيْتَكَ فَقَالَ لَهُمْ: دُونَكُمْ فَلَكُمْ ذٰلِكَ. فَدَخَلَ الْقَوْمُ وَفَتَّشُوا جَمِيعَ دَارِ الرَّجُلِ إِلَّا الْمَقْصُورَةَ الَّتِي فِيهَا حَرَمُهُ فَلَمْ يَجِدُوا شَيْئًا. فَذَهَبُوا وَأَقْفَلَ الرَّجُلُ بَابَ دَارِهِ وَدَخَلَ عَلَيَّ وَقَالَ: الْحَمْدُ لِلّٰهِ عَلَى سَلَامَتِكَ وَجَعَلَ لَا يَبْرَحُ مِنْ تَأْنِيسِي وَمُجَالَسَتِي وَإِكْرَامِي مُدَّةَ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ. فَقُلْتُ لَهُ يَوْمًا: يَا مَوْلَايَ لَقَدْ طَالَ مُقَامِي وَأَنَا أُرِيدُ اللَّحَاقَ بِوَلِيِّ نِعْمَتِي. فَقَالَ: أَمَّا إِذَا شِئْتَ فَامْضِ مُعَافًى. ثُمَّ إِنَّهُ أَحْضَرَ لِي زَادًا كَثِيرًا وَرَكُوبَةً وَأَعْطَانِي صُرَّةً فِيهَا خَمْسُمِائَةِ دِينَارٍ وَقَالَ لِي: كُلُّ احْتِيَاجِ سَفَرِكَ مُعَدٌّ إِلَّا أَنَّنِي أَخَافُ عَلَيْكَ أَنْ تَمْضِيَ وَتَخْرُجَ مِنَ الْمَدِينَةِ نَهَارًا فَتُعْرَفَ فَأَمْهِلْ إِلَى بَعْدِ الْغُرُوبِ قَبْلَ قَفْلِ أَبْوَابِ الْمَدِينَةِ. فَقُلْتُ لَهُ: إِنَّ الرَّأْيَ رَأْيُكَ. فَصَبَرْتُ إِلَى أَنْ أَظْلَمَتْ ثُمَّ قُمْتُ وَقَامَ مَعِي وَأَخْرَجَنِي مِنْ بَابِ الشَّامِ وَسَارَ مَعِي مَسَافَةً طَوِيلَةً فَأَقْسَمْتُ عَلَيْهِ أَنْ لَا يَزِيدَ عَلَى ذٰلِكَ. فَوَدَّعَنِي وَرَجَعَ وَسِرْتُ شَاكِرًا لِلرَّجُلِ

وَمُتَعَجِّبًا مِنْ غَزَارَةِ إِحْسَانِهِ إِلَى أَنْ بَلَغْتُ بَغْدَادَ وَلَحِقْتُ بِأَبِي جَعْفَرٍ
الْمَنْصُورِ. فَذَاتَ يَوْمٍ لَمَّا قُمْتُ صَبَاحًا عَلَى عَادَتِي الْفَجْرَ الْعَمِيقَ وَخَرَجْتُ
مِنْ دَارِي قَاصِدًا دَارَ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ الْمَنْصُورِ وَجَدْتُ رَسُولَهُ فِي الطَّرِيقِ
وَهُوَ آتٍ مِنْ عِنْدِهِ يَدْعُونِي لَهُ. فَانْطَلَقْتُ مُسْرِعًا إِلَى أَنْ دَخَلْتُ عَلَيْهِ
فَنَظَرَ إِلَيَّ وَقَالَ لِي: يَا عَبَّاسُ. فَقُلْتُ لَبَّيْكَ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ. قَالَ خُذْ
هٰذَا الرَّجُلَ وَاحْتَفِظْ بِهِ وَغَدًا ائْتِنِي بِهِ وَاعْلَمْ أَنَّهُ إِنْ فُقِدَ مِنْكَ فَلَا
أَرْضَى إِلَّا بِعُنُقِكَ. فَقُلْتُ سَمْعًا وَطَاعَةً يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ. فَنَظَرْتُ
فَوَجَدْتُ أَمَامَهُ فِي نَاحِيَةِ الْمَكَانِ شَيْخًا مُقَيَّدًا فِي عُنُقِهِ وَيَدَيْهِ وَرِجْلَيْهِ
فَأَخَذْتُهُ وَخَرَجْتُ بِهِ فَأَرْكَبْتُهُ وَأَتَيْتُ بِهِ إِلَى بَيْتِي. وَلِكَثْرَةِ حِرْصِي
عَلَيْهِ مِنْ أَجْلِ وَصِيَّةِ الْمَنْصُورِ لِي دَعَوْتُ غِلْمَانِي وَأَمَرْتُهُمْ فَفَرَشُوا لَنَا
مَقْصُورَةً وَأَجْلَسْتُ الرَّجُلَ فِيهَا وَجَلَسْتُ إِلَى جَانِبِهِ وَوَضَعْتُ طَرَفَ
قَيْدِهِ فِي رِجْلِي وَطَبَّقْتُ عَلَيْهَا. كُلُّ ذٰلِكَ حِرْصًا عَلَى الرَّجُلِ لِئَلَّا يَهْرُبَ
فَيَرُوحَ عُنُقِي. فَلَمَّا مَضَى النَّهَارُ وَجَاءَ الْمَغْرِبُ أَمَرْتُ غِلْمَانِي فَجَاءُوا
بِالْمَائِدَةِ وَعَلَيْهَا الطَّعَامُ وَالشَّرَابُ. فَجَلَسْتُ أَنَا وَالرَّجُلُ فَأَكَلْنَا ثُمَّ غَسَلْنَا
أَيْدِيَنَا وَجَلَسْنَا وَقَدْ ضَجِرْتُ مِنَ السُّكُوتِ لِأَنَّ الرَّجُلَ مَهْمُومٌ وَيُفَكِّرُ فِي
شَأْنِهِ فَسَأَلْتُهُ مِنْ أَيْنَ هُوَ فَقَالَ: مِنَ الشَّامِ. فَقُلْتُ: أَتَعْرِفُ فُلَانَ الْفُلَانِيَّ
فِي الشَّامِ. فَقَالَ: مَا أَحَدٌ أَعْرَفَ بِهِ مِنِّي لِمَاذَا تَسْأَلُ عَنْهُ. فَقُلْتُ لَهُ: لِأَنِّي
أَسِيرُ مَعْرُوفِهِ وَعَبْدُ إِحْسَانِهِ. وَأَخْبَرْتُهُ بِمَا عَمِلَهُ مَعِي فِي زَمَانِ فِتْنَةِ الشَّامِ.
فَتَبَسَّمَ الرَّجُلُ فَلَمَّا تَبَسَّمَ تَفَرَّسْتُ فِيهِ فَإِذَا هُوَ هُوَ. فَطَارَ عَقْلِي مِنْ

رأسي فرحًا به فجعلت أسأله إلى أن تحققته فقمت حينئذٍ وكسرت أقفال قيوده وهو يمتنع من ذلك . ثم أمرت الغلمان فأحضروا له ثيابًا فأبى لبسها فأقمت عليه فلبسها . ثم قال لي : ما مرادك أن تعمل بي . قلت : والله أنقذك حتى تصير بعيدًا عن بغداد بمراحل وتذهب في حال سبيلك . فقال : اسمع هذا ليس هو الرأي الصائب لأنك إذا مضيت إلى أمير المؤمنين من غيري يغضب عليك فيقتلك وأنا معاذ الله أن أشتري سلامتي بموتك فهذا لا يمكن . فقلت له : وما ذنبك أنت عند أمير المؤمنين . فقال : اتهموني زورًا بأني أنا الذي حركت الفتن في الشام وأن لبني أمية عندي ودائع . فقلت : حيث إن هذا فقط جرمك والله إني أهربك وأنا لا أبالي من أمير المؤمنين إن قتلني وإن عفا عني . فإن إحسانك السالف علي عظيم جدًا . فقال لي : لا تظن أنني أطاوعك على ذلك ولكن عندي رأي أصوب وهو : دعني محفوظًا في مكان وامض قل لأمير المؤمنين ما شئت من هربي . فإن عفا عنك فعد إلي وأطلقني فأهرب وإن أمر بقتلك فعند ذلك أكون أنا في أمرك فتحضرني وتفتدي نفسك . وعدا هذا لا أرتضي معك بشيء (قال) فلما رأيت الرجل أبى إلا هذا وضعته في مقصورة خفية في داري وأصبحت وأبكرت إلى دار الخلافة . فدخلت فوجدت المنصور جالسًا ينتظرني . فلما رآني وحدي قام عرق الغضب بين عينيه ورأيت عينيه قد صارتا مثل النار غيظًا علي وقال لي : هيه

يَا عَبَّاسُ أَيْنَ الرَّجُلُ . فَقُلْتُ لَهُ : مَهْلًا يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ فَإِنَّ الْعَفْوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى وَهٰذَا رَجُلٌ جَرَى لِي مَعَهُ كَيْتَ وَكَيْتَ وَفَعَلَ مَعِي كَذَا وَكَذَا مِنَ الْإِحْسَانِ الْعَظِيمِ فَالْتَزَمْتُ لِحَقِّ إِحْسَانِهِ أَنْ أُطْلِقَهُ أَمَلًا بِحِلْمِكَ وَاتِّكَالًا عَلَى كَرَمِكَ . قَالَ : فَرَأَيْتُ وَجْهَ الْمَنْصُورِ قَدْ تَهَلَّلَ وَقَالَ لِي : لَحَاكَ اللهُ يَا عَبَّاسُ . أَيَفْعَلُ هٰذَا الرَّجُلُ مَعَكَ هٰذَا الْإِحْسَانَ الْعَظِيمَ فِي زَمَنِ الْفِتْنَةِ وَتُطْلِقُهُ مِنْ غَيْرِ أَنْ تُخْبِرَنَا بِإِحْسَانِهِ لِنَقُومَ بِإِكْرَامِهِ وَنَجْزِيَهُ عَمَّا فَعَلَهُ مَعَكَ مِنَ الْخَيْرِ . وَجَعَلَ الْمَنْصُورُ يَتَأَسَّفُ وَيُفَرْقِعُ يَدَيْهِ تَحَسُّرًا وَيَقُولُ : أَيَذْهَبُ مِنَّا إِنْسَانٌ لَهُ عَلَيْنَا إِحْسَانٌ فَلَا نُوفِيهِ بَعْضَ مَا اسْتَوْجَبَ عِنْدَنَا مِنْ عَظِيمِ مَعْرُوفِهِ وَاللهِ إِنَّهَا لَكُبْرَى . فَقُلْتُ لَهُ : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ بِأَبِي وَأُمِّي إِنَّ الرَّجُلَ مَوْجُودٌ عِنْدِي وَقَدْ أَبَى أَنْ يَهْرُبَ لِخَوْفِهِ عَلَى عُنُقِي مِنْكَ . فَقَالَ لِي أَنْ أَجْعَلَهُ مَحْفُوظًا فِي مَكَانٍ وَآتِيَكَ فَأُخْبِرَكَ أَنَّهُ هَرَبَ فَإِنْ عَفَوْتَ وَإِلَّا رَجَعْتُ فَأَحْضَرْتُهُ . فَاسْتَبْشَرَ وَجْهُ الْمَنْصُورِ وَضَرَبَ بِرِجْلِهِ الْأَرْضَ وَقَالَ : هٰذَا وَاللهِ يُسَاوِي مِقْدَارَ سَالِفِ مَعْرُوفِ الرَّجُلِ إِلَيْكَ . فَامْضِ مُسْرِعًا وَأْتِنِي بِهِ مُكَرَّمًا مُوَقَّرًا . فَمَضَيْتُ وَأَتَيْتُ دَارِي وَدَخَلْتُ عَلَى الرَّجُلِ فَقَبَّلَ الْأَرْضَ شُكْرًا لِلهِ تَعَالَى وَقَامَ وَجَاءَ مَعِي حَتَّى دَخَلْنَا عَلَى أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ الْمَنْصُورِ فَحِينَ رَآهُ رَحَّبَ بِهِ وَأَجْلَسَهُ بِجَانِبِهِ وَأَكْرَمَهُ وَخَلَعَ عَلَيْهِ خِلَعًا نَفِيسَةً وَقَالَ لَهُ : هٰذَا جَزَاءُ إِحْسَانِكَ . وَسَأَلَهُ إِنْ شَاءَ أَنْ يُوَلِّيَهُ الشَّامَ فَأَبَى وَشَكَرَهُ . وَأَطْلَقَهُ الْمَنْصُورُ مُوَقَّرًا وَأَرْسَلَ مَعَهُ الْكُتُبَ لِوُلَاتِهِ يَأْمُرُهُمْ بِإِكْرَامِهِ وَالْقِيَامِ بِحَوَائِجِهِ (لِلاتَايِدِي)

أَلْبَابُ ٱلْخَامِسَ عَشَرَ
فِي ٱلْفُكَاهَاتِ

٣١٩ أَرْسَلَ ٱبْنُ خَرُوفٍ ٱلشَّاعِرُ إِلَى ٱبْنِ شَدَّادٍ بِحَلَبَ يَطْلُبُ مِنْهُ فَرْوَةً :

بَهَاءَ ٱلدِّينِ وَٱلدُّنْيَا وَنُورَ ٱلْمَجْدِ وَٱلْحَسَبِ
طَلَبْتُ مُخَافَةَ ٱلْأَنْوَا ءِ مِنْ جَدْوَاكَ جِلْدَ أَبِي
وَفَضْلُكَ عَالِمٌ أَنِّي خَرُوفٌ بَارِعُ ٱلْأَدَبِ
حَلَبْتُ ٱلدَّهْرَ أَشْطُرَهُ وَفِي حَلَبٍ صَفَا حَلَبِي

٣٢٠ دَخَلَ أَبُو دُلَامَةَ عَلَى ٱلْمَنْصُورِ فَأَنْشَدَهُ :

رَأَيْتُكَ فِي ٱلْمَنَامِ كَسَوْتَ جِلْدِي ثِيَابًا جَمَّةً وَقَضَيْتَ دَيْنِي
فَكَانَ بَنَفْسَجِيُّ ٱلْخَزِّ فِيهَا وَسَاجٌ نَاعِمٌ فَأَتَمَّ زَيْنِي
فَصَدِّقْ يَا فَدَتْكَ ٱلنَّاسُ رُؤْيَا رَأَيْتَهَا فِي ٱلْمَنَامِ كَذَاكَ عَيْنِي

فَأَمَرَ لَهُ بِذٰلِكَ وَقَالَ : لَا تَعُدْ فَتَحْلُمَ فَأَجْعَلَ حِلْمَكَ أَضْغَاثًا (للازدي)

سيد العرب

٣٢١ قَالَ ٱلْأَصْمَعِيُّ : رَأَيْتُ بِٱلْبَادِيَةِ أَعْرَابِيَّةً تَبْكِي عَلَى قَبْرٍ وَتَقُولُ :

فَمَنْ لِلسُّؤَّالِ وَمَنْ لِلنَّوَالِ وَمَنْ لِلْمَعَالِي وَمَنْ لِلْخُطَبْ
وَمَنْ لِلْحُمَاةِ وَمَنْ لِلْكُمَاةِ إِذَا مَا ٱلْكُمَاةُ جَثَوْا لِلرُّكَبْ
إِذَا قِيلَ مَاتَ أَبُو مَالِكٍ فَتَى ٱلْمَكْرُمَاتِ فَرِيدُ ٱلْعَرَبْ

فَقُلْتُ لَهَا : مَنْ هٰذَا ٱلَّذِي مَاتَ هٰؤُلَاءِ كُلُّهُمْ بِمَوْتِهِ . فَبَكَتْ

وَقَالَتْ : هٰذَا أَبُو مَالِكٍ ٱلْحَجَّامُ خَتَنُ أَبِي مَنْصُورٍ ٱلْحَائِكِ . فَقُلْتُ : لَا جَازَاكِ ٱللهُ خَيْرًا . وَٱللهِ مَا ظَنَنْتُ إِلَّا أَنَّهُ سَيِّدٌ مِنْ سَادَاتِ ٱلْعَرَبِ

ابن المغازلي عند المعتضد

٣٢٢ كَانَ ٱبْنُ ٱلْمَغَازِلِيِّ رَجُلًا يَتَكَلَّمُ بِبَغْدَادَ عَلَى ٱلطُّرُقِ بِأَخْبَارٍ وَنَوَادِرَ مُنَوَّعَةٍ . وَكَانَ نِهَايَةً فِي ٱلْحُذْقِ لَا يَسْتَطِيعُ مَنْ سَمِعَهُ أَنْ لَا يَضْحَكَ . قَالَ : وَقَفْتُ يَوْمًا عَلَى بَابِ ٱلْخَاصَّةِ أُضْحِكُ ٱلنَّاسَ وَأَتَنَادَرُ فَحَضَرَ خَلْفِي بَعْضُ خُدَّامِ ٱلْمُعْتَضِدِ . فَأَخَذْتُ فِي نَوَادِرِ ٱلْخَدَمِ فَأَعْجَبَ بِذٰلِكَ وَٱنْصَرَفَ . ثُمَّ عَادَ فَأَخَذَ بِيَدِي وَقَالَ : دَخَلْتُ فَوَقَفْتُ بَيْنَ يَدَيْ سَيِّدِي فَتَذَكَّرْتُ حِكَايَتَكَ فَضَحِكْتُ . فَأَنْكَرَ عَلَيَّ وَقَالَ : مَالَكَ وَيْلَكَ . فَقُلْتُ : عَلَى ٱلْبَابِ رَجُلٌ يُعْرَفُ بِٱبْنِ ٱلْمَغَازِلِيِّ يَتَكَلَّمُ بِحِكَايَاتٍ وَنَوَادِرَ تُضْحِكُ ٱلثَّكُولَ . فَأَمَرَ بِإِحْضَارِكَ وَلِي نِصْفُ جَائِزَتِكَ . فَطَمِعْتُ فِي ٱلْجَائِزَةِ وَقُلْتُ : يَا سَيِّدِي أَنَا ضَعِيفٌ وَعَلَيَّ عِيلَةٌ فَلَوْ أَخَذْتَ سُدْسَهَا أَوْ رُبْعَهَا . فَأَبَى وَأَدْخَلَنِي . فَسَلَّمْتُ فَرَدَّ ٱلسَّلَامَ وَهُوَ يَنْظُرُ فِي كِتَابٍ . فَنَظَرَ فِي أَكْثَرِهِ وَأَنَا وَاقِفٌ ثُمَّ أَطْبَقَهُ وَرَفَعَ رَأْسَهُ إِلَيَّ وَقَالَ : أَنْتَ ٱبْنُ ٱلْمَغَازِلِيِّ . قُلْتُ : نَعَمْ يَا مَوْلَايَ . قَالَ : بَلَغَنِي أَنَّكَ تَحْكِي وَتُضْحِكُ بِنَوَادِرَ عَجِيبَةٍ . فَقُلْتُ : يَا أَمِيرَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلْحَاجَةُ تَفْتُقُ ٱلْحِيلَةَ . أَجْمَعُ لِلنَّاسِ حِكَايَاتٍ أَتَقَرَّبُ بِهَا إِلَى قُلُوبِهِمْ فَأَلْتَمِسُ بِرَّهُمْ . فَقَالَ : هَاتِ مَا عِنْدَكَ فَإِنْ أَضْحَكْتَنِي أَجَزْتُكَ بِخَمْسِمِائَةِ دِرْهَمٍ وَإِنْ أَنَا لَمْ أَضْحَكْ أَصْفَعْكَ بِذٰلِكَ ٱلْخِرَابِ عَشْرَ صَفَعَاتٍ . فَقُلْتُ فِي

نَفْسِي : مَلِكٌ لَا يَصْفَعُ إِلَّا بِشَيْءٍ لَيِّنٍ خَفِيفٍ . وَالْتَفَتُّ فَإِذَا بِجِرَابٍ مِنْ أَدَمٍ مُعَلَّقٍ فِي زَاوِيَةِ الْبَيْتِ . فَقُلْتُ : مَا أَخْطَأَ ظَنِّي عَسَى فِيهِ رِبْحٌ . إِنْ أَضْحَكْتُهُ رَبِحْتُ وَأَخَذْتُ الْجَائِزَةَ وَإِلَّا فَعَشْرُ صَفَعَاتٍ بِجِرَابٍ مَنْفُوخٍ شَيْءٌ هَيِّنٌ . ثُمَّ أَخَذْتُ فِي النَّوَادِرِ وَالْحِكَايَاتِ وَالنَّعَاشَةِ وَالْعِبَارَةِ . فَلَمْ أَدَعْ حِكَايَةَ أَعْرَابِيٍّ وَلَا نَحْوِيٍّ وَلَا مُخَنَّثٍ وَلَا قَاضٍ وَلَا نَبَطِيٍّ وَلَا سِنْدِيٍّ وَلَا زَنْجِيٍّ وَلَا خَادِمٍ وَلَا تُرْكِيٍّ وَلَا شَاطِرٍ وَلَا عَيَّارٍ وَلَا نَادِرَةً وَلَا حِكَايَةً إِلَّا وَأَحْضَرْتُهَا حَتَّى نَفِدَ كُلُّ مَا عِنْدِي وَتَصَدَّعَ رَأْسِي . وَفَتَرْتُ وَبَرَدْتُ وَلَمْ يَبْقَ وَرَائِي خَادِمٌ وَلَا غُلَامٌ إِلَّا وَقَدْ مَاتُوا مِنَ الضَّحِكِ . وَهُوَ مُقَطِّبٌ لَا يَتَبَسَّمُ . فَقُلْتُ : قَدْ نَفِدَ مَا عِنْدِي وَوَاللهِ مَا رَأَيْتُ مِثْلَكَ قَطُّ . فَقَالَ لِي : هِيهِ مَا عِنْدَكَ . فَقُلْتُ مَا بَقِيَ لِي سِوَى نَادِرَةٍ وَاحِدَةٍ . قَالَ : هَاتِهَا . قُلْتُ : وَعَدْتَنِي أَنْ تَجْعَلَ جَائِزَتِي عَشْرَ صَفَعَاتٍ وَأَسْأَلُكَ أَنْ تُضَعِّفَهَا لِي وَتُضِيفَ إِلَيْهَا عَشْرَ صَفَعَاتٍ أُخْرَى . فَأَرَادَ أَنْ يَضْحَكَ ثُمَّ تَمَاسَكَ وَقَالَ : نَفْعَلُ . يَا غُلَامُ خُذْ بِيَدِهِ . ثُمَّ مَدَدْتُ ظَهْرِي فَصُفِعْتُ بِالْجِرَابِ صَفْعَةً فَكَأَنَّمَا سَقَطَتْ عَلَيَّ قِطْعَةٌ مِنْ جَبَلٍ . وَإِذَا هُوَ مَمْلُوءٌ حَصًا مُدَوَّرًا فَصُفِعْتُ عَشْرًا فَكَادَتْ أَنْ تَنْفَصِلَ رَقَبَتِي وَطَنَّتْ أُذُنَايَ وَانْقَدَحَ الشُّعَاعُ مِنْ عَيْنَيَّ . فَصِحْتُ : يَا سَيِّدِي نَصِيحَةٌ . فَرَفَعَ الصَّفْعَ بَعْدَ أَنْ عَزَمَ عَلَى الْعِشْرِينَ . فَقَالَ : قُلْ نَصِيحَتَكَ . فَقُلْتُ : يَا سَيِّدِي إِنَّهُ لَيْسَ فِي الدِّيَانَةِ أَحْسَنُ مِنَ الْأَمَانَةِ وَأَقْبَحُ مِنَ الْخِيَانَةِ . وَقَدْ ضَمِنْتُ لِلْخَادِمِ الَّذِي أَدْخَلَنِي نِصْفَ الْجَائِزَةِ عَلَى قِلَّتِهَا وَكُثْرِهَا .

وَأَمِيرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ بِفَضْلِهِ وَكَرَمِهِ قَدْ أَضْعَفَهَا . وَقَدِ ٱسْتَوْفَيْتُ نِصْفِي وَبَقِيَ نِصْفُهُ . فَضَحِكَ حَتَّى ٱسْتَلْقَى وَٱسْتَفَزَّهُ مَا كَانَ سَمِعَ . فَتَحَامَلَ لَهُ فَمَا زَالَ يَضْرِبُ بِيَدَيْهِ ٱلْأَرْضَ وَيَفْحَصُ بِرِجْلَيْهِ وَيُمْسِكُ بِمَرَاقِّ بَطْنِهِ حَتَّى إِذَا سَكَنَ قَالَ : عَلَيَّ بِهِ فَأُتِيَ بِهِ وَأَمَرَ بِصَفْعِهِ وَكَانَ طَوِيلًا . فَقَالَ : وَمَا جِنَايَتِي . فَقُلْتُ لَهُ : هٰذِهِ جَارِيَتِي وَأَنْتَ شَرِيكِي فِيهَا . وَقَدِ ٱسْتَوْفَيْتُ نَصِيبِي مِنْهَا وَبَقِيَ نَصِيبُكَ . فَلَمَّا أَخَذَهُ ٱلصَّفْعُ وَطَرَقَ قَفَاهُ ٱلْوَقْعُ أَقْبَلْتُ أَلُومُهُ وَأَقُولُ لَهُ : قُلْتُ لَكَ إِنِّي ضَعِيفٌ مُعْيِلٌ وَشَكَوْتُ إِلَيْكَ ٱلْحَاجَةَ وَٱلْمَسْكَنَةَ وَأَقُولُ لَكَ : خُذْ رُبْعَهَا أَوْ سُدْسَهَا وَأَنْتَ تَقُولُ لَا آخُذُ إِلَّا نِصْفَهَا . وَلَوْ عَلِمْتُ أَنَّ أَمِيرَ ٱلْمُؤْمِنِينَ أَطَالَ ٱللهُ بَقَاءَهُ جَائِزَتُهُ ٱلصَّفْعُ وَهَبْتُهَا لَكَ كُلَّهَا . فَعَادَ إِلَى ٱلضَّحِكِ مِنْ عِتَابِي لِلْخَادِمِ . فَلَمَّا ٱسْتَوْفَى نَصِيبَهُ أَخْرَجَ صُرَّةً فِيهَا خَمْسُمِائَةِ دِرْهَمٍ وَقَالَ : هٰذِهِ كُنْتُ أَعْدَدْتُهَا لَكَ فَلَمْ يَدَعْكَ فُضُولُكَ حَتَّى أَحْضَرْتَ شَرِيكًا لَكَ . فَقُلْتُ : وَأَيْنَ ٱلْأَمَانَةُ . فَقَسَمَهَا بَيْنَنَا وَٱنْصَرَفْتُ (للشريشي)

ابرهيم الموصلي وابرهيم المهدي عند الرشيد

٣٢٣ قَالَ ٱلرَّشِيدُ لِإِبْرَاهِيمَ بْنِ ٱلْمَهْدِيِّ وَإِبْرَاهِيمَ ٱلْمَوْصِلِيِّ وَٱبْنِ جَامِعٍ : بَاكِرُونِي غَدًا وَلْيَكُنْ كُلُّ وَاحِدٍ قَدْ قَالَ شِعْرًا إِنْ كَانَ يَقْدِرُ أَنْ يَقُولَهُ وَغَنَّى فِيهِ لَحْنًا . وَإِنْ لَمْ يَكُنْ شَاعِرًا غَنَّى فِي شِعْرِ غَيْرِهِ . قَالَ إِبْرَاهِيمُ بْنُ ٱلْمَهْدِيِّ : فَقُمْتُ فِي ٱلسَّحَرِ وَجَهَدْتُ أَنْ أَقْدِرَ عَلَى شَيْءٍ أَصْنَعُهُ فَلَمْ يَتَّفِقْ لِي . فَلَمَّا خِفْتُ طُلُوعَ ٱلْفَجْرِ دَعَوْتُ بِغِلْمَانِي وَقُلْتُ لَهُمْ :

إِنِّي أُرِيدُ أَنْ أَمْضِيَ إِلَى مَوْضِعٍ لَا يَشْعُرُ بِي أَحَدٌ حَتَّى أَصِيرَ إِلَيْهِ. وَكَانُوا فِي زُبَيْدِيَّاتٍ لِي يَبِيتُونَ فِيهَا عَلَى بَابِ دَارِي. فَقُمْتُ فَرَكِبْتُ فِي إِحْدَاهَا وَقَصَدْتُ دَارَ إِبْرَاهِيمَ الْمَوْصِلِيِّ. وَكَانَ قَدْ حَدَّثَنِي أَنَّهُ إِذَا أَرَادَ الصَّنْعَةَ لَمْ يَنَمْ حَتَّى يُدَبِّرَ مَا يَحْتَاجُ إِلَيْهِ. وَاعْتَمَدَ عَلَى خَشَبَةٍ لَهُ فَلَمْ يَزَلْ يَقْرَعُ عَلَيْهَا حَتَّى يَفْرَغَ مِنَ الصَّوْتِ وَيَرْسَخَ فِي قَلْبِهِ. فَجِئْتُ حَتَّى وَقَفْتُ تَحْتَ دَارِهِ فَإِذَا هُوَ يُرَدِّدُ صَوْتًا أَعَدَّهُ. فَمَا زِلْتُ وَاقِفًا أَسْتَمِعُ مِنْهُ الصَّوْتَ حَتَّى أَخَذْتُهُ. ثُمَّ عَدَوْنَا إِلَى الرَّشِيدِ فَلَمَّا جَلَسْنَا لِلشُّرْبِ خَرَجَ الْخَادِمُ إِلَيَّ فَقَالَ: يَقُولُ لَكَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ يَا ابْنَ أُمِّ: غَنِّنِي. فَانْدَفَعْتُ فَغَنَّيْتُ هَذَا الصَّوْتَ وَالْمَوْصِلِيُّ فِي الْمَوْتِ حَتَّى فَرَغْتُ مِنْهُ. فَشَرِبَ عَلَيْهِ وَأَمَرَ لِي بِثَلَاثِمِائَةِ أَلْفِ دِرْهَمٍ. فَوَثَبَ إِبْرَاهِيمُ الْمَوْصِلِيُّ فَحَلَفَ بِالطَّلَاقِ وَحَيَاةِ الرَّشِيدِ أَنَّ الشِّعْرَ لَهُ قَالَهُ الْبَارِحَةَ وَغَنَّى فِيهِ. مَا سَبَقَهُ إِلَيْهِ أَحَدٌ. فَقَالَ ابْنُ الْمَهْدِيِّ: يَا سَيِّدِي فَمِنْ أَيْنَ هُوَ لِي أَنَا لَوْلَا كَذِبُهُ وَبَهْتُهُ. وَإِبْرَاهِيمُ يَضْطَرِبُ وَيَضِجُّ. فَلَمَّا قَضَيْتُ أَرَبًا مِنَ الْعَبَثِ بِهِ قُلْتُ لِلرَّشِيدِ: الْحَقُّ أَحَقُّ أَنْ يُتَّبَعَ وَصَدَقَتُهُ. فَقَالَ لِلْمَوْصِلِيِّ: أَمَّا أَخِي فَقَدْ أَخَذَ الْمَالَ وَلَا سَبِيلَ إِلَى رَدِّهِ. وَقَدْ أَمَرْتُ لَكَ بِمِائَةِ أَلْفِ دِرْهَمٍ عِوَضًا مِمَّا جَرَى عَلَيْهِ. فَأَمَرَ لَهُ بِهَا فَحُمِلَتْ إِلَيْهِ (الاغاني)

٣٢٤ ذَكَرَ الْمُبَرِّدُ أَنَّ الْمُهَلَّبَ بْنَ أَبِي صُفْرَةَ قَالَ يَوْمًا وَقَدِ اشْتَدَّتِ الْحَرْبُ بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْخَوَارِجِ لِأَبِي عَلْقَمَةَ الْيَحْمَدِيِّ: أَمِدَّنَا بِخَيْلِ الْيَحْمَدِ. وَقَالَ لَهُمْ: أَعِيرُونَا جَمَاجِمَكُمْ سَاعَةً. فَقَالَ: أَيُّهَا الْأَمِيرُ إِنَّ

جَاجِمُهُمْ لَيْسَتْ بِفَخَّارٍ فَتُعَارَ . وَأَعْنَاقُهُمْ لَيْسَتْ بِكُرَّاثٍ فَتُنْبَتَ . وَقَالَ :

يَقُولُ لِيَ الْأَمِيرُ بِغَيْرِ جُرْمٍ تَقَدَّمْ حِينَ جَدَّ بِنَا الْمِرَاسُ
فَمَالِي إِنْ أَطَعْتُكَ مِنْ حَيَاةٍ وَمَالِي غَيْرَ هٰذَا الرَّأْسِ رَاسُ

ثقيلٌ وظريفٌ

٣٢٥ أَهْدَى رَجُلٌ مِنَ الثُّقَلَاءِ إِلَى رَجُلٍ مِنَ الظُّرَفَاءِ جَمَلًا ثُمَّ نَزَلَ عَلَيْهِ حَتَّى أَبْرَمَهُ . فَقَالَ فِيهِ :

يَا مُبْرِمًا أَهْدَى جَمَلْ خُذْ وَانْصَرِفْ أَلْقِي جَمَلْ
قَالَ وَمَا أَوْقَارُهَا قُلْتُ زَبِيبٌ وَعَسَلْ
قَالَ وَمَنْ يَقُودُهَا قُلْتُ لَهُ أَلْفَا رَجُلْ
قَالَ وَمَنْ يَسُوقُهَا قُلْتُ لَهُ أَلْفَا بَطَلْ
قَالَ وَمَا لِبَاسُهُمْ قُلْتُ حُلِيٌّ وَحُلَلْ
قَالَ وَمَا سِلَاحُهُمْ قُلْتُ سُيُوفٌ وَأَسَلْ
قَالَ عَبِيدٌ لِي إِذًا قُلْتُ نَعَمْ ثُمَّ خَوَلْ
قَالَ بِهٰذَا فَاكْتُبُوا إِذَنْ عَلَيْكُمْ لِي سِجِلْ
قُلْتُ لَهُ أَلْقِي سِجِلْ فَاضْمَنْ لَنَا أَنْ تَرْتَحِلْ
قَالَ وَقَدْ أَضْجَرْتُكُمْ قُلْتُ أَجَلْ ثُمَّ أَجَلْ
قَالَ وَقَدْ أَبْرَمْتُكُمْ قُلْتُ لَهُ الْأَمْرُ جَلَلْ
قَالَ وَقَدْ أَثْقَلْتُكُمْ قُلْتُ لَهُ فَوْقَ الثِّقَلْ
قَالَ فَإِنِّي رَاحِلٌ قُلْتُ الْعَجَلْ ثُمَّ الْعَجَلْ

يَا كَوْكَبَ الشُّؤْمِ وَمَنْ أَرْبَى عَلَى نَحْسِ زُحَلْ
يَا جَبَلًا مِنْ جَبَلٍ فِي جَبَلٍ فَوْقَ جَبَلْ
(لابن عبد ربّه)

سنان بن ثابت والطبيب القرويّ

٣٢٦ مِنْ ظَرِيفِ مَا جَرَى لِسِنَانِ بْنِ ثَابِتٍ فِي الطِّبِّ فِي امْتِحَانِ الْأَطِبَّاءِ عِنْدَ تَقَدُّمِ الْخَلِيفَةِ إِلَيْهِ بِذٰلِكَ أَنَّهُ أُحْضِرَ إِلَيْهِ رَجُلٌ مَلِيحُ الْبَشَرَةِ وَالْهَيْئَةِ ذُوهَيْبَةٍ وَوَقَارٍ. فَأَكْرَمَهُ سِنَانٌ عَلَى مُوجَبِ مَنْظَرِهِ وَرِفْعَتِهِ. ثُمَّ الْتَفَتَ إِلَيْهِ سِنَانٌ فَقَالَ: قَدِ اشْتَهَيْتُ أَنْ أَسْمَعَ مِنَ الشَّيْخِ شَيْئًا أَحْفَظُهُ عَنْهُ وَأَنْ يَذْكُرَ شَيْخَهُ فِي الصِّنَاعَةِ. فَأَخْرَجَ الشَّيْخُ مِنْ كُمِّهِ قِرْطَاسًا فِيهِ دَنَانِيرُ صَالِحَةٌ وَوَضَعَهَا بَيْنَ يَدَيْ سِنَانٍ وَقَالَ: وَاللّٰهِ مَا أُحْسِنُ أَنْ أَكْتُبَ وَلَا أَقْرَأَ شَيْئًا جُمْلَةً. وَلِي عِيَالٌ وَمَعَاشِي دَارَ دَائِرُهُ وَأَسْأَلُكَ أَنْ لَا تَقْطَعَهُ عَنِّي. فَضَحِكَ سِنَانٌ وَقَالَ: عَلَى شَرِيطَةِ أَنَّكَ لَا تَهْجُمُ عَلَى مَرِيضٍ بِمَا لَا تَعْلَمُ وَلَا تُشِيرُ بِفَصْدٍ وَلَا بِدَوَاءٍ مُسْهِلٍ إِلَّا بِمَا قَرُبَ مِنَ الْأَمْرَاضِ. قَالَ الشَّيْخُ: هٰذَا مَذْهَبِي مُذْ كُنْتُ مَا تَعَدَّيْتُ السَّلْجَبِينَ وَالْجُلَّابَ. وَانْصَرَفَ. وَلَمَّا كَانَ مِنَ الْغَدِ حَضَرَ إِلَيْهِ غُلَامٌ شَابٌّ حَسَنُ الْبِزَّةِ مَلِيحُ الْوَجْهِ ذَكِيٌّ فَنَظَرَ إِلَيْهِ سِنَانٌ فَقَالَ لَهُ: عَلَى مَنْ قَرَأْتَ قَالَ: عَلَى أَبِي. قَالَ: وَمَنْ يَكُونُ أَبُوكَ. قَالَ: الشَّيْخُ الَّذِي كَانَ عِنْدَكَ بِالْأَمْسِ. قَالَ: نِعْمَ الشَّيْخُ. وَأَنْتَ عَلَى مَذْهَبِهِ. قَالَ: نَعَمْ. قَالَ: لَا تُجَاوِزْهُ. وَانْصَرِفْ مُصَاحِبًا (لابي الفرج)

٣٢٧ حُكِيَ أَنَّهُ كَانَ فِي بَغْدَادَ رَجُلٌ اسْمُهُ أَبُو ٱلْقَاسِمِ ٱلطُّنْبُورِيُّ . وَكَانَ لَهُ مَدَاسٌ صَارَ لَهُ وَهُوَ يَلْبَسُهُ سَبْعُ سِنِينَ . وَكَانَ كُلَّمَا تَقَطَّعَ مِنْهُ مَوْضِعٌ جَعَلَ مَكَانَهُ رُقْعَةً إِلَى أَنْ صَارَ إِلَى غَايَةِ ٱلثِّقَلِ وَصَارَ ٱلنَّاسُ يَضْرِبُونَ بِهِ ٱلْمَثَلَ . فَٱتَّفَقَ أَنَّهُ دَخَلَ يَوْمًا سُوقَ ٱلزُّجَاجِ . فَقَالَ لَهُ سِمْسَارٌ : يَا أَبَا ٱلْقَاسِمِ قَدْ قَدِمَ إِلَيْنَا ٱلْيَوْمَ تَاجِرٌ مِنْ حَلَبَ وَمَعَهُ حِمْلُ زُجَاجٍ مُذَهَّبٍ قَدْ كَسَدَ فَٱشْتَرِهِ مِنْهُ . وَأَنَا أَبِيعُهُ لَكَ بَعْدَ هٰذِهِ ٱلْمُدَّةِ فَتَكْسَبُ بِهِ ٱلْمِثْلَ مِثْلَيْنِ . فَمَضَى وَٱشْتَرَاهُ بِسِتِّينَ دِينَارًا . ثُمَّ إِنَّهُ دَخَلَ إِلَى سُوقِ ٱلْعَطَّارِينَ فَصَادَفَهُ سِمْسَارٌ آخَرُ وَقَالَ لَهُ : يَا أَبَا ٱلْقَاسِمِ قَدْ قَدِمَ إِلَيْنَا ٱلْيَوْمَ مِنْ نَصِيبِينَ تَاجِرٌ وَمَعَهُ مَاءُ وَرْدٍ فِي غَايَةِ ٱلطِّيبَةِ وَمُرَادُهُ أَنْ يُسَافِرَ . فَلِعَجَلَةِ سَفَرِهِ يُمْكِنُ أَنْ تَشْتَرِيَهُ مِنْهُ رَخِيصًا وَأَنَا أَبِيعُهُ لَكَ فِيمَا بَعْدُ بِأَقْرَبِ مُدَّةٍ فَتَكْسَبُ بِهِ ٱلْمِثْلَ مِثْلَيْنِ . فَمَضَى أَبُو ٱلْقَاسِمِ وَٱشْتَرَاهُ أَيْضًا بِسِتِّينَ دِينَارًا أُخْرَى وَمَلَأَهُ فِي ٱلزُّجَاجِ ٱلْمُذَهَّبِ . وَحَمَلَهُ وَجَاءَ بِهِ فَوَضَعَهُ عَلَى رَفٍّ مِنْ رُفُوفِ بَيْتِهِ فِي ٱلصَّدْرِ . ثُمَّ إِنَّ أَبَا ٱلْقَاسِمِ دَخَلَ ٱلْحَمَّامَ يَغْتَسِلُ . فَقَالَ لَهُ بَعْضُ أَصْدِقَائِهِ يَا أَبَا ٱلْقَاسِمِ أَشْتَهِي أَنْ تُغَيِّرَ مَدَاسَكَ هٰذَا فَإِنَّهُ فِي غَايَةِ ٱلشَّنَاعَةِ وَأَنْتَ ذُو مَالٍ مِنْ حَمْدِ ٱللهِ . فَقَالَ لَهُ أَبُو ٱلْقَاسِمِ : ٱلْحَقُّ مَعَكَ فَٱلسَّمْعُ وَٱلطَّاعَةُ . ثُمَّ إِنَّهُ لَمَّا خَرَجَ مِنَ ٱلْحَمَّامِ وَلَبِسَ ثِيَابَهُ رَأَى بِجَانِبِ مَدَاسِهِ مَدَاسًا جَدِيدًا فَظَنَّ أَنَّ ٱلرَّجُلَ مِنْ كَرَمِهِ ٱشْتَرَاهُ لَهُ فَلَبِسَهُ

وَمَضَى إِلَى بَيْتِهِ . وَكَانَ ذٰلِكَ ٱلْمَدَاسُ ٱلْجَدِيدُ مَدَاسَ ٱلْقَاضِي جَاءَ فِي ذٰلِكَ ٱلْيَوْمِ إِلَى ٱلْحَمَّامِ وَوَضَعَ مَدَاسَهُ هُنَاكَ وَدَخَلَ ٱسْتَحَمَّ . فَلَمَّا خَرَجَ فَتَّشَ عَلَى مَدَاسِهِ فَلَمْ يَجِدْهُ فَقَالَ : أَيَا إِخْوَانَنَا أَتَرَوْنَ أَنَّ ٱلَّذِي لَبِسَ مَدَاسِي لَمْ يَتْرُكْ عِوَضَهُ شَيْئًا . فَفَتَّشُوا فَلَمْ يَجِدُوا سِوَى مَدَاسِ أَبِي ٱلْقَاسِمِ ٱلطُّنْبُورِيِّ فَعَرَفُوهُ لِأَنَّهُ كَانَ يُضْرَبُ بِهِ ٱلْمَثَلُ . فَأَرْسَلَ ٱلْقَاضِي خَدَمَهُ فَكَبَسُوا بَيْتَهُ فَوَجَدُوا مَدَاسَ ٱلْقَاضِي عِنْدَهُ . فَأَحْضَرَهُ ٱلْقَاضِي وَأَخَذَ مِنْهُ ٱلْمَدَاسَ وَضَرَبَهُ تَأْدِيبًا لَهُ وَحَبَسَهُ مُدَّةً وَغَرَّمَهُ بَعْضَ ٱلْمَالِ وَأَطْلَقَهُ . فَخَرَجَ أَبُو ٱلْقَاسِمِ مِنَ ٱلْحَبْسِ وَأَخَذَ مَدَاسَهُ وَهُوَ غَضْبَانُ عَلَيْهِ وَمَضَى إِلَى ٱلدِّجْلَةِ فَأَلْقَاهُ فِيهَا فَغَاصَ فِي ٱلْمَاءِ . فَأَتَى بَعْضُ ٱلصَّيَّادِينَ وَرَمَى شَبَكَتَهُ فَطَلَعَ فِيهَا ٱلْمَدَاسُ . فَلَمَّا رَآهُ ٱلصَّيَّادُ عَرَفَهُ وَقَالَ : هٰذَا مَدَاسُ أَبِي ٱلْقَاسِمِ ٱلطُّنْبُورِيِّ فَٱلظَّاهِرُ أَنَّهُ وَقَعَ مِنْهُ فِي ٱلدِّجْلَةِ . فَحَمَلَهُ وَأَتَى بِهِ بَيْتَ أَبِي ٱلْقَاسِمِ فَلَمْ يَجِدْهُ . فَنَظَرَ فَرَأَى طَاقَةً نَافِذَةً إِلَى صَدْرِ ٱلْبَيْتِ فَرَمَاهُ مِنْهَا إِلَى ٱلْبَيْتِ فَسَقَطَ عَلَى ٱلرَّفِّ ٱلَّذِي فِيهِ ٱلزُّجَاجُ وَمَاءُ ٱلْوَرْدِ . فَوَقَعَ ٱلزُّجَاجُ وَتَكَسَّرَ وَتَبَدَّدَ مَاءُ ٱلْوَرْدِ . فَجَاءَ أَبُو ٱلْقَاسِمِ وَنَظَرَ ذٰلِكَ فَعَرَفَ ٱلْأَمْرَ فَلَطَمَ عَلَى وَجْهِهِ وَصَاحَ وَبَكَى وَقَالَ : وَافَقْرَاهُ أَفْقَرَنِي هٰذَا ٱلْمَدَاسُ ٱلْمَلْعُونُ . ثُمَّ إِنَّهُ قَامَ لِيَحْفِرَ لَهُ فِي ٱللَّيْلِ حُفْرَةً وَيَدْفِنَهُ فِيهَا وَيَرْتَاحَ مِنْهُ . فَسَمِعَ ٱلْجِيرَانُ حِسَّ ٱلْحَفْرِ فَظَنُّوا أَنَّ أَحَدًا يَنْقُبُ عَلَيْهِمْ . فَرَفَعُوا ٱلْأَمْرَ إِلَى ٱلْحَاكِمِ فَأَرْسَلَ إِلَيْهِ وَأَحْضَرَهُ وَٱعْتَقَلَهُ وَقَالَ لَهُ : كَيْفَ تَسْتَحِلُّ

أَنْ تَنْقُبَ عَلَى جِيرَانِكَ حَائِطَهُمْ وَحَبَسَهُ وَلَمْ يُطْلِقْهُ حَتَّى غَرِمَ بَعْضَ الْمَالِ . ثُمَّ خَرَجَ مِنَ السِّجْنِ وَمَضَى وَهُوَ حَرْدَانُ مِنَ الْمُدَاسِ وَحَمَلَهُ إِلَى كَنِيفِ الْخَانِ وَرَمَاهُ فِيهِ فَسَدَّ قَصَبَةَ الْكَنِيفِ فَفَاضَ وَضَجِرَ النَّاسُ مِنَ الرَّائِحَةِ الْكَرِيهَةِ . فَفَتَّشُوا عَلَى السَّبَبِ فَوَجَدُوا مُدَاسًا فَتَأَمَّلُوهُ فَإِذَا هُوَ مُدَاسُ أَبِي الْقَاسِمِ . فَحَمَلُوهُ إِلَى الْوَالِي وَأَخْبَرُوهُ بِمَا وَقَعَ . فَأَحْضَرَ الْوَالِي أَبَا الْقَاسِمِ وَوَبَّخَهُ وَحَبَسَهُ وَقَالَ لَهُ : عَلَيْكَ تَصْلِيحُ الْكَنِيفِ فَغَرِمَ جُمْلَةَ مَالٍ . وَأَخَذَ مِنْهُ الْوَالِي مِقْدَارَ مَا غَرِمَ تَأْدِيبًا لَهُ وَأَطْلَقَهُ . فَخَرَجَ أَبُو الْقَاسِمِ وَالْمُدَاسُ مَعَهُ وَقَالَ وَهُوَ مُغْتَاظٌ مِنْهُ : وَاللهِ مَا عُدْتُ أُفَارِقُ هٰذَا الْمُدَاسَ . ثُمَّ إِنَّهُ غَسَلَهُ وَجَعَلَهُ عَلَى سَطْحِ بَيْتِهِ حَتَّى يَجِفَّ . فَرَآهُ كَلْبٌ فَظَنَّهُ دِمَّةً فَحَمَلَهُ وَعَبَرَ بِهِ إِلَى سَطْحٍ آخَرَ فَسَقَطَ مِنَ الْكَلْبِ عَلَى رَأْسِ رَجُلٍ فَأَلَمَّهُ وَجَرَحَهُ جُرْحًا بَلِيغًا . فَنَظَرُوا وَفَتَّشُوا لِمَنِ الْمُدَاسُ فَعَرَفُوهُ أَنَّهُ مُدَاسُ أَبِي الْقَاسِمِ . فَرَفَعُوا الْأَمْرَ إِلَى الْحَاكِمِ فَأَلْزَمَهُ بِالْعِوَضِ وَالْقِيَامِ بِلَوَازِمِ الْمَجْرُوحِ مُدَّةَ مَرَضِهِ . فَنَفِدَ عِنْدَ ذٰلِكَ جَمِيعُ مَا كَانَ لَهُ وَلَمْ يَبْقَ عِنْدَهُ شَيْءٌ . ثُمَّ إِنَّ أَبَا الْقَاسِمِ أَخَذَ الْمُدَاسَ وَمَضَى بِهِ إِلَى الْقَاضِي وَقَالَ لَهُ : أُرِيدُ مِنْ حَضْرَةِ مَوْلَانَا الْقَاضِي أَنْ يَكْتُبَ بَيْنِي وَبَيْنَ هٰذَا الْمُدَاسِ مُبَارَأَةً شَرْعِيَّةً عَلَى أَنَّهُ لَيْسَ مِنِّي وَأَنِّي لَسْتُ مِنْهُ . وَأَنَّ كُلًّا مِنَّا بَرِيٌّ مِنْ صَاحِبِهِ . وَأَنَّهُ مَهْمَا يَفْعَلْهُ هٰذَا الْمُدَاسُ لَا أُؤْخَذُ بِهِ أَنَا . وَأَخْبَرَهُ بِجَمِيعِ مَا جَرَى عَلَيْهِ مِنْهُ . فَضَحِكَ الْقَاضِي مِنْهُ وَوَصَلَهُ وَمَضَى (لطائف العرب)

أَلْبَابُ ٱلسَّادِسَ عَشَرَ
فِي ٱلنَّوَادِرِ

ابن مقلة والواشي

٣٢٨ حُكِيَ أَنَّ بَعْضَ ٱلْحَسَدَةِ وَشَى بِٱلْوَزِيرِ ٱلْكَاتِبِ ٱبْنِ مُقْلَةَ ٱلَّذِي ٱنْفَرَدَ فِي زَمَانِهِ بِعُلُوِّ ٱلْخَطِّ وَحُسْنِهِ. وَادَّعَى أَنَّهُ غَدَرَ ٱلْمَلِكَ فِي بَعْضِ ٱلْأُمُورِ. فَأَمَرَ ٱلْمَلِكُ بِقَطْعِ يَدِهِ فَلَمَّا فَعَلَ بِهِ هٰذَا ٱلْأَمْرَ لَزِمَ بَيْتَهُ وَٱنْصَرَفَتْ عَنْهُ ٱلْأَصْدِقَاءُ وَٱلْمُحِبُّونَ وَلَمْ يَأْتِهِ أَحَدٌ إِلَى نِصْفِ ٱلنَّهَارِ. فَتَبَيَّنَ لِلْمَلِكِ أَنَّ ٱلْكَلَامَ عَلَيْهِ بَاطِلٌ. فَأَمَرَ بِقَتْلِ ٱلَّذِي وَشَى بِٱبْنِ مُقْلَةَ وَرَدَّهُ إِلَى مَا كَانَ. فَلَمَّا رَأَى إِخْوَانُهُ أَنَّ نِعْمَتَهُ عَادَتْ إِلَيْهِ عَادُوا لَهُ يُهَنُّونَهُ وَأَقْبَلُوا إِلَيْهِ يَعْتَذِرُونَ. فَأَنْشَدَ:

تَحَالَفَ ٱلنَّاسُ وَٱلزَّمَانُ فَحَيْثُ كَانَ ٱلزَّمَانُ كَانُوا
عَادَانِيَ ٱلدَّهْرُ نِصْفَ يَوْمٍ فَٱنْكَشَفَ ٱلنَّاسُ لِي وَبَانُوا

وَمَكَثَ يَكْتُبُ بِيَدِهِ ٱلْيُسْرَى بَقِيَّةَ عُمْرِهِ. وَلَمْ يَتَغَيَّرْ خَطُّهُ حَتَّى مَاتَ

معجزة ظهرت في حصار مدينة وبذ

٣٢٩ خَرَجَ أَمِيرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ أَبُو يَعْقُوبَ مِنْ إِشْبِيلِيَةَ قَاصِدًا بِلَادَ ٱلْأَدْفُنْشِ. فَنَزَلَ عَلَى مَدِينَةٍ لَهُ عَظِيمَةٍ تُسَمَّى وَبْذَ. وَذٰلِكَ أَنَّهُ بَلَغَهُ أَنَّ أَعْيَانَ دَوْلَةِ ٱلْأَدْفُنْشِ وَوُجُوهَ أَجْنَادِهِ فِي تِلْكَ ٱلْمَدِينَةِ. فَأَقَامَ مُحَاصِرًا لَهَا أَشْهُرًا إِلَى أَنِ ٱشْتَدَّ ٱلْحِصَارُ وَبَرَّحَ بِهِمِ ٱلْعَطَشُ. فَأَرْسَلُوا إِلَى أَمِيرِ

ٱلْمُؤْمِنِينَ يَطْلُبُونَ ٱلْأَمَانَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ عَلَى أَنْ يَخْرُجُوا لَهُ مِنَ ٱلْمَدِينَةِ . فَأَبَى ذٰلِكَ عَلَيْهِمْ وَأَطْمَعَهُ فِيهِمْ مَا نُقِلَ إِلَيْهِ مِنْ شِدَّةِ عَطَشِهِمْ وَكَثْرَةِ مَنْ يَمُوتُ مِنْهُمْ . فَلَمَّا يَئِسُوا مِمَّا عِنْدَهُ سُمِعَ لَهُمْ بَعْضَ ٱللَّيَالِي لَغَطٌ عَظِيمٌ وَجَلَبَةُ أَصْوَاتٍ . وَذٰلِكَ أَنَّهُمْ أَخْرَجُوا أَنَاجِيلَهُمْ وَٱجْتَمَعَ قِسِّيسُوهُمْ وَرُهْبَانُهُمْ يَدْعُونَ وَيُؤَمِّنُ بَاقِيهِمْ . فَجَاءَ مَطَرٌ عَظِيمٌ كَأَنَّهُ ٱلْقِرَبُ مَلَأَ مَا كَانَ عِنْدَهُمْ مِنَ ٱلصَّهَارِيجِ . فَشَرِبُوا وَٱرْتَوَوْا وَتَقَوَّوْا عَلَى ٱلْمُسْلِمِينَ . فَٱنْصَرَفَ عَنْهُمُ ٱلْخَلِيفَةُ رَاجِعًا إِلَى إِشْبِيلِيَةَ بَعْدَ أَنْ هَادَنَ ٱلْأَدْفُنْشَ (للمراكشي)

مشهد الحسين

٣٣٠ وَمِنْ عَجَائِبِ مَشَاهِدِ مِصْرَ ٱلْمَشْهَدُ ٱلْعَظِيمُ ٱلشَّأْنِ ٱلَّذِي بِٱلْقَاهِرَةِ حَيْثُ رَأْسُ ٱلْحُسَيْنِ . وَهُوَ فِي تَابُوتٍ مِنْ فِضَّةٍ مَدْفُونٌ قَدْ بُنِيَ عَلَيْهِ بُنْيَانٌ يَقْصُرُ ٱلْوَصْفُ عَنْهُ . مُجَلَّلٌ بِأَنْوَاعِ ٱلدِّيبَاجِ مَخْفُوفٌ بِأَمْثَالِ ٱلْعَمَدِ ٱلْكِبَارِ شَمْعًا بَيْضَاءَ أَكْثَرُهَا مَوْضُوعٌ فِي أَنْوَارِ ٱلْفِضَّةِ . وَحُفَّ أَعْلَاهُ كُلُّهُ بِأَمْثَالِ ٱلتَّفَافِيحِ ذَهَبًا فِي مَصْنَعِ شِبْهِ ٱلرَّوْضَةِ . يَبْهَرُ ٱلْأَبْصَارَ حُسْنًا وَجَمَالًا . وَفِيهِ أَنْوَاعُ ٱلرُّخَامِ ٱلْمُجَزَّعِ ٱلْغَرِيبِ ٱلصَّنْعَةِ ٱلْبَدِيعِ ٱلتَّرْصِيعِ مَا لَا يَتَخَيَّلُهُ ٱلْمُتَخَيِّلُونَ . وَٱلْمَدْخَلُ إِلَيْهَا مِنْ مَسْجِدٍ عَلَى مِثَالِهَا فِي ٱلتَّأَنُّقِ . حِيطَانُهُ كُلُّهَا رُخَامٌ . وَأَغْرَبُ مَا فِيهِ حَجَرٌ مَوْضُوعٌ فِي ٱلْجِدَارِ ٱلَّذِي يَسْتَقْبِلُهُ ٱلدَّاخِلُ شَدِيدُ ٱلسَّوَادِ وَٱلْبَصِيصِ يَصِفُ ٱلْأَشْخَاصَ كُلَّهَا كَأَنَّهُ ٱلْمِرْآةُ ٱلْهِنْدِيَّةُ . وَلِتَزَاحُمِ ٱلنَّاسِ عَلَى ٱلْقَبْرِ وَٱنْكِبَابِهِمْ عَلَيْهِ وَتَمَسُّحِهِمْ بِهِ وَبِٱلْكِسْوَةِ ٱلَّتِي عَلَيْهِ مَرْأًى هَائِلٌ (للشريشي)

٣٣١ نُسْخَةُ مُبَايَعَةِ مِلْكٍ كَتَبَهَا ٱلشَّيْخُ عُمَرُ بْنُ ٱلْوَرْدِيِّ نَظْمًا :

بِٱسْمِ إِلٰهِ ٱلْخَلْقِ هٰذَا مَا ٱشْتَرَى ... مُحَمَّدُ بْنُ يُونُسَ بْنِ سَنْقَرَا
مِنْ أَحْمَدَ بْنِ مَالِكِ بْنِ ٱلْأَزْرَقِ ... كِلَاهُمَا قَدْ عُرِفَا مِنْ جِلَّقِ
فَبَاعَهُ قِطْعَةَ أَرْضٍ وَاقِعَهْ ... بِغُوطَةِ ٱلْكُورَةِ وَهْيَ جَامِعَهْ
لِشَجَرٍ مُخْتَلِفِ ٱلْأَجْنَاسِ ... وَٱلْأَرْضُ فِي ٱلْبَيْعِ مَعَ ٱلْغِرَاسِ
وَذَرْعُ هٰذِي ٱلْأَرْضِ بِٱلذِّرَاعِ ... عِشْرُونَ فِي ٱلطُّولِ بِلَا نِزَاعِ
وَذَرْعُهَا فِي ٱلْعَرْضِ مِنْهَا عَشَرَهْ ... وَهْوَ ذِرَاعٌ بِٱلْيَدِ ٱلْمُعْتَبَرَهْ
وَحَدُّهَا مِنْ قِبْلَةٍ مِلْكُ ٱلتَّقِي ... وَجَابِرُ ٱلرُّومِيُّ حَدُّ ٱلْمَشْرِقِ
وَمِنْ شِمَالٍ مِلْكُ أَوْلَادِ عَلِي ... وَٱلْغَرْبِ مِلْكُ عَامِرِ بْنِ حَنْبَلِ
بَيْعًا صَحِيحًا لَازِمًا شَرْعِيًّا ... ثُمَّ شِرَاءً قَاطِعًا مَرْعِيًّا
لَا شَرْطَ فِيهِ فَاسِدٌ يُبَطِّلُهْ ... وَلَا خِيَارَ لَهُمَا يُدَاخِلُهْ
بِثَمَنٍ مَبْلَغُهُ مِنْ فِضَّهْ ... دَرَاهِمٌ جَيِّدَةٌ مُبَيَّضَهْ
قَبَضَهَا ٱلْبَائِعُ مِنْهُ وَافِيَهْ ... وَعَادَتِ ٱلذِّمَّةُ مِنْهَا خَالِيَهْ
وَسَلَّمَ ٱلْأَرْضَ إِلَى مَنِ ٱشْتَرَى ... فَقَبَضَ ٱلْفِضَّةَ مِنْهُ وَجَرَى
بَيْنَهُمَا بِٱلْبَدَنِ ٱلتَّفَرُّقُ ... وَمَا بَقِي لِأَحَدٍ تَعَلُّقُ
وَأَشْهَدَا عَلَيْهِمَا بِذَاكَ فِي ... سَابِعَ عَشَرَ رَمَضَانَ ٱلْأَشْرَفِ
مِنْ عَامِ سَبْعِمِائَةٍ لِلْهِجْرَهْ ... مِنْ بَعْدِ خَمْسَةٍ تَلِي وَعَشَرَهْ

مروءة اسماعيل الهزرجي

٣٣٢ نَازَعَ ٱلْخَلِيفَةَ عَبْدَ ٱلْمُؤْمِنِ فِي أَمْرِهِ قَوْمٌ مِنْ قَرَابَةِ ٱبْنِ تُومَرْتَ. وَٱنْتَهَوْا

فِي ذٰلِكَ إِلَى أَنْ أَجْمَعَ رَأْيَهُمْ وَرَأْيَ مَنْ وَافَقَهُمْ عَلَى سُوءِ صَنِيعِهِمْ عَلَى أَنْ يَدْخُلُوا عَلَى عَبْدِ الْمُؤْمِنِ خِبَاءَهُ لَيْلًا فَيَقْتُلُوهُ. وَظَنُّوا أَنَّ ذٰلِكَ يُخْفِي مِنْ أَمْرِهِمْ. وَأَنَّ عَبْدَ الْمُؤْمِنِ إِذَا فُقِدَ وَلَمْ يُعْلَمْ مَنْ قَتَلَهُ صَارَ الْأَمْرُ إِلَيْهِمْ. لِأَنَّهُمْ أَحَقُّ بِهِ إِذْ كَانُوا أَهْلَ الْإِمَامِ وَقَرَابَتَهُ وَأَوْلَى النَّاسِ بِهِ. فَأُعْلِمَ بِمَا أَرَادُوهُ مِنْ ذٰلِكَ رَجُلٌ مِنْ أَصْحَابِ ابْنِ تُومَرْتَ مِنْ خِيَارِهِمْ اسْمُهُ إِسْمَاعِيلُ بْنُ يَحْيَى الْهُزَرْجِيُّ. فَأَتَى عَبْدَ الْمُؤْمِنِ فَقَالَ لَهُ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ لِي إِلَيْكَ حَاجَةٌ. قَالَ: وَمَا هِيَ يَا أَبَا إِبْرٰهِيمَ فَجَمِيعُ حَوَائِجِكَ عِنْدَنَا مَقْضِيَّةٌ. قَالَ: أَنْ تَخْرُجَ عَنْ هٰذَا الْخِبَاءِ وَتَدَعَنِي أَبِيتُ فِيهِ وَلَمْ يُعْلِمْهُ بِمُرَادِ الْقَوْمِ. فَظَنَّ عَبْدُ الْمُؤْمِنِ أَنَّهُ إِنَّمَا يَسْتَوْهِبُهُ الْخِبَاءَ لِأَنَّهُ أَعْجَبَهُ فَخَرَجَ عَنْهُ وَتَرَكَهُ لَهُ. فَبَاتَ فِيهِ إِسْمَاعِيلُ الْمَذْكُورُ فَدَخَلَ عَلَيْهِ أُولٰئِكَ الْقَوْمُ فَتَوَلَّوْهُ بِالْحَدِيدِ حَتَّى بَرَدَ. فَلَمَّا أَصْبَحُوا وَرَأَوْا أَنَّهُمْ لَمْ يُصِيبُوا عَبْدَ الْمُؤْمِنِ فَرُّوا بِأَنْفُسِهِمْ حَتَّى أَتَوْا مُرَّاكِشَ وَرَامُوا الْقِيَامَ بِهَا. فَأَتَوُا الْبَوَّابِينَ الَّذِينَ عَلَى الْقُصُورِ فَطَلَبُوا مِنْهُمُ الْمَفَاتِيحَ فَأَبَوْا عَلَيْهِمْ. فَضَرَبُوا عُنُقَ أَحَدِهِمْ وَفَرَّ بَاقِيهِمْ وَكَادُوا يَغْلِبُونَ عَلَى تِلْكَ الْقُصُورِ. ثُمَّ إِنَّ النَّاسَ اجْتَمَعُوا عَلَيْهِمْ مِنَ الْجُنْدِ وَخَاصَّةِ الْعَبِيدِ فَقَاتَلُوهُمْ قِتَالًا شَدِيدًا مِنْ لَدُنْ طُلُوعِ الْفَجْرِ إِلَى طُلُوعِ الشَّمْسِ. ثُمَّ إِنَّ الْعَبِيدَ غَلَبُوهُمْ عَلَى أَمْرِهِمْ. وَلَمْ يَزَلِ النَّاسُ يَتَكَاثَرُونَ عَلَيْهِمْ إِلَى أَنْ أُخِذُوا قَبْضًا بِالْيَدِ فَقُيِّدُوا وَجُعِلُوا فِي السِّجْنِ إِلَى أَنْ وَصَلَ أَبُو مُحَمَّدٍ عَبْدُ الْمُؤْمِنِ إِلَى مُرَّاكِشَ فَقَتَلَهُمْ صَبْرًا. وَقَتَلَ مَعَهُمْ جَمَاعَةً مِنْ أَعْيَانِ هَرْغَةَ بَلَغَهُ أَنَّهُمْ

قَادِحُونَ فِي مُلْكِهِ مُتَرَبِّصُونَ بِهِ. وَلَمَّا أَصْبَحَ أَبُو إِبْرَهِيمَ إِسْمَاعِيلُ الْمُتَقَدِّمُ الذِّكْرِ فِي الْخِبَاءِ مَقْتُولًا عَلَى الْحَالِ الَّتِي ذَكَرْنَا أَعْظَمَ ذَلِكَ عَبْدُ الْمُؤْمِنِ وَوَجَدَ عَلَيْهِ وَجْدًا مُفْرِطًا أَخْرَجَهُ عَنْ حَدِّ التَّمَاسُكِ إِلَى حَيِّزِ الْجَزَعِ. فَأَمَرَ بِغَسْلِهِ وَتَكْفِينِهِ وَصَلَّى عَلَيْهِ بِنَفْسِهِ وَدَفَنَ (لعبد الواحد المراكشي)

جود حاتم الطائي

٣٣٣ قَالَتْ نَوَارُ امْرَأَةُ حَاتِمٍ: أَصَابَتْنَا سَنَةٌ أَقْشَعَرَّتْ لَهَا الْأَرْضُ وَاغْبَرَّ أُفُقُ السَّمَاءِ. وَرَاحَتِ الْإِبِلُ حَدْبَاءَ حَدَابِيرَ. وَضَنَّتِ الْمَرَاضِعُ إِلَى أَوْلَادِهَا فَمَا تَبِضُّ بِقَطْرَةٍ وَأَيْقَنَّا بِالْهَلَاكِ. فَوَاللهِ إِنَّا لَفِي لَيْلَةٍ صِنَّبِرٍ بَعِيدَةِ مَا بَيْنَ الطَّرَفَيْنِ إِذْ تَضَاغَى صَبِيُّنَا جُوعًا عَبْدُ اللهِ وَعَدِيٌّ وَسَفَّانَةُ. فَقَامَ حَاتِمٌ إِلَى الصَّبِيَّيْنِ وَقُمْتُ أَنَا إِلَى الصَّبِيَّةِ فَوَاللهِ مَا سَكَتُوا إِلَّا بَعْدَ هَدْأَةٍ مِنَ اللَّيْلِ. وَأَقْبَلَ يُعَلِّلُنِي بِالْحَدِيثِ فَعَرَفْتُ مَا يُرِيدُ فَتَنَاوَمْتُ. فَلَمَّا تَهَوَّرَتِ النُّجُومُ إِذَا شَيْءٌ قَدْ رَفَعَ كِسَرَ الْبَيْتِ ثُمَّ عَادَ. فَقَالَ: مَنْ هٰذَا. قَالَتْ: جَارَتُكَ فُلَانَةُ أَتَيْتُكَ مِنْ عِنْدِ صِبْيَةٍ يَتَعَاوَوْنَ عُوَاءَ الذِّئَابِ فَمَا وَجَدْتُ مُعَوَّلًا إِلَّا عَلَيْكَ يَا أَبَا عَدِيٍّ. فَقَالَ: أَعْجِلِيهِمْ فَقَدْ أَشْبَعَكِ اللهُ وَإِيَّاهُمْ. فَأَقْبَلَتِ الْمَرْأَةُ تَحْمِلُ اثْنَيْنِ وَيَمْشِي جَنَابَيْهَا أَرْبَعَةٌ كَأَنَّهَا نَعَامَةٌ حَوْلَهَا رِئَالُهَا. فَقَامَ إِلَى فَرَسِهِ فَوَجَأَ لَبَّتَهُ بِمُدْيَةٍ فَخَرَّ. ثُمَّ كَشَطَهُ عَنْ جِلْدِهِ وَدَفَعَ الْمُدْيَةَ إِلَى الْمَرْأَةِ فَقَالَ لَهَا: شَأْنَكِ. فَاجْتَمَعْنَا عَلَى اللَّحْمِ نَشْوِي وَنَأْكُلُ. ثُمَّ جَعَلَ يَمْشِي فِي الْحَيِّ يَأْتِيهِمْ بَيْتًا بَيْتًا فَيَقُولُ: هُبُّوا أَيُّهَا الْقَوْمُ عَلَيْكُمْ بِالنَّارِ. فَاجْتَمَعُوا وَالْتَفَعَ فِي ثَوْبِهِ

نَاحِيَةً يَنْظُرُ إِلَيْنَا . فَلَاوَاللهِ إِنْ ذَاقَ مِنْهُ مُزْعَةً وَإِنَّهُ لَأَحْوَجُ إِلَيْهِ مِنَّا . فَأَصْبَحْنَا وَمَا عَلَى الْأَرْضِ مِنَ الْقَرَسِ الْأَعْظَمُ وَحَافِرٌ . فَأَنْشَأَ حَاتِمٌ يَقُولُ :

مَهْلًا نَوَارُ أَقِلِّي اللَّوْمَ وَالْعَذَلَا وَلَا تَقُولِي لِشَيْءٍ فَاتَ مَا فَعَلَا
وَلَا تَقُولِي لِمَالٍ كُنْتُ مُهْلِكَهُ مَهْلًا وَإِنْ كُنْتُ أُعْطِي الْإِنْسَ وَالْجَبَلَا
يَرَى الْبَخِيلُ سَبِيلَ الْمَالِ وَاحِدَةً إِنَّ الْجَوَادَ يَرَى فِي مَالِهِ سُبُلَا

إيثار ابن مامة الاياديّ

٣٣٤ خَرَجَ كَعْبُ بْنُ مَامَةَ الْإِيَادِيُّ فِي قُفْلٍ مَعَهُمْ رَجُلٌ مِنْ بَنِي النَّمِرِ . وَكَانَ ذٰلِكَ فِي حَرِّ الصَّيْفِ فَضَلُّوا وَشَحَّ مَاؤُهُمْ فَكَانُوا يَتَصَافَنُونَ الْمَاءَ . وَذٰلِكَ أَنْ يُطْرَحَ فِي الْقَصَبِ حَصَاةٌ ثُمَّ يُصَبَّ فِيهِ مِنَ الْمَاءِ بِقَدْرِ مَا يَغْمُرُ الْحَصَاةَ . فَيَشْرَبُ كُلُّ وَاحِدٍ قَدْرَ مَا يَشْرَبُ الْآخَرُ . وَلَمَّا نَزَلُوا لِلشُّرْبِ وَدَارَ الْقَصَبُ بَيْنَهُمْ حَتَّى انْتَهَى إِلَى كَعْبٍ رَأَى الرَّجُلَ النَّمَرِيَّ يُحِدُّ نَظَرَهُ إِلَيْهِ . فَآثَرَهُ بِمَائِهِ وَقَالَ لِلسَّاقِي : اسْقِ أَخَاكَ النَّمَرِيَّ فَشَرِبَ النَّمَرِيُّ نَصِيبَ كَعْبٍ مِنَ الْمَاءِ ذٰلِكَ الْيَوْمَ . ثُمَّ نَزَلُوا مِنَ الْغَدِ مَنْزِلَهُمُ الْآخَرَ فَتَصَافَنُوا بَقِيَّةَ مَائِهِمْ . فَنَظَرَ إِلَيْهِ كَنَظَرِهِ أَمْسِ . وَقَالَ كَعْبٌ كَقَوْلِهِ أَمْسِ . وَارْتَحَلَ الْقَوْمُ وَقَالُوا : يَا كَعْبُ ارْتَحِلْ . فَلَمْ يَكُنْ لَهُ قُوَّةٌ لِلنُّهُوضِ وَكَانُوا قَدْ قَرُبُوا مِنَ الْمَاءِ . فَقَالُوا لَهُ : رِدْ يَا كَعْبُ إِنَّكَ وَارِدٌ . فَعَجَزَ عَنِ الْجَوَابِ . وَلَمَّا أَيِسُوا مِنْهُ خَيَّمُوا عَلَيْهِ بِثَوْبٍ يَمْنَعُهُ مِنَ السَّبُعِ أَنْ يَأْكُلَهُ . وَتَرَكُوهُ مَكَانَهُ فَمَاتَ . فَذَهَبَ ذٰلِكَ مَثَلًا فِي تَفْضِيلِ الرَّجُلِ صَاحِبَهُ عَلَى نَفْسِهِ (اخبار العرب لابن قتيبة)

صنم سوميناة

٣٣٥ مِنْ عَجَائِبِ مَدِينَةِ سُومَنَاةَ هَيكَلٌ فِيهِ صَنَمٌ كَانَ وَاقِفًا فِي وَسَطِ ٱلْبَيْتِ . لَا بِقَائِمَةٍ مِنْ أَسْفَلِهِ تَدْعَمُهُ وَلَا بِعِلَاقَةٍ مِنْ أَعْلَاهُ تُمْسِكُهُ . وَكَانَ أَمْرُ هٰذَا ٱلصَّنَمِ عَظِيمًا عِنْدَ ٱلْهِنْدِ مَنْ رَآهُ وَاقِفًا فِي ٱلْهَوَاءِ تَعَجَّبَ . وَكَانَتِ ٱلْهِنْدُ يَحُجُّونَ إِلَيْهِ وَيَحْمِلُونَ إِلَيْهِ مِنَ ٱلْهَدَايَا كُلَّ شَيْءٍ نَفِيسٍ وَكَانَ لَهُ مِنَ ٱلْوُقُوفِ مَا يَزِيدُ عَلَى عَشَرَةِ آلَافِ قَرْيَةٍ . وَكَانَتْ سَدَنَتُهُ أَلْفَ رَجُلٍ مِنَ ٱلْبَرَاهِمَةِ لِعِبَادَتِهِ وَخِدْمَةِ ٱلْوُقُودِ . وَأَمَّا ٱلْبَيْتُ فَكَانَ مَبْنِيًّا عَلَى سِتٍّ وَخَمْسِينَ سَارِيَةً مِنَ ٱلسَّاجِ ٱلْمُصَفَّحِ بِٱلرَّصَاصِ . وَكَانَتْ قُبَّةُ ٱلصَّنَمِ مُظْلِمَةً وَضَوْءُهَا كَانَ مِنْ قَنَادِيلِ ٱلْجَوْهَرِ ٱلْفَائِقِ . وَعِنْدَهُ سِلْسِلَةُ ذَهَبٍ كُلَّمَا مَضَتْ طَائِفَةٌ مِنَ ٱللَّيْلِ حُرِّكَتْ فَتُصَوِّتُ ٱلْأَجْرَاسُ فَيَقُومُ طَائِفَةٌ مِنَ ٱلْبَرَاهِمَةِ لِلْعِبَادَةِ . حُكِيَ أَنَّ ٱلسُّلْطَانَ يَمِينَ ٱلدَّوْلَةِ لَمَّا غَزَا بِلَادَ ٱلْهِنْدِ وَرَأَى ذٰلِكَ ٱلصَّنَمَ أَعْجَبَهُ أَمْرُهُ وَقَالَ لِأَصْحَابِهِ : مَاذَا تَقُولُونَ فِي أَمْرِ هٰذَا ٱلصَّنَمِ وَوُقُوفِهِ فِي ٱلْهَوَاءِ بِلَا عِمَادٍ وَعِلَاقَةٍ . فَقَالَ بَعْضُهُمْ : إِنَّهُ عُلِّقَ بِعِلَاقَةٍ وَأُخْفِيَتِ ٱلْعِلَاقَةُ عَنِ ٱلنَّظَرِ . وَقَالَ بَعْضُ ٱلْحَاضِرِينَ : إِنِّي أَظُنُّ أَنَّ ٱلْقُبَّةَ مِنْ حَجَرِ ٱلْمَغْنَاطِيسِ وَٱلصَّنَمَ مِنَ ٱلْحَدِيدِ . وَٱلصَّانِعَ بَالَغَ فِي تَدْقِيقِ صَنْعَتِهِ وَرَاعَى تَكَافُؤَ قُوَّةِ ٱلْمَغْنَاطِيسِ مِنَ ٱلْجَوَانِبِ . فَوَافَقَهُ قَوْمٌ وَخَالَفَهُ آخَرُونَ . فَلَمَّا رُفِعَ حَجَرَيْنِ مِنْ رَأْسِ ٱلْقُبَّةِ مَالَ ٱلصَّنَمُ إِلَى أَحَدِ ٱلْجَوَانِبِ . فَلَمْ يَزَلْ يَرْفَعُ ٱلْأَحْجَارَ وَٱلصَّنَمُ يَنْزِلُ حَتَّى وَقَعَ عَلَى ٱلْأَرْضِ (للقزويني)

أَلْبَابُ السَّابِعَ عَشَرَ
فِي الْأَسْفَارِ

مدح السفر

٣٣٦ قَالَ أَبُو قَاسِمٍ الصَّاحِبُ: لَيْسَ بَيْنَكَ وَبَيْنَ بَلَدٍ نَسَبٌ فَخَيْرُ الْبِلَادِ مَا حَمَلَكَ. اَلسَّفَرُ يُسْفِرُ عَنْ أَخْلَاقِ الرِّجَالِ فَأَوْحِشْ أَهْلَكَ إِذَا كَانَ فِي إِيحَاشِهِمْ أُنْسُكَ. وَاهْجُرْ وَطَنَكَ إِذَا نَبَتْ عَنْهُ نَفْسُكَ. رُبَّمَا أَسْفَرَ السَّفَرُ عَنِ الظَّفَرِ. وَتَعَذَّرَ فِي الْوَطَنِ قَضَاءُ الْوَطَرِ (اليواقيت للثعالبي)

أَنْشَدَ شُكْرٌ الْعَلَوِيُّ:

قَوِّضْ خِيَامَكَ عَنْ أَرْضٍ تُهَانُ بِهَا ... وَجَانِبِ الذُّلَّ إِنَّ الذُّلَّ يُجْتَنَبُ
وَارْحَلْ إِذَا كَانَ فِي الْأَوْطَانِ مَنْقَصَةٌ ... فَالْمَنْدَلُ الرَّطْبُ فِي أَوْطَانِهِ حَطَبُ

قَالَ آخَرُ:

إِرْحَلْ بِنَفْسِكَ مِنْ أَرْضٍ تُضَامُ بِهَا ... وَلَا تَكُنْ بِفِرَاقِ الْأَهْلِ فِي حُرَقِ
مَنْ ذَلَّ بَيْنَ أَهَالِيهِ بِبَلْدَتِهِ ... فَالِاغْتِرَابُ لَهُ مِنْ أَحْسَنِ الْخُلُقِ
أَلْكُحْلُ نَوْعٌ مِنَ الْأَحْجَارِ مُنْطَرِحًا ... فِي أَرْضِهِ كَالثَّرَى يُبْدُو عَلَى الطُّرُقِ
لَمَّا تَغَرَّبَ نَالَ الْعِزَّ أَجْمَعَهُ ... وَصَارَ يُحْمَلُ بَيْنَ الْجَفْنِ وَالْحَدَقِ

قَالَ غَيْرُهُ:

إِذَا مَا ضَاقَ صَدْرُكَ مِنْ بِلَادٍ ... تَرَحَّلْ طَالِبًا أَرْضًا سِوَاهَا
عَجِبْتُ لِمَنْ يُقِيمُ بِدَارِ ذُلٍّ ... وَأَرْضُ اللهِ مُتَّسِعٌ فَضَاهَا

فَذَاكَ مِنَ ٱلرِّجَالِ قَلِيلُ عَقْلٍ بَلِيدٌ لَيْسَ يَعْلَمُ مَا طَحَاهَا
فَنَفْسَكَ فُزْ بِهَا إِنْ خِفْتَ ضَيْمًا وَخَلِّ ٱلدَّارَ تَنْعَى مَنْ بَنَاهَا
فَإِنَّكَ وَاجِدٌ أَرْضًا بِأَرْضٍ وَنَفْسَكَ لَمْ تَجِدْ نَفْسًا سِوَاهَا

٣٣٧ كَتَبَ بَعْضُ ٱلْكُتَّابِ : جَزَى ٱللهُ ٱلْفِرَاقَ خَيْرًا فَمَا هُوَ إِلَّا زَفْرَةٌ وَعَبْرَةٌ . ثُمَّ ٱعْتِصَامٌ وَتَوَكُّلٌ . ثُمَّ تَأْمِيلٌ وَتَوَقُّعٌ . وَقَبَّحَ ٱللهُ ٱلتَّلَاقِ . فَإِنَّمَا هُوَ مَسَرَّةُ لَحْظَةٍ وَمَسَاءَةُ أَيَّامٍ . وَٱبْتِهَاجُ سَاعَةٍ وَٱكْتِئَابُ زَمَانٍ . وَإِنِّي لَأَكْرَهُ ٱلِٱجْتِمَاعَ وَلَا أَكْرَهُ ٱلْفِرَاقَ . لِأَنَّ مَعَ ٱلْفِرَاقِ غُمَّةً يُخَفِّفُهَا تَوَقُّعُ إِسْعَافٍ بِتَأْمِيلِ ٱلْأَوْبَةِ وَٱلرُّجْعَى . وَمَعَ ٱلِٱجْتِمَاعِ مُحَاذَرَةَ ٱلْفِرَاقِ وَقِصَرَ ٱلسُّرُورِ . قَالَ بَعْضُ ٱلظُّرَفَاءِ : لَوْ قُلْتُ إِنِّي لَمْ أَجِدْ لِلرَّحِيلِ أَلَمًا وَلِلْبَيْنِ حُرْقَةً لَقُلْتُ حَقًّا . لِأَنِّي نِلْتُ بِهِ مِنَ ٱلْعِنَاقِ وَأُنْسِ ٱللِّقَاءِ مَا كَانَ مَعْدُومًا أَيَّامَ ٱلِٱجْتِمَاعِ وَبِهِ مُصَافَحَةُ ٱلتَّسْلِيمِ . وَرَجَاءُ ٱلْأَوْبَةِ . وَعِمَارَةُ ٱلْقَلْبِ بِٱلشَّوْقِ . وَٱلْأُنْسُ بِٱلْمُكَاتَبَةِ (للقدسي)

قَالَ أَبُو تَمَّامٍ :

وَلَيْسَتْ فَرْحَةُ ٱلْأَوْبَاتِ إِلَّا بِمَوْقُوفٍ عَلَى تَرَحِ ٱلْوَدَاعِ

قَالَ ٱبْنُ ٱلنَّطْرُونِيِّ :

بَاتَتْ تُصَدِّعُ عَنِ ٱلنَّوَى وَتَقُولُ كَمْ تَتَغَرَّبُ
إِنَّ ٱلْحَيَاةَ مَعَ ٱلْقَنَا عَةِ لِلْمَقَامِ ٱلْأَطْيَبُ
فَأَجَبْتُهَا يَا هٰذِهِ غَيْرِي بِقَوْلِكِ خُلِّبُ
إِنَّ ٱلْكَرِيمَ مُفَارِقٌ أَوْطَانَهُ إِذْ تَجْدُبُ

وَٱلْبَدْرُ حِينَ يَشِينُهُ نُقْصَانُهُ يَتَغَيَّبُ

ذمّ السفر

٣٣٨ كَانَ يُقَالُ: فِرَاقُ ٱلْأَحْبَابِ. سَقَامُ ٱلْأَلْبَابِ. حَقُّ ٱلْفِرَاقِ أَنْ تَطِيرَ لَهُ ٱلْقُلُوبُ. وَتَطِيشَ مَعَهُ ٱلْعُقُولُ. وَتَطِيحَ عَلَيْهِ ٱلنُّفُوسُ. وَفِرَاقُ ٱلْحَبِيبِ يُشَيِّبُ ٱلْوَلِيدَ. وَيُذِيبُ ٱلْحَدِيدَ. وَهَوْلُ ٱلسِّيَاقِ. أَهْوَنُ مِنَ ٱلْفِرَاقِ. وَقَالَ ٱلنَّظَّامُ: لَوْ كَانَتْ لِلْفِرَاقِ صُورَةٌ لَرَاعَتِ ٱلْقُلُوبَ وَهَدَّتِ ٱلْجِبَالَ. وَلَجَمْرُ ٱلْغَضَا أَهْوَنُ تَوَهُّجًا مِنْ نَارِهِ. قَالَ بَعْضُهُمْ:

وَمَنْ يَنْأَ عَنْ دَارِ ٱلْعَشِيرَةِ لَمْ يَزَلْ عَلَيْهِ رُعُودٌ جَمَّةٌ وَبُرُوقُ

قَالَ ٱبْنُ ٱلْهَبَّارِيَّةِ:

قَالُوا أَقَمْتَ وَمَا رُزِقْتَ وَإِنَّمَا بِٱلسَّيْرِ يَكْتَسِبُ ٱللَّبِيبُ وَيُرْزَقُ
فَأَجَبْتُهُمْ مَا كُلُّ سَيْرٍ نَافِعًا أَلْحَظُّ يَنْفَعُ لَا ٱلرَّحِيلُ ٱلْمُقْلِقُ
كَمْ سَفْرَةٍ نَفَعَتْ وَأُخْرَى مِثْلُهَا ضَرَّتْ وَيَكْتَسِبُ ٱلْحَرِيصُ وَيُخْفِقُ
كَٱلْبَدْرِ يَكْتَسِبُ ٱلْكَمَالَ بِسَيْرِهِ وَبِهِ إِذَا حُرِمَ ٱلسَّعَادَةَ يُمْحَقُ

سفرة ابن جبير الى جزيرة صقلية (سنة ٥٨١ هجرية و١١٨٧ مسيحية)

ذكر مدينة مسينة من جزيرة صقلية

٣٣٩ هٰذِهِ ٱلْمَدِينَةُ مَوْسِمُ ٱلتُّجَّارِ. وَمَقْصِدُ جَوَارِي ٱلْبَحْرِ مِنْ جَمِيعِ ٱلْأَقْطَارِ. كَثِيرَةُ ٱلْإِرْفَاقِ بِرَخَاءِ ٱلْأَسْعَارِ. لَا يَقِرُّ فِيهَا لِمُسْلِمٍ قَرَارٌ. مَشْحُونَةٌ بِعَبَدَةِ ٱلصُّلْبَانِ تَغَصُّ بِقَاطِنِيهَا. وَتَكَادُ تَضِيقُ ذَرْعًا بِسَاكِنِيهَا. أَسْوَاقُهَا نَافِقَةٌ حَفِيلَةٌ. وَأَرْزَاقُهَا وَاسِعَةٌ بِأَرْغَادِ ٱلْعَيْشِ كَفِيلَةٌ. لَا تَزَالُ

بِهَا لَيْلَكَ وَنَهَارَكَ فِي أَمَانٍ . وَإِنْ كُنْتَ غَرِيبَ ٱلْوَجْهِ وَٱلْيَدِ وَٱللِّسَانِ .
مُسْتَنِدَةٌ إِلَى جِبَالٍ قَدِ ٱنْتَظَمَتْ حَضِيضُهَا وَخَنَادِقُهَا . وَٱلْبَحْرُ يَعْتَرِضُ
أَمَامَهَا فِي ٱلْجِهَةِ ٱلْجَنُوبِيَّةِ مِنْهَا . وَمَرْسَاهَا أَعْجَبُ مَرَاسِي ٱلْبِلَادِ ٱلْبَحْرِيَّةِ
لِأَنَّ ٱلْمَرَاكِبَ ٱلْكِبَارَ تَدْنُو فِيهِ مِنَ ٱلْبَرِّ حَتَّى تَكَادُ تُمَسِّكُهُ . وَيُنْصَبُ
مِنْهَا إِلَى ٱلْبَرِّ خَشَبَةٌ يُنْصَرَفُ عَلَيْهَا . وَٱلْحَمَّالُ يَصْعَدُ بِحِمْلِهِ إِلَيْهَا وَلَا
يَحْتَاجُ إِلَى زَوَارِيقَ فِي وَسْقِهَا وَلَا فِي تَفْرِيغِهَا إِلَّا مَا كَانَ مُرْسِيًا عَلَى
ٱلْبُعْدِ مِنْهَا يَسِيرًا . فَتَرَاهَا مُصْطَفَّةً مِنَ ٱلْبَرِّ كَٱصْطِفَافِ ٱلْجِيَادِ فِي
مَرَابِطِهَا وَإِضْطِبْلَاتِهَا وَذٰلِكَ لِإِفْرَاطِ عُمْقِ ٱلْبَحْرِ فِيهَا . وَهُوَ زُقَاقٌ
مُعْتَرِضٌ بَيْنَهَا وَبَيْنَ ٱلْأَرْضِ ٱلْكَبِيرَةِ بِمِقْدَارِ ثَلَاثَةِ أَمْيَالٍ . وَيُقَابِلُهَا
مِنْهُ بَلْدَةٌ تُعْرَفُ بِرَيْنَةَ وَهِيَ عِمَالَةٌ كَبِيرَةٌ . وَهٰذِهِ ٱلْمَدِينَةُ مَسِينَةُ رَأْسُ
جَزِيرَةِ صِقِلِّيَةَ وَهِيَ كَثِيرَةُ ٱلْمُدُنِ وَٱلْعَمَائِرِ وَٱلضِّيَاعِ . وَطُولُ هٰذِهِ
ٱلْجَزِيرَةِ صِقِلِّيَةَ سَبْعَةُ أَيَّامٍ . وَعَرْضُهَا مَسِيرَةُ خَمْسَةِ أَيَّامٍ . وَبِهَا جَبَلُ
ٱلْبُرْكَانِ . وَهُوَ يَأْتَزِرُ بِٱلسُّحُبِ لِإِفْرَاطِ سُمُوِّهِ وَيَعْتَمُّ بِٱلثَّلْجِ شِتَاءً وَصَيْفًا
دَائِمًا . وَخِصْبُ هٰذِهِ ٱلْجَزِيرَةِ أَكْثَرُ مِنْ أَنْ يُوصَفَ . وَكَفَى بِأَنَّهَا أُمُّ
ٱلْأَنْدَلُسِ فِي سَعَةِ ٱلْعِمَارَةِ وَكَثْرَةِ ٱلْخِصْبِ وَٱلرَّفَاهَةِ . مَشْحُونَةٌ
بِٱلْأَرْزَاقِ عَلَى ٱخْتِلَافِهَا . مَمْلُوءَةٌ بِأَنْوَاعِ ٱلْفَوَاكِهِ وَأَصْنَافِهَا . وَجِبَالُهَا
كُلُّهَا بَسَاتِينُ مُثْمِرَةٌ بِٱلتُّفَّاحِ وَٱلشَّاهَ بَلُّوطَ وَٱلْبُنْدُقِ وَٱلْإِجَّاصِ
وَغَيْرِهَا مِنَ ٱلْفَوَاكِهِ . وَلَيْسَ فِي مَسِينَةَ هٰذِهِ مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ إِلَّا نَفَرٌ
يَسِيرٌ مِنْ ذَوِي ٱلْمِهَنِ وَلِذٰلِكَ لَا يَسْتَوْحِشُ بِهَا ٱلْمُسْلِمُ ٱلْغَرِيبُ .

وَأَحْسَنُ مُدُنِهَا قَاعِدَةُ مُلْكِهَا. وَالْمُسْلِمُونَ يَعْرِفُونَهَا بِالْمَدِينَةِ وَالنَّصَارَى يَعْرِفُونَهَا بِبَلَرْمَةَ. وَفِيهَا سُكْنَى الْحَضَرِيِّينَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ

وَبَلَرْمَةُ هٰذِهِ مَسْكِنُ مَلِكِهِمْ غِلْيَامَ. وَهِيَ أَحْفَلُ مُدُنِ صِقِلِّيَةَ وَبَعْدَهَا مِسِّينَةُ وَشَأْنُ مَلِكِهِمْ هٰذَا عَجِيبٌ فِي حُسْنِ السِّيرَةِ. وَهُوَ كَثِيرُ الثِّقَةِ بِالْمُسْلِمِينَ هُمْ أَهْلُ دَوْلَتِهِ وَالْمُرْتَسِمُونَ بِخَاصَّتِهِ. وَعَلَيْهِمْ يُلُوحُ رَوْنَقُ مَمْلَكَتِهِ. لِأَنَّهُمْ مُتَّسِعُونَ فِي الْمَلَابِسِ الْفَاخِرَةِ وَالْمَرَاكِبِ الْفَارِهَةِ. وَمَا مِنْهُمْ إِلَّا مَنْ لَهُ الْحَاشِيَةُ وَالْخَوَلُ وَالْأَتْبَاعُ. وَلِهٰذَا الْمَلِكِ الْقُصُورُ الْمُشَيَّدَةُ وَالْبَسَاتِينُ الْأَنِيقَةُ وَلَاسِيَّمَا بِحَاضِرَةِ مُلْكِهِ الْمَدِينَةِ الْمَذْكُورَةِ. وَلَهُ بِمِسِّينَةَ قَصْرٌ أَبْيَضُ كَالْحَمَامَةِ مُطِلٌّ عَلَى سَاحِلِ الْبَحْرِ. وَلَيْسَ فِي مُلُوكِ النَّصَارَى أَتْرَفُ فِي الْمُلْكِ وَلَا أَنْعَمُ وَلَا أَرْفَهُ مِنْهُ. وَهُوَ يَتَشَبَّهُ فِي تَرْتِيبِ قَوَانِينِهِ وَوَضْعِ أَسَالِيبِهِ وَتَقْسِيمِ مَرَاتِبِ رِجَالِهِ وَتَفْخِيمِ أُبَّهَةِ الْمُلْكِ وَإِظْهَارِ زِينَتِهِ بِمُلُوكِ الْمُسْلِمِينَ. وَمُلْكُهُ عَظِيمٌ جِدًّا وَلَهُ الْأَطِبَّاءُ وَالْفُقَهَاءُ وَهُوَ كَثِيرُ الِاعْتِنَاءِ بِهِمْ شَدِيدُ الْحِرْصِ عَلَيْهِمْ. حَتَّى إِنَّهُ مَتَى ذُكِرَ لَهُ أَنَّ طَبِيبًا أَوْ فَقِيهًا اجْتَازَ بِبَلَدِهِ أَمَرَ بِإِمْسَاكِهِ وَأَدَرَّ لَهُ أَرْزَاقَ مَعِيشَتِهِ. وَمِنْ عَجِيبِ شَأْنِهِ الْمُتَحَدَّثِ بِهِ أَنَّهُ يَقْرَأُ وَيَكْتُبُ بِالْعَرَبِيَّةِ وَعَلَامَتُهُ عَلَى مَا أَعْلَمَنَا بِهِ أَحَدُ خَدَمَتِهِ الْمُخْتَصِّينَ بِهِ: أَلْحَمْدُ لِلّٰهِ حَقَّ حَمْدِهِ

وَبِمِدِينَةِ مِسِّينَةَ الْمَذْكُورَةِ دَارُ صَنْعَةٍ تَحْتَوِي مِنَ الْأَسَاطِيلِ عَلَى مَا لَا يُحْصَى عَدَدُ مَرَاكِبِهِ. فَكَانَ نُزُولُنَا فِي أَحَدِ الْفَنَادِقِ وَأَقَمْنَا بِهَا تِسْعَةَ أَيَّامٍ. فَلَمَّا كَانَ لَيْلَةُ الثَّلَاثَاءِ الثَّانِي عَشَرَ لِرَمَضَانَ رَكِبْنَا فِي زَوْرَقٍ

مُتَوَجِّهِينَ إِلَى مَدِينَةِ بَلَرْمَةَ . وَسِرْنَا قَرِيبًا مِنَ السَّاحِلِ بِحَيْثُ يُبْصِرُهُ رَأْيُ الْعَيْنِ . وَأَرْسَلَ اللهُ عَلَيْنَا رِيحًا شَرْقِيَّةً رُخَاءً طَيِّبَةً زَجَّتِ الزَّوْرَقَ أَهْنَأَ تَزْجِيَةٍ . وَسِرْنَا نُسَرِّحُ اللَّحْظَ فِي عَمَائِرَ وَقُرًى مُتَّصِلَةٍ وَحُصُونٍ وَمَعَاقِلَ فِي قُنَنِ الْجِبَالِ مُشْرِفَةٍ . وَأَبْصَرْنَا عَنْ يَمِينِنَا فِي الْبَحْرِ تِسْعَ جَزَائِرَ قَدْ قَامَتْ خَيَالًا مُرْتَفِعَةً عَلَى مَقْرُبَةٍ مِنْ بَرِّ الْجَزِيرَةِ اثْنَانِ مِنْهَا تَخْرُجُ مِنْهُمَا النَّارُ دَائِمًا . وَأَبْصَرْنَا الدُّخَانَ صَاعِدًا مِنْهُمَا وَيَظْهَرُ بِاللَّيْلِ نَارًا حَمْرَاءَ ذَاتَ أَلْسُنٍ تَصْعَدُ فِي الْجَوِّ . وَهُوَ الْبُرْكَانُ الْمَشْهُورُ خَبَرُهُ . وَأُعْلِمْنَا أَنَّ خُرُوجَهَا مِنْ مَنَافِسَ فِي الْجَبَلَيْنِ الْمَذْكُورَيْنِ يَصْعَدُ مِنْهَا نَفَسٌ نَارِيٌّ بِقُوَّةٍ شَدِيدَةٍ يَكُونُ عَنْهُ النَّارُ . وَرُبَّمَا قُذِفَ فِيهَا الْحَجَرُ الْكَبِيرُ فَتُلْقِي بِهِ إِلَى الْهَوَاءِ بِقُوَّةِ ذٰلِكَ النَّفَسِ وَتَمْنَعُهُ مِنَ الِاسْتِقْرَارِ وَالِانْتِهَاءِ إِلَى الْقَعْرِ . وَهٰذَا مِنْ أَعْجَبِ الْمَسْمُوعَاتِ الصَّحِيحَةِ . وَأَمَّا الْجَبَلُ الشَّامِخُ الَّذِي بِالْجَزِيرَةِ الْمَعْرُوفُ بِجَبَلِ النَّارِ فَشَأْنُهُ عَجِيبٌ . وَذٰلِكَ أَنَّ نَارًا تَخْرُجُ مِنْهُ كَالسَّيْلِ الْعَرِمِ . فَلَا تَمُرُّ بِشَيْءٍ إِلَّا أَحْرَقَتْهُ حَتَّى تَنْتَهِيَ إِلَى الْبَحْرِ . فَتَرَكَتْ ثَبَجَهُ عَلَى صَفْحِهِ حَتَّى تَغُوصَ فِيهِ . فَسُبْحَانَ الْمُبْدِعِ فِي عَجَائِبِ مَخْلُوقَاتِهِ

وَحَلَلْنَا عَشِيَّ يَوْمِ الْأَرْبِعَاءِ مَرْسَى مَدِينَةِ شِفَلُودَى

(وَمَدِينَةِ شِفَلُودَى) هِيَ مَدِينَةٌ سَاحِلِيَّةٌ كَثِيرَةُ الْخِصْبِ وَاسِعَةُ الْمَرَافِقِ . مُنْتَظِمَةُ أَشْجَارِ الْأَعْنَابِ وَغَيْرِهَا . مُرَتَّبَةُ الْأَسْوَاقِ تَسْكُنُهَا طَائِفَةٌ مِنَ الْمُسْلِمِينَ . وَعَلَيْهَا قُنَّةُ جَبَلٍ وَاسِعَةٌ مُسْتَدِيرَةٌ فِيهَا قَلْعَةٌ لَمْ يُرَ أَمْنَعُ مِنْهَا اتَّخَذُوهَا عُدَّةً لِأُسْطُولٍ يَفْجَأُهُمْ مِنْ جِهَةِ الْبَحْرِ مِنْ جِهَةِ

ٱلْمُسْلِمِينَ . وَكَانَ إِقْلَاعُنَا مِنْهَا نِصْفَ ٱللَّيْلِ فَجِئْنَا مَدِينَةَ ثَرْمَةَ ضَحْوَةَ يَوْمِ ٱلْخَمِيسِ بِسَيْرٍ رُوَيْدٍ . وَبَيْنَ ٱلْمَدِينَتَيْنِ خَمْسَةٌ وَعِشْرُونَ مِيلًا . فَٱنْتَقَلْنَا مِنْهَا مِنْ ذٰلِكَ ٱلزَّوْرَقِ إِلَى زَوْرَقٍ ثَانٍ ٱكْتَرَيْنَاهُ لِكَوْنِ ٱلْبَحْرِيِّينَ صَحِبُونَا فِيهِ مِنْ أَهْلِهَا . وَثَرْمَةُ هٰذِهِ أَحْسَنُ وَضْعًا مِنَ ٱلَّتِي تَقَدَّمَ ذِكْرُهَا . وَهِيَ حَصِينَةٌ تُرْكَبُ ٱلْبَحْرَ وَتُشْرِفُ عَلَيْهِ . وَلِلْمُسْلِمِينَ فِيهَا رَبَضٌ كَبِيرٌ لَهُمْ فِيهِ ٱلْمَسَاجِدُ . وَلَهَا قَلْعَةٌ سَامِيَةٌ مَنِيعَةٌ . وَفِي أَسْفَلِ ٱلْبَلْدَةِ أَجَّةٌ قَدْ أَغْنَتْ أَهْلَهَا عَنِ ٱتِّخَاذِ حَمَّامٍ . وَهٰذِهِ ٱلْبَلْدَةُ مِنَ ٱلْخِصْبِ وَسَعَةِ ٱلرِّزْقِ عَلَى غَايَةٍ . وَٱلْجَزِيرَةُ بِأَسْرِهَا مِنْ أَعْجَبِ بِلَادِ ٱللّٰهِ فِي ٱلْخِصْبِ وَسَعَةِ ٱلْأَرْزَاقِ . فَأَقَمْنَا بِهَا يَوْمَ ٱلْخَمِيسِ ٱلرَّابِعَ عَشَرَ لِلشَّهْرِ ٱلْمَذْكُورِ وَنَحْنُ قَدْ أَرْسَيْنَا فِي وَادٍ بِأَسْفَلِهَا . وَيَطْلُعُ فِيهِ ٱلْمَدُّ مِنَ ٱلْبَحْرِ ثُمَّ يَنْحَسِرُ عَنْهُ . وَبِتْنَا بِهَا لَيْلَةَ ٱلْجُمُعَةِ . ثُمَّ ٱنْقَلَبَ ٱلْهَوَاءُ غَرْبِيًّا فَلَمْ نَجِدْ لِلْإِقْلَاعِ سَبِيلًا . وَبَيْنَنَا وَبَيْنَ ٱلْمَدِينَةِ ٱلْمَقْصُودَةِ ٱلْمَعْرُوفَةِ عِنْدَ ٱلنَّصَارَى بِبَلَرْمَةَ خَمْسَةٌ وَعِشْرُونَ مِيلًا . فَحَشِينَا طُولَ ٱلْمُقَامِ وَحَمِدْنَا ٱللّٰهَ تَعَالَى عَلَى مَا أَنْعَمَ بِهِ مِنَ ٱلتَّسْهِيلِ فِي قَطْعِ ٱلْمَسَافَةِ فِي يَوْمَيْنِ . وَقَدْ تَلْبَثُ ٱلزَّوَارِقُ فِي قَطْعِهَا عَلَى مَا أُعْلِمْنَا بِهِ ٱلْعِشْرِينَ يَوْمًا وَٱلثَّلَاثِينَ يَوْمًا وَنَيِّفًا عَلَى ذٰلِكَ . فَأَصْبَحْنَا يَوْمَ ٱلْجُمُعَةِ مُنْتَصَفَ ٱلشَّهْرِ ٱلْمُبَارَكِ عَلَى نِيَّةٍ مِنَ ٱلْمَسِيرِ فِي ٱلْبَرِّ عَلَى أَقْدَامِنَا . فَتَحَمَّلَنَا بَعْضُ أَسْبَابِنَا وَخَلَّفْنَا بَعْضَ ٱلْأَصْحَابِ عَلَى ٱلْأَسْبَابِ ٱلْبَاقِيَةِ فِي ٱلزَّوْرَقِ . وَسِرْنَا فِي طَرِيقٍ كَأَنَّهَا ٱلسُّوقُ عِمَارَةً وَكَثْرَةَ صَادِرٍ وَوَارِدٍ . وَطَوَائِفُ ٱلنَّصَارَى يَتَلَقَّوْنَنَا فَيُبَادِرُونَ بِٱلسَّلَامِ عَلَيْنَا

وَيُؤْنِسُونَنَا. فَرَأَيْنَا مِنْ سِيَاسَتِهِمْ وَلِينِ مَقْصِدِهِمْ مَعَ ٱلْمُسْلِمِيَّةِ مَا يُوقِعُ ٱلْعَجَبَ. حَتَّى ٱنْتَهَيْنَا إِلَى قَصْرِ سَعْدٍ وَهُوَ عَلَى فَرْسَخٍ مِنَ ٱلْمَدِينَةِ وَقَدْ أَخَذَ بِنَا ٱلْإِعْيَاءُ فَمِلْنَا إِلَيْهِ وَبِتْنَا فِيهِ. وَهٰذَا ٱلْقَصْرُ عَلَى سَاحِلِ ٱلْبَحْرِ مُشَيَّدُ ٱلْبِنَاءِ عَتِيقُهُ قَدِيمُ ٱلْوَضْعِ مِنْ عَهْدِ مَلِكَةِ ٱلْمُسْلِمِينَ لِلْجَزِيرَةِ. وَبِإِزَائِهِ عَيْنٌ تُعْرَفُ بِعَيْنِ ٱلْمَجْنُونَةِ. وَلَهُ بَابٌ وَثِيقٌ مِنَ ٱلْحَدِيدِ. وَدَاخِلُهُ مَسَاكِنُ وَعَلَالِيُّ مُشْرِفَةٌ وَبُيُوتٌ مُنْتَظِمَةٌ. وَهُوَ كَامِلُ مَرَافِقِ ٱلسُّكْنَى وَفِي أَعْلَاهُ مَسْجِدٌ مِنْ أَحْسَنِ مَسَاجِدِ ٱلدُّنْيَا بَهَاءً. مُسْتَطِيلٌ ذُو حَنَايَا مَفْرُوشَةٍ بِحُصُرٍ تُطِيفُهُ لَمْ يُرَ أَحْسَنُ مِنْهَا صَنْعَةً. وَقَدْ عُلِّقَ فِيهِ نَحْوُ ٱلْأَرْبَعِينَ قِنْدِيلًا مِنْ أَنْوَاعِ ٱلصُّفْرِ وَٱلزُّجَاجِ. وَأَمَامَهُ شَارِعٌ وَاسِعٌ مُسْتَدِيرٌ بِأَعْلَى ٱلْقَصْرِ وَفِي أَسْفَلِ ٱلْقَصْرِ بِئْرٌ عَذْبَةٌ. فَبِتْنَا فِي هٰذَا ٱلْمَسْجِدِ أَحْسَنَ مَبِيتٍ وَأَطْيَبَهُ. وَبِمَقْرُبَةٍ مِنْ هٰذَا ٱلْقَصْرِ نَحْوَ ٱلْمِيلِ إِلَى جِهَةِ ٱلْمَدِينَةِ قَصْرٌ آخَرُ عَلَى صِفَتِهِ يُعْرَفُ بِقَصْرِ جَعْفَرٍ. وَدَاخِلُهُ سِقَايَةٌ تَفُورُ بِمَاءٍ عَذْبٍ. وَأَبْصَرْنَا لِلنَّصَارَى فِي هٰذِهِ ٱلطَّرِيقِ كَنَائِسَ مُعَدَّةً لِمَرْضَى ٱلنَّصَارَى. وَلَهُمْ فِي مُدُنِهِمْ مِثْلُ ذٰلِكَ فِي صِفَةِ مَارِسْتَانَاتِ ٱلْمُسْلِمِينَ. وَأَبْصَرْنَا لَهُمْ بِعَكَّةَ وَبِصُورَ مِثْلَ ذٰلِكَ. فَعَجِبْنَا مِنِ ٱعْتِنَائِهِمْ بِهٰذَا ٱلْقَدْرِ. فَلَمَّا صَلَّيْنَا ٱلصُّبْحَ تَوَجَّهْنَا إِلَى ٱلْمَدِينَةِ فَجِئْنَا لِنَدْخُلَ فَمُنِعْنَا وَحُمِلْنَا إِلَى ٱلْبَابِ ٱلْمُتَّصِلِ بِقُصُورِ ٱلْمَلِكِ ٱلْإِفْرَنْجِيِّ غِلْمَانٌ وَأُدِّينَا إِلَى ٱلْمُسْتَخْلَفِ لِيَسْأَلَنَا عَنْ مَقْصِدِنَا. وَكَذٰلِكَ فِعْلُهُمْ بِكُلِّ غَرِيبٍ فَسِرْنَا فِي سِكَكٍ رِحَابٍ وَأَبْوَابٍ وَسَاحَاتٍ مُلُوكِيَّةٍ. وَأَبْصَرْنَا مِنَ ٱلْقُصُورِ ٱلْمُشْرِفَةِ

وَٱلْمَيَادِينِ ٱلْمُنْتَظِمَةِ وَٱلْبَسَاتِينِ وَٱلْمَرَاتِبِ ٱلْمُتَّخَذَةِ لِأَهْلِ ٱلْخِدْمَةِ مَا رَاعَ أَبْصَارَنَا. وَأَذْهَلَ أَفْكَارَنَا. وَأَبْصَرْنَا فِيمَا أَبْصَرْنَاهُ مَجْلِسًا فِي سَاحَةٍ فَسِيحَةٍ قَدْ أَحْدَقَ بِهَا بُسْتَانٌ وَٱنْتَظَمَتْ بِجَوَانِبِهَا بَلَاطَاتٌ. وَٱلْمَجْلِسُ قَدْ أَخَذَ ٱسْتِطَالَةَ تِلْكَ ٱلسَّاحَةِ كُلِّهَا. فَعَجِبْنَا مِنْ طُولِهِ وَإِشْرَافِ مَنَاظِرِهِ. فَأَعْلَمَنَا أَنَّهُ مَوْضِعُ غِذَاءِ ٱلْمَلِكِ مَعَ أَصْحَابِهِ. وَتِلْكَ ٱلْبَلَاطَاتُ وَٱلْمَرَاتِبُ حَيْثُ تَقْعُدُ حُكَّامُهُ وَأَهْلُ ٱلْخِدْمَةِ وَٱلْعَمَالَةِ أَمَامَهُ. فَخَرَجَ إِلَيْنَا ذٰلِكَ ٱلْمُسْتَخْلَفُ يَتَهَادَى بَيْنَ خَدِيمَيْنِ يَحُفَّانِ بِهِ وَيَرْفَعَانِ أَذْيَالَهُ. فَأَبْصَرْنَا شَيْخًا طَوِيلَ ٱلسَّبَلَةِ أَبْيَضَهَا ذَا أُبَّهَةٍ. فَسَأَلَنَا عَنْ مَقْصِدِنَا وَعَنْ بَلَدِنَا بِكَلَامٍ عَرَبِيٍّ لَيِّنٍ فَأَعْلَمْنَاهُ. فَأَظْهَرَ ٱلْإِشْفَاقَ عَلَيْنَا وَأَمَرَ بِٱنْصِرَافِنَا بَعْدَ أَنْ أَحْفَى فِي ٱلسَّلَامِ وَٱلدُّعَاءِ فَعَجِبْنَا مِنْ شَأْنِهِ. وَكَانَ أَوَّلُ سُؤَالِهِ لَنَا عَنْ خَبَرِ ٱلْقُسْطَنْطِينِيَّةِ ٱلْعُظْمَى وَمَا عِنْدَنَا مِنْهُ فَلَمْ يَكُنْ عِنْدَنَا مَا نُعْلِمُهُ بِهِ. وَخَرَجْنَا إِلَى أَحَدِ ٱلْفَنَادِقِ فَنَزَلْنَا فِيهِ وَذٰلِكَ يَوْمَ ٱلسَّبْتِ ٱلثَّانِيَ وَٱلْعِشْرِينَ لِدِجَنْبَرَ. وَفِي خُرُوجِنَا مِنَ ٱلْقَصْرِ ٱلْمَذْكُورِ سَلَكْنَا بَلَاطًا مُتَّصِلًا مَشَيْنَا فِيهِ مَسَافَةً طَوِيلَةً وَهُوَ مُسَقَّفٌ حَتَّى ٱنْتَهَيْنَا إِلَى كَنِيسَةٍ عَظِيمَةِ ٱلْبِنَاءِ. فَأَعْلَمَنَا أَنَّ ذٰلِكَ ٱلْبَلَاطَ تَمْشِي ٱلْمَلِكُ إِلَى هٰذِهِ ٱلْكَنِيسَةِ

(ذِكْرُ بَلَرْمَةَ) هِيَ بِهٰذِهِ ٱلْجَزَائِرِ أُمُّ ٱلْحَضَارَةِ. وَٱلْجَامِعَةُ بَيْنَ ٱلْحُسْنَيَيْنِ غَضَارَةٍ وَنَضَارَةٍ. فَمَا شِئْتَ بِهَا مِنْ جَمَالِ مَخْبَرٍ وَمَنْظَرٍ. وَمُرَادِ عَيْشٍ يَانِعٍ أَخْضَرَ. عَتِيقَةٌ أَنِيقَةٌ. مُشْرِقَةٌ مُؤْنِقَةٌ. تَتَطَلَّعُ بِمَرْأًى فَتَّانٍ. وَتَتَخَايَلُ بَيْنَ سَاحَاتٍ وَبَسَائِطَ كُلُّهَا بُسْتَانٌ. فَسِيحَةُ ٱلسِّكَكِ وَٱلشَّوَارِعِ. تَرُوقُ

ٱلْأَبْصَارَ بِحُسْنِ مَنْظَرِهَا ٱلْبَارِعِ عَجِيبَةُ ٱلشَّانِ . قُرْطُبِيَّةُ ٱلْبُنْيَانِ . مَبَانِيهَا كُلُّهَا بِمَنْحُوتِ ٱلْحَجَرِ ٱلْمَعْرُوفِ بِٱلْكَدَّانِ . يَشُقُّهَا نَهْرٌ مَعِينٌ وَيَطَّرِدُ فِي جَنَبَاتِهَا أَرْبَعُ عُيُونٍ قَدْ زَخْرَفَتْ مِنْهَا لِمَلِكِهَا دُنْيَاهُ فَٱتَّخَذَهَا حَاضِرَةَ مُلْكِهِ ٱلْإِفْرَنْجِيِّ . تَنْتَظِمُ بِلَبَّتِهَا قُصُورُهُ ٱنْتِظَامَ ٱلْعُقُودِ فِي نُحُورِ ٱلْكَوَاعِبِ . وَيَتَقَلَّبُ مِنْ بَسَاتِينِهَا وَمَيَادِينِهَا بَيْنَ نُزْهَةٍ وَمَلَاعِبَ . فَكَمْ لَهُ فِيهَا مِنْ مَقَاصِيرَ وَمَصَانِعَ . وَمَنَاظِرَ وَمَطَالِعَ . وَكَمْ لَهُ بِجِهَاتِهَا مِنْ دِيَارَاتٍ قَدْ زُخْرِفَ بُنْيَانُهَا . وَرُفِّهَ بِٱلْإِقْطَاعَاتِ ٱلْوَاسِعَةِ رُهْبَانُهَا . وَكَنَائِسَ قَدْ صِيغَ مِنَ ٱلذَّهَبِ وَٱلْفِضَّةِ صُلْبَانُهَا . وَلِلْمُسْلِمِينَ فِي هٰذِهِ ٱلْمَدِينَةِ أَرْبَاضٌ قَدِ ٱنْفَرَدُوا فِيهَا بِسُكْنَاهُمْ عَنِ ٱلنَّصَارَى وَٱلْأَسْوَاقُ مَعْمُورَةٌ بِهِمْ وَهُمُ ٱلتُّجَّارُ فِيهَا وَيُصَلُّونَ ٱلْأَعْيَادَ بِخُطْبَةٍ وَدُعَاؤُهُمْ فِيهَا لِلْعَبَّاسِيِّينَ . وَلَهُمْ بِهَا قَاضٍ يَرْتَفِعُونَ إِلَيْهِ فِي أَحْكَامِهِمْ . وَلِهٰذِهِ ٱلْمَدِينَةِ شَبَهٌ بِقُرْطُبَةَ أَنَّ لَهَا مَدِينَةً قَدِيمَةً تُعْرَفُ بِٱلْقَصْرِ ٱلْقَدِيمِ هِيَ فِي وَسَطِ ٱلْمَدِينَةِ ٱلْحَدِيثَةِ وَعَلَى هٰذَا ٱلْمِثَالِ مَوْضِعُ قُرْطُبَةَ . وَبِهٰذَا ٱلْقَصْرِ دِيَارٌ كَأَنَّهَا ٱلْقُصُورُ ٱلْمُشَيَّدَةُ . لَهَا مَنَاظِرُ فِي ٱلْجَوِّ مُظْلِمَةٌ تَحَارُ ٱلْأَبْصَارُ فِي حُسْنِهَا

(كَنِيسَةُ بَلَرْمَةَ) وَمِنْ أَعْجَبِ مَا شَاهَدْنَاهُ بِهَا مِنْ أُمُورِ ٱلنَّصَارَى كَنِيسَةٌ تُعْرَفُ بِكَنِيسَةِ ٱلْأَنْطَاكِيِّ أَبْصَرْنَاهَا يَوْمَ ٱلْمِيلَادِ وَهُوَ يَوْمُ عِيدٍ لَهُمْ عَظِيمٌ . وَقَدِ ٱحْتَفَلُوا لَهَا رِجَالًا وَنِسَاءً فَأَبْصَرْنَا مِنْ بُنْيَانِهَا مَرْأًى يَعْجِزُ ٱلْوَصْفُ عَنْهُ وَيَقَعُ ٱلْقَطْعُ بِأَنَّهُ أَعْجَبُ مَصَانِعِ ٱلدُّنْيَا ٱلْمُزَخْرَفَةِ . جُدُرُهَا ٱلدَّاخِلَةُ ذَهَبٌ كُلُّهَا وَفِيهَا مِنْ أَلْوَاحِ ٱلرُّخَامِ ٱلْمُلَوَّنِ مَا لَمْ يُرَ

مِثْلُهُ قَطُّ قَدْ رُصِّعَتْ كُلُّهَا بِفُصُوصِ الذَّهَبِ وَكُلِّلَتْ بِأَشْجَارِ الْفُصُوصِ الْخُضْرِ وَنُظِمَ أَعْلَاهَا بِالشَّمْسِيَّاتِ الْمُذَهَّبَاتِ مِنَ الزُّجَاجِ. فَتَخْطَفُ الْأَبْصَارَ بِسَاطِعِ شُعَاعِهَا وَتُحْدِثُ فِي النُّفُوسِ فِتْنَةً . وَأَعْلَمَنَا أَنَّ بَانِيَهَا الَّذِي تُنْسَبُ إِلَيْهِ أَنْفَقَ فِيهَا قَنَاطِيرَ مِنَ الذَّهَبِ وَكَانَ وَزِيرًا لِجَدِّ هٰذَا الْمَلِكِ. وَلِهٰذِهِ الْكَنِيسَةِ صَوْمَعَةٌ قَدْ قَامَتْ عَلَى أَعْمِدَةٍ سَوَارٍ مِنَ الرُّخَامِ وَعَلَيْهَا قُبَّةٌ عَلَى أُخْرَى سَوَارٍ كُلُّهَا فَتُعْرَفُ بِصَوْمَعَةِ السَّوَارِي وَهِيَ مِنْ أَعْجَبِ مَا يُبْصَرُ مِنَ الْبُنْيَانِ. وَزِيُّ النَّصْرَانِيَّاتِ فِي هٰذِهِ الْمَدِينَةِ زِيُّ نِسَاءِ الْمُسْلِمِينَ. فَصِيحَاتُ الْأَلْسُنِ مُتَخَفِّرَاتٌ مُتَنَقِّبَاتٌ. خَرَجْنَ فِي هٰذَا الْعِيدِ الْمَذْكُورِ وَقَدْ لَبِسْنَ ثِيَابَ الْحَرِيرِ الْمُذَهَّبِ وَالْتَحَفْنَ اللُّحَفَ الرَّائِقَةَ وَانْتَقَبْنَ بِالنُّقُبِ الْمُلَوَّنَةِ . وَانْتَعَلْنَ الْأَخْفَافَ الْمُذَهَّبَةَ . وَبَرَزْنَ لِكَنَائِسِهِنَّ حَامِلَاتٍ جَمِيعَ زِينَةِ نِسَاءِ الْمُسْلِمِينَ مِنَ التَّحَلِّي وَالتَّخَضُّبِ وَالتَّعَطُّرِ. وَكَانَ مُقَامُنَا بِهٰذِهِ الْمَدِينَةِ سَبْعَةَ أَيَّامٍ . وَنَزَلْنَا بِهَا فِي أَحَدِ فَنَادِقِهَا الَّتِي يَسْكُنُهَا الْمُسْلِمُونَ ... وَخَرَجْنَا مِنْهَا صُبْحَةَ يَوْمِ الْجُمُعَةِ الثَّانِي وَالْعِشْرِينَ لِهٰذَا الشَّهْرِ الْمُبَارَكِ وَالثَّامِنِ وَالْعِشْرِينَ لِشَهْرِ دِجَنْبَرَ إِلَى مَدِينَةِ أَطْرَابُنْشَ بِسَبَبِ مَرْكَبَيْنِ بِهَا أَحَدُهُمَا يَتَوَجَّهُ إِلَى الْأَنْدَلُسِ وَالثَّانِي إِلَى سَبْتَةَ. فَسَلَكْنَا عَلَى قُرًى مُتَّصِلَةٍ وَضِيَاعٍ مُتَجَاوِرَةٍ وَأَبْصَرْنَا مَحَارِثَ وَمَزَارِعَ لَمْ نَرَ مِثْلَ تُرْبَتِهَا طِيبًا وَكَرَمًا وَاتِّسَاعًا. فَشَبَّهْنَاهَا بِقَنْبَانِيَةَ قُرْطُبَةَ أَوْ هٰذِهِ أَطْيَبُ وَأَمْتَنُ. وَبِتْنَا فِي الطَّرِيقِ لَيْلَةً وَاحِدَةً فِي بَلْدَةٍ تُعْرَفُ بِعَلْقَمَةَ. وَهِيَ كَبِيرَةٌ مُتَّسِعَةٌ فِيهَا السُّوقُ وَالْمَسَاجِدُ وَسُكَّانُهَا

وَسُكَّانُ هٰذِهِ ٱلضِّيَاعِ ٱلَّتِي فِي هٰذِهِ ٱلطَّرِيقِ كُلِّهَا مُسْلِمُونَ. وَقُمْنَا مِنْهَا سَحَرَ يَوْمِ ٱلسَّبْتِ فَٱجْتَزْنَا بِقُرْبِهِ مِنْهَا عَلَى حِصْنٍ يُعْرَفُ بِحِصْنِ ٱلْحَنَّةِ وَهُوَ بَلَدٌ كَبِيرٌ فِيهِ حَمَّامَاتٌ. وَقَدْ فَجَّرَهَا ٱللهُ يَنَابِيعَ فِي ٱلْأَرْضِ وَأَسَالَهَا عَنَاصِرَ لَا يَكَادُ ٱلْبَدَنُ يَحْتَمِلُهَا لِإِفْرَاطِ حَرِّهَا. فَأَجَزْنَا مِنْهَا وَاحِدَةً عَلَى ٱلطَّرِيقِ. فَنَزَلْنَا إِلَيْهَا عَنِ ٱلدَّوَابِّ وَأَرَحْنَا ٱلْأَبْدَانَ بِٱلِٱسْتِحْمَامِ فِيهَا. وَوَصَلْنَا إِلَى أَطْرَابُنْشَ عَصْرَ ذٰلِكَ ٱلْيَوْمِ فَنَزَلْنَا فِيهَا فِي دَارٍ ٱكْتَرَيْنَاهَا (مَدِينَةُ أَطْرَابُنْشَ) وَهِيَ مَدِينَةٌ صَغِيرَةُ ٱلسَّاحَةِ. غَيْرُ كَبِيرَةِ ٱلْمِسَاحَةِ. مُسَوَّرَةٌ بَيْضَاءُ كَٱلْحَمَامَةِ. مَرْسَاهَا مِنْ أَحْسَنِ ٱلْمَرَاسِي وَأَوْفَقِهَا لِلْمَرَاكِبِ. وَلِذٰلِكَ كَثِيرًا مَا يَقْصِدُ ٱلرُّومُ إِلَيْهَا وَلَاسِيَّمَا ٱلْمُقْلِعُونَ إِلَى بَرِّ ٱلْعُدْوَةِ. فَإِنَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَ تُونُسَ مَسِيرَةَ يَوْمٍ وَلَيْلَةٍ. فَٱلسَّفَرُ مِنْهَا إِلَيْهَا لَا يَتَعَطَّلُ شِتَاءً وَلَا صَيْفًا إِلَّا رَيْثَمَا تَهُبُّ ٱلرِّيحُ ٱلْمُوَافِقَةُ. فَمَجْرَاهَا فِي ذٰلِكَ مَجْرَى ٱلْجَازِ ٱلْقَرِيبِ. وَبِهٰذِهِ ٱلْمَدِينَةِ ٱلسُّوقُ وَٱلْحَمَّامُ وَجَمِيعُ مَا يُحْتَاجُ إِلَيْهِ مِنْ مَرَافِقِ ٱلْمُدُنِ. لٰكِنَّهَا فِي لَهَوَاتِ ٱلْبَحْرِ لِإِحَاطَتِهِ بِهَا مِنْ ثَلَاثِ جِهَاتٍ وَٱتِّصَالِ ٱلْبَرِّ بِهَا مِنْ جِهَةٍ وَاحِدَةٍ ضَيِّقَةٍ. وَٱلْبَحْرُ فَاغِرٌ فَاهُ لَهَا مِنْ سَائِرِ ٱلْجِهَاتِ. فَأَهْلُهَا يَرَوْنَ أَنَّهُ لَا بُدَّ لَهُ مِنَ ٱلِٱسْتِيلَاءِ عَلَيْهَا وَإِنْ تَرَاخَى مَدَى أَيَّامِهَا. وَهِيَ مُوَافِقَةٌ لِرَخَاءِ ٱلسِّعْرِ بِهَا لِأَنَّهَا عَلَى مَحْرَثٍ عَظِيمٍ. وَسُكَّانُهَا ٱلْمُسْلِمُونَ وَٱلنَّصَارَى وَلِكِلَا ٱلْفَرِيقَيْنِ فِيهَا ٱلْمَسَاجِدُ وَٱلْكَنَائِسُ. وَبِرُكْنِهَا مِنْ جِهَةِ ٱلشَّرْقِ مَائِلًا إِلَى ٱلشِّمَالِ عَلَى مَقْرُبَةٍ مِنْهَا جَبَلٌ عَظِيمٌ مُفْرِطُ ٱلسُّمُوِّ مُتَّسِعٌ. فِي

أَعْلَاهُ قُنَّةٌ تَنْقَطِعُ عَنْهُ وَفِيهَا مَعْقِلٌ لِلرُّومِ . وَبَيْنَهُ وَبَيْنَ الْجَبَلِ قَنْطَرَةٌ وَيَتَّصِلُ بِهِ فِي الْجَبَلِ لِلرُّومِ بَلَدٌ كَبِيرٌ . وَبِهٰذَا الْجَبَلِ الْكُرُومُ وَالْمَزَارِعُ . وَأُعْلِمْنَا أَنَّ بِهِ نَحْوَ أَرْبَعِمِائَةِ عَيْنٍ مُتَفَجِّرَةٍ . وَهُوَ يُعْرَفُ بِجَبَلِ حَامِدٍ وَالصُّعُودُ إِلَيْهِ هَيِّنٌ مِنْ إِحْدَى جِهَاتِهِ . وَهُمْ يَرَوْنَ أَنَّ مِنْهُ يَكُونُ فَتْحُ هٰذِهِ الْجَزِيرَةِ وَلَا سَبِيلَ أَنْ يَتْرُكُوا مُسْلِمًا يَصْعَدُ إِلَيْهِ . وَلِذٰلِكَ أَعَدُّوا فِيهِ ذٰلِكَ الْمَعْقِلَ الْحَصِينَ . فَلَوْ أَحَسُّوا بِحَادِثَةٍ حَصَّنُوا حَرِيمَهُمْ فِيهِ وَقَطَعُوا الْقَنْطَرَةَ . وَاعْتَرَضَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ الَّذِي فِي أَعْلَاهُ خَنْدَقٌ كَبِيرٌ . وَشَأْنُ هٰذَا الْبَلَدِ عَجِيبٌ فَمِنَ الْعَجَبِ أَنْ يَكُونَ فِيهِ مِنَ الْعُيُونِ الْمُتَفَجِّرَةِ مَا تَقَدَّمَ ذِكْرُهُ . وَأَطْرَابُنْشُ فِي هٰذَا الْبَسِيطِ وَلَا مَاءَ لَهَا إِلَّا مِنْ بِئْرٍ عَلَى الْبُعْدِ مِنْهَا . وَفِي دِيَارِهَا آبَارٌ قَصِيرَةُ الْأَرْشِيَةِ مَاؤُهَا كُلُّهَا شَرِيبٌ لَا يُسَاغُ . وَأَلْفَيْنَا الْمَرْكَبَيْنِ اللَّذَيْنِ يَرُومَانِ الْإِقْلَاعَ إِلَى الْمَغْرِبِ بِهَا . وَنَحْنُ إِنْ شَاءَ اللهُ نُؤَمِّلُ رُكُوبَ أَحَدِهِمَا وَهُوَ الْقَاصِدُ إِلَى بَرِّ الْأَنْدَلُسِ . وَاللهُ بِمَعْهُودِ صُنْعِهِ الْجَمِيلِ كَفِيلٌ بِمَنِّهِ . وَفِي غَرْبِيِّ هٰذِهِ الْبَلْدَةِ أَطْرَابُنْشُ ثَلَاثُ جَزَائِرَ فِي الْبَحْرِ عَلَى نَحْوِ فَرْسَخَيْنِ مِنْهَا . وَهِيَ صِغَارٌ مُتَجَاوِرَةٌ . إِحْدَاهَا تُعْرَفُ بِمَلِيطَةَ وَالْأُخْرَى بِبَابِسَةَ وَالثَّالِثَةُ تُعْرَفُ بِالرَّاهِبِ نُسِبَتْ إِلَى رَاهِبٍ يَسْكُنُهَا فِي بِنَاءٍ أَعْلَاهَا كَأَنَّهُ الْحِصْنُ وَهُوَ مَكْمَنٌ لِلْعَدُوِّ . وَالْجَزِيرَتَانِ لَا عِمَارَةَ فِيهِمَا وَلَا يَعْمُرُ الثَّالِثَةَ سِوَى الرَّاهِبِ الْمَذْكُورِ . ثُمَّ اتَّفَقَ كِرَاؤُنَا فِي الْمَرْكَبِ الْمُتَوَجِّهِ إِلَى بَرِّ الْأَنْدَلُسِ وَنَظَرْنَا فِي الزَّادِ وَاللهُ الْمُتَكَفِّلُ بِالتَّيْسِيرِ وَالتَّسْهِيلِ (لابن جبير)

أَلْبَابُ الثَّامِنَ عَشَرَ
فِي عَجَائِبِ الْمَخْلُوقَاتِ

في شرح عجب الموجودات

٣٤٠ قَالَ الْقَزْوِينِيُّ: الْعَجَبُ حَيْرَةٌ تَعْرِضُ لِلْإِنْسَانِ لِقُصُورِهِ عَنْ مَعْرِفَةِ سَبَبِ الشَّيْءِ أَوْ عَنْ مَعْرِفَةِ كَيْفِيَّةِ تَأْثِيرِهِ فِيهِ. مِثَالُهُ أَنَّ الْإِنْسَانَ إِذَا رَأَى خَلِيَّةَ النَّحْلِ وَلَمْ يَكُنْ شَاهَدَهُ قَبْلُ تَعْتَرِيهِ حَيْرَةٌ لِعَدَمِ مَعْرِفَةِ فَاعِلِهِ. فَلَوْ عَرَفَ أَنَّهُ مِنْ عَمَلِ النَّحْلِ لَتَحَيَّرَ أَيْضًا. مِنْ حَيْثُ إِنَّ ذٰلِكَ الْحَيَوَانَ الضَّعِيفَ كَيْفَ أَحْدَثَ هٰذِهِ الْمُسَدَّسَاتِ الْمُتَسَاوِيَةَ الْأَضْلَاعِ الَّتِي عَجَزَ عَنْ مِثْلِهَا الْمُهَنْدِسُ الْحَاذِقُ مَعَ الْفِرْجَارِ وَالْمِسْطَرَةِ. وَمِنْ أَيْنَ لَهَا هٰذَا الشَّمْعُ الَّذِي اتَّخَذَتْ مِنْهُ بُيُوتَهَا الْمُتَسَاوِيَةَ الَّتِي لَا يُخَالِفُ بَعْضُهَا بَعْضًا كَأَنَّهَا أُفْرِغَتْ فِي قَالَبٍ وَاحِدٍ. وَمِنْ أَيْنَ لَهَا هٰذَا الْعَسَلُ الَّذِي أَوْدَعَتْهُ فِيهَا ذَخِيرَةً لِلشِّتَاءِ. وَكَيْفَ عَرَفَتْ أَنَّ الشِّتَاءَ يَأْتِيهَا وَأَنَّهَا تَفْقِدُ فِيهِ الْغِذَاءَ. وَكَيْفَ اهْتَدَتْ إِلَى تَغْطِيَةِ خِزَانَةِ الْعَسَلِ بِغِشَاءٍ رَقِيقٍ لِيَكُونَ الشَّمْعُ مُحِيطًا بِالْعَسَلِ مِنْ جَمِيعِ جَوَانِبِهِ فَلَا يُنَشِّفَهُ الْهَوَاءُ وَلَا يُصِيبَهُ الْغُبَارُ. وَتَبْقَى كَالْبَرْنِيَّةِ الْمُضَمَّمَةِ الرَّأْسِ بِالْكَاغَدِ. فَهٰذَا مَعْنَى الْعَجَبِ. وَكُلُّ مَا فِي الْعَالَمِ بِهٰذِهِ الْمَثَابَةِ إِلَّا أَنَّ الْإِنْسَانَ يُدْرِكُهُ فِي صِبَاهُ عِنْدَ فَقْدِ التَّجْرِبَةِ. ثُمَّ تَبْدُو فِيهِ غَرِيزَةُ الْعَقْلِ قَلِيلًا قَلِيلًا وَهُوَ مُسْتَغْرَقُ الْهَمِّ فِي قَضَاءِ حَوَائِجِهِ وَتَحْصِيلِ شَهَوَاتِهِ وَقَدْ أَنِسَ بِمُدْرَكَاتِهِ

وَمَحْسُوسَاتِهِ فَسَقَطَ عَنْ نَظَرِهِ بِطُولِ الْأُنْسِ بِهَا . فَإِذَا رَأَى بَغْتَةً حَيَوَانًا غَرِيبًا أَوْ نَبَاتًا نَادِرًا أَوْ فِعْلًا خَارِقًا لِلْعَادَاتِ انْطَلَقَ لِسَانُهُ بِالتَّسْبِيحِ فَقَالَ: سُبْحَانَ اللهِ . وَهُوَ يَرَى طُولَ عُمْرِهِ أَشْيَاءَ تَتَحَيَّرُ فِيهَا عُقُولُ الْعُقَلَاءِ وَتَدْهَشُ فِيهَا نُفُوسُ الْأَذْكِيَاءِ

فَمَنْ أَرَادَ صِدْقَ هٰذَا الْقَوْلِ فَلْيَنْظُرْ بِعَيْنِ الْبَصِيرَةِ إِلَى هٰذِهِ الْأَجْسَامِ الرَّفِيعَةِ وَسَعَتِهَا وَصَلَابَتِهَا وَحِفْظِهَا عَنِ التَّغَيُّرِ وَالْفَسَادِ فَإِنَّ الْأَرْضَ وَالْهَوَاءَ وَالْبِحَارَ بِالْإِضَافَةِ إِلَيْهَا كَحُقَّةٍ مُلْقَاةٍ فِي فَلَاةٍ . ثُمَّ يَنْظُرْ إِلَى دَوَرَانِهَا مُخْتَلِفًا فَإِنَّ بَعْضَهَا يَدُورُ بِالنِّسْبَةِ إِلَيْنَا رَحَوِيَّةً . وَبَعْضُهَا حَمَائِلِيَّةً . وَبَعْضُهَا دُولَابِيَّةً . وَبَعْضُهَا يَدُورُ سَرِيعًا . وَبَعْضُهَا يَدُورُ بَطِيئًا . ثُمَّ إِلَى دَوَامِ حَرَكَاتِهَا مِنْ غَيْرِ فُتُورٍ . ثُمَّ إِلَى إِمْسَاكِهَا مِنْ غَيْرِ عَمَدٍ تَعْتَمِدُ بِهِ أَوْ عِلَاقَةٍ تَتَدَلَّى بِهَا . ثُمَّ لِيَنْظُرْ إِلَى كَوَاكِبِهَا وَشَمْسِهَا وَقَمَرِهَا وَاخْتِلَافِ مَشَارِقِهَا وَمَغَارِبِهَا لِاخْتِلَافِ الْأَوْقَاتِ الَّتِي هِيَ سَبَبُ نُشُوءِ الْحَيَوَانِ وَالنَّبَاتِ . ثُمَّ إِلَى سَيْرِ كَوَاكِبِهَا وَكَثْرَتِهَا وَاخْتِلَافِ أَلْوَانِهَا . فَإِنَّ بَعْضَهَا يَمِيلُ إِلَى الْحُمْرَةِ وَبَعْضَهَا إِلَى الْبَيَاضِ وَبَعْضَهَا إِلَى لَوْنِ الرَّصَاصِ . ثُمَّ إِلَى مَسِيرِ الشَّمْسِ فِي فَلَكِهَا مُدَّةَ سَنَةٍ وَطُلُوعِهَا وَغُرُوبِهَا كُلَّ يَوْمٍ . لِاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَمَعْرِفَةِ الْأَوْقَاتِ وَتَمْيِيزِ وَقْتِ الْمَعَاشِ عَنْ وَقْتِ الِاسْتِرَاحَةِ . ثُمَّ إِلَى إِمَالَتِهَا عَنْ وَسَطِ السَّمَاءِ إِلَى الْجَنُوبِ وَإِلَى الشِّمَالِ حَتَّى وَقَعَ الصَّيْفُ وَالشِّتَاءُ وَالرَّبِيعُ وَالْخَرِيفُ . ثُمَّ لِيَنْظُرْ إِلَى جِرْمِ الْقَمَرِ وَكَيْفِيَّةِ اكْتِسَابِهِ النُّورَ مِنَ الشَّمْسِ لِيَنُوبَ

عَنْهَا بِاللَّيْلِ . ثُمَّ إِلَى امْتِلَائِهِ وَانْمِحَاقِهِ . ثُمَّ إِلَى كُسُوفِ الشَّمْسِ وَخُسُوفِ الْقَمَرِ وَإِلَى الْمَجَرَّةِ وَهُوَ الْبَيَاضُ الَّذِي يُقَالُ لَهُ سُرُجُ السَّمَاءِ . وَهُوَ عَلَى فَلَكٍ يَدُورُ بِالنِّسْبَةِ إِلَيْنَا رَحَوِيَّةً . وَعَجَائِبُ السَّمَاوَاتِ لَا مَطْمَعَ فِي إِحْصَاءِ عُشْرِ عُشْرِهَا وَفِيمَا ذَكَرْنَاهُ تَبْصِرَةٌ لِكُلِّ عَبْدٍ مُنِيبٍ

ثُمَّ لِيَنْظُرْ إِلَى مَا بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ مِنَ انْقِضَاضِ الشُّهُبِ وَالْغُيُومِ وَالرُّعُودِ وَالْبُرُوقِ وَالصَّوَاعِقِ وَالْأَمْطَارِ وَالثُّلُوجِ وَالرِّيَاحِ الْمُخْتَلِفَةِ الْمَهَابِّ . وَلْيَتَأَمَّلِ السَّحَابَ الثِّقَالَ الْكَثِيفَ الْمُظْلِمَ كَيْفَ اجْتَمَعَ فِي جَوٍّ صَافٍ لَا كُدُورَةَ فِيهِ وَكَيْفَ حَمَلَ الْمَاءَ . وَتَسْخِيرَ الرِّيَاحِ فَإِنَّهَا تَتَلَاعَبُ بِهِ وَتَسُوقُهُ إِلَى الْمَوَاضِعِ الَّتِي أَرَادَهَا اللَّهُ سُبْحَانَهُ فَتُرِشُّ بِالْمَاءِ وَجْهَ الْأَرْضِ وَتُرْسِلُهُ قَطَرَاتٍ مُتَفَاصِلَةً . لَا تُدْرِكُ قَطْرَةٌ مِنْهَا قَطْرَةً لِيُصِيبَ وَجْهَ الْأَرْضِ بِرِفْقٍ . فَلَوْ صَبَّهُ صَبًّا لَأَفْسَدَ الزَّرْعَ بِخَدْشِهِ وَجْهَ الْأَرْضِ . وَيُرْسِلُهَا مِقْدَارًا كَافِيًا لَا كَثِيرًا زَائِدًا عَنِ الْحَاجَةِ فَيُعَفِّنُ النَّبَاتَ . وَلَا نَاقِصًا فَلَا يَتِمُّ بِهِ النُّمُوُّ . ثُمَّ إِلَى اخْتِلَافِ الرِّيَاحِ فَإِنَّ مِنْهَا مَا يَسُوقُ السُّحُبَ وَمِنْهَا مَا يَنْشُرُهَا . وَمِنْهَا مَا يَجْمَعُهَا وَمِنْهَا مَا يَعْصِرُهَا . وَمِنْهَا مَا يُلَقِّحُ الْأَشْجَارَ . وَمِنْهَا مَا يُرَبِّي الزَّرْعَ وَالثِّمَارَ . وَمِنْهَا مَا يُجَفِّفُهَا

ثُمَّ لِيَنْظُرْ إِلَى الْأَرْضِ وَجَعْلِهَا وَقُورًا لِتَكُونَ فِرَاشًا وَمِهَادًا ثُمَّ إِلَى سَعَةِ أَكْنَافِهَا وَبُعْدِ أَقْطَارِهَا حَتَّى عَجَزَ الْآدَمِيُّونَ عَنْ بُلُوغِ جَمِيعِ جَوَانِبِهَا . ثُمَّ إِلَى جَعْلِ ظَهْرِهَا مَحَلًّا لِلْأَحْيَاءِ وَبَطْنِهَا مَقَرًّا لِلْأَمْوَاتِ . فَتَرَاهَا وَهِيَ مَيِّتَةٌ فَإِذَا أَنْزَلَ عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ وَأَظْهَرَتْ

أَجْنَاسَ ٱلْمَعَادِنِ وَأَنْبَتَتْ أَنْوَاعَ ٱلنَّبَاتِ وَأَخْرَجَتْ أَصْنَافَ ٱلْحَيَوَانِ . ثُمَّ إِلَى إِحْكَامِ أَطْرَافِهَا بِٱلْجِبَالِ ٱلشَّامِخَةِ كَأَوْتَادِهَا لِمَنْعِهَا مِنْ أَنْ تَمِيدَ . ثُمَّ إِلَى إِيدَاعِ ٱلْمِيَاهِ فِي أَوْشَالِهَا كَٱلْخَزَانَاتِ لِتَخْرُجَ مِنْهَا قَلِيلًا قَلِيلًا فَتَتَفَجَّرَ مِنْهَا ٱلْعُيُونُ وَتَجْرِي مِنْهَا ٱلْأَنْهَارُ . فَيَحْيَى بِهَا ٱلْحَيَوَانُ وَٱلنَّبَاتُ إِلَى وَقْتِ نُزُولِ ٱلْأَمْطَارِ مِنَ ٱلسَّنَةِ ٱلْقَابِلَةِ . وَيَنْصَبُّ فَاضِلُهَا إِلَى ٱلْبِحَارِ دَائِمًا

ثُمَّ لِيَنْظُرْ إِلَى ٱلْبِحَارِ ٱلْعَمِيقَةِ ٱلَّتِي هِيَ خِلْجَانٌ مِنَ ٱلْبَحْرِ ٱلْأَعْظَمِ ٱلْمُحِيطِ بِجَمِيعِ ٱلْأَرْضِ حَتَّى إِنَّ جَمِيعَ ٱلْمَكْشُوفِ مِنَ ٱلْبَوَادِي وَٱلْجِبَالِ بِٱلْإِضَافَةِ إِلَى ٱلْمَاءِ كَجَزِيرَةٍ صَغِيرَةٍ فِي بَحْرٍ عَظِيمٍ وَبَقِيَّةُ ٱلْأَرْضِ مَسْتُورَةٌ بِٱلْمَاءِ . ثُمَّ لِيَنْظُرْ إِلَى مَا فِيهَا مِنَ ٱلْحَيَوَانِ وَٱلْجَوَاهِرِ . ثُمَّ لِيَنْظُرْ إِلَى خَلْقِ ٱللُّؤْلُؤِ فِي صَدَفِهِ تَحْتَ ٱلْمَاءِ . ثُمَّ إِلَى إِنْبَاتِ ٱلْمَرْجَانِ فِي صَمِيمِ ٱلصَّخْرِ تَحْتَ ٱلْمَاءِ وَهُوَ نَبَاتٌ عَلَى هَيْئَةِ شَجَرَةٍ يَنْبُتُ مِنَ ٱلْحَجَرِ . ثُمَّ إِلَى مَا عَدَاهُ مِنَ ٱلْعَنْبَرِ وَأَصْنَافِ ٱلنَّفَائِسِ ٱلَّتِي يَقْذِفُهَا ٱلْبَحْرُ وَتُسْتَخْرَجُ مِنْهُ . ثُمَّ إِلَى ٱلسُّفُنِ كَيْفَ سُيِّرَتْ فِي ٱلْبِحَارِ وَسُرْعَةِ جَرْيِهَا بِٱلرِّيَاحِ وَإِلَى ٱتِّخَاذِ آلَاتِهَا وَمَعْرِفَةِ ٱلنَّوَاتِيِّ مَوَارِدَ ٱلرِّيَاحِ وَمَهَابِّهَا وَمَوَاقِيتَهَا . وَعَجَائِبُ ٱلْبِحَارِ كَثِيرَةٌ لَا مَطْمَعَ فِي إِحْصَائِهَا

ثُمَّ لِيَنْظُرْ إِلَى أَنْوَاعِ ٱلْمَعَادِنِ ٱلْمُودَعَةِ تَحْتَ ٱلْجِبَالِ فَمِنْهَا مَا يَنْطَبِعُ كَٱلذَّهَبِ وَٱلْفِضَّةِ وَٱلنُّحَاسِ وَٱلرَّصَاصِ وَٱلْحَدِيدِ . وَمِنْهَا مَا لَا يَنْطَبِعُ كَٱلْفَيْرُوزَجِ وَٱلْيَاقُوتِ وَٱلزَّبَرْجَدِ . ثُمَّ إِلَى كَيْفِيَّةِ ٱسْتِخْرَاجِهَا وَتَنْقِيَتِهَا وَٱتِّخَاذِ ٱلْحُلِيِّ وَٱلْآلَاتِ وَٱلْأَوَانِي مِنْهَا . ثُمَّ إِلَى مَعَادِنِ ٱلْأَرْضِ كَٱلنِّفْطِ

وَالْكِبْرِيتِ وَالْقِيرِ وَغَيْرِهَا وَأَجَلُّهَا الْمِلْحُ فَلَوْ خَلَتْ مِنْهُ بَلْدَةٌ لَتَسَارَعَ الْفَسَادُ إِلَى أَهْلِهَا . ثُمَّ لِيَنْظُرْ إِلَى أَنْوَاعِ النَّبَاتِ وَأَصْنَافِ الْفَوَاكِهِ الْمُخْتَلِفَةِ الْأَشْكَالِ وَالْأَلْوَانِ وَالطُّعُومِ وَالْأَرَايِيحِ تُسْقَى بِمَاءٍ وَاحِدٍ وَيُفَضَّلُ بَعْضُهَا عَلَى بَعْضٍ فِي الْأَكْلِ مَعَ اتِّحَادِ الْأَرْضِ وَالْهَوَاءِ وَالْمَاءِ . فَتَخْرُجُ مِنْ نَوَاةٍ نَخْلَةٌ مُطَوَّقَةٌ بِعَنَاقِيدِ الرُّطَبِ وَمِنْ حَبَّةٍ سَبْعُ سَنَابِلَ فِي كُلِّ سُنْبُلَةٍ مِائَةُ حَبَّةٍ . ثُمَّ لِيَنْظُرْ إِلَى أَرْضِ الْبَوَادِي وَتَشَابُهِ أَجْزَائِهَا فَإِنَّهَا إِذَا نَزَلَ الْقَطْرُ عَلَيْهَا اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ وَأَنْبَتَتْ مِنْ كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ . ثُمَّ إِلَى أَشْكَالِهَا وَأَلْوَانِهَا وَطُعُومِهَا وَرَوَائِحِهَا وَاخْتِلَافِ طَبَائِعِهَا وَكَثْرَةِ مَنَافِعِهَا . فَلَمْ تَنْبُتْ مِنَ الْأَرْضِ وَرَقَةٌ إِلَّا وَفِيهَا مَنْفَعَةٌ أَوْ مَنَافِعُ يَقِفُ فَهْمُ الْبَشَرِ دُونَ إِدْرَاكِهَا . ثُمَّ لِيَنْظُرْ إِلَى أَصْنَافِ الْحَيَوَانِ وَانْقِسَامِهَا إِلَى مَا يَطِيرُ وَيَسْبَحُ وَيَمْشِي . وَإِلَى أَشْكَالِهَا وَصُوَرِهَا وَأَخْلَاقِهَا يَرَى عَجَائِبَ تَدْهَشُ مِنْهَا الْعُقُولُ . بَلْ فِي الْبَقَّةِ أَوِ النَّمْلِ أَوِ الْعَنْكَبُوتِ أَوِ النَّحْلِ فَإِنَّهَا مِنْ ضِعَافِ الْحَيَوَانَاتِ لِيَرَى مَا يَتَحَيَّرُ مِنْهُ مِنْ بِنَائِهَا الْبَيْتَ وَجَمْعِهَا الْغِذَاءَ وَادِّخَارِهَا لِوَقْتِ الشِّتَاءِ وَحِذْقِهَا فِي هَنْدَسَتِهَا وَنَصْبِهَا الشَّبَكَةَ لِلصَّيْدِ . وَمَا مِنْ حَيَوَانٍ إِلَّا وَفِيهِ مِنَ الْعَجَائِبِ مَا لَا يُحْصَى . وَإِنَّمَا سَقَطَ التَّعَجُّبُ مِنْهَا لِلْأُنْسِ بِهَا بِكَثْرَةِ الْمُشَاهَدَةِ

فِي جِرْمِ الشَّمْسِ وَوَضْعِهَا

٣٤١ وَأَمَّا الشَّمْسُ فَأَعْظَمُ الْكَوَاكِبِ جِرْمًا وَأَشَدُّهَا ضَوْءًا . وَمَكَانُهَا

الطَّبيعيُّ الكُرةُ الرَّابعةُ. (*) زعمَ المُنجِّمونَ أنَّ الشَّمسَ بينَ الكواكبِ كالمَلِكِ وسائرُ الكواكبِ كالأعوانِ والجُنودِ. والقمرُ كالوزيرِ وَوليِّ العهدِ. وعُطارِدُ كالكاتبِ. والمِرّيخُ كصاحبِ الشُّرطةِ. والمُشتري كالقاضي. وزُحَلُ كصاحبِ الخزائنِ. والزُّهرةُ كالخدمِ والجواري. والأفلاكُ كالأقاليمِ. والبُروجُ كالبُلدانِ. والدَّرجاتُ كالعساكرِ. والدَّقائقُ كالمحالِّ. والثَّواني كالمنازلِ. وهذا تشبيهٌ جيِّدٌ

ومِنْ عجائبِ لُطفِ اللهِ تعالى جعلُ الشَّمسِ في وسطِ الكواكبِ السَّبعةِ ليَتبقَى الطَّبائعُ والمطبوعاتُ في نظمِ العالَمِ بحركاتِها على حدِّها الاعتداليِّ. إذْ لو كانتْ في فلكِ الثَّوابتِ لفسدتِ الطَّبائعُ بشدَّةِ البردِ. ولو أنَّها انحدرتْ إلى فلكِ القمرِ لاحترقَ هذا العالَمُ بالكُلِّيَّةِ. ولُطفٌ آخرُ من اللهِ تعالى أنْ خلقَها سائرةً غيرَ مواقفةٍ وإلَّا لاشتدَّتِ السُّخونةُ في موضعٍ واشتدَّ البردُ في غيرِهِ فلا يخفى فسادُهما. لكنْ تطلعُ كلَّ يومٍ من المشرقِ (*) ولا تزالُ تغشى موضعًا بعدَ موضعٍ حتَّى تنتهيَ إلى المغربِ. فلا يبقى موضعٌ مكشوفٌ مُوازٍ لها إلَّا ويأخذُ خطًّا من شعاعِها. وتميلُ في كلِّ سنةٍ مرَّةً إلى الجنوبِ ومرَّةً إلى الشِّمالِ لتعمَّ فائدتُها أمَّا إلى الجهةِ

(*) ذلك زعم الأقدمين أمَّا المتأخّرون فعلى ان الشمس في جوف الفلك ومن حولها تدور سائر الأفلاك واقربها الى الشمس عطارد ثم الزُهرة ثم الأرض ثم المرّيخ ثم المشتري ثم زحل

(*) وهذا من آراء الأوائل. فقد ثبت الآن عند العلماء ان الأفلاك تدور حول الشمس وأبطل ما اعتقدهُ القدماء من ان الشمس تدور من حول الأفلاك

ٱلْجَنُوبِيَّةِ فَتَمِيلُ حَتَّى تَنْتَهِيَ إِلَى قَرِيبٍ مِنْ مَطْلَعِ قَلْبِ ٱلْعَقْرَبِ . وَهُوَ مَطْلَعُ أَقْصَرِ يَوْمٍ فِي ٱلسَّنَةِ . وَأَمَّا إِلَى ٱلْجِهَةِ ٱلشَّمَالِيَّةِ فَتَمِيلُ حَتَّى تَنْتَهِيَ إِلَى قَرِيبٍ مِنْ مَطْلَعِ ٱلسِّمَاكِ ٱلرَّامِحِ وَهُوَ مَطْلَعُ أَطْوَلِ يَوْمٍ فِي ٱلسَّنَةِ . ثُمَّ تَرْجِعُ تَمِيلُ إِلَى ٱلْجَنُوبِ

في كسوف الشمس وبعض خواصها

٣٤٢ وَسَبَبُهُ كَوْنُ ٱلْقَمَرِ حَائِلًا بَيْنَ ٱلشَّمْسِ وَبَيْنَ أَبْصَارِنَا لِأَنَّ جِرْمَ ٱلْقَمَرِ كُمَدٌ فَيَحْجُبُ مَا وَرَاءَهُ عَنِ ٱلْأَبْصَارِ . فَإِذَا قَارَنَ ٱلشَّمْسَ وَكَانَ فِي إِحْدَى نُقْطَتَيِ ٱلرَّأْسِ وَٱلذَّنَبِ أَوْ قَرِيبًا مِنْهُ فَإِنَّهُ يَمُرُّ تَحْتَ ٱلشَّمْسِ فَيَصِيرُ حَائِلًا بَيْنَهَا وَبَيْنَ ٱلْأَبْصَارِ . ثُمَّ ٱلشَّمْسُ إِذَا ٱنْكَسَفَتْ لَا يَكُونُ لِكُسُوفِهَا مُكْثٌ لِأَنَّ قَاعِدَةَ مَخْرُوطِ ٱلشُّعَاعِ إِذَا ٱنْطَبَقَ عَلَى صَفْحَةِ ٱلْقَمَرِ ٱنْحَرَفَ عَنْهُ فِي ٱلْحَالِ . فَتَبْتَدِئُ ٱلشَّمْسُ بِٱلِٱنْجِلَاءِ . لَكِنْ يَخْتَلِفُ قَدْرُ ٱلْكُسُوفِ بِٱخْتِلَافِ أَوْضَاعِ ٱلْمَسَاكِنِ بِسَبَبِ ٱخْتِلَافِ ٱلْمَنْظَرِ . وَقَدْ لَا تَنْكَسِفُ فِي بَعْضِ ٱلْبِلَادِ أَصْلًا

وَأَمَّا تَأْثِيرَاتُ ٱلشَّمْسِ فِي ٱلْعُلْوِيَّاتِ وَٱلسُّفْلِيَّاتِ فَعَجِيبَةٌ . أَمَّا فِي ٱلْعُلْوِيَّاتِ فَإِخْفَاؤُهَا جَمِيعَ ٱلْكَوَاكِبِ بِكَمَالِ شُعَاعِهَا وَإِعْطَاؤُهَا لِلْقَمَرِ ٱلنُّورَ . وَأَمَّا فِي ٱلسُّفْلِيَّاتِ فَمِنْهَا تَأْثِيرُهَا فِي ٱلْبِحَارِ . فَإِنَّهَا إِذَا أَشْرَقَتْ عَلَى ٱلْمَاءِ أَصْعَدَتْ مِنْهُ أَبْخِرَةً بِسَبَبِ ٱلسُّخُونَةِ . فَإِذَا بَلَغَ ٱلْبُخَارُ إِلَى ٱلْهَوَاءِ ٱلْبَارِدِ تَكَاثَفَ مِنَ ٱلْبَرْدِ وَٱنْعَقَدَ سَحَابًا . ثُمَّ تَذْهَبُ بِهِ ٱلرِّيَاحُ إِلَى ٱلْأَمَاكِنِ ٱلْبَعِيدَةِ عَنِ ٱلْبِحَارِ فَيُنْزِلُ ٱللهُ قَطْرًا يُحْيِي بِهِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ

مَوْتِهَا . وَتَظْهَرُ مِنْهُ ٱلْأَنْهَارُ وَٱلْعُيُونُ فَيَصِيرُ سَبَبًا لِبَقَاءِ ٱلْحَيَوَانِ وَخُرُوجِ ٱلنَّبَاتِ . وَمِنْهَا أَمْرُ ٱلنَّبَاتِ فَإِنَّ ٱلزُّرُوعَ وَٱلْأَشْجَارَ وَٱلنَّبَاتَ لَا تَنْبُتُ بِنُمُوٍّ إِلَّا فِي ٱلْمَوَاضِعِ ٱلَّتِي تَطْلُعُ عَلَيْهَا ٱلشَّمْسُ . وَلِذٰلِكَ لَا يَنْبُتُ تَحْتَ ٱلنَّخِيلِ وَٱلْأَشْجَارِ ٱلْعِظَامِ ٱلَّتِي لَهَا ظِلَالٌ وَاسِعَةٌ شَيْءٌ مِنَ ٱلزُّرُوعِ لِأَنَّهَا تَمْنَعُ شُعَاعَ ٱلشَّمْسِ عَمَّا تَحْتَهَا . وَحَسْبُكَ مَا تَرَى مِنْ تَأْثِيرِ ٱلشَّمْسِ بِحَسَبِ ٱلْحَرَكَةِ ٱلْيَوْمِيَّةِ فِي ٱلنِّيلُوفَرِ وَٱلْأَذْرِيُونِ وَوَرَقِ ٱلْخَرُّوعِ فَإِنَّهَا تَنْمُو وَتَزْدَادُ عِنْدَ أَخْذِ ٱلشَّمْسِ فِي ٱلِٱرْتِفَاعِ وَٱلصُّعُودِ . فَإِذَا زَالَتِ ٱلشَّمْسُ أَخَذَتْ فِي ٱلذُّبُولِ حَتَّى إِذَا غَابَتِ ٱلشَّمْسُ ضَعُفَتْ وَذَبَلَتْ ثُمَّ عَادَتِ ٱلْيَوْمَ ٱلثَّانِيَ إِلَى حَالِهَا . وَمِنْهَا تَأْثِيرُهَا فِي ٱلْحَيَوَانَاتِ فَإِنَّا نَرَى ٱلْحَيَوَانَ إِذَا طَلَعَ نُورُ ٱلصُّبْحِ خَلَقَ ٱللهُ تَعَالَى فِي أَبْدَانِهَا قُوَّةً فَتَظْهَرُ فِيهَا فَرَاهَةٌ وَٱنْتِعَاشُ قُوَّةٍ . وَكُلَّمَا كَانَ طُلُوعُ نُورِ ٱلشَّمْسِ أَكْثَرَ كَانَ ظُهُورُ قُوَّةِ ٱلْحَيَوَانِ فِي أَبْدَانِهَا أَكْثَرَ إِلَى أَنْ وَصَلَتْ إِلَى وَسَطِ سَمَائِهَا . فَإِذَا مَالَتْ عَنْ وَسَطِ سَمَائِهِمْ أَخَذَتْ حَرَكَاتُهُمْ وَقُوَاهُمْ فِي ٱلضَّعْفِ وَلَا تَزَالُ تَزْدَادُ ضُعْفًا إِلَى زَمَانِ غُيُوبِهَا . فَإِذَا غَابَتِ ٱلشَّمْسُ رَجَعَتِ ٱلْحَيَوَانَاتُ إِلَى أَمَاكِنِهَا وَلَزِمَتْهَا كَٱلْمَوْتَى فَإِذَا طَلَعَتْ عَلَيْهَا ٱلشَّمْسُ فِي ٱلْيَوْمِ ٱلثَّانِي عَادُوا إِلَى ٱلْحَالَةِ ٱلْأُولَى (للقزويني)

فصل في القمر وخسوفه وتأثيراته

٣٤٣ وَأَمَّا ٱلْقَمَرُ فَهُوَ كَوْكَبٌ مَكَانُهُ ٱلطَّبِيعِيُّ ٱلْفَلَكُ ٱلْأَسْفَلُ وَهُوَ جِرْمٌ كَثِيفٌ مُظْلِمٌ قَابِلٌ لِلضِّيَاءِ إِلَّا ٱلْقَلِيلَ مِنْهُ عَلَى مَا يُرَى فِي ظَاهِرِهِ .

فَالنِّصْفُ الَّذِي يُوَاجِهُ الشَّمْسَ مُضِيءٌ أَبَدًا فَإِذَا قَارَنَتِ الشَّمْسُ كَانَ النِّصْفُ الْمُظْلِمُ مُوَاجِهًا لِلْأَرْضِ. فَإِذَا بَعُدَ عَنِ الشَّمْسِ إِلَى الْمَشْرِقِ وَمَالَ النِّصْفُ الْمُظْلِمُ مِنَ الْجَانِبِ الَّذِي يَلِي الْمَغْرِبَ إِلَى الْأَرْضِ فَيَظْهَرُ مِنَ النِّصْفِ الْمُضِيءِ قِطْعَةٌ هِيَ الْهِلَالُ. ثُمَّ يَتَزَايَدُ الِانْحِرَافُ وَيَزْدَادُ بِتَزَايُدِهِ الْقِطْعَةُ مِنَ النِّصْفِ الْمُضِيءِ حَتَّى إِذَا كَانَ فِي مُقَابَلَةِ الشَّمْسِ كَانَ النِّصْفُ الْمُوَاجِهُ لِلشَّمْسِ هُوَ النِّصْفَ الْمُوَاجِهَ لَنَا. فَنَرَاهُ ثُمَّ يَقْرُبُ مِنَ الشَّمْسِ فَيَنْقُصُ الضِّيَاءُ مِنَ الْجَانِبِ الَّذِي بَدَأَ بِهِ عَلَى التَّرْتِيبِ الْأَوَّلِ. حَتَّى إِذَا صَارَ فِي مُقَارَنَةِ الشَّمْسِ يَنْمَحِقُ نُورُهُ وَيَعُودُ إِلَى الْمَوْضِعِ الْأَوَّلِ

وَسَبَبُ خُسُوفِهِ تَوَسُّطُ الْأَرْضِ بَيْنَهُ وَبَيْنَ الشَّمْسِ فَإِذَا كَانَ الْقَمَرُ فِي إِحْدَى نُقْطَتَيِ الرَّأْسِ وَالذَّنَبِ أَوْ قَرِيبًا مِنْهُ عِنْدَ الِاسْتِقْبَالِ تَوَسَّطَ الْأَرْضُ بَيْنَهُ وَبَيْنَ الشَّمْسِ فَيَقَعُ فِي ظِلِّ الْأَرْضِ وَيَبْقَى عَلَى سَوَادِهِ الْأَصْلِيِّ فَيُرَى مُنْخَسِفًا. وَتَأْثِيرَاتُهُ عَجِيبَةٌ. زَعَمُوا أَنَّ تَأْثِيرَاتِهِ كُلَّهَا بِوَاسِطَةِ الرُّطُوبَةِ كَمَا أَنَّ تَأْثِيرَاتِ الشَّمْسِ بِوَاسِطَةِ الْحَرَارَةِ. وَيَدُلُّ عَلَيْهَا اعْتِبَارُ أَهْلِ التَّجَارِبِ. مِنْهَا أَمْرُ الْبِحَارِ فَإِنَّ الْقَمَرَ إِذَا صَارَ فِي أُفُقٍ مِنْ آفَاقِ الْبَحْرِ أَخَذَ مَاؤُهُ فِي الْمَدِّ مُقْبِلًا مَعَ الْقَمَرِ وَلَا يَزَالُ كَذَلِكَ إِلَى أَنْ يَصِيرَ الْقَمَرُ فِي وَسَطِ سَمَاءِ ذَلِكَ الْمَوْضِعِ. فَإِذَا صَارَ هُنَاكَ انْتَهَى الْمَدُّ مُنْتَهَاهُ فَإِذَا انْحَطَّ الْقَمَرُ مِنْ وَسَطِ سَمَائِهِ جَزَرَ الْمَاءُ. وَلَا يَزَالُ كَذَلِكَ رَاجِعًا إِلَى أَنْ يَبْلُغَ الْقَمَرُ مَغْرِبَهُ فَعِنْدَ ذَلِكَ يَنْتَهِي الْجَزْرُ مُنْتَهَاهُ. وَمَنْ كَانَ فِي لُجَّةِ الْبَحْرِ وَقْتَ ابْتِدَاءِ الْمَدِّ

أَحَسَّ لِلْمَاءِ حَرَكَةً مِنْ أَسْفَلِهِ إِلَى أَعْلَاهُ وَيَرَى لَهُ ٱنْتِفَاخًا وَتَهِيجُ فِيهَا رِيَاحُ عَوَاصِفُ وَأَمْوَاجٌ. وَإِذَا كَانَ وَقْتُ ٱلْجَزْرِ يَنْقُصُ جَمِيعُ ذٰلِكَ. وَمَنْ كَانَ فِي ٱلشُّطُوطِ وَٱلسَّوَاحِلِ فَإِنَّهُ يَرَى لِلْمَاءِ زِيَادَةً وَٱنْتِفَاخًا وَجَرْيًا وَعُلُوًّا وَلَا يَزَالُ كَذٰلِكَ إِلَى أَنْ يَجْزِرَ وَيَرْجِعَ ٱلْمَاءُ إِلَى ٱلْبَحْرِ. وَٱبْتِدَاءُ قُوَّةِ ٱلْمَدِّ فِي ٱلْبِحَارِ إِنَّمَا يَكُونُ فِي كُلِّ مَوْضِعٍ عَمِيقٍ وَاسِعٍ كَثِيرِ ٱلْمَاءِ

في المجرّة والكواكب الثوابت

٣٤٤ وَهِيَ ٱلْبَيَاضُ ٱلَّذِي يُرَى فِي ٱلسَّمَاءِ يُقَالُ لَهُ سُرُجُ ٱلسَّمَاءِ إِلَى زَمَانِنَا هٰذَا لَمْ يُسْمَعْ فِي حَقِيقَتِهَا قَوْلٌ شَافٍ. زَعَمُوا أَنَّهَا كَوَاكِبُ صِغَارٌ مُتَقَارِبَةٌ بَعْضُهَا مِنْ بَعْضٍ وَٱلْعَرَبُ تُسَمِّيهَا أُمَّ ٱلنُّجُومِ لِٱجْتِمَاعِ ٱلنُّجُومِ فِيهَا. وَزَعَمُوا أَنَّ ٱلنُّجُومَ تَقَارَبَتْ مِنَ ٱلْمَجَرَّةِ فَطَمَسَ بَعْضُهَا بَعْضًا وَصَارَتْ كَأَنَّهَا سَحَابٌ. وَهِيَ تُرَى فِي ٱلشِّتَاءِ أَوَّلَ ٱللَّيْلِ فِي نَاحِيَةٍ مِنَ ٱلسَّمَاءِ. وَفِي ٱلصَّيْفِ أَوَّلَ ٱللَّيْلِ فِي وَسَطِ ٱلسَّمَاءِ مُمْتَدَّةً مِنَ ٱلشِّمَالِ إِلَى ٱلْجَنُوبِ. وَبِٱلنِّسْبَةِ إِلَيْنَا تَدُورُ دَوْرًا رَحَوِيًّا فَتَرَاهَا نِصْفَ ٱللَّيْلِ مُمْتَدَّةً مِنَ ٱلْمَشْرِقِ إِلَى ٱلْمَغْرِبِ وَفِي آخِرِ ٱللَّيْلِ مِنَ ٱلْجَنُوبِ إِلَى ٱلشِّمَالِ...

وَأَمَّا ٱلْكَوَاكِبُ ٱلثَّوَابِتُ فَإِنَّ عَدَدَهَا مِمَّا يُقَصِّرُ ذِهْنُ ٱلْإِنْسَانِ عَنْ ضَبْطِهَا. لٰكِنَّ ٱلْأَوَّلِينَ قَدْ ضَبَطُوا مِنْهَا أَلْفًا وَٱثْنَيْنِ وَعِشْرِينَ كَوْكَبًا. ثُمَّ وَجَدُوا مِنْ هٰذَا ٱلْمَجْمُوعِ إِلَى تِسْعِمِائَةٍ وَسَبْعَةَ عَشَرَ كَوْكَبًا يَنْتَظِمُ مِنْهَا ثَمَانٍ وَأَرْبَعُونَ صُورَةً. كُلُّ صُورَةٍ مِنْهَا تَشْتَمِلُ عَلَى كَوْكَبِهَا. وَهِيَ ٱلصُّورَةُ ٱلَّتِي أَثْبَتَهَا بَطْلِيمُوسُ فِي كِتَابِ ٱلْمَجِسْطِي بَعْضُهَا فِي ٱلنِّصْفِ

ٱلشَّمَالِيِّ مِنَ ٱلْكُرَةِ وَبَعْضُهَا عَلَى مِنْطَقَةِ فَلَكِ ٱلْبُرُوجِ ٱلَّتِي هِيَ طَرِيقَةُ ٱلسَّيَّارَاتِ. وَبَعْضُهَا فِي ٱلنِّصْفِ ٱلْجَنُوبِيِّ. فَسُمِّيَ كُلُّ صُورَةٍ بِٱسْمِ ٱلشَّيْءِ ٱلْمُشَبَّهِ بِهَا فَوُجِدَ بَعْضُهَا عَلَى صُورَةِ ٱلْإِنْسَانِ كَٱلْجَوْزَاءِ. وَبَعْضُهَا عَلَى صُورَةِ ٱلْحَيَوَانَاتِ ٱلْبَحْرِيَّةِ كَٱلسَّرَطَانِ. وَبَعْضُهَا عَلَى صُورَةِ ٱلْحَيَوَانَاتِ ٱلْبَرِّيَّةِ كَٱلْحَمَلِ. وَبَعْضُهَا عَلَى صُورَةِ ٱلطَّيْرِ كَٱلْعُقَابِ. وَبَعْضُهَا خَارِجًا عَنْ شَبَهِ ٱلْحَيَوَانَاتِ كَٱلْمِيزَانِ وَٱلسَّفِينَةِ. وَوُجِدَ مِنْ هٰذِهِ ٱلصُّوَرِ مَا لَمْ يَكُنْ تَامَّ ٱلْخِلْقَةِ مِثْلَ ٱلْفَرَسِ وَمِنْهَا مَا بَعْضُهُ مِنْ صُورَةِ حَيَوَانٍ وَٱلْبَعْضُ ٱلْآخَرُ مِنْ صُورَةِ حَيَوَانٍ آخَرَ كَٱلرَّامِي... وَإِنَّمَا أَلْفَوْا هٰذِهِ ٱلصُّوَرَ وَسَمَّوْهَا بِهٰذِهِ ٱلْأَسْمَاءِ لِيَكُونَ لِكُلِّ كَوْكَبٍ ٱسْمٌ يُعْرَفُ بِهِ مَتَى أَشَارُوا إِلَيْهِ وَذَكَرُوا مَوْقِعَهُ مِنَ ٱلصُّورَةِ. وَمَوْقِعَهُ مِنْ فَلَكِ ٱلْبُرُوجِ وَبُعْدَهُ مِنَ ٱلشَّمَالِ أَوِ ٱلْجَنُوبِ عَنِ ٱلدَّائِرَةِ ٱلَّتِي تَمُرُّ بِأَوْسَاطِ ٱلْبُرُوجِ لِمَعْرِفَةِ أَوْقَاتِ ٱللَّيْلِ وَٱلطَّالِعِ فِي كُلِّ وَقْتٍ

فصلٌ في ارباع السنة

٣٤٥ مِنْ جُمْلَةِ لُطْفِ ٱللهِ بِعِبَادِهِ أَنْ أَعْطَى لِكُلِّ فَصْلٍ طَبْعًا مُغَايِرًا لِمَا قَبْلَهُ فِي كَيْفِيَّةٍ أُخْرَى لِيَكُونَ وُرُودُ ٱلْفُصُولِ عَلَى ٱلْأَبْدَانِ بِٱلتَّدْرِيجِ. فَلَوِ ٱنْتَقَلَ مِنَ ٱلصَّيْفِ إِلَى ٱلشِّتَاءِ دَفْعَةً لَأَدَّى ذٰلِكَ إِلَى تَغْيِيرٍ عَظِيمٍ فِي ٱلْأَبْدَانِ. فَحَسْبُكَ مَا تَرَى مِنْ تَغْيِيرِ ٱلْهَوَاءِ فِي يَوْمٍ وَاحِدٍ مِنَ ٱلْحَرِّ إِلَى ٱلْبَرْدِ كَيْفَ يَظْهَرُ مُقْتَضَاهُ فِي ٱلْأَبْدَانِ. فَكَيْفَ إِذَا كَانَ مِثْلُ هٰذَا ٱلتَّغْيِيرِ فِي ٱلْفُصُولِ. فَسُبْحَانَهُ مَا أَعْظَمَ شَانَهُ. وَأَكْثَرَ ٱمْتِنَانَهُ

أَمَّا الرَّبِيعُ فَهُوَ وَقْتُ نُزُولِ الشَّمْسِ أَوَّلَ بُرْجِ الْحَمَلِ . فَعِنْدَ ذٰلِكَ اسْتَوَى اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ فِي الْأَقَالِيمِ وَاعْتَدَلَ الزَّمَانُ . وَطَابَ الْهَوَاءُ وَهَبَّ النَّسِيمُ . وَذَابَتِ الثُّلُوجُ وَسَالَتِ الْأَوْدِيَةُ . وَمَدَّتِ الْأَنْهَارُ وَنَبَعَتِ الْعُيُونُ . وَارْتَفَعَتِ الرُّطُوبَاتُ إِلَى أَعْلَى فُرُوعِ الْأَشْجَارِ وَنَبَتَ الْعُشْبُ . وَطَالَ الزَّرْعُ وَتَلَأْلَأَ الزَّهْرُ . وَأَوْرَقَ الشَّجَرُ وَانْفَتَحَ النَّوْرُ . وَاخْضَرَّ وَجْهُ الْأَرْضِ وَطَابَ عَيْشُ أَهْلِ الزَّمَانِ . وَتَكَوَّنَتِ الْحَيَوَانَاتُ وَدَبَّ الدَّبِيبُ . وَنُتِجَتِ الْبَهَائِمُ وَدَرَّتِ الضُّرُوعُ . وَانْتَشَرَ الْحَيَوَانُ فِي الْبِلَادِ عَنْ أَوْطَانِهِ وَصَارَتِ الدُّنْيَا كَأَنَّهَا جَارِيَةٌ شَابَّةٌ تَجَلَّلَتْ وَتَزَيَّنَتْ لِلنَّاظِرِينَ . وَلَا يَزَالُ كَذٰلِكَ دَأْبُهَا وَدَأْبُ أَهْلِهَا إِلَى أَنْ تَبْلُغَ الشَّمْسُ آخِرَ الْجَوْزَاءِ . فَحِينَئِذٍ انْتَهَى الرَّبِيعُ وَأَقْبَلَ الصَّيْفُ

وَأَمَّا الصَّيْفُ فَهُوَ وَقْتُ نُزُولِ الشَّمْسِ أَوَّلَ السَّرَطَانِ . فَعِنْدَ ذٰلِكَ تَنَاهَى طُولُ النَّهَارِ ثُمَّ أَخَذَ اللَّيْلُ فِي الزِّيَادَةِ وَدَخَلَ الصَّيْفُ . وَاشْتَدَّ الْحَرُّ وَسَخُنَ الْهَوَاءُ . وَتَقَوَّى أَكْثَرُ النَّبَاتِ وَالْحَيَوَانِ . وَأَدْرَكَتِ الثِّمَارُ وَجَفَّتِ الْحُبُوبُ وَقَلَّتِ الْأَنْدَاءُ . وَأَضَاءَتِ الدُّنْيَا وَسَمِنَتِ الْبَهَائِمُ . وَاشْتَدَّتْ قُوَّةُ الْأَبْدَانِ وَكَثُرَ الرِّيفُ . وَانْتَشَرَتِ الْحَيَوَانَاتُ عَلَى وَجْهِ الْأَرْضِ لِعُمُومِ الْخَيْرِ وَكَثُرَتِ الدَّبِيبُ . وَطَابَ عَيْشُ أَهْلِ الزَّمَانِ . وَكَثُرَتِ السُّمُومُ . وَنَقَصَتِ الْأَنْهَارُ وَنَضَبَتِ الْمِيَاهُ . وَيَبِسَتِ الْعُشْبُ وَأَدْرَكَ الْحَصَادُ . وَدَرَّتِ الْأَخْلَافُ وَاتَّسَعَ لِلنَّاسِ الْقُوتُ وَلِلطَّيْرِ الْحَبُّ وَلِلْبَهَائِمِ الْعَلَفُ . وَتَكَامَلَ زُخْرُفُ الْأَرْضِ وَصَارَتِ

الدُّنْيَا كَأَنَّهَا عَرُوسٌ مُنَعَّمَةٌ بِأُلْفَةٍ كَامِلَةٍ ذَاتُ جَمَالٍ وَرَوْنَقٍ . فَلَا يَزَالُ الْأَمْرُ كَذَلِكَ أَنْ تَبْلُغَ الشَّمْسُ آخِرَ السُّنْبُلَةِ فَحِينَئِذٍ أَقْبَلَ الْخَرِيفُ وَأَمَّا الْخَرِيفُ فَهُوَ وَقْتُ نُزُولِ الشَّمْسِ الْمِيزَانَ فَعِنْدَ ذَلِكَ اسْتَوَى اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ مَرَّةً أُخْرَى . ثُمَّ ابْتَدَأَ اللَّيْلُ بِالزِّيَادَةِ . وَكَمَا ذَكَرْنَا أَنَّ الرَّبِيعَ زَمَنُ نُشُوءِ الْأَشْجَارِ وَبَدْءِ النَّبَاتِ وَظُهُورِ الْأَزْهَارِ فَالْخَرِيفُ زَمَانُ ذُبُولِ النَّبَاتِ وَتَغْيِيرِ الْأَشْجَارِ وَسُقُوطِ أَوْرَاقِهَا . فَحِينَئِذٍ بَرَدَ الْمَاءُ وَهَبَّتِ الشَّمَالُ . وَتَغَيَّرَ الزَّمَانُ وَنَقَصَتِ الْمِيَاهُ . وَجَفَّتِ الْأَنْهَارُ وَغَارَتِ الْعُيُونُ . وَيَبِسَتْ أَنْوَاعُ النَّبَاتِ وَفَنِيَتِ الثِّمَارُ . وَأَحْرَزَ النَّاسُ الْحَبَّ وَالثَّمَرَ وَعَرِيَ وَجْهُ الْأَرْضِ مِنْ دَبِيبِهَا . وَمَاتَتِ الْهَوَامُّ وَانْجَحَرَتِ الْحَشَرَاتُ . وَانْصَرَفَ الطَّيْرُ وَيَطَّبُ الْوَحْشُ الْبُلْدَانَ الدَّافِئَةَ وَأَحْرَزَ النَّاسُ قُوتَ الشِّتَاءِ وَدَخَلُوا الْبُيُوتَ وَلَبِسُوا الْجُلُودَ الْغَلِيظَةَ مِنَ الثِّيَابِ . وَتَغَيَّرَ الْهَوَاءُ وَصَارَتِ الدُّنْيَا كَأَنَّهَا كَهْلَةٌ قَدْ وَلَّتْ أَيَّامُ شَبَابِهَا إِلَى أَنْ تَبْلُغَ الشَّمْسُ آخِرَ الْقَوْسِ وَقَدِ انْتَهَى الْخَرِيفُ وَأَقْبَلَ الشِّتَاءُ وَأَمَّا الشِّتَاءُ فَهُوَ وَقْتُ نُزُولِ الشَّمْسِ أَوَّلَ الْجَدْيِ فَعِنْدَ ذَلِكَ تَنَاهَى طُولُ اللَّيْلِ وَقِصَرُ النَّهَارِ . ثُمَّ أَخَذَ النَّهَارُ فِي الزِّيَادَةِ وَاشْتَدَّ الْبَرْدُ . وَخَشُنَ الْهَوَاءُ وَتَعَرَّى الْأَشْجَارُ عَنِ الْأَوْرَاقِ . وَفَنِيَتْ بُطُونُهَا وَفَاتَ أَكْثَرُ النَّبَاتِ . وَانْجَحَرَتِ الْحَيَوَانَاتُ فِي أَطْرَافِ الْأَرْضِ وَكُهُوفِ الْجِبَالِ مِنْ شِدَّةِ الْبَرْدِ وَكَثْرَةِ الْأَنْدَاءِ . وَنَشَأَتِ الْغُيُومُ وَأَظْلَمَ الْجَوُّ وَكَلَحَ وَجْهُ الزَّمَانِ . وَهُزِلَتِ الْبَهَائِمُ وَضَعُفَتْ قُوَى الْأَبْدَانِ . وَمَنَعَ

ٱلْبَرْدُ ٱلنَّاسَ عَنِ ٱلتَّصَرُّفِ وَمَرَّ عَيْشُ أَكْثَرِ ٱلْحَيَوَانِ. وَطَالَ ٱللَّيْلُ ٱلَّذِي جَعَلَهُ ٱللهُ سَكَنًا وَلِبَاسًا وَبَرَدَ ٱلْمَاءُ ٱلَّذِي هُوَ مَادَّةُ ٱلْحَيَاةِ. وَٱنْقَطَعَ ٱلذُّبَابُ وَٱلْبَعُوضُ وَعُدِمَ ذَوَاتُ ٱلسُّمُومِ مِنَ ٱلْهَوَامِّ. وَيَطِيبُ فِيهِ ٱلْأَكْلُ وَٱلشُّرْبُ. وَهُوَ زَمَانُ ٱلرَّاحَةِ وَٱلِٱسْتِمْتَاعِ كَمَا أَنَّ ٱلصَّيْفَ زَمَانُ ٱلْكَدِّ وَٱلتَّعَبِ. حَتَّى قِيلَ: مَنْ لَمْ يَغْلُ دِمَاغُهُ صَائِفًا لَمْ تَغْلُ قِدْرُهُ شَاتِيًا. وَصَارَتِ ٱلدُّنْيَا كَأَنَّهَا عَجُوزٌ هَرِمَةٌ دَنَا مِنْهَا ٱلْمَوْتُ. فَلَا يَزَالُ كَذٰلِكَ إِلَى أَنْ تَبْلُغَ ٱلشَّمْسُ آخِرَ ٱلْحُوتِ وَقَدِ ٱنْتَهَى ٱلشِّتَاءُ وَأَقْبَلَ ٱلرَّبِيعُ مَرَّةً أُخْرَى

فصلٌ في تولُّد الانهار

٣٤٦ إِذَا وَقَعَتِ ٱلْأَمْطَارُ وَٱلثُّلُوجُ عَلَى ٱلْجَبَلِ تَنْصَبُّ ٱلْأَمْطَارُ إِلَى ٱلْمَغَارَاتِ وَتَذُوبُ ٱلثُّلُوجُ وَتَفِيضُ إِلَى ٱلْأَهْوِيَةِ ٱلَّتِي فِي ٱلْجِبَالِ. فَتَبْقَى مَخْزُونَةً فِيهَا وَتَمْتَلِئُ ٱلْأَوْشَالُ مِنْهَا فِي ٱلشِّتَاءِ. فَإِذَا كَانَ فِي أَسَافِلِ ٱلْجِبَالِ مَنَافِذُ ضَيِّقَةٌ تَخْرُجُ ٱلْمِيَاهُ مِنَ ٱلْأَوْشَالِ فِي تِلْكَ ٱلْمَنَافِذِ فَيَحْصُلُ مِنْهَا جَدَاوِلُ. وَيَجْتَمِعُ بَعْضُهَا إِلَى بَعْضٍ فَيَحْصُلُ مِنْهَا أَوْدِيَةٌ وَأَنْهَارٌ. فَإِنْ كَانَتِ ٱلْخَزَانَاتُ فِي أَعَالِي ٱلْجِبَالِ يَسْتَمِرُّ جَرَيَانُهَا أَبَدًا لِأَنَّ مِيَاهَهَا تَنْصَبُّ إِلَى سَفْحِ ٱلْجِبَالِ وَلَا تَنْقَطِعُ مَادَّتُهَا لِوُصُولِ مَدَدِهَا مِنَ ٱلْأَمْطَارِ. وَإِنْ كَانَتِ ٱلْخَزَانَاتُ فِي أَسَافِلِ ٱلْجِبَالِ فَتَجْرِي مِنْهَا ٱلْأَنْهَارُ عِنْدَ وُصُولِ مَدَدِهَا وَتَنْقَطِعُ عِنْدَ ٱنْقِطَاعِ ٱلْمَدَدِ. وَتَبْقَى ٱلْمِيَاهُ فِيهَا وَاقِفَةً كَمَا تَرَى فِي ٱلْأَوْدِيَةِ ٱلَّتِي تَجْرِي فِي بَعْضِ ٱلْأَيَّامِ ثُمَّ

تَنْقَطِعُ عِنْدَ ٱنْقِطَاعِ مَادَّتِهَا . وَكُلُّ هٰذِهِ ٱلْأَنْهَارِ تَبْتَدِئُ مِنَ ٱلْجِبَالِ وَتَنْتَهِي إِلَى ٱلْبِحَارِ أَوِ ٱلْبَطَائِحِ . وَفِي مَمَرِّهَا تَسْقِي ٱلْمُدُنَ وَٱلْقُرَى وَمَا فَضَلَ يَنْصَبُّ إِلَى ٱلْبِحَارِ . ثُمَّ يَرِقُّ وَيَلْطُفُ وَيَتَصَاعَدُ فِي ٱلْهَوَاءِ بُخَارًا وَيَتَرَاكَمُ مِنْهُ ٱلْغُيُومُ وَتَسُوقُهُ ٱلرِّيَاحُ إِلَى ٱلْجِبَالِ وَٱلْبَرَارِيِّ . وَيُمْطِرُ هُنَاكَ وَيَجْرِي فِي ٱلْأَوْدِيَةِ وَٱلْأَنْهَارِ وَيَسْقِي ٱلْبِلَادَ وَيَرْجِعُ فَاضِلُهُ إِلَى ٱلْبَحْرِ . وَلَا يَزَالُ هٰذَا دَأْبُهُ وَيَدُورُ كَٱلرَّحَا فِي ٱلصَّيْفِ وَٱلشِّتَاءِ

جسم الارض ودورانها وهيئتها

٣٤٧ ٱلْأَرْضُ جِسْمٌ بَسِيطٌ طِبَاعُهُ أَنْ يَكُونَ بَارِدًا يَابِسًا . وَإِنَّمَا خُلِقَتْ بَارِدَةً يَابِسَةً لِأَجْلِ ٱلْغِلَظِ وَٱلتَّمَاسُكِ إِذْ لَوْلَاهُمَا لَمَا أَمْكَنَ قَرَارُ ٱلْحَيَوَانِ عَلَى ظَهْرِهَا . وَٱلْهَوَاءُ وَٱلْمَاءُ مُحِيطَانِ بِهَا مِنْ جَمِيعِ جِهَاتِهَا إِلَّا ٱلْمِقْدَارَ ٱلْبَارِزَ ٱلَّذِي جَعَلَهُ ٱللهُ تَعَالَى مَقَرًّا لِلْحَيَوَانِ . ثُمَّ إِنَّ ٱلْإِنْسَانَ فِي أَيِّ مَوْضِعٍ وَقَفَ عَلَى سَطْحِ ٱلْأَرْضِ يَكُونُ رَأْسُهُ أَبَدًا مِمَّا يَلِي ٱلسَّمَاءَ . وَرِجْلُهُ مِمَّا يَلِي ٱلْأَرْضَ وَهُوَ يَرَى مِنَ ٱلسَّمَاءِ نِصْفَهَا وَإِذَا ٱنْتَقَلَ إِلَى مَوْضِعٍ آخَرَ ظَهَرَ لَهُ مِنَ ٱلسَّمَاءِ مِقْدَارُ مَا خَفِيَ لَهُ مِنَ ٱلْجَانِبِ ٱلْآخَرِ . ثُمَّ إِنَّ ٱلْبَحْرَ ٱلْمُحِيطَ ٱلْأَعْظَمَ أَحَاطَ بِأَكْثَرِ وَجْهِ ٱلْأَرْضِ وَٱلْمَكْشُوفُ مِنْهَا قَلِيلٌ نَاتِئٌ عَلَى ٱلْمَاءِ . عَلَى مِثَالِ بَيْضَةٍ غَائِصَةٍ فِي ٱلْمَاءِ يَخْرُجُ مِنَ ٱلْمَاءِ مُحَدَّبُهَا . وَلَيْسَتْ هِيَ مُسْتَدِيرَةً مَلْسَاءَ وَلَا مُصْمَتَةً بَلْ كَثِيرَةُ ٱلِٱرْتِفَاعِ وَٱلِٱنْخِفَاضِ مِنَ ٱلْجِبَالِ وَٱلتِّلَالِ وَٱلْأَوْدِيَةِ وَٱلْأَهْوِيَةِ وَٱلْكُهُوفِ وَٱلْمَغَارَاتِ وَلَهَا مَنَافِذُ وَخُلْجَانٌ . وَكُلُّهَا

مُمْتَلِئَةٌ مِيَاهًا وَبُخَارَاتٍ وَرُطُوبَاتٍ دُهْنِيَّةً . وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ مَوْضِعُ شِبْرٍ إِلَّا وَهُنَاكَ مَعْدِنٌ أَوْ نَبَاتٌ أَوْ حَيَوَانٌ بِٱخْتِلَافِ أَجْنَاسِهَا وَأَنْوَاعِهَا وَصُوَرِهَا وَمِزَاجِهَا وَأَلْوَانِهَا لَا يَعْلَمُ تَفْصِيلَهَا غَيْرُ ٱللهِ تَعَالَى وَهُوَ صَانِعُهَا وَمُدَبِّرُهَا . مَا يَسْقُطُ مِنْ وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٌ فِي ظُلُمَاتِ ٱلْأَرْضِ وَلَا يَابِسٌ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ

وَأَمَّا هَيْئَةُ ٱلْأَرْضِ فَقَدِ ٱخْتَلَفَ آرَاءُ ٱلْقُدَمَاءِ فِيهَا قَالَ بَعْضُهُمْ : إِنَّهَا مَبْسُوطَةٌ فِي ٱلتَّسْطِيحِ وَقَالَ بَعْضُهُمْ : هِيَ عَلَى شَكْلِ ٱلتُّرْسِ وَلَوْلَا ذٰلِكَ لَمَا ثَبَتَ عَلَيْهَا بِنَاءٌ وَلَا مَشَى عَلَيْهَا حَيَوَانٌ . وَٱلَّذِي يَعْتَمِدُ عَلَيْهِ جَمَاهِيرُهُمْ أَنَّ ٱلْأَرْضَ مُدَوَّرَةٌ كَٱلْكُرَةِ . وَمِنَ ٱلْقُدَمَاءِ مِنْ أَصْحَابِ فِثَاغُورُسَ مَنْ قَالَ : إِنَّ ٱلْأَرْضَ مُتَحَرِّكَةٌ دَائِمًا عَلَى ٱلِٱسْتِدَارَةِ وَٱلَّذِي يُرَى مِنْ دَوَرَانِ ٱلْكَوَاكِبِ إِنَّمَا هُوَ دَوْرُ ٱلْأَرْضِ لَا دَوْرُ ٱلْكَوَاكِبِ

في السحاب والمطر وما يتعلق بهما

٣٤٨ زَعَمُوا أَنَّ ٱلشَّمْسَ إِذَا أَشْرَقَتْ عَلَى ٱلْمَاءِ حَلَّلَتْ مِنَ ٱلْمَاءِ أَجْزَاءً لَطِيفَةً مَائِيَّةً تُسَمَّى بُخَارًا وَمِنَ ٱلْأَرْضِ أَجْزَاءً لَطِيفَةً أَرْضِيَّةً تُسَمَّى دُخَانًا . فَإِذَا ٱرْتَفَعَ ٱلْبُخَارُ وَٱلدُّخَانُ فِي ٱلْهَوَاءِ وَتَدَافَعَهُمَا ٱلْهَوَاءُ إِلَى ٱلْجِهَاتِ وَتَكُونُ مِنْ قُدَّامِهِمَا جِبَالٌ شَامِخَةٌ مَانِعَةٌ وَمِنْ فَوْقِهَا بَرْدُ ٱلزَّمْهَرِيرِ وَمِنْ أَسْفَلِهَا مَادَّةُ ٱلْبُخَارِ مُتَّصِلَةٌ فَلَا يَزَالُ ٱلْبُخَارُ وَٱلدُّخَانُ يَكْثُرَانِ وَيَغْلُظَانِ فِي ٱلْهَوَاءِ وَتَتَدَاخَلُ أَجْزَاءُ بَعْضِهَا فِي بَعْضٍ حَتَّى يَثْخُنَ فَيَتَكَوَّنَ مِنْهَا سَحَابٌ مُؤَلَّفٌ مُتَرَاكِمٌ . ثُمَّ إِنَّ ٱلسَّحَابَ كُلَّمَا ٱرْتَفَعَ ٱنْضَمَّتْ أَجْزَاءُ ٱلْبُخَارِ

ثُمَّ تَلْتَئِمُ تِلْكَ ٱلْأَجْزَاءُ ٱلْمَائِيَّةُ بَعْضُهَا إِلَى بَعْضٍ فَتَصِيرُ قَطْرًا. فَتَثْقُلُ وَأَخَذَتْ رَاجِعَةً إِلَى أَسْفَلُ. فَإِنْ كَانَ صُعُودُ ذٰلِكَ ٱلْبُخَارِ بِٱللَّيْلِ وَٱلْهَوَاءُ شَدِيدُ ٱلْبَرْدِ مَنَعَهُ مِنَ ٱلصُّعُودِ وَأَجْمَدَهُ أَوَّلًا فَصَارَ سَحَابًا رَقِيقًا. وَإِنْ كَانَ ٱلْبَرْدُ مُفْرِطًا أَجْمَدَ ٱلْبُخَارَ فِي ٱلْغَيْمِ وَكَانَ ذٰلِكَ ثَلْجًا لِأَنَّ ٱلْبَرْدَ يُجْمِدُ ٱلْأَجْزَاءَ ٱلْمَائِيَّةَ وَتَخْتَلِطُ بِٱلْأَجْزَاءِ ٱلْهَوَائِيَّةِ وَيَنْزِلُ بِٱلرِّفْقِ فَلِذٰلِكَ لَا يَكُونُ لَهُ فِي ٱلْأَرْضِ وَقْعٌ شَدِيدٌ كَٱلْمَطَرِ وَٱلْبَرَدِ. وَإِنْ كَانَ ٱلْهَوَاءُ دَافِئًا ٱرْتَفَعَ ٱلْبُخَارُ فِي ٱلْغُيُومِ وَتَرَاكَمَ ٱلسُّحُبُ طَبَقَاتٍ بَعْضُهَا فَوْقَ بَعْضٍ كَمَا تَرَى فِي أَيَّامِ ٱلرَّبِيعِ وَٱلْخَرِيفِ كَأَنَّهَا جِبَالٌ مِنْ قُطْنٍ مَنْدُوفٍ. فَإِذَا عَرَضَ لَهَا بَرْدُ ٱلزَّمْهَرِيرِ مِنْ فَوْقِ غِلَظِ ٱلْبُخَارِ وَصَارَ مَاءً وَٱنْضَمَّتْ أَجْزَاؤُهَا فَصَارَ قَطْرًا. وَعَرَضَ لَهَا ٱلثِّقَلُ فَأَخَذَتْ تَهْوِي مِنْ سَمْكِ ٱلسَّحَابِ وَمِنْ تَرَاكُمِهَا تَلْتَئِمُ تِلْكَ ٱلْقَطَرَاتُ ٱلصِّغَارُ بَعْضُهَا إِلَى بَعْضٍ حَتَّى إِذَا خَرَجَتْ مِنْ أَسْفَلِهَا صَارَتْ قَطْرًا كَثِيرًا. فَإِنْ عَرَضَ لَهَا بَرْدٌ مُفْرِطٌ مِنْ طَرِيقِهَا جَمَدَتْ وَصَارَتْ بَرَدًا قَبْلَ أَنْ تَبْلُغَ ٱلْأَرْضَ. وَإِنْ لَمْ تَبْلُغِ ٱلْأَبْخِرَةُ إِلَى ٱلْهَوَاءِ ٱلْبَارِدِ فَإِنْ كَانَتْ كَثِيرَةً صَارَتْ ضَبَابًا وَإِنْ كَانَتْ قَلِيلَةً وَتَكَاثَفَتْ فَإِنْ لَمْ يُنْجِمِدْ نَزَلَ طَلًّا وَإِنِ ٱنْجَمَدَ نَزَلَ صَقِيعًا

في الرعد والبرق وما يتعلّق بذلك

٣٤٩ زَعَمُوا أَنَّ ٱلشَّمْسَ إِذَا شَرَقَتْ عَلَى ٱلْأَرْضِ حَلَّلَتْ مِنْهَا أَجْزَاءً نَارِيَّةً تُخَالِطُهَا أَجْزَاءٌ أَرْضِيَّةٌ وَيُسَمَّى ذٰلِكَ ٱلْمَجْمُوعُ دُخَانًا. ثُمَّ ٱلدُّخَانُ يُمَازِجُهُ ٱلْبُخَارُ وَيَرْتَفِعَانِ مَعًا إِلَى ٱلطَّبَقَةِ ٱلْبَارِدَةِ مِنَ ٱلْهَوَاءِ. فَيَنْعَقِدُ

ٱلْبُخَارُ سَحَابًا وَيَحْتَبِسُ ٱلدُّخَانُ فِيهِ . فَإِنْ بَقِيَ عَلَى حَرَارَتِهِ قَصَدَ ٱلصُّعُودَ وَإِنْ صَارَ بَارِدًا قَصَدَ ٱلنُّزُولَ . وَأَمَّا مَا كَانَ يُمَزِّقُ ٱلسَّحَابَ تَمْزِيقًا عَنِيفًا فَيَحْدُثُ مِنْهُ ٱلرَّعْدُ وَرُبَّمَا يَشْتَعِلُ نَارًا لِشِدَّةِ ٱلْمُحَاكَّةِ فَيَحْدُثُ مِنْهُ ٱلْبَرْقُ إِنْ كَانَ لَطِيفًا وَٱلصَّاعِقَةُ إِنْ كَانَ غَلِيظًا كَثِيرًا (*) فَتُحْرِقُ كُلَّ شَيْءٍ أَصَابَتْهُ فَرُبَّمَا تُذَوِّبُ ٱلْحَدِيدَ عَلَى ٱلْبَابِ وَلَا تَضُرُّ ٱلْخَشَبَةَ وَرُبَّمَا تُذَوِّبُ ٱلذَّهَبَ فِي ٱلْخِرْقَةِ وَلَا تَضُرُّ ٱلْخِرْقَةَ وَقَدْ تَقَعُ عَلَى ٱلْجَبَلِ فَتَشُقُّهُ وَقَدْ تَقَعُ عَلَى ٱلْمَاءِ فَيَحْرَقُ فِيهِ حَيَوَانُهُ . وَٱعْلَمْ أَنَّ ٱلرَّعْدَ وَٱلْبَرْقَ كِلَاهُمَا يَحْدُثَانِ مَعًا لٰكِنْ تَرَى ٱلْبَرْقَ قَبْلَ أَنْ تَسْمَعَ ٱلرَّعْدَ وَذٰلِكَ لِأَنَّ ٱلرُّؤْيَةَ تَحْصُلُ لِمُحَاذَاةِ ٱلنَّظَرِ وَأَمَّا ٱلسَّمْعُ فَيَتَوَقَّفُ عَلَى وُصُولِ ٱلصَّوْتِ إِلَى ٱلصِّمَاخِ وَذٰلِكَ يَتَوَقَّفُ عَلَى تَمَوُّجِ ٱلْهَوَاءِ . وَذَهَابُ ٱلنَّظَرِ أَسْرَعُ مِنْ وُصُولِ ٱلصَّوْتِ . أَلَا تَرَى أَنَّ ٱلْقَصَّارَ إِذَا ضَرَبَ ٱلثَّوْبَ عَلَى ٱلْحَجَرِ فَإِنَّ ٱلنَّظَرَ يَرَى ضَرْبَ ٱلثَّوْبِ عَلَى ٱلْحَجَرِ . ثُمَّ ٱلسَّمْعَ يَسْمَعُ صَوْتَهُ بَعْدَ ذٰلِكَ بِزَمَانٍ . وَٱلرَّعْدُ وَٱلْبَرْقُ لَا يَكُونَانِ فِي ٱلشِّتَاءِ لِقِلَّةِ ٱلْبُخَارِ ٱلدُّخَانِيِّ . وَلِهٰذَا لَا يُوجَدَانِ فِي ٱلْبِلَادِ ٱلْبَارِدَةِ وَلَا عِنْدَ نُزُولِ ٱلثَّلْجِ لِأَنَّ ٱلْبَرْدَ يُطْفِئُ ٱلْبُخَارَ ٱلدُّخَانِيَّ . وَٱلْبَرْقُ ٱلْكَثِيرُ يَقَعُ عِنْدَهُ مَطَرٌ كَثِيرٌ لِتَكَاثُفِ أَجْزَاءِ ٱلْغَمَامِ . فَإِنَّهَا إِذَا تَكَاثَفَتِ ٱنْحَصَرَ ٱلْمَاءُ فَإِذَا نَزَلَ نَزَلَ بِشِدَّةٍ كَمَا إِذَا ٱحْتَبَسَ ٱلْمَاءُ ثُمَّ ٱنْطَلَقَ فَإِنَّهُ يَجْرِي جَرْيًا شَدِيدًا (كُلُّهُ من عجائب المخلوقات للقزويني)

(*) قد اتضح الآن للطبيعيين المحدثين ان البروق والرعود مسبَّبة عن الكهربائيَّة وقد أتوا على شرح ذلك في كتبهم

أَلْبَابُ ٱلتَّاسِعَ عَشَرَ
فِي ٱلْمُرَاسَلَاتِ

فصل في المراسلات بين الملوك والامراء

كتاب المحقق الطوسي الى صاحب حلب بعد فتح بغداد

٣٥٠ أَمَّا بَعْدُ فَقَدْ نَزَلْنَا بَغْدَادَ سَنَةَ خَمْسٍ وَخَمْسِينَ وَسِتِّمِائَةٍ فَسَاءَ صَبَاحُ ٱلْمُنْذِرِينَ فَدَعَوْنَا مَالِكَهَا إِلَى طَاعَتِنَا. فَإِنْ أَتَيْتَ فَرَوْحٌ وَرَيْحَانٌ وَجَنَّةُ نَعِيمٍ. وَإِنْ أَبَيْتَ فَلَا سُلْطَانَ مِنْكَ عَلَيْكَ. فَلَا تَكُنْ كَٱلْبَاحِثِ عَنْ حَتْفِهِ بِظِلْفِهِ. وَٱلْجَادِعِ مَارِنَ أَنْفِهِ بِكَفِّهِ. وَٱلسَّلَامُ

ذكر مراسلة تيمور سلطان عراق العجم ابا الفوارس شاه شجاع

٣٥١ إِنَّ ٱللهَ تَعَالَى سَلَّطَنِي عَلَيْكُمْ وَعَلَى ظَلَمَةِ ٱلْحُكَّامِ وَٱلْجَائِرِينَ مِنْ مُلُوكِ ٱلْأَنَامِ. وَرَفَعَنِي عَلَى مَنْ نَاوَأَنِي وَنَصَرَنِي عَلَى مَنْ خَالَفَنِي. وَقَدْ رَأَيْتَ وَسَمِعْتَ فَإِنْ أَجَبْتَ وَأَطَعْتَ فَبِهَا وَنِعْمَتْ. وَإِلَّا فَٱعْلَمْ أَنَّ قُدَّامَ قَدَمِي ثَلَاثَةَ أَشْيَاءَ ٱلْخَرَابَ وَٱلْقَحْطَ وَٱلْوَبَاءَ. وَإِثْمُ كُلِّ ذٰلِكَ عَائِدٌ عَلَيْكَ وَمَنْسُوبٌ إِلَيْكَ (اخبار تيمور لابن عربشاه)

كتاب الحسن بن ذكرويه الى بعض عماله

٣٥٢ بِسْمِ ٱللهِ ٱلرَّحْمٰنِ ٱلرَّحِيمِ. مِنْ عِنْدِ ٱلْمَهْدِيِّ ٱلْمَنْصُورِ ٱلنَّاصِرِ لِدِينِ ٱللهِ ٱلْقَائِمِ بِأَمْرِ ٱللهِ ٱلدَّاعِي جَعْفَرِ بْنِ حُمَيْدٍ ٱلْكُرْدِيِّ سَلَامٌ عَلَيْكَ. فَإِنِّي أَحْمَدُ إِلَيْكَ ٱللهَ ٱلَّذِي لَا إِلٰهَ إِلَّا هُوَ. أَمَّا بَعْدُ فَقَدْ أَنْهَى إِلَيْنَا مَا حَدَثَ قِبَلَكَ مِنْ أَخْبَارِ أَعْدَاءِ ٱللهِ ٱلْكَفَرَةِ وَمَا فَعَلُوهُ بِنَاحِيَتِكَ مِنَ

الظُّلْمِ وَالْعَبَثِ وَالْفَسَادِ فِي الْأَرْضِ . فَأَعْظَمْنَا ذٰلِكَ وَرَأَيْنَا أَنْ نُنْفِذَ إِلَى مَا هُنَاكَ مِنْ جُيُوشِنَا مَنْ يَنْتَقِمُ لَنَا اللهُ بِهِ مِنْ أَعْدَائِنَا الظَّالِمِينَ الَّذِينَ يَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا . فَأَنْفَذْنَا جَمَاعَةً مِنَ الْمُؤْمِنِينَ إِلَى مَدِينَةِ حِمْصَ وَنَحْنُ فِي إِثْرِهِمْ وَقَدْ أَوْعَزْنَا إِلَيْهِمْ فِي الْمَصِيرِ إِلَى نَاحِيَتِكَ لِطَلَبِ أَعْدَاءِ اللهِ حَيْثُ كَانُوا . وَنَحْنُ نَرْجُو أَنْ يُجْرِيَنَا اللهُ فِيهِمْ عَلَى أَحْسَنِ عَوَائِدِهِ عِنْدَنَا فِي أَمْثَالِهِمْ . فَيَنْبَغِي أَنْ يَكُونَ قَلْبُكَ وَقُلُوبُ مَنْ تُتَبِعُكَ مِنْ أَوْلِيَائِنَا وَثِيقًا بِاللهِ وَبِنُصْرَةِ الَّذِي لَمْ يَزَلْ يَعُودُنَا فِي كُلِّ مَنْ مَرَقَ مِنَ الطَّاعَةِ وَانْحَرَفَ عَنِ الْإِيمَانِ . وَتُبَادِرَ إِلَيْنَا بِأَخْبَارِ النَّاحِيَةِ وَمَا يَحْدُثُ فِيهَا وَلَا تُخْفِ عَنَّا شَيْئًا مِنْ أَمْرِهَا . سُبْحَانَكَ اللّٰهُمَّ وَالْحَمْدُ للهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ (تاريخ حاب لكمال الدين)

كتاب سلطان مراكش الى سلطان فرنسة لويس الرابع عشر

٣٥٣ صَدَرَ هٰذَا الْمَكْتُوبُ الْعَلِيُّ الْإِمَامِيُّ عَنِ الْأَمْرِ الْعَلَوِيِّ الَّذِي دَانَتْ لِطَاعَتِهِ الْكَرِيمَةِ مَمَالِكُهُ الْإِسْلَامِيَّةُ . وَانْقَادَتْ لِدَعْوَتِهِ الشَّرِيفَةِ الْأَقْطَارُ الْمَغْرِبِيَّةُ . وَخَضَعَتْ لِأَوَامِرِهِ الْعَلِيَّةِ جَبَابِرَةُ الْمُلُوكِ السُّودَانِيَّةِ . وَأَقْطَارُهَا الْقَاصِيَةُ وَالدَّانِيَةُ . إِلَى الْمَلِكِ الَّذِي لَهُ بَيْنَ مُلُوكِ النَّصْرَانِيَّةِ وَالْمِلَلِ الْمَسِيحِيَّةِ الرُّتْبَةُ الْعَالِيَةُ وَالْمَنْزِلَةُ الرَّفِيعَةُ السَّامِيَةُ . سُلْطَانِ فَرَانْصَةَ لُوِيزَ ابْنِ السَّلَاطِينِ الَّذِينَ لَهُمُ الْمَكَانَةُ السَّامِيَةُ الْمَنَارِ

أَمَّا بَعْدَ حَمْدِ اللهِ مَوْلَى الْحَمْدِ وَمُسْتَحِقِّهِ فَكِتَابُنَا هٰذَا إِلَيْكُمْ مِنْ حَاضِرَتِنَا الْعَلِيَّةِ مَدِينَةِ مُرَّاكِشَ وَلَا زَائِدَ إِلَّا مَا سَنَّاهُ لِأَيَالِتِنَا الشَّرِيفَةِ مِنْ عَوَائِدِ

ٱلنَّصرِ وَٱلإِقبالِ. وَصَنائِعِ ٱللهِ ٱلجَمِيلَةِ ٱلمُفعَمَةِ ٱلسِّجالِ. ٱلمُنثالَةِ فِي ٱلبُكرِ وَٱلآصالِ. لِلهِ ٱلمِنَّةُ وَٱلشُّكرُ. هٰذا مُوجِبُهُ إِلَيكُم ٱلتَّعرِيفُ أَنَّهُ لَمَّا وَرَدَ خَدِيمُكُمُ ٱلمَرعِيُّ ٱلمَحفُوظُ ٱلزَّرِيلِيُّ عَلَى مَرسَى ثَغرِ أَسَفَ ٱلمَحرُوسِ بِٱللهِ وَأَسلَمَ كِتابَكُمُ ٱلمَصحُوبَ مَعَهُ لِخُدّامِنا ٱلَّذِينَ بِٱلثَّغرِ بادَرُوا بِوُصُولِهِ إِلَينا فِي ٱلفَورِ. فَوَقَفنا مِنهُ عَلَى جَمِيعِ مَا أَودَعتُم فِيهِ مِن تَقرِيرِ ٱلمَحَبَّةِ وَتَأسِيسِ ٱلهُدنَةِ بَينَ ٱلجانِبَينِ. إِلَى مَا أَشَرتُم إِلَيهِ فِي شَأنِ ٱلأَسارَى ٱلفَرَنصِيِّينَ ٱلَّذِينَ رَغِبتَ مِن مَقامِنا ٱلعَلِيِّ تَسرِيحَهُم. فَأَخَذنا فِي ذٰلِكَ أَتَمَّ ٱلأَخذِ وَأَكمَلَهُ. إِلَى أَن ٱستُوفِيَ ذٰلِكَ عَلَى أَحسَنِ وَجهٍ وَأَجمَلِهِ. وَأَجبنا كُم عَن فُصُولِ كِتابِكُم كُلِّها فَوَجَّهنا بِهِ وَبِٱلنَّصارَى ٱلمَذكُورِينَ صُحبَةَ خَدِيمِنا ٱلوَجِيهِ ٱلأَثِيرِ ٱلنَّبِيلِ ٱلنَّبِيهِ ٱلقائِدِ يَحيَى بنِ مُحَمَّدٍ ٱلجُنائِيِّ. قَصدَ أَن يَلتَقِيَ مَعَ خَدِيمِكُمُ ٱلمَذكُورِ إِن تَأَتَّى لَهُ ٱلٱجتِماعُ مَعَهُ فِي ٱلبَرِّ. وَإِن تَعَذَّرَ عَلَيهِ ذٰلِكَ يَبعَثُ لِخَدِيمِنا مَن يَقُومُ مَقامَهُ مِمَّن هُوَ مِثلُهُ وَيُمَثِّلُهُ فِي أَغرَاضِكُم لِيُسَلِّمَ لَهُ ٱلنَّصارَى ٱلمَذكُورِينَ وَيَتَكَلَّمَ مَعَهُ فِي أَغرَاضِ ٱلجانِبَينِ. ثُمَّ إِنَّ خَدِيمَنا ٱلمَذكُورَ لَمَّا بَلَغَ ثَغرَ أَسَفَ فَقَدَ خَدِيمَكُم مِنَ ٱلمَرسَى فَسَأَلَ عَنهُ فَقِيلَ لَهُ: قَد أَقلَعَ مُنذُ أَربَعَةِ أَيّامٍ. فَٱقتَصَّ بَعضُ ٱلخُدّامِ أَثَرَهُ فِي ٱلبَحرِ فَلَم يَجِد لَهُ أَثَرًا. هٰذا وَقَد كانَ خَدِيمُكُم عَلَى عِلمٍ وَيَقِينٍ أَنَّ خَدِيمَنا ٱلمَذكُورَ قادِمٌ إِلَيهِ وَفِي أَثناءِ ٱلطَّرِيقِ فَقَاقَ قَبلَ وُصُولِهِ. وَٱلخَدِيمُ ٱلَّذِي يَكُونُ بِصَدَدِ أَغرَاضِ ضَيفِهِ لا يَستَفزُّهُ شَيءٌ عَن قَضائِها وَلا يَنبَغِي لَهُ ٱلٱنزِعاجُ قَبلَ ٱستِيفائِها. فَعَرَّفنا كُم بِٱلوَاقِعِ

لِتُوقِنُوا أَنَّنَا لَمْ نُقَصِّرْ فِي أَغْرَاضِكُمُ ٱلْمُتَلَقَّاةِ لَدَيْنَا بِٱلْقَبُولِ وَبِهِ وَجَبَ ٱلْكَتْبُ إِلَيْكُمْ فِي ٢٦ مِنْ رَبِيعٍ ٱلنَّبَوِيِّ سَنَةَ ١٠٤٠ (١٦٣٠ م)

كتاب سلطان مراكش الى لويس السادس عشر سلطان فرنسة

٣٥٤ بِسْمِ ٱللهِ ٱلرَّحْمَانِ ٱلرَّحِيمِ لَاحَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِٱللهِ. عَنْ أَمْرِ ٱلسُّلْطَانِ ٱلْأَعْظَمِ سُلْطَانِ مُرَّاكِشَ وَفَاسٍ وَكَافَّةِ ٱلْأَقَالِيمِ ٱلْمَغْرِبِيَّةِ خَلَّدَ ٱللهُ نَصْرَهُ. وَأَعَزَّ أَمْرَهُ. وَأَدَامَ سُمُوَّهُ وَفَخْرَهُ. وَأَشْرَقَ فِي فَلَكِ ٱلسَّعَادَةِ شَمْسَهُ وَبَدْرَهُ. إِلَى عَظِيمِ جِنْسِ ٱلْإِفْرَنْصِيصِ ٱلْمُتَوَلِّي أَمْرَهُمُ ٱلرِّي لُوِيزَ ٱلسَّادِسَ عَشَرَ مِنِ ٱسْمِهِ. سَلَامٌ عَلَى مَنِ ٱتَّبَعَ ٱلْهُدَى أَمَّا بَعْدُ فَقَدْ وَرَدَ عَلَى حَضْرَتِنَا ٱلْعَلِيَّةِ بِٱللهِ كِتَابُكَ ٱلَّذِي تَأْرِيخُهُ ثَانِي عَشَرَ مِنْ مَايَهِ عَامَ أَرْبَعَةٍ وَسَبْعِينَ وَسَبْعِمِائَةٍ وَأَلْفٍ ٱلْمُتَضَمِّنِ ٱلْإِخْبَارَ بِمَوْتِ جَدِّكَ ٱلرِّي لُوِيزَ ٱلْخَامِسَ عَشَرَ عَلَى يَدِ نَائِبِ قُونْصُولِكُمْ بِرَطْلِمِي دِبُطْنِيرَ. وَبَقِيَ فِي خَاطِرِنَا جَدُّكَ لُوِيزُ كَثِيرًا حَيْثُ كَانَتْ لَهُ مَحَبَّةٌ فِي جَانِبِنَا ٱلْعَلِيِّ وَكَانَ مِمَّنْ يُحْسِنُ ٱلسِّيَاسَةَ فِي قَوْمِهِ. وَلَهُ حَنَانَةٌ فِي رَعِيَّتِهِ وَحِفْظُ عَهْدٍ مَعَ أَصْحَابِهِ. وَفَرِحْنَا حَيْثُ كَانَ بَاقٍ مِنْ ذُرِّيَّتِهِ مَنْ يَخْلُفُهُ فِي ٱلْمَمْلَكَةِ وَٱلْجُلُوسِ عَلَى سَرِيرِ ٱلْمُلْكِ مِنْ بَعْدِهِ. وَمَا زَالَتْ تَسْعَدُ بِكَ رَعِيَّتُكَ أَكْثَرَ مِمَّا كَانَتْ فِي حَيَاةِ جَدِّكَ وَنَحْنُ مَعَكَ عَلَى ٱلْمُهَادَنَةِ وَٱلصُّلْحِ كَمَا كَانَ مَعَ جَدِّكَ. ثُمَّ فَاعْلَمْ أَنَّ سُفُنًا مِنْ سُفُنِ ٱلْفَرَنْصِيصِ حَرَّثُوا بِأَقْصَى أَيَالَتِنَا ٱلْمُبَارَكَةِ فِي ٱلصَّحْرَاءِ وَتَفَرَّقَ جَمِيعُ مَنْ سَلِمَ مِنَ ٱلْغَرَقِ مِنَ ٱلنَّصَارَى فِي أَيْدِي ٱلْعَرَبِ. وَحَيْثُ بَلَغَنَا ذٰلِكَ سَيَّرْنَا بَعْضَ

خُدَّامِنَا للصَّحْرَاءِ لِنُوَجِّهَهُمْ إِلَيْكُمْ بَعْدَ الْإِنْعَامِ عَلَيْهِمْ رَعْيًا لِلْمُهَادَنَةِ وَالصُّلْحِ الَّذِي بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ. وَيَصِلُكَ سِتَّةٌ مِنَ الْخَيْلِ مِنْ عِتَاقِ خَيْلِنَا صِلَةً مِنَّا إِلَيْكُمْ. وَخَدِيمُنَا الْمَذْكُورُ لَا تُبْطِؤُوهُ عِنْدَكُمْ وَوَجِّهُوهُ إِلَيْنَا عَزْمًا بَعْدَ قَضَاءِ الْغَرَضِ الَّذِي وَجَّهْنَاهُ إِلَيْهِ وَنَحْنُ مَعَكُمْ عَلَى الْمُهَادَنَةِ وَالصُّلْحِ. انْتَهَى. صَدَرَ الْأَمْرُ بِكَتْبِهِ مِنْ حَاضِرَةِ مِكْنَاسَةِ الزَّيْتُونِ فِي عَاشِرِ جُمَادَى الثَّانِيَةِ عَامَ ١١٨٨ لِلْهِجْرَةِ (١٧٧٥ للمسيح)

في الاشواق وحسن التواصل

فصل لسعيد بن عبد الملك

٣٥٥ أَنَا صَبٌّ إِلَيْكَ سَامِي الطَّرْفِ نَحْوَكَ وَذِكْرُكَ مُلْصَقٌ بِلِسَانِي. وَاسْمُكَ حُلْوٌ عَلَى لَهَوَاتِي وَشَخْصُكَ مَاثِلٌ بَيْنَ عَيْنَيَّ. وَأَنْتَ أَقْرَبُ النَّاسِ مِنْ قَلْبِي وَآخَذُهُمْ بِمَجَامِعِ هَوَايَ. صَادَقْتُ مِنْكَ جَوْهَرَ نَفْسِي فَأَنَا غَيْرُ مَحْمُودٍ عَلَى الْانْقِيَادِ لَكَ بِغَيْرِ زِمَامٍ لِأَنَّ النَّفْسَ يَقُودُ بَعْضُهَا بَعْضًا وَقَالَ أَبُو الْعَتَاهِيَةِ:

وَلِلْقَلْبِ عَلَى الْقَلْبِ دَلِيلٌ حِينَ يَلْقَاهُ
وَلِلنَّاسِ مِنَ النَّاسِ مَقَايِيسُ وَأَشْبَاهُ

كتاب الحسين بن سهل الى صديق له يدعوه الى مأدبة

٣٥٦ نَحْنُ فِي مَأْدُبَةٍ لَنَا تُشْرِفُ عَلَى رَوْضَةٍ تُضَاحِكُ الشَّمْسَ حُسْنًا قَدْ بَاتَتِ السَّمَاءُ تُعَلِّلُهَا فَهِيَ مُشْرِقَةٌ بِمَائِهَا. حَالِيَةٌ بِنُوَّارِهَا. فَرَأْيُكَ فِينَا لِنَكُونَ عَلَى سَوَاءٍ مِنَ اسْتِمْتَاعِ بَعْضِنَا بِبَعْضٍ

(فكتب إليه): هذه صفة لو كانت في أقاصي الأطراف لوجب انتجاعها وحث المطي في ابتغائها. فكيف في موضع أنت تسكنه وتجمع إلى أنيق منظره حسن وجهك وطيب شمائلك. وأنا الجواب

٣٥٧ كتب إبرهيم بن العباس إلى بعض أصحابه: المودة تجمعنا محبتها. والصناعة تؤلفنا أسبابها. وما بين ذلك من تراخ في لقاء أو تخلف في مكاتبة موضوع بيننا يوجب العذر فيه

كتاب اسحاق بن ابرهيم الموصلي الى احمد بن يوسف

٣٥٨ الشوق إليك وإلى عهد أيامنا التي حسنت كأنها أعياد. وقصرت كأنها ساعات لفوت الصفاء. ومما يجدده ويكثر دواعيه تصاقب الديار وقرب الجوار. تمم الله لنا النعمة المجددة فيك بالنظر إلى الغرة المباركة التي لا وحشة معها ولا أنس بعدها (لابن عبد ربه)

٣٥٩ (كتب بعض الكتاب إلى أخ له): أما بعد فإنه من عانى الظمأ بفرقتك استوجب الري من رؤيتك. وإن رأيت أن تجرد لي ميعادا بزيارتك أتوق به إلى وقت رؤيتك ويؤنسني إلى حين لقائك فعلت. (فأجابه): أخاف أن أعدك وعدا يعترض دون الوفاء به ما لا أقدر على دفعه فتكون الحسرة أعظم من الفرقة

٣٦٠ (وكتب في بابه): يومنا طاب أوله وحسن مستقبله وأتت السماء بقطارها. فحيت الأرض بأنوارها. وبك تطيب الشمول ويشفى الغليل. فإن تأخرت فرقت شملنا. وإن تعجلت إلينا نظمت أمرنا

٣٦١ كَتَبَ بَعْضُهُمْ إِلَى أَمِيرٍ: ضَعْنِي أَكْرَمَكَ اللهُ مِنْ نَفْسِكَ حَيْثُ وَضَعْتُ نَفْسِي مِنْ رَجَائِكَ. أَصَابَ اللهُ بِمَعْرُوفِكَ مَوَاضِعَهُ وَبَسَطَ بِكُلِّ خَيْرٍ يَدَكَ (للقيرواني)

كتاب زبيدة الى المأمون بعد قتله ابنها الامين

٣٦٢ كُلُّ ذَنْبٍ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ وَإِنْ عَظُمَ صَغِيرٌ فِي جَنْبِ عَفْوِكَ. وَكُلُّ زَلَلٍ وَإِنْ جَلَّ حَقِيرٌ عِنْدَ صَفْحِكَ. وَذَلِكَ الَّذِي عَوَّدَكَ اللهُ فَأَطَالَ مُدَّتَكَ وَتَمَّمَ نِعْمَتَكَ. وَأَدَامَ بِكَ الْخَيْرَ وَدَفَعَ بِكَ الشَّرَّ. هٰذِهِ رُقْعَةُ الْوَالِهِ الَّتِي تَرْجُوكَ فِي الْحَيَاةِ لِنَوَائِبِ الدَّهْرِ. وَفِي الْمَمَاتِ لِجَمِيلِ الذِّكْرِ. فَإِنْ رَأَيْتَ أَنْ تَرْحَمَ ضَعْفِي وَاسْتِكَانَتِي وَقِلَّةَ حِيلَتِي وَأَنْ تَصِلَ رَحِمِي وَتَحْتَسِبَ فِيمَا جَعَلَكَ اللهُ لَهُ طَالِبًا وَفِيهِ رَاغِبًا فَافْعَلْ. وَتَذَكَّرْ مَنْ لَوْ كَانَ حَيًّا لَكَانَ شَفِيعِي إِلَيْكَ

(فلمَّا وقف المأمون عليها بكى على أخيه الأمين ورقَّ لها وكتب اليها الجواب:)

٣٦٣ وَصَلَتْ رُقْعَتُكِ يَا أُمَّاهُ (حَاطَكِ اللهُ وَتَوَلَّاكِ بِالرِّعَايَةِ) وَوَقَفْتُ عَلَيْهَا. سَاءَنِي شَهِدَ اللهُ جَمِيعُ مَا أَوْضَحْتِهِ فِيهَا. لٰكِنِ الْأَقْدَارُ نَافِذَةٌ وَالْأَحْكَامُ جَارِيَةٌ وَالْأُمُورُ مُتَصَرِّفَةٌ وَالْمَخْلُوقُونَ فِي قَبْضَتِهَا لَا يَقْدِرُونَ عَلَى دِفَاعِهَا. وَالدُّنْيَا كُلُّهَا إِلَى شَتَاتٍ. وَكُلُّ حَيٍّ إِلَى مَمَاتٍ وَالْغَدْرُ وَالْبَغْيُ حَتْفُ الْإِنْسَانِ وَالْمَكْرُ رَاجِعٌ إِلَى صَاحِبِهِ. وَقَدْ أَمَرْتُ بِرَدِّ جَمِيعِ مَا أُخِذَ لَكِ. وَلَمْ تَفْقِدِي مِمَّنْ مَضَى إِلَى رَحْمَةِ اللهِ إِلَّا وَجْهَهُ وَأَنَا بَعْدَ ذٰلِكِ لَكِ عَلَى أَكْثَرَ مِمَّا تَخْتَارِينَ وَالسَّلَامُ

ثم أمر بردّ ضياعها وجميع ما أُخِذ منها واقطعها ما كان في يدها واعادها الى حالتها الاولى في الكرامة والحشمة (حديقة الأفراح لليمني)

فصول في الهدايا

كتب رجلٌ الى المتوكل وقد اهدى اليهِ قارورةً من دهن الأُتْرُجّ :

٣٦٤ إِنَّ ٱلْهَدِيَّةَ إِذَا كَانَتْ مِنَ ٱلصَّغِيرِ إِلَى ٱلْكَبِيرِ كُلَّمَا لَطُفَتْ وَدَقَّتْ كَانَتْ أَبْهَى وَأَحْسَنَ . وَكُلَّمَا كَانَتْ مِنَ ٱلْكَبِيرِ إِلَى ٱلصَّغِيرِ كُلَّمَا عَظُمَتْ وَجَلَّتْ كَانَتْ أَنْفَعَ وَأَوْقَعَ . وَأَرْجُو أَنْ لَا يَكُونَ قَصَّرَتْ بِي هِمَّةٌ أَصَارَتْنِي إِلَيْكَ وَلَا أُحْرِيَ إِرْشَادٌ دَلَّنِي عَلَيْكَ وَأَقُولُ :

مَا قَصَّرَتْ هِمَّةٌ بَلَغْتُ بِهَا بَابَكَ يَا ذَا ٱلنَّدَاءِ وَٱلْكَرَمِ
حَسْبِي بِوُدِّكَ أَنْ ظَفِرْتُ بِهِ ذُخْرًا وَعِزًّا يَا وَاحِدَ ٱلْأُمَمِ

٣٦٥ كتب احمد بن ابي طاهر مع هديةٍ :

مِنْ سُنَّةِ ٱلْأَمْلَاكِ فِيمَا مَضَى مِنْ سَالِفِ ٱلدَّهْرِ وَإِقْبَالِهِ
هَدِيَّةُ ٱلْعَبْدِ إِلَى رَبِّهِ فِي جِدَّةِ ٱلدَّهْرِ وَإِجْلَالِهِ
فَقُلْتُ مَا أُهْدِي إِلَى سَيِّدِي حَالِي وَمَا خُوِّلْتُ مِنْ حَالِهِ
إِنْ أُهْدِ نَفْسِي فَهْيَ مِنْ نَفْسِهِ أَوْ أُهْدِ مَالِي فَهْوَ مِنْ مَالِهِ
فَلَيْسَ إِلَّا ٱلْحَمْدُ وَٱلشُّكْرُ وَٱلْمَدْحُ ٱلَّذِي يَبْقَى لِأَمْثَالِهِ

أهدت جاريةٌ من جواري المأمون تفاحةً لهُ وكتبت اليهِ :

٣٦٦ إِنِّي يَا أَمِيرَ ٱلْمُؤْمِنِينَ لَمَّا رَأَيْتُ تَنَافُسَ ٱلرَّعِيَّةِ فِي ٱلْهَدَايَا إِلَيْكَ وَتَوَاتُرَ أَلْطَافِهِمْ عَلَيْكَ فَكَّرْتُ فِي هَدِيَّةٍ تَخِفُّ مُؤْنَتُهَا وَتَهُونُ كُلْفَتُهَا وَيَعْظُمُ خَطَرُهَا وَيَجِلُّ مَوْقِعُهَا . فَلَمْ أَجِدْ مَا يَجْتَمِعُ فِيهِ هٰذَا ٱلنَّعْتُ

وَيَكْمُلُ فِيهِ هٰذَا الْوَصْفُ إِلَّا التُّفَّاحَ فَأَهْدَيْتُ إِلَيْكَ مِنْهَا وَاحِدَةً فِي الْعَدَدِ كَثِيرَةً فِي التَّقَرُّبِ . وَأَحْبَبْتُ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْ أُعْرِبَ لَكَ عَنْ فَضْلِهَا وَأَكْشِفَ لَكَ عَنْ مَحَاسِنِهَا وَأَشْرَحَ لَكَ لَطِيفَ مَعَانِيهَا . وَمَا قَالَتِ الْأَطِبَّاءُ فِيهَا وَتَفَنَّنَ الشُّعَرَاءُ فِي أَوْصَافِهَا حَتَّى تَرْمُقَهَا بِعَيْنِ الْجَلَالَةِ وَتَلْحَظَهَا بِمُقْلَةِ الصِّيَانَةِ . فَقَدْ قَالَ أَبُوكَ الرَّشِيدُ : أَحْسَنُ الْفَاكِهَةِ التُّفَّاحُ اجْتَمَعَ فِيهِ بَيَاضُ الْفِضَّةِ وَلَوْنُ التِّبْرِ . يَلَذُّ بِهَا مِنَ الْحَوَاسِّ الْعَيْنُ بِبَهْجَتِهَا وَالْأَنْفُ بِرِيحِهَا وَالْفَمُ بِطَعْمِهَا

فصول في التهنئة

كتب بعض الشعراء الى بعض أهل السلطان في المهرجان :

٣٦٧ هٰذِهِ أَيَّامٌ جَرَتْ فِيهَا الْعَادَةُ بِإِلْطَافِ الْعَبِيدِ لِلسَّادَةِ . وَإِنْ كَانَتِ الصِّنَاعَةُ تَقْصُرُ عَمَّا تَبْلُغُهُ الْهِمَّةُ فَكَرِهْتُ أَنْ أُهْدِيَ فَلَا أَبْلُغَ مِقْدَارَ الْوَاجِبِ . فَجَعَلْتُ هَدِيَّتِي هٰذِهِ الْأَبْيَاتَ وَهِيَ :

وَلَمَّا أَنْ رَأَيْتُ ذَوِي التَّصَابِي تَبَارَوْا فِي هَدَايَا الْمِهْرَجَانِ
جَعَلْتُ هَدِيَّتِي وِدًّا مُقِيمًا عَلَى مَرِّ الْحَوَادِثِ وَالزَّمَانِ
وَعَبْدًا حِينَ تُكْرِمُهُ ذَلِيلًا وَلٰكِنْ لَا يَعِزُّ عَلَى الْهَوَانِ
يَزِيدُكَ حِينَ تُعْطِيهِ خُضُوعًا وَيَرْضَى مِنْ نَوَالِكَ بِالْأَمَانِي

كتاب السلطان العزيز الى ابن مقشر الطبيب النصراني يهنئهُ ببرئهِ من مرضهِ

٣٦٨ بِسْمِ اللهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيمِ إِلَى طَبِيبٍ سَلَّمَهُ اللهُ سَلَامُ اللهِ الطَّيِّبُ وَأَتَمُّ النِّعْمَةِ عَلَيْهِ . وَصَلَتْ إِلَيْنَا الْبِشَارَةُ بِمَا وَهَبَهُ اللهُ مِنْ عَافِيَةِ الطَّبِيبِ

وَبُرْئِهِ . وَاللهِ الْعَظِيمِ لَقَدْ عَدَلَ عِنْدَنَا مَا رُزِقْنَاهُ نَحْنُ مِنَ الصِّحَّةِ فِي جِسْمِنَا أَقَالَكَ اللهُ الْعَثْرَةَ . وَأَعَادَكَ إِلَى أَفْضَلِ مَا عَوَّدَكَ مِنْ صِحَّةِ الْجِسْمِ وَطِيبَةِ النَّفْسِ وَخَفْضِ الْعَيْشِ بِحَوْلِهِ وَقُوَّتِهِ (لابي الفرج)

في التوصية

كتاب ابي بكرٍ الى يزيد ابن ابي سفيان

٣٦٩ إِذَا سِرْتَ فَلَا تُعَنِّفْ عَلَى أَصْحَابِكَ فِي السَّيْرِ وَلَا تُغْضِبْ قَوْمَكَ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ . وَاسْتَعْمِلِ الْعَدْلَ وَبَاعِدْ عَنْكَ الظُّلْمَ وَالْجَوْرَ . فَإِنَّهُ مَا أَفْلَحَ قَوْمٌ ظَلَمُوا وَلَا نُصِرُوا عَلَى عَدُوِّهِمْ . وَإِذَا لَقِيتُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا زَحْفًا فَلَا تُوَلُّوهُمُ الْأَدْبَارَ . وَمَنْ يُوَلِّهِمْ يَوْمَئِذٍ دُبُرَهُ إِلَّا مُنْحَرِفًا لِقِتَالٍ أَوْ مُتَحَيِّزًا إِلَى فِئَةٍ فَقَدْ بَاءَ بِغَضَبٍ مِنَ اللهِ . وَإِذَا نُصِرْتُمْ عَلَى عَدُوِّكُمْ فَلَا تَقْتُلُوا وَلِيدًا وَلَا شَيْخًا وَلَا امْرَأَةً وَلَا طِفْلًا . وَلَا تَقْرَبُوا نَخْلًا وَلَا تُحْرِقُوا زَرْعًا . وَلَا تَقْطَعُوا شَجَرًا مُثْمِرًا . وَلَا تَعْقِرُوا بَهِيمَةً إِلَّا بَهِيمَةَ الْمَأْكُلِ . وَلَا تَغْدِرُوا إِذَا عَاهَدْتُمْ وَلَا تَنْقُضُوا إِذَا صَالَحْتُمْ . وَسَتَمُرُّونَ عَلَى أَقْوَامٍ فِي الصَّوَامِعِ رُهْبَانٍ تَرَهَّبُوا لِلهِ فَدَعُوهُمْ وَمَا انْفَرَدُوا إِلَيْهِ وَارْتَضَوْهُ لِأَنْفُسِهِمْ فَلَا تَهْدِمُوا صَوَامِعَهُمْ وَلَا تَقْتُلُوهُمْ وَالسَّلَامُ (تاريخ الشام للواقدي)

كتاب عُمر بن الخطاب لابنهِ عبد الله

٣٧٠ أَمَّا بَعْدُ فَإِنَّهُ مَنِ اتَّقَى اللهَ وَقَاهُ . وَمَنْ تَوَكَّلَ عَلَيْهِ كَفَاهُ وَمَنْ شَكَرَ لَهُ زَادَهُ . وَمَنْ أَقْرَضَهُ جَزَاهُ . فَاجْعَلِ التَّقْوَى عِمَادَ قَلْبِكَ وَجِلَاءَ

بَصرِكَ . فَإِنَّهُ لَا عَمَلَ لِمَنْ لَا نِيَّةَ لَهُ . وَلَا أَجْرَ لِمَنْ لَا حِسْبَةَ لَهُ . وَلَا جَدِيدَ لِمَنْ لَا خَلَقَ لَهُ (للقيرواني)

كتاب عُمر بن الخطّاب الى عتبة بن غزوان عامله على البصرة

٣٧١ أَمَّا بَعْدُ فَقَدْ أَصْبَحْتَ أَمِيرًا تَقُولُ فَيُسْمَعُ لَكَ وَتَأْمُرُ فَيُنَفَّذُ أَمْرُكَ . فَيَالَهَا نِعْمَةً إِنْ لَمْ تَرْفَعْكَ فَوْقَ قَدْرِكَ وَتُطْغِيَكَ عَلَى مَنْ دُونَكَ فَاحْتَرِسْ مِنَ النِّعْمَةِ أَشَدَّ مِنِ احْتِرَاسِكَ مِنَ الْمُصِيبَةِ . وَإِيَّاكَ أَنْ تَسْقُطَ سَقْطَةً لَاشَوَى لَهَا وَتَعْثُرَ عَثْرَةً لَا لَعَالَهَا (أَيْ لَا إِقَالَةَ) . وَالسَّلَامُ

كتاب عُمر الى سعد بن ابي وقّاص ومن معهُ من الاجناد

٣٧٢ أَمَّا بَعْدُ فَإِنِّي آمُرُكَ وَمَنْ مَعَكَ مِنَ الْأَجْنَادِ بِتَقْوَى اللهِ عَلَى كُلِّ حَالٍ . فَإِنَّ تَقْوَى اللهِ أَفْضَلُ الْعُدَّةِ عَلَى الْعَدُوِّ وَأَقْوَى الْمَكِيدَةِ فِي الْحَرْبِ . وَآمُرُكَ وَمَنْ مَعَكَ أَنْ تَكُونُوا أَشَدَّ احْتِرَاسًا مِنَ الْمَعَاصِي مِنْكُمْ مِنْ عَدُوِّكُمْ . فَإِنَّ ذُنُوبَ الْجَيْشِ أَخْوَفُ عَلَيْهِمْ مِنْ عَدُوِّهِمْ . وَلَوْلَا ذٰلِكَ لَمْ تَكُنْ لَنَا بِهِمْ قُوَّةٌ لِأَنَّ عَدَدَنَا لَيْسَ كَعَدَدِهِمْ وَلَا عُدَّتُنَا كَعُدَّتِهِمْ . فَإِنِ اسْتَوَيْنَا فِي الْمَعْصِيَةِ كَانَ لَهُمُ الْفَضْلُ عَلَيْنَا فِي الْقُوَّةِ . وَإِلَّا نُنْصَرْ عَلَيْهِمْ بِفَضْلِنَا لَمْ نَغْلِبْهُمْ بِقُوَّتِنَا . فَاعْلَمُوا أَنَّ عَلَيْكُمْ فِي سَيْرِكُمْ حَفَظَةً مِنَ اللهِ يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ فَاسْتَحْيُوا مِنْهُمْ . وَاسْأَلُوا اللهَ الْعَوْنَ عَلَى أَنْفُسِكُمْ كَمَا تَسْأَلُونَهُ النَّصْرَ عَلَى عَدُوِّكُمْ . أَسْأَلُ اللهَ ذٰلِكَ لَنَا وَلَكُمْ . وَتَرَفَّقْ بِالْمُسْلِمِينَ فِي مَسِيرِهِمْ وَلَا تُخَشِّمْهُمْ مَسِيرًا يُتْعِبُهُمْ . وَلَا تُقَصِّرْ بِهِمْ عَنْ مَنْزِلٍ يَرْفُقُ بِهِمْ حَتَّى يَبْلُغُوا عَدُوَّهُمْ . وَالسَّفَرُ لَمْ يَنْقُصْ

قوتهم فإنهم سائرون إلى عدو مقيم حامي الأنفس والكراع . وأقم بمن معك في كل جمعة يوماً وليلة . حتى تكون لهم راحة يحيون فيها أنفسهم ويرمون أسلحتهم وأمتعتهم . وتخ منازلهم عن قرى أهل الصلح والذمة فلا يدخلها من أصحابك إلا من تثق بدينه . وليكن عندك من العرب أو من أهل الأرض من تطمئن إلى نصحه وصدقه . فإن الكذوب لا ينفعك خبره وإن صدقك في بعضه . وليكن منك عند دنوك من أرض العدو أن تكثر الطلائع وتبث السرايا بينك وبينهم . ثم أذك أحراسك على عسكرك وتيقظ من البيات جهدك . والله ولي أمرك ومن معك وولي النصر لكم على عدوكم . والله المستعان

فصول في الذم

فصل لاحمد بن يوسف

٣٧٣ أما بعد فإني لا أعرف للمعروف طريقاً أوعر من طريقه إليك . فالمعروف لديك ضائع والشكر عندك مهجور . وإنما غايتك في المعروف أن تحقره . وفي وليه أن تكفره

كتاب ابي العتاهية الى الفضل بن معن بن زائدة

٣٧٤ أما بعد فإني توسلت إليك في طلب نائلك بأسباب الأمل وذرائع الحمد فراراً من الفقر ورجاء للغنى وازددت بهما بعداً مما فيه تقربت وقرباً مما فيه تبعدت . وقد قسمت اللائمة بيني وبينك لأني أخطأت في سؤالك وأخطأت في منعي . أمرت باليأس من

أَهْلِ ٱلْبُخْلِ فَسَأَلْتُهُمْ . وَنُهِيتَ عَنْ مَنْعِ أَهْلِ ٱلرَّغْبَةِ فَمَنَعْتَهُمْ

فصل لابرهيم بن المهدي

٣٧٥ إِنَّ مَوَدَّةَ ٱلْأَشْرَارِ مُتَّصِلَةٌ بِٱلذِّلَّةِ وَٱلصَّغَارِ تَمِيلُ مَعَهُمَا وَتُصْرَفُ فِي آثَارِهِمَا . وَقَدْ كُنْتُ أُجِلُّ مَوَدَّتَكَ بِٱلْمَحَلِّ ٱلنَّفِيسِ وَأُنْزِلُهَا بِٱلْمَنْزِلِ ٱلرَّفِيعِ حَتَّى رَأَيْتُ ذِلَّتَكَ عِنْدَ ٱلضَّعَةِ وَضَرْعَتَكَ عِنْدَ ٱلْحَاجَةِ وَتَغَيُّرَكَ عِنْدَ ٱلِٱسْتِغْنَاءِ وَٱطِّرَاحَكَ لِإِخْوَانِ ٱلصَّفَاءِ . فَكَانَ ذٰلِكَ أَقْوَى أَسْبَابِ عُذْرِي فِي قَطِيعَتِكَ عِنْدَ مَنْ يَتَصَفَّحُ أَمْرِي وَأَمْرَكَ بِعَيْنِ عَدْلٍ لَا تَمِيلُ إِلَى هَوًى وَلَا تَرَى ٱلْقَبِيحَ حَسَنًا

فصل في العتاب لعبد الله بن معاوية ذي الجناحين

٣٧٦ أَمَّا بَعْدُ فَقَدْ عَاقَنِي ٱلشَّكُّ فِي أَمْرِكَ عَنْ عَزِيمَةِ ٱلرَّأْيِ فِيكَ . ٱبْتَدَأْتَنِي بِلُطْفٍ عَنْ غَيْرِ خِبْرَةٍ وَأَعْقَبْتَهُ جَفَاءً مِنْ غَيْرِ ذَنْبٍ . فَأَطْمَعَنِي أَوَّلُكَ فِي إِخَائِكَ وَآيَسَنِي آخِرُكَ مِنْ وَفَائِكَ . فَسُبْحَانَ مَنْ لَوْ شَاءَ لَكَشَفَ مِنْ أَمْرِكَ عَنْ عَزِيمَةِ ٱلرَّأْيِ فِيكَ . فَأَقِمْنَا عَلَى ٱئْتِلَافٍ . وَٱفْتَرَقْنَا عَلَى ٱخْتِلَافٍ

ولهُ ايضًا في هذا الباب

٣٧٧ لَوْ كَانَتِ ٱلشُّكُوكُ تُحْتَجُّنِي فِي صِحَّةِ مَوَدَّتِكَ وَكَرِيمِ إِخَائِكَ وَدَوَامِ عَهْدِكَ لَطَالَ عَتْبِي عَلَيْكَ فِي تَوَاتُرِ كُتُبِي وَٱحْتِبَاسِ جَوَابَاتِهَا عَنِّي . وَلٰكِنِ ٱلثِّقَةُ بِمَا تَقَدَّمَ عِنْدِي تَعْذِرُكَ وَتُحَسِّنُ مَا يُقَبِّحُهُ جَفَاؤُكَ . وَٱللهُ يُدِيمُ نِعْمَتَهُ لَكَ وَلَنَا بِكَ

فصل لابن المدبر

٣٧٨ وَصَلَ كِتَابُكَ ٱلْمُفْتَتَحُ بِٱلْعِتَابِ ٱلْجَمِيلِ وَٱلتَّقْرِيعِ ٱللَّطِيفِ فَلَوْلَا مَا غَابَ عَلَيَّ مِنَ ٱلسُّرُورِ بِسَلَامَتِكَ لَتَقَطَّعْتُ غَمًّا بِعِتَابِكَ ٱلَّذِي لَطُفَ حَتَّى كَادَ يَخْفَى عَنْ أَهْلِ ٱلرِّقَّةِ وَٱلْفِطْنَةِ . وَغَلُظَ حَتَّى كَادَ يَفْهَمُهُ أَهْلُ ٱلْجَهْلِ وَٱلْبَلَهِ . فَلَا أَعْدَمَنِي ٱللهُ رِضَاكَ مُجَازِيًا بِهِ عَلَى مَا ٱسْتَحَقَّهُ عَتْبُكَ . فَأَنْتَ ظَالِمٌ فِيهِ وَعِتَابُكَ لِيَ ٱلْمَخْرَجُ مِنْهُ (لابن عبد ربّه)

كتب صاحب البريد بخراسان الى الرشيد ويحيى جالس بين يديه :

٣٧٩ إِنَّ ٱلْفَضْلَ بْنَ يَحْيَى مُتَشَاغِلٌ بِٱلصَّيْدِ وَإِدْمَانِ ٱللَّذَّاتِ عَنِ ٱلنَّظَرِ فِي أُمُورِ ٱلرَّعِيَّةِ

فلما قرأهُ الرشيد رمى به الى يحيى وقال لهُ : يا ابني إقرأ هذا الكتاب واكتب اليهِ بما يردعهُ عن هذا . فكتب يحيى على ظهر كتاب صاحب البريد :

حَفِظَكَ ٱللهُ يَا بُنَيَّ وَأَمْتَعَ بِكَ . قَدِ ٱنْتَهَى إِلَى أَمِيرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ مِمَّا أَنْتَ عَلَيْهِ مِنَ ٱلتَّشَاغُلِ بِٱلصَّيْدِ وَمُدَاوَمَةِ ٱللَّذَّاتِ عَنِ ٱلنَّظَرِ فِي أُمُورِ ٱلرَّعِيَّةِ مَا أَنْكَرَهُ فَعَاوِدْ مَا هُوَ أَزْيَنُ بِكَ . فَإِنَّهُ مَنْ عَادَ إِلَى مَا يَزِينُهُ أَوْ يَشِينُهُ لَمْ يَعْرِفْهُ أَهْلُ دَهْرِهِ إِلَّا بِهِ وَٱلسَّلَامُ (لابن خلّكان)

كتاب طاهر بن الحسين حين أخذ بغداد الى ابرهيم بن المهديّ

٣٨٠ أَمَّا بَعْدُ فَإِنَّهُ عَزِيزٌ عَلَيَّ أَنْ أَكْتُبَ إِلَى أَحَدٍ مِنْ بَيْتِ ٱلْخِلَافَةِ بِغَيْرِ كَلَامِ ٱلْإِمْرَةِ وَسَلَامِهَا . غَيْرَ أَنَّهُ بَلَغَنِي عَنْكَ أَنَّكَ مَائِلٌ ٱلْهَوَى وَٱلرَّأْيِ لِلنَّاكِثِ ٱلْمَخْلُوعِ . فَإِنْ كَانَ كُلُّمَا بَلَغَنِي فَقَلِيلٌ مَا كَتَبْتُ بِهِ لَكَ . وَإِنْ يَكُنْ غَيْرَ ذٰلِكَ فَٱلسَّلَامُ عَلَيْكَ أَيُّهَا ٱلْأَمِيرُ وَرَحْمَةُ ٱللهِ

وبَرَكاتُهُ . وقَدْ كَتَبْتُ فِي أَسْفَلِ كِتابِي أَبْياتًا فَتَدَبَّرْها :

رُكُوبُكَ ٱلْهَوْلَ مَا لَمْ تَلْقَ فُرْصَتَهُ جَهْلٌ رَمَى بِكَ بِٱلْإِقْحامِ تَغْرِيرُ
أَهْوِنْ بِدُنْيا يُصِيبُ ٱلْمُخْطِئُونَ بِها حَظَّ ٱلْمُصِيبِينَ وَٱلْمَغْرُورُ مَغْرُورُ
فَٱزْرَعْ صَوَابًا وَخُذْ بِٱلْحَزْمِ حِيطَتَهُ فَلَنْ يُذَمَّ لِأَهْلِ ٱلْحَزْمِ تَدْبِيرُ
فَإِنْ ظَفِرْتَ مُصِيبًا أَوْ هَلَكْتَ بِهِ فَأَنْتَ عِنْدَ ذَوِي ٱلْأَلْبابِ مَعْذُورُ
وَإِنْ ظَفِرْتَ عَلَى جَهْلٍ فَفُزْتَ بِهِ قَالُوا جَهُولٌ أَعَانَتْهُ ٱلْمَقادِيرُ

فصول في المدح والشكر

فصل لمحمد بن الجهم

٣٨١ إِنَّكَ لَزِمْتَ مِنَ ٱلْوَفاءِ طَرِيقَةً مَحْمُودَةً وَعَرَفْتَ مَناقِبَها وَشُهِرْتَ بِمَحاسِنِها . فَتَنافَسَ ٱلْإِخْوانُ فِيكَ يَبْتَدِرُونَ وُدَّكَ وَيَتَمَسَّكُونَ بِحَبْلِكَ . فَمَنْ أَثْبَتَ لَهُ عِنْدَكَ وُدًّا وَضَعَ حُلَّتَهُ مَوْضِعَ حِرْزِها

كتب ابن مكرم الى احمد بن المدبر :

٣٨٢ إِنَّ جَمِيعَ أَكْفائِكَ وَنُظَرائِكَ يَتَنازَعُونَ ٱلْفَضْلَ فَإِذَا ٱنْتَهَوْا إِلَيْكَ أَقَرُّوا لَكَ . وَيَتَنافَسُونَ ٱلْمَنازِلَ فَإِذَا بَلَغُوكَ وَقَفُوا دُونَكَ . فَزادَكَ ٱللهُ وَزادَنا بِكَ وَفِيكَ . وَجَعَلَنا مِمَّنْ يَقْبَلُ رَأْيَكَ . وَيُقَدِّمُهُ ٱخْتِيارُكَ . وَيَقَعُ مِنَ ٱلْأُمُورِ بِمَوْقِعِ مُوافَقَتِكَ . وَيَجْرِي فِيها عَلَى سَبِيلِ طَاعَتِكَ . (وَلَهُ) . إِنَّ مِمَّا يُطْمِعُنِي فِي بَقاءِ ٱلنِّعْمَةِ عِنْدَكَ وَيَزِيدُنِي بَصِيرَةً فِي ٱلْعِلْمِ بِدَوامِها لَدَيْكَ أَنَّكَ أَخَذْتَها بِحَقِّها وَٱسْتَوْجَبْتَها بِما فِيكَ مِنْ أَسْبابِها . وَمِنْ شَأْنِ ٱلْأَجْناسِ أَنْ تَتَأَلَّفَ . وَشَأْنِ ٱلْأَشْكالِ

أَنْ تَتَقَاوَمَ . وَكُلُّ شَيْءٍ يَتَقَلْقَلُ إِلَى مَعْدِنِهِ وَيَحِنُّ إِلَى عُنْصُرِهِ . فَإِذَا صَادَفَ مَنْبِتَهُ وَنَزَلَ فِي مَغْرِسِهِ ضَرَبَ بِعِرْقِهِ وَسَبَقَ بِفَرْعِهِ . وَتَمَكَّنَ تَمَكُّنَ الْإِقَامَةِ وَتَفَتَّكَ تَفَتُّكَ الطَّبِيعَةِ

فصل لابن مكرم

٣٨٣ أَلسَّيْفُ الْعَتِيقُ إِذَا أَصَابَهُ الصَّدَأُ اسْتَغْنَى بِالْقَلِيلِ مِنَ الْجَلَاءِ حَتَّى تَعُودَ جِدَّتُهُ وَيَظْهَرَ فِرِنْدُهُ لِلِينِ طَبِيعَتِهِ وَكَرَمِ جَوْهَرِهِ . وَلَمْ أَصِفْ نَفْسِي لَكَ عُجْبًا بَلْ شُكْرًا . (وَلَهُ) زَادَ مَعْرُوفَكَ عِنْدِي عِظَمًا أَنَّهُ عِنْدَكَ مَسْتُورٌ حَقِيرٌ . وَعِنْدَ النَّاسِ مَشْهُورٌ كَبِيرٌ . (أَخَذَهُ الشَّاعِرُ) فَقَالَ :

زَادَ مَعْرُوفَكَ عِنْدِي عِظَمًا أَنَّهُ عِنْدَكَ مَسْتُورٌ حَقِيرْ
تَتَنَاسَاهُ كَأَنْ لَمْ تَأْتِهِ وَهُوَ عِنْدَ النَّاسِ مَشْهُورٌ كَبِيرْ

فصل للعتابي

٣٨٤ أَنْتَ أَيُّهَا الْأَمِيرُ وَارِثُ سَلَفِكَ وَبَقِيَّةُ أَعْلَامِ أَهْلِ بَيْتِكَ الْمَسْدُودِ بِهِ ثَلْمُهُمُ الْمُجَدَّدِ بِهِ قَدِيمُ شَرَفِهِمْ وَالْمُحْيَا بِهِ أَيَّامُ سَعْيِهِمْ . وَإِنَّهُ لَمْ يَخْمُلْ مَنْ كُنْتَ وَارِثَهُ . وَلَا دَرَسَتْ آثَارُ مَنْ كُنْتَ سَالِكَ سَبِيلِهِ . وَلَا انْمَحَتْ أَعْلَامُ مَنْ خَلَفْتَهُ فِي رُتْبَتِهِ

فصول في التعازي

فصل لعمرو بن بحر الجاحظ

٣٨٥ أَمَّا بَعْدُ فَإِنَّ الْمَاضِيَ قَبْلَكَ الْبَاقِي لَكَ وَالْبَاقِيَ بَعْدَكَ الْمَأْجُورُ فِيكَ . وَإِنَّمَا يُوَفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ (وَلَهُ) : أَمَّا بَعْدُ فَإِنَّ

فِي ٱللهِ ٱلْعَزَاءَ مِنْ كُلِّ هَالِكٍ وَٱلْخَلَفَ مِنْ كُلِّ مُصَابٍ . وَإِنَّهُ مَنْ لَمْ يَتَعَزَّ بِعَزَاءِ ٱللهِ تَنْقَطِعْ نَفْسُهُ عَنِ ٱلدُّنْيَا حَسْرَةً . (وَلَهُ) أَمَّا بَعْدُ فَإِنَّ ٱلصَّبْرَ يُعْقِبُهُ ٱلْأَجْرُ وَٱلْجَزَعَ يُعْقِبُهُ ٱلْهَلَعُ . فَتَمَسَّكْ بِحَظِّكَ مِنَ ٱلصَّبْرِ تَنَلْ بِهِ ٱلَّذِي تَطْلُبُ وَتُدْرِكْ بِهِ ٱلَّذِي تَأْمُلُ (لابن عبد ربّه)

كتب ابن السمّاك الى هارون الرشيد يعزّيه بولدٍ :

٣٨٦ أَمَّا بَعْدُ فَإِنِ ٱسْتَطَعْتَ أَنْ يَكُونَ لِلهِ شُكْرُكَ حَيْثُ وَهَبَهُ لَكَ فَٱفْعَلْ . فَإِنَّهُ حَيْثُ قَبَضَهُ مِنْكَ أَحْرَزَ لَكَ هِبَتَهُ . وَلَوْ بَقِيَ لَمْ تَسْلَمْ مِنْ فِتْنَتِهِ . أَرَأَيْتَ جَزَعَكَ عَلَى ذَهَابِهِ وَتَلَهُّفَكَ عَلَى فِرَاقِهِ . أَرَضِيتَ ٱلدَّارَ لِنَفْسِكَ فَتَرْضَاهَا لِٱبْنِكَ . أَمَّا هُوَ فَقَدْ خَلَصَ مِنَ ٱلْكَدَرِ وَبَقِيتَ أَنْتَ مُتَعَلِّقًا بِٱلْخَطَرِ وَٱلسَّلَامُ (الكنز المدفون للسيوطي)

عزّى شبيب بن شبّة المنصور على اخيهِ ابي العباس فقال :

٣٨٧ جَعَلَ ٱللهُ ثَوَابَ مَا رُزِئْتَ بِهِ لَكَ أَجْرًا . وَأَعْقَبَكَ عَلَيْهِ صَبْرًا . وَخَتَمَ ذٰلِكَ لَكَ بِعَافِيَةٍ تَامَّةٍ وَنِعْمَةٍ عَامَّةٍ . فَثَوَابُ ٱللهِ خَيْرٌ لَكَ مِنْهُ وَمَا عِنْدَ ٱللهِ خَيْرٌ لَهُ مِنْكَ . وَأَحَقُّ مَا صُبِرَ عَلَيْهِ مَا لَيْسَ إِلَى تَغْيِيرِهِ سَبِيلٌ

رسائل الى عليل

٣٨٨ . لَيْسَتْ حَالِي أَكْرَمَكَ ٱللهُ فِي ٱلِٱغْتِمَامِ بِعِلَّتِكَ حَالَ ٱلْمُشَارِكِ فِيهَا بِأَنْ يَنَالَنِي نَصِيبٌ مِنْهَا وَأَسْلَمَ مِنْ أَكْثَرِهَا . بَلِ ٱجْتَمَعَ عَلَيَّ مِنْهَا أَنِّي مَخْصُوصٌ بِهَا دُونَكَ مُؤَلَّمٌ مِنْهَا بِمَا يُؤْلِمُكَ . فَأَنَا عَلِيلٌ مَصْرُوفُ ٱلْعِنَايَةِ إِلَى عَلِيلٍ كَأَنِّي سَلِيمٌ . فَأَنَا أَسْأَلُ ٱللهَ ٱلَّذِي جَعَلَ عَافِيَتِي فِي عَافِيَتِكَ

أَنْ يَخُصَّنِي بِمَا فِيكَ فَإِنَّهَا شَامِلَةٌ لِي وَلَكَ . (وَفِي هٰذَا ٱلْبَابِ) : إِنَّ ٱلَّذِي يَعْلَمُ حَاجَتِي إِلَى بَقَائِكَ قَادِرٌ عَلَى ٱلْمُدَافَعَةِ عَنْ حَوْبَائِكَ . فَلَوْ قُلْتَ إِنَّ ٱلْحَقَّ قَدْ سَقَطَ عَنِّي فِي عِيَادَتِكَ لِأَنِّي عَلِيلٌ بِعِلَّتِكَ لَقَامَ بِذٰلِكَ شَاهِدُ عَدْلٍ فِي ضَمِيرِكَ وَأَثَرٌ بَارِدٌ فِي حَالِي لِغَيْبَتِكَ . وَأَصْدَقُ ٱلْخَبَرِ مَا حَقَّقَهُ ٱلْأَثَرُ وَأَفْضَلُ ٱلْقَوْلِ مَا كَانَ عَلَيْهِ دَلِيلٌ

فصول في وصاة

كتب الحسن بن وهب الى مالك بن طوق يوصي بابن ابي الشيص :

٣٨٩ كِتَابِي إِلَيْكَ خَطَطْتُهُ بِيَمِينِي وَفَرَّغْتُ لَهُ ذِهْنِي . فَمَا ظَنُّكَ بِحَاجَةٍ هٰذَا مَوْقِعُهَا مِنِّي . أَتُرَانِي أُقَبِّلُ ٱلْعُذْرَ فِيهَا وَأُقَصِّرُ فِي ٱلشُّكْرِ عَلَيْهَا . وَٱبْنُ أَبِي ٱلشِّيصِ قَدْ عَرَفْتَهُ وَنَسَبَهُ وَصِفَاتِهِ . وَلَوْ كَانَتْ أَيْدِينَا تَنْبَسِطُ بِبِرِّهِ مَا عَدَانَا إِلَى غَيْرِنَا فَٱكْتَفِ بِهٰذَا مِنَّا (وَلَهُ) : كِتَابِي إِلَيْكَ كِتَابُ مَعْنِيٍّ بِمَنْ كَتَبَ لَهُ وَاثِقٌ بِمَنْ كُتِبَ إِلَيْهِ . وَلَنْ يَضِيعَ بَيْنَ ٱلثِّقَةِ وَٱلْعِنَايَةِ حَامِلُهُ

فصل للحسن بن سهل

٣٩٠ فُلَانٌ قَدِ ٱسْتَغْنَى بِٱصْطِنَاعِكَ إِيَّاهُ عَنْ تَحْرِيكِي إِيَّاكَ فِي أَمْرِهِ . فَإِنَّ ٱلصَّنِيعَةَ حُرْمَةٌ لِلْمَصْنُوعِ إِلَيْهِ وَوَسِيلَةٌ إِلَى مُصْطَنِعِهِ . فَبَسَطَ ٱللهُ يَدَكَ بِٱلْخَيْرَاتِ وَجَعَلَكَ مِنْ أَهْلِهَا وَوَصَلَ بِكَ أَسْبَابَهَا . (وَلَهُ) : مُوصِلُ كِتَابِي إِلَيْكَ أَنَا فَكُنْ لَهُ أَنَا . وَتَأَمَّلْهُ بِعَيْنِ مُشَاهَدَتِي وَخَلَّتِي . فَلِسَانُهُ أَشْكَرُ مَا أَتَيْتَ إِلَيْهِ وَأَذَمُّ مَا قَصَّرْتَ فِيهِ (لابن عبد ربه)

أَلْبَابُ ٱلْعِشْرُونَ
فِي تَأْرِيخِ ٱلْعَرَبِ

نظر في امّة العرب وطباعهم وسكناهم

٣٩١ إِعْلَمْ أَنَّ ٱلْعَرَبَ مِنْهُمُ ٱلْأُمَّةُ ٱلرَّاحِلَةُ ٱلنَّاجِعَةُ . أَلْخِيَامُ لِسُكْنَاهُمْ وَٱلْخَيْلُ لِرُكُوبِهِمْ وَٱلْأَنْعَامُ لِكَسْبِهِمْ . يَقُومُونَ عَلَيْهَا وَيَقْتَاتُونَ مِنْ أَلْبَانِهَا . وَيَتَّخِذُونَ ٱلدِّفْءَ وَٱلْأَثَاثَ مِنْ أَوْبَارِهَا وَأَشْعَارِهَا . وَيَحْمِلُونَ أَثْقَالَهُمْ عَلَى ظُهُورِهَا . يَتَنَازَلُونَ حِلَالًا مُفْتَرِقَةً وَيَبْتَغُونَ ٱلرِّزْقَ فِي غَالِبِ أَحْوَالِهِمْ مِنَ ٱلْقَنْصِ وَتَخَطُّفِ ٱلنَّاسِ مِنَ ٱلسُّبُلِ . وَيَتَقَلَّبُونَ دَائِمًا فِي ٱلْمَجَالَاتِ فِرَارًا مِنْ حَمَارَّةِ ٱلْقَيْظِ تَارَةً وَصَبَارَّةِ ٱلْبَرْدِ أُخْرَى . وَٱنْتِجَاعًا لِمَرَاعِي غَنَمِهِمْ . وَٱرْتِيَادًا لِمَصَالِحِ إِبِلِهِمُ ٱلْكَفِيلَةِ بِمَعَاشِهِمْ وَحَمْلِ أَثْقَالِهِمْ وَدِفْئِهِمْ وَمَنَافِعِهِمْ فَٱخْتَصُّوا لِذٰلِكَ بِسُكْنَى ٱلْإِقْلِيمِ ٱلثَّالِثِ . فَعَمَّرُوا ٱلْيَمَنَ وَٱلْحِجَازَ وَنَجْدًا وَتِهَامَةَ وَمَا وَرَاءَ ذٰلِكَ لِٱخْتِصَاصِ هٰذِهِ ٱلْبِلَادِ بِٱلرِّمَالِ وَٱلْقِفَارِ ٱلْمُحِيطَةِ بِٱلْأَرْيَافِ ٱلْآهِلَةِ بِمَنْ سِوَاهُمْ مِنَ ٱلْأُمَمِ فِي فَصْلِ ٱلرَّبِيعِ . وَزُخْرُفِ ٱلْأَرْضِ لِرَعْيِ ٱلْكَلَإِ وَٱلْعُشْبِ فِي مَنَابِتِهَا وَٱلتَّنَقُّلِ فِي نَوَاحِيهَا إِلَى فَصْلِ ٱلصَّيْفِ لِمُدَّةِ ٱلْأَقْوَاتِ فِي سَنَتِهِمْ مِنْ حُبُوبِهَا . وَرُبَّمَا يَلْحَقُ أَهْلَ ٱلْعُمْرَانِ أَثْنَاءَ ذٰلِكَ مَعَرَّاتٌ مِنْ أَضْرَارِهِمْ بِإِفْسَادِ ٱلسَّابِلَةِ وَرَعْيِ ٱلزَّرْعِ مُخْضَرًّا وَٱنْتِهَابِهِ قَائِمًا وَحَصِيدًا . إِلَّا مَا حَاطَتْهُ ٱلدَّوْلَةُ وَذَادَتْ عَنْهُ ٱلْحَامِيَةُ فِي ٱلْمَمَالِكِ ٱلَّتِي لِلسُّلْطَانِ عَلَيْهِمْ

فيها . ثُمَّ يَتَحَدَّرُونَ فِي فَصْلِ الْخَرِيفِ إِلَى الْقِفَارِ لِرَعْيِ شَجَرِهَا وَنِتَاجِ إِبِلِهِمْ فِي رِمَالِهَا وَمَا أَحَاطَ بِهِ عَمَلُهُمْ مِنْ مَصَالِحِهَا . وَفِرَارًا بِأَنْفُسِهِمْ وَظَعَائِنِهِمْ مِنْ أَذَى الْبَرْدِ إِلَى دِفْءِ مَشَاتِيهَا . فَلَا يَزَالُونَ فِي كُلِّ عَامٍ مُتَرَدِّدِينَ بَيْنَ الرِّيفِ وَالصَّحْرَاءِ مَا بَيْنَ الْإِقْلِيمِ الثَّالِثِ وَالرَّابِعِ صَاعِدِينَ وَمُنْحَدِرِينَ عَلَى مَمَرِّ الْأَيَّامِ . شِعَارُهُمْ لُبْسُ الْمِخْيَطِ فِي الْغَالِبِ وَلُبْسُ الْعَمَائِمِ تِيجَانًا عَلَى رُؤُسِهِمْ . لُقِّنُوا مِنْ أُمَمِ الْبَرْبَرِ فِي حَمْلِ السِّلَاحِ اعْتِقَالَ الرِّمَاحِ الْخَطِّيَّةِ وَهَجَرُوا تَنَكُّبَ الْقِسِيِّ (تاريخ ابن خلدون)

ذكر نسب العرب وتقاسيمهم

٣٩٢ قَالَ الْمُطَرِّزِيُّ : اخْتُلِفَ فِي نِسْبَتِهِمْ وَقِيلَ إِنَّ اسْمَهُمْ اشْتُقَّ مِنَ الْإِبَانَةِ لِقَوْلِهِمْ أَعْرَبَ الرَّجُلُ عَمَّا فِي ضَمِيرِهِ إِذَا أَبَانَ عَنْهُ . وَالْأَصَحُّ أَنَّهُمْ نُسِبُوا إِلَى عَرَبَةَ فَهِيَ مِنْ تِهَامَةَ وَدُعِيَ جِيلُهُمْ جِيلَ الْجَاهِلِيَّةِ لِمَا كَانَ عَلَيْهِ الْعَرَبُ مِنَ الْجَهْلِ بِاللهِ وَشَرَائِعِ الدِّينِ وَالْكِبْرِ وَالتَّجَبُّرِ . وَقَدْ قَسَّمَ الْمُؤَرِّخُونَ الْعَرَبَ إِلَى ثَلَاثَةِ أَقْسَامٍ عَارِبَةٍ وَمُتَعَرِّبَةٍ وَمُسْتَعْرِبَةٍ . أَمَّا الْعَارِبَةُ فَهُمُ الْعَرَبُ الْأُوَلُ الَّذِينَ ذَهَبَتْ عَنَّا تَفَاصِيلُ أَخْبَارِهِمْ لِتَقَادُمِ عَهْدِهِمْ . وَأَمَّا الْعَرَبُ الْمُتَعَرِّبَةُ فَهُمْ عَرَبُ الْيَمَنِ مِنْ وُلْدِ قَحْطَانَ . وَأَمَّا الْعَرَبُ الْمُسْتَعْرِبَةُ فَهُمْ وُلْدُ إِسْمَاعِيلَ . (نهاية الارب للنويري)

اخبار العرب العاربة او البائدة وهم القسم الاول

٣٩٣ هُمْ شُعُوبٌ كَثِيرَةٌ فَهُمْ عَادٌ وَثَمُودُ وَطَسْمٌ وَجَدِيسُ وَجُرْهُمُ الْأُولَى . وَقَدْ تَسَمَّى هٰذَا الْجِيلُ الْعَرَبَ الْبَائِدَةَ بِمَعْنَى الْهَالِكَةِ لِأَنَّهُمْ

يَبْقَ عَلَى وَجْهِ الْأَرْضِ أَحَدٌ مِنْ نَسْلِهِمْ . وَقَدْ سُمِّيَ أَهْلُ هٰذَا الْجِيلِ الْعَارِبَةَ إِمَّا بِمَعْنَى الرَّسَاخَةِ بِالْعُرُوبِيَّةِ كَمَا يُقَالُ لَيْلٌ أَلْيَلُ وَصَوْمٌ صَائِمٌ أَوْ بِمَعْنَى الْفَاعِلَةِ لِلْعُرُوبِيَّةِ وَالْمُبْتَدِعَةِ لَهَا بِمَا كَانَتْ أَوَّلَ أَجْيَالِهَا

وَأَمَّا بَنُو عَادٍ فَكَانَتْ مَوَاطِنُهُمُ الْأُولَى بِأَحْقَافِ الرَّمْلِ بَيْنَ الْيَمَنِ وَعُمَانَ إِلَى حَضْرَمُوتَ وَالشَّحْرِ وَكَانَ أَبُوهُمْ عَادٌ أَوَّلَ مَلِكٍ مِنَ الْعَرَبِ . وَذَكَرَ الْمَسْعُودِيُّ : أَنَّ الَّذِي مَلَكَ مِنْهُمْ مِنْ بَعْدِ عَادٍ شَدَّادٌ . وَهُوَ الَّذِي سَارَ فِي الْمَمَالِكِ وَاسْتَوْلَى عَلَى كَثِيرٍ مِنْ بِلَادِ الشَّامِ وَالْهِنْدِ وَالْعِرَاقِ . وَلَمَّا اتَّصَلَ مُلْكُ عَادٍ وَعَظُمَ طُغْيَانُهُمْ وَعُتُوُّهُمُ انْتَحَلُوا عِبَادَةَ الْأَصْنَامِ وَالْأَوْثَانِ أَبَادَهُمُ اللهُ وَهَلَكُوا عَنْ أَقْصَاهُمْ

وَأَمَّا ثَمُودُ فَكَانَتْ دِيَارُهُمْ بِالْحِجْرِ وَوَادِي الْقُرَى فِيمَا بَيْنَ الْحِجَازِ وَالشَّامِ وَكَانُوا يَنْحِتُونَ بُيُوتَهُمْ فِي الْجِبَالِ وَكَانُوا أَهْلَ كُفْرٍ وَبَغْيٍ . فَأَنْذَرَهُمْ بَعْضُ الْأَنْبِيَاءِ فَلَمْ يُصْغُوا إِلَى دُعَائِهِ . فَهَلَكَ جَمِيعُهُمْ حَيْثُ كَانُوا مِنَ الْأَرْضِ وَدَرَجُوا فِي الْغَابِرِينَ

وَأَمَّا جَدِيسُ وَطَسْمُ فَكَانَتْ دِيَارُهُمُ الْيَمَامَةَ وَهِيَ إِذْ ذَاكَ مِنْ أَخْصَبِ الْبِلَادِ وَأَعْمَرِهَا وَأَكْثَرِهَا ثِمَارًا وَحَدَائِقَ وَقُصُورًا . وَكَانَ مَلِكُ طَسْمٍ غَشُومًا مُضَارًّا لِجَدِيسَ مُسْتَذِلًّا لَهُمْ حَتَّى قَامَ الْأَسْوَدُ وَقَتَلَهُ غِيلَةً

وَأَمَّا جُرْهُمُ الْأُولَى فَكَانَتْ دِيَارُهُمْ بِالْيَمَنِ وَكَانُوا يَتَكَلَّمُونَ بِالْعِبْرَانِيَّةِ فَكَانُوا عَلَى عَهْدِ عَادٍ وَلِتَقَادُمِ انْقِرَاضِهِمْ ذَهَبَتْ عَنَّا حَقَائِقُ أَخْبَارِهِمْ وَانْقَطَعَتْ عَنَّا أَسْبَابُ الْعِلْمِ بِآثَارِهِمْ . وَأَمَّا جُرْهُمُ الثَّانِيَةُ

فَلَيْسُوا مِنَ ٱلْبَائِدَةِ بَلْ هُمْ مِنْ وُلْدِ قَحْطَانَ وَبِهِمِ ٱتَّصَلَ إِسْمَاعِيلُ بْنُ إِبْرَهِيمَ

العرب المتعربة بنو قحطان وهم القسم الثاني

٣٩٤ وَسُمِّيَ هٰذَا ٱلْجِيلُ ٱلْعَرَبَ ٱلْمُتَعَرِّبَةَ لِنُزُولِهِمْ بِٱلْبَادِيَةِ مَعَ ٱلْعَرَبِ ٱلْعَارِبَةِ وَتَخَلُّقِهِمْ بِأَخْلَاقِهِمْ. وَهُمْ بَنُو قَحْطَانَ بْنِ عَابِرِ بْنِ شَالَخَ بْنِ أَرْفَخْشَدَ بْنِ سَامٍ. وَقَحْطَانُ هٰذَا مُعَرَّبُ يَقْطَانَ وَكَانَ أَوَّلَ مَنْ مَلَكَ أَرْضَ ٱلْيَمَنِ وَلَبِسَ ٱلتَّاجَ (٢٠٣٠ قبل المسيح) وَكَانَ بَنُو قَحْطَانَ مُعَاصِرِينَ لِإِخْوَانِهِمْ مِنَ ٱلْعَرَبِ ٱلْعَارِبَةِ وَمُظَاهِرِينَ لَهُمْ عَلَى أُمُورِهِمْ. وَلَمْ يَزَالُوا مُجْتَمِعِينَ فِي مَجَالَاتِ ٱلْبَادِيَةِ مُبْعَدِينَ عَنْ رُتْبَةِ ٱلْمُلْكِ وَتَرَفُّهِهِ ٱلَّذِي كَانَ لِأُولَئِكَ فَأَصْبَحُوا بِمَنْجَاةٍ مِنَ ٱلْهَرَمِ ٱلَّذِي يَسُوقُ إِلَيْهِ ٱلتَّرَفُ وَٱلنَّضَارَةُ. فَتَشَعَّبَتْ فِي أَرْضِ ٱلْفَضَاءِ فَصَائِلُهُمْ وَتَعَدَّدَ فِي جَوِّ ٱلْقَفْرِ أَفْخَاذُهُمْ وَعَشَائِرُهُمْ. وَنَمَى عَدَدُهُمْ وَكَثُرَتْ إِخْوَانُهُمْ مِنَ ٱلْعَمَالِقَةِ فِي آخِرِ جِيلِهِمْ. وَزَاحَمُوهُمْ بِمَنَاكِبِهِمْ وَٱسْتَجَدُّوا خُلُقَ ٱلدَّوْلَةِ بِمَا ٱسْتَأْنَفُوهُ مِنْ عِزِّهِمْ. وَكَانَتِ ٱلدَّوْلَةُ لِبَنِي قَحْطَانَ مُتَّصِلَةً فِيهِمْ (لابن خلدون)

ملك يعرب ويشجب وسبا بني قحطان

٣٩٥ وَكَانَ يَعْرُبُ بْنُ قَحْطَانَ مِنْ أَعَاظِمِ مُلُوكِ ٱلْعَرَبِ وَيُسَمَّى يَمَنًا وَبِهِ سُمِّيَتِ ٱلْيَمَنُ وَهُوَ أَوَّلُ مَنْ حَيَّاهُ وُلْدُهُ بِٱلتَّحِيَّةِ: أَبَيْتَ ٱللَّعْنَ وَأَنْعِمْ صَبَاحًا. وَقِيلَ إِنَّهُ أَوَّلُ مَنْ نَطَقَ بِٱلْعَرَبِيَّةِ. قَالَ حَسَّانُ بْنُ ثَابِتٍ ٱلْأَنْصَارِيُّ:

تَعَلَّمْتُمْ مِنْ مَنْطِقِ ٱلشَّيْخِ يَعْرُبٍ ... أَبِينَا فَصِرْتُمْ مُعْرِبِينَ ذَوِي نَفْرِ

وَكُنْتُمْ قَدِيمًا مَا لَكُمْ غَيْرَ عُجْمَةٍ ... كَلَامٌ وَكُنْتُمْ كَٱلْبَهَائِمِ فِي ٱلْقَفْرِ

وَمَلَكَ بَعْدَ يَعْرِبَ ابْنُهُ يَشْجُبُ . وَكَانَ وَاهِيَ الْعَزِيمَةِ وَاسْتَبَدَّ أَعْمَامُهُ بِمَا فِي أَيْدِيهِمْ مِنَ الْمَمَالِكِ . وَمَلَكَ مِنْ بَعْدِهِ ابْنُهُ عَبْدُ الشَّمْسِ وَأَكْثَرَ الْغَزْوَ فِي أَقْطَارِ الْبِلَادِ فَسُمِّيَ سَبَا . وَكَانَتْ قَاعِدَةُ مُلْكِهِ مَدِينَةَ صَنْعَاءَ وَمِنْ مُدُنِهِ مَأْرِبُ عَلَى ثَلَاثِ مَرَاحِلَ مِنْهَا (للنويري وابن الاثير)

سدّ مأرب وتفرّع بني سبا

٣٩٦ فَبَنَى سَبَأٌ فِي مَأْرِبَ سُدًّا مَا بَيْنَ جَبَلَيْنِ بِالصَّخْرِ وَالْقَارِ فَحَقَنَ بِهِ مَاءَ الْعُيُونِ وَالْأَمْطَارِ وَسَاقَ إِلَيْهِ سَبْعِينَ وَادِيًا وَتَرَكَ فِيهِ خُرُوقًا عَلَى قَدْرِ مَا يَحْتَاجُونَ إِلَيْهِ فِي سَقْيِهِمْ . وَهُوَ الَّذِي يُسَمَّى الْعَرِمَ وَمَاتَ قَبْلَ إِتْمَامِهِ فَأَتَمَّهُ مُلُوكُ حِمْيَرَ مِنْ بَعْدِهِ فَأَقَامُوا فِي جَنَّاتِهِ عَنِ الْيَمِينِ وَالشِّمَالِ . وَدَوْلَتُهُمْ يَوْمَئِذٍ أَوْفَرُ مِمَّا كَانَتْ وَأَتْرَفُ وَأَبْذَخُ وَأَعْلَى يَدًا وَأَظْهَرُ . فَلَمَّا طَغَوْا وَأَعْرَضُوا أَجْحَفَهُمُ السَّيْلُ وَأَغْرَقَ جَنَّاتِهِمْ وَخَرِبَتْ أَرْضُهُمْ وَتَمَزَّقَ مُلْكُهُمْ وَصَارُوا أَحَادِيثَ . وَكَانَ هَؤُلَاءِ التَّبَابِعَةُ مُلُوكًا عِدَّةً فِي عُصُورٍ مُتَعَاقِبَةٍ وَأَحْقَابٍ مُتَطَاوِلَةٍ لَمْ يَضْبِطْهُمُ الْحَصْرُ وَلَا تَقَيَّدَتْ مِنْهُمُ الشَّوَارِدُ . وَرُبَّمَا كَانُوا يَتَجَاوَزُونَ مُلْكَ الْيَمَنِ إِلَى مَا بَعُدَ عَنْهُمْ مِنَ الْعِرَاقِ وَالْهِنْدِ وَالْمَغْرِبِ . فَاخْتَلَفَتْ أَحْوَالُهُمْ وَوَقَعَ اللَّبْسُ فِي نَقْلِ أَيَّامِهِمْ . فَلْنَأْتِ بِمَا صَحَّ مِنْهَا مُتَحَرِّيًا جُهْدَ الِاسْتِطَاعَةِ عَنْ طُمُوسٍ مِنَ الْفِكْرِ وَاقْتِفَاءِ التَّقَايِيدِ الْمَرْجُوعِ إِلَيْهَا وَالْأُصُولِ الْمُعْتَمَدِ عَلَى نَقْلِهَا وَعَدَمِ الْوُقُوفِ عَلَى أَخْبَارِهِمْ مُدَوَّنَةً فِي كِتَابٍ وَاحِدٍ . وَكَانَ لِسَبَإٍ مِنَ الْوَلَدِ كَثِيرٌ وَأَشْهَرُهُمْ حِمْيَرُ وَعَمْرٌو وَكَهْلَانُ فَيُعْزَى التَّبَابِعَةُ إِلَى حِمْيَرَ وَالْمَنَاذِرَةُ إِلَى عَمْرٍو وَيَنْتَمِي

ٱلْغَسَاسِنَةُ إِلَى كَهْلَانَ . وَسَنُورِدُ بِٱلتَّلْخِيصِ أَخْبَارَهُمْ (لابن خلدون)

١ ملك التبابعة بني حمير في اليمن
(ذكر حمير وشداد وتبع الاول)

٣٩٧ قَالَ ٱلْمَسْعُودِيُّ : قِيلَ لِمُلُوكِ ٱلْيَمَنِ تَبَابِعَةٌ لِأَنَّهُ يَتْبَعُ بَعْضُهُمْ بَعْضًا كُلَّمَا هَلَكَ وَاحِدٌ قَامَ آخَرُ . وَلَمْ يَكُونُوا يُسَمُّونَ ٱلْمَلِكَ مِنْهُمْ بِتُبَّعٍ حَتَّى يَمْلِكَ ٱلْيَمَنَ وَٱلشِّحْرَ وَحَضْرَمُوتَ وَمَنْ لَمْ يَكُنْ لَهُ شَيْءٌ مِنْ هٰذَا فَيُسَمَّى مَلِكًا وَلَا يُقَالُ لَهُ تُبَّعٌ . وَأَمَّا حِمْيَرُ فَقَدْ يُعْرَفُ أَيْضًا بِٱلْعَرَنْجَجِ (١٤٣٠ ق م) . وَقِيلَ هُوَ أَوَّلُ مَنْ تَتَوَّجَ بِٱلذَّهَبِ وَأَخْرَجَ ثَمُودَ مِنَ ٱلْيَمَنِ إِلَى ٱلْحِجَازِ . ثُمَّ مَلَكَ بَعْدَهُ ٱبْنُهُ وَائِلٌ . وَلَمْ يَزَلْ مُلْكُهُمْ عَلَى ٱلْيَمَنِ حَتَّى مَضَتْ قُرُونٌ وَصَارَ ٱلْأَمْرُ إِلَى شَدَّادٍ فَغَزَا ٱلْبِلَادَ إِلَى أَنْ بَلَغَ أَقْصَى ٱلْمَغْرِبِ وَبَنَى ٱلْمَدَائِنَ وَٱلْمَصَانِعَ وَأَبْقَى ٱلْآثَارَ ٱلْعَظِيمَةَ . ثُمَّ ٱضْطَرَبَتْ أَحْوَالُ حِمْيَرَ وَصَارَ مُلْكُهُمْ طَوَائِفَ إِلَى أَنِ ٱسْتَقَرَّ فِي ٱلْحَارِثِ وَهُوَ تُبَّعٌ ٱلْأَوَّلُ وَفِي بَنِيهِ ٱلتَّبَابِعَةِ . وَقَدْ لُقِّبَ ٱلْحَارِثُ بِٱلرَّائِشِ لِأَنَّهُ رَاشَ ٱلنَّاسَ بِٱلْعَطَاءِ مِمَّا كَانَ أَصَابَهُ فِي غَزَوَاتِهِ مِنَ ٱلسَّلَبِ وَٱلْغَنَائِمِ (لحمزة الاصفهاني)

ملك افريقس وذي الاذعار وشرحبيل

٣٩٨ ثُمَّ مَلَكَ أَبْرَهَةُ ذُو ٱلْمَنَارِ ثُمَّ أَفْرِيقُسُ (١٠٩٨ ق م) وَذَهَبَ بِقَبَائِلِ ٱلْعَرَبِ إِلَى أَفْرِيقِيَّةَ وَبِهِ سُمِّيَتْ وَسَاقَ ٱلْبَرْبَرَ إِلَيْهَا مِنْ أَرْضِ كَنْعَانَ فَأَنْزَلَهُمْ بِهَا . وَيُقَالُ إِنَّهُ ٱلَّذِي سَمَّى ٱلْبَرَابِرَةَ بِهٰذَا ٱلِٱسْمِ لِأَنَّهُ لَمَّا ٱفْتَتَحَ ٱلْمَغْرِبَ وَسَمِعَ رَطَانَتَهُمْ قَالَ : مَا أَكْثَرَ بَرْبَرَتَهُمْ . فَسُمُّوا ٱلْبَرَابِرَةَ .

ثُمَّ مَلَكَ بَعْدَ أَفْرِيقُسَ أَخُوهُ عَمْرٌو ذُو ٱلْأَذْعَارِ وَلَمْ يُحْسِنِ ٱلسِّيرَةَ فِي ٱلرَّعِيَّةِ . وَلَمَّا يَعِبْ بِوَصَاةِ أَبِيهِ أَبْرَهَةَ وَكَانَ أَنْشَدَهُ عِنْدَ وَفَاتِهِ :

يَا عَمْرُو إِنَّكَ مَا جَهِلْتَ وَصِيَّتِي ... إِيَّاكَ فَٱحْفَظْهَا فَإِنَّكَ تُرْشَدُ

يَا عَمْرُو لَا وَٱللهِ مَا سَادَ ٱلْوَرَى ... فِيمَا مَضَى إِلَّا ٱلْمُعِينُ ٱلْمُرْفِدُ

يَا عَمْرُو مَنْ يَشْرِي ٱلْعُلَى بِنَوَالِهِ ... كَرَمًا يُقَالُ لَهُ ٱلْجَوَادُ ٱلسَّيِّدُ

كُلُّ ٱمْرِئٍ يَا عَمْرُو حَاصِدُ زَرْعِهِ ... وَٱلزَّرْعُ شَيْءٌ لَا مَحَالَةَ يُحْصَدُ

وَلَمَّا ذُعِرَتْ حِمْيَرُ مِنْ جَوْرِهِ خَلَعَتْ طَاعَتَهُ وَقَلَّدَتِ ٱلْمُلْكَ شَرَحْبِيلَ . فَجَرَى بَيْنَ شَرَحْبِيلَ وَذِي ٱلْأَذْعَارِ قِتَالٌ شَدِيدٌ قُتِلَ فِيهِ خَلْقٌ كَثِيرٌ . وَٱسْتَقَلَّ شَرَحْبِيلُ بِٱلْمُلْكِ ثُمَّ مَلَكَ بَعْدَهُ ٱبْنُهُ ٱلْهَدْهَادُ . (١٠٦٥ ق م)

ملك بلقيس وناشر النعم وشمر مرعش ومزيقيا

٣٩٩ ثُمَّ مَلَكَتْ بَلْقِيسُ ٱبْنَةُ ٱلْهَدْهَادِ وَكَانَتْ عَلَى عَهْدِ سُلَيْمَانَ وَوَفَدَتْ عَلَيْهِ بِنَفِيسِ ٱلْهَدَايَا وَبَقِيَتْ فِي مُلْكِ ٱلْيَمَنِ عِشْرِينَ سَنَةً . ثُمَّ قَامَ بَعْدَهَا بِٱلْمُلْكِ مَالِكُ نَاشِرُ ٱلنِّعَمِ . لِأَنَّهُ قَلَّدَ أَعْنَاقَ رَعِيَّتِهِ أَطْوَاقَ ٱلْإِنْعَامِ وَٱلْمِنَنِ وَسَارَ غَازِيًا إِلَى ٱلْمَغْرِبِ فَبَلَغَ وَادِيَ ٱلرَّمْلِ وَلَمْ يَجِدْ فِيهِ مَجَازًا لِكَثْرَةِ ٱلرَّمْلِ وَعَبَرَ بَعْضُ أَصْحَابِهِ فَلَمْ يَرْجِعُوا . فَأَمَرَ بِصَنَمٍ مِنْ نُحَاسٍ نُصِبَ عَلَى شَفِيرِ ٱلْوَادِي وَكُتِبَ فِي صَدْرِهِ بِٱلْخَطِّ ٱلْمُسْنَدِ : هٰذَا ٱلصَّنَمُ لِنَاشِرِ ٱلنِّعَمِ ٱلْحِمْيَرِيِّ لَيْسَ وَرَاءَهُ مَذْهَبٌ . فَلَا يَتَكَلَّفْ أَحَدٌ ذٰلِكَ فَيَعْطَبَ . ثُمَّ مَلَكَ بَعْدَ نَاشِرٍ هٰذَا ٱبْنُهُ شَمِّرُ مَرْعَشُ سُمِّيَ بِذٰلِكَ لِٱرْتِعَاشٍ كَانَ بِهِ وَهٰذَا هُوَ تُبَّعُ ٱلْآخَرُ . وَهُوَ ٱلْمَشْهُورُ مِنْ مُلُوكِ ٱلتَّبَابِعَةِ ذُو ٱلْمَغَازِي

وَالْآثَارِ الْبَعِيدَةِ . فَكَانَ مِنْ أَشَدِّ مُلُوكِ الْعَرَبِ نِكَايَةً فِي الْأَعْدَاءِ وَأَبْعَدِهِمْ مَغَارًا (٨٥٠ قبل المسيح) وَيُقَالُ إِنَّهُ وَطِئَ أَرْضَ الْعِرَاقِ وَفَارِسَ وَخُرَاسَانَ افْتَتَحَ مَدَائِنَهُمْ وَخَرَّبَ مَدِينَةَ الضَّفَدِ وَرَاءَ جَيْحُونَ . فَقَالَتِ الْعَجَمُ ثُمَّرَ كَنَدْ أَيْ ثَمَّرَ خَرَّبَ . وَبَنَى مَدِينَةً هُنَالِكَ فَسُمِّيَتْ بِاسْمِهِ هَذَا وَعَرَّبَتْهُ الْعَرَبُ فَصَارَ سَمَرْقَنْدَ . وَشَخَصَ مِنَ الْيَمَنِ غَازِيًا وَمَرَّ بِالْحِيرَةِ فَتَحَيَّرَ عَسْكَرُهُ . ثُمَّ رَجَعَ إِلَى الْيَمَنِ وَهَابَتْهُ الْمُلُوكُ وَهَادَنُوهُ . وَأَخَذَ بِدِينِ الْيَهُودِيَّةِ بِإِغْرَاءِ بَعْضِ أَحْبَارِ الْيَهُودِ مِنْ بَنِي قُرَيْظَةَ . ثُمَّ عَادَ إِلَى غَزْوِ بِلَادِ فَارِسَ فَوَطَّأَ الْمَمَالِكَ وَذَلَّلَهَا وَعَمَدَ إِلَى الصِّينِ . قَالَ النُّوَيْرِيُّ : وَكَانَ لِمَلِكِ الصِّينِ فِي ذٰلِكَ الزَّمَانِ وَزِيرٌ شَدِيدُ الْبَأْسِ سَامِي الْهِمَّةِ . فَلَمَّا بَلَغَهُ مَسِيرُ مَلِكِ الْيَمَنِ جَدَعَ أَنْفَهُ وَلَحِقَ بِأَبِي كَرِبٍ وَسَعَى إِلَيْهِ بِأَمْرِهِ وَتَشَكَّى مِنْ مَلِكِ الصِّينِ . وَتَظَاهَرَ أَنَّهُ يَدُلُّ أَبَا كَرِبٍ عَلَى خَلَلٍ يُمْكِنُهُ الْفُرْصَةُ لِإِلْقَاءِ بِلَادِهِمْ بِالْقِيَادِ وَفَتْحِهَا . فَسُرَّ بِهِ تُبَّعٌ وَبَالَغَ فِي إِكْرَامِهِ وَأَصَاخَ لِقَوْلِهِ . فَنَهَضَ الْوَزِيرُ بِجَيْشِهِ وَهُوَ يَقْدُمُهُمْ حَتَّى انْتَهَى بِهِمْ إِلَى أَرْضٍ سَبْخَةٍ . فَتَوَغَّلُوا فِي فَلَوَاتٍ سَحِيقَةٍ لَا مَاءَ فِيهَا فَأَجْهَدَهُمُ الْعَطَشُ فَهَلَكُوا . ثُمَّ قَامَ بَعْدَهُ ابْنُهُ أَبُو مَالِكٍ وَهَلَكَ فِي بَعْضِ غَزَوَاتِهِ . وَتَعَاقَبَتِ الْمُلُوكُ عَلَى الْيَمَنِ دَهْرًا طَوِيلًا حَتَّى مَلَكَ عَمْرُو بْنُ عَامِرٍ الْأَزْدِيُّ وَقِيلَ لَهُ مُزَيْقِيَا . لِأَنَّهُ كَانَ يَلْبَسُ كُلَّ يَوْمٍ بَدْلَةً فَإِذَا أَرَادَ الدُّخُولَ إِلَى مَجْلِسِهِ رَمَى بِهَا فَمُزِّقَتْ لِئَلَّا يَجِدَ أَحَدٌ فِيهَا مَا يَلْبَسُهُ . وَقِيلَ إِنَّهُ عَلَى عَهْدِهِ صَارَ سَيْلُ الْعَرِمِ (١٠٢ ق م) .

فَانْفَجَرَتْ مِيَاهُ سَدِّ مَأْرِبَ فَاحْتَمَلَ السَّيْلُ أَنْعَامَهُمْ وَخَرَّبَ دِيَارَهُمْ فَتَفَرَّقَتِ الْقَبَائِلُ الْمُجَاوِرَةُ لَهُ أَيْدِيَ سَبَا (لابن الاثير والمسعودي)

ذكر ذي نواس وشهداء النصرانية في نجران

٤٠٠ وَلَمْ تَزَلْ تَتَوَالَى الْمُلُوكُ عَلَى حِمْيَرَ حَتَّى صَارَ الْمُلْكُ إِلَى ذِي نُوَاسٍ. (٤٨٠ ب م) وَاتَّفَقَ أَهْلُ الْأَخْبَارِ كُلُّهُمْ أَنَّ ذَا نُوَاسٍ هُوَ ابْنُ تُبَّانَ أَسْعَدَ وَاسْمُهُ زُرْعَةُ. وَأَنَّهُ لَمَّا تَغَلَّبَ عَلَى مُلْكِ آبَائِهِ التَّبَابِعَةِ تَسَمَّى يُوسُفَ وَتَعَصَّبَ لِدِينِ الْيَهُودِيَّةِ وَحَمَلَ عَلَيْهِ قَبَائِلَ الْيَمَنِ. فَاسْتَجْمَعَتْ مَعَهُ حِمْيَرُ عَلَى ذَلِكَ. وَأَرَادَ أَهْلَ نَجْرَانَ عَلَيْهَا وَكَانُوا مِنْ بَيْنِ الْعَرَبِ يَدِينُونَ بِالنَّصْرَانِيَّةِ. وَلَهُمْ فَضْلٌ فِي الدِّينِ وَاسْتِقَامَةٌ عَلَى أَهْلِ حُكْمِ الْإِنْجِيلِ. وَلَهُمْ رَأْسٌ يُقَالُ لَهُ عَبْدُ اللهِ بْنُ ثَامِرٍ. وَكَانَ هٰذَا الدِّينُ وَقَعَ إِلَيْهِمْ قَدِيمًا مِنْ بَقِيَّةِ أَصْحَابِ الْحَوَارِيِّينَ مِنْ رَجُلٍ سَقَطَ لَهُمْ مِنْ مُلْكِ التُّبَّعِيَّةِ يُقَالُ لَهُ فِيمُونُ. وَكَانَ رَجُلًا صَالِحًا مُجْتَهِدًا فِي الْعِبَادَةِ مُجَابَ الدَّعْوَةِ وَظَهَرَتْ عَلَى يَدِهِ الْكَرَامَاتُ فِي شِفَاءِ الْمَرْضَى. وَكَانَ يَطْلُبُ الْخَفَاءَ عَنِ النَّاسِ جُهْدَهُ. وَكَانَ لَا يَأْكُلُ إِلَّا مِنْ كَسْبِ يَدِهِ وَيُعَظِّمُ يَوْمَ الْأَحَدِ فَلَا يَعْمَلُ فِيهِ شَيْئًا. فَقَطَنَ لِشَأْنِهِ رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ الشَّامِ اسْمُهُ صَالِحٌ فَلَزِمَهُ وَخَرَجَا فَارَّيْنِ بِأَنْفُسِهِمَا حَتَّى وَطِئَا بِلَادَ الْعَرَبِ. فَاخْتَطَفَتْهُمَا سَيَّارَةٌ فَبَاعُوهُمَا بِنَجْرَانَ. وَأَهْلُ نَجْرَانَ يَوْمَئِذٍ عَلَى دِينِ الْعَرَبِ يَعْبُدُونَ نَخْلَةً لَهُمْ طَوِيلَةً وَيُعَلِّقُونَ عَلَيْهَا فِي الْأَعْيَادِ مِنْ حُلِيِّهِمْ وَثِيَابِهِمْ وَيَعْكُفُونَ عَلَيْهَا أَيَّامًا. وَكَانَ قَدِ ابْتَاعَ فِيمُونَ رَجُلٌ مِنْ أَشْرَافِهِمْ وَابْتَاعَ

صَالِحًا آخَرَ . فَكَانَ فَيْمُونُ إِذَا قَامَ فِي ٱللَّيْلِ فِي بَيْتٍ لَهُ أَسْكَنَهُ إِيَّاهُ سَيِّدُهُ ٱسْتَسْرَجَ لَهُ ٱلْيَهُودُ نُورًا وَهُوَ فِي غَيْرِ مِصْبَاحٍ حَتَّى يُصْبِحَ ٱلصَّبَاحُ . فَأَعْجَبَ سَيِّدَهُ مَا رَأَى مِنْهُ فَسَأَلَهُ عَنْ دِينِهِ . فَأَخْبَرَهُ بِهِ وَقَالَ لَهُ : إِنَّمَا أَنْتُمْ عَلَى بَاطِلٍ وَهٰذِهِ ٱلشَّجَرَةُ لَا تَضُرُّ وَلَا تَنْفَعُ . وَلَوْ دَعَوْتُ عَلَيْهَا إِلٰهِي ٱلَّذِي أَعْبُدُهُ لَأَهْلَكَهَا وَهُوَ وَحْدَهُ لَا نِدَّ لَهُ . فَقَالَ لَهُ سَيِّدُهُ : ٱفْعَلْ فَإِنَّكَ إِذَا فَعَلْتَ هٰذَا دَخَلْنَا فِي دِينِكَ وَتَرَكْنَا مَا نَحْنُ عَلَيْهِ . فَدَعَا فَيْمُونُ فَأَرْسَلَ ٱللهُ رِيحًا فَجَعْفَتِ ٱلنَّخْلَةَ مِنْ أَصْلِهَا . وَأَطْبَقَ أَهْلُ نَجْرَانَ عَلَى ٱتِّبَاعِ دِينِ عِيسَى فَمِنْ هُنَاكَ كَانَتِ ٱلنَّصْرَانِيَّةُ بِنَجْرَانَ . وَأَمَّا عَبْدُ ٱللهِ بْنُ تَامِرٍ فَكَانَ يَجْلِسُ إِلَى فَيْمُونَ كُلَّ يَوْمٍ وَيَسْمَعُ مِنْهُ شَرَائِعَ ٱلنَّصْرَانِيَّةِ حَتَّى فَقُهَ فِيهَا وَظَهَرَتْ عَلَى يَدِهِ ٱلْخَوَارِقُ وَٱلْمُعْجِزَاتُ وَدَانَ ٱلْكُلُّ بِدِينِهِ . فَسَارَ إِلَيْهِمْ ذُو نُوَاسٍ بِجُنُودِهِ وَٱسْتَدْعَى رَأْسَهُمْ عَبْدَ ٱللهِ ٱبْنَ تَامِرٍ فَأَحْذَرَهُ وَقَالَ لَهُ : أَفْسَدْتَ عَلَيَّ أَهْلَ بَلَدِي وَخَالَفْتَ دِينِي وَدِينَ آبَائِي . ثُمَّ أَمَرَ بِهِ فَقُتِلَ وَعَرَضَ عَلَى أَهْلِ نَجْرَانَ ٱلْقَتْلَ فَلَمْ يَزِدْهُمْ إِلَّا جِمَاحًا . فَخَدَّ لَهُمُ ٱلْأَخَادِيدَ وَأَوْقَدَ لَهُمْ نَارًا ثُمَّ ٱمْتَحَنَهُمْ . فَجَعَلَ يَقُولُ لِلرَّجُلِ وَٱلْمَرْأَةِ : إِمَّا أَنْ تَتْرُكَ دِينَكَ وَإِمَّا أَنْ نَقْذِفَكَ فِي ٱلنَّارِ فَيَقُولُ : مَا أَنَا تَارِكٌ دِينِي لِشَيْءٍ فَيُقْذَفُ فِيهَا فَيَحْتَرِقُ . فَبَقِيَتِ ٱمْرَأَةٌ وَمَعَهَا صَبِيٌّ رَضِيعٌ عُمْرُهُ سَبْعَةُ أَشْهُرٍ فَجَزِعَتْ وَتَهَيَّبَتْ . فَقَالَ لَهَا ٱلْغُلَامُ : يَا أُمَّاهُ لَا تُنَافِقِي فَإِنَّكِ عَلَى ٱلْحَقِّ وَلَمْ يَكُنْ يَتَكَلَّمُ مِنْ ذِي قَبْلُ . فَٱحْتَرَقَتْ . وَقَتَلَ وَحَرَقَ ذُو نُوَاسٍ حَتَّى أَهْلَكَ مِنْهُمْ فِيمَا قَالَ ٱبْنُ إِسْحَاقَ

عِشْرِينَ أَلْفًا أَوْ يَزِيدُونَ . وَأَفْلَتَ مِنْهُمْ رَجُلٌ مِنْ سَبَا يُقَالُ لَهُ دُوسٌ ذُو ثُعْلُبَانَ فَسَلَكَ الرَّمْلَ عَلَى فَرَسِهِ فَأَعْجَزَهُمْ . فَقَدِمَ عَلَى قَيْصَرَ صَاحِبِ الرُّومِ يَسْتَنْصِرُهُ عَلَى ذِي نُوَاسٍ (معجم البلدان لياقوت)

استيلاء الحبشة على ملك اليمن

٤٠١ فَبَعَثَ قَيْصَرُ إِلَى مَلِكِ الْحَبَشَةِ يَأْمُرُهُ بِنَصْرِهِ . فَجَاءَتْهُ السُّفُنُ وَأَجَازَ فِيهَا الْعَسَاكِرَ مِنَ الْحَبَشَةِ وَأَمَّرَ عَلَيْهِمْ أَرْيَاطَ رَجُلًا مِنْهُمْ . وَعَهِدَ إِلَيْهِ بِقَتْلِهِمْ وَسَبْيِهِمْ وَخَرَابِ بِلَادِهِمْ . فَرَكِبُوا الْبَحْرَ وَنَزَلُوا سَاحِلَ الْيَمَنِ فَلَقِيَهُمْ ذُو نُوَاسٍ فِيمَنْ مَعَهُ فَانْهَزَمَ . فَلَمَّا رَأَى ذُو نُوَاسٍ مَا نَزَلَ بِهِ وَبِقَوْمِهِ وَجَّهَ بِفَرَسِهِ إِلَى الْبَحْرِ وَخَاضَ ضَحْضَاحَهُ . ثُمَّ أَفْضَى بِهِ إِلَى غَمْرَةٍ فَأَقْحَمَهُ فِيهَا فَكَانَ آخِرَ الْعَهْدِ بِهِ وَانْقَرَضَ أَمْرُ التَّبَابِعَةِ . (٥٢٩ ب م) وَوَطِئَ مِنْ ثَمَّ أَرْيَاطُ الْيَمَنَ بِالْحَبَشَةِ وَأَذَلَّ رِجَالَاتِ حِمْيَرَ وَهَدَمَ حُصُونَ الْمُلْكِ . ثُمَّ انْتَقَضَ عَلَى أَرْيَاطَ أَبْرَهَةُ أَحَدُ رُؤَسَاءِ جَيْشِهِ وَجَذَبَ مَعَهُ رُعَاعَ الْحَبَشَةِ وَعَصَى أَرْيَاطَ وَدَعَاهُ لِلْحَرْبِ فَانْحَازَ إِلَى أَرْيَاطَ عُظَمَاءُ الْحَبَشَةِ وَغَطَارِيفُهُمْ فَاقْتَتَلُوا . فَحَمَلَ أَرْيَاطُ عَلَى أَبْرَهَةَ وَعَلَا وَجْهَهُ بِالْحَرْبَةِ فَشَرَمَ أَنْفَهُ وَبِذَلِكَ لُقِّبَ بِالْأَشْرَمِ . وَحَمَلَ أَبْرَهَةُ عَلَى أَرْيَاطَ بِالسَّيْفِ وَعَلَا بِهِ رَأْسَهُ فَأَسْرَعَ السَّيْفُ فِي دِمَاغِهِ وَسَقَطَ عَنْ جَوَادِهِ . فَمَالُوا حِينَئِذٍ جَمِيعًا وَصَارُوا مَعَ أَبْرَهَةَ وَأَقَامُوهُ مَلِكًا . وَكَانَ أَبْرَهَةُ رَجُلًا قَصِيرًا حَادِرًا لَحِيمًا دَحْدَاحًا ذَا دِينٍ فِي النَّصْرَانِيَّةِ . فَبَنَى بِصَنْعَاءَ إِلَى جَانِبِ غُمْدَانَ كَنِيسَةً مُحْكَمَةَ الْعَمَلِ وَسَمَّاهَا

ٱلْقُلَيْسَ (*) فَٱنْتَشَرَ خَبَرُ بِنَاءِ هٰذَا ٱلْبَيْتِ فِي ٱلْعَرَبِ . وَلَمَّا هَلَكَ أَبْرَهَةُ (٥٧١ ب م) مَلَكَ مَكَانَهُ ٱبْنُهُ يَكْسُومُ وَبِهِ كَانَ يُكْنَى وَٱسْتَحْلَ مُلْكَهُ وَأَذَلَّ حِمْيَرَ وَقَبَائِلَ ٱلْيَمَنِ . فَقَتَلَ رِجَالَهُمْ وَٱسْتَخْدَمَ أَبْنَاءَهُمْ . ثُمَّ هَلَكَ يَكْسُومُ فَمَلَكَ مَكَانَهُ أَخُوهُ مَسْرُوقٌ وَسَاءَتْ سِيرَتُهُ وَكَثُرَ عَسْفُهُ (للازرقي)

اخبار سيف بن ذي يَزَن

٤٠٢ وَلَمَّا طَالَ ٱلْبَلَاءُ مِنَ ٱلْحَبَشَةِ عَلَى أَهْلِ ٱلْيَمَنِ خَرَجَ سَيْفُ ذِي يَزَنَ ٱلْحِمْيَرِيُّ مِنَ ٱلْأَذْوَاءِ بَقِيَّةُ ذٰلِكَ ٱلسَّلَفِ وَعَقِبُ أُولٰئِكَ ٱلْمُلُوكِ . وَدِيَالُ ٱلدَّوْلَةِ ٱلْمُوفِضُ لِلْخُمُودِ . وَقَدِمَ عَلَى قَيْصَرَ (يوستينس) يَسْتَنْجِدُهُ عَلَى ٱلْحَبَشَةِ . فَأَبَى وَقَالَ : ٱلْحَبَشَةُ عَلَى دِينِ ٱلنَّصَارَى . فَرَجَعَ إِلَى كِسْرَى وَقَدِمَ ٱلْحِيرَةَ عَلَى ٱلنُّعْمَانِ بْنِ ٱلْمُنْذِرِ عَامِلِ فَارِسَ عَلَى ٱلْحِيرَةِ وَمَا يَلِيهَا مِنْ أَرْضِ ٱلْعَرَبِ فَشَكَا إِلَيْهِ . وَٱسْتَمْهَلَهُ ٱلنُّعْمَانُ إِلَى حِينِ وَفَادَتِهِ عَلَى كِسْرَى وَأَوْفَدَ مَعَهُ وَسَأَلَهُ ٱلنَّصْرَ عَلَى ٱلْحَبَشَةِ وَشَاوَرَ أَهْلَ دَوْلَتِهِ . فَقَالُوا : فِي سُجُونِكَ رِجَالٌ حَبَسْتَهُمْ لِلْقَتْلِ . إِبْعَثْهُمْ مَعَهُ فَإِنْ هَلَكُوا كَانَ

(*) وكان القُلَيس مربَّعًا مستوي التربيع وجعل طولهُ في السماء ستّين ذراعًا وحولهُ سورٌ بينهُ وبين القُلَيس مائتا ذراعٍ مطيفٌ بهِ من كل جانب وجعل بين ذلك كلّهِ حجارة تسميها اهل اليمن الجروب منقوشة مطابقة لا يدخل بين اطباقها الابرة مطبقة بهِ . وكان لهُ باب من نحاس يفضي الى بيت في جوفهِ طولهُ ثمانون ذراعًا في اربعين ذراعًا معلّق العمل بالساج المنقوش ومسامير الذهب والفضة وعقودهُ مضروبة بالفسيفساء مشجَّرة بين اضعافها كواكب الذهب ظاهرة . ثم يدخل من البيت الى قبّة جُدُرها بالفسيفساء وفيها صُلبٌ منقوشة بالذهب والفضة وفيها رُخامة مما يلي مطلع الشمس من البَلَق مربعة تغشي عين مَن نظر اليها من بطن القبة . تؤدي ضوء الشمس والقمر الى داخل القبة . وكان تحت الرخامة منبر من خشب اللبخ وهو الابنوس مفصل بالعاج ودرج المنبر من خشب الساج ملبسة ذهبًا وفضة (لابن اسحاق)

ٱلَّذِي أَرَدتَّ بِهِمْ وَإِنْ مَلَكُوا كَانَ مُلْكًا أَزْدَدتَّهُ إِلَى مُلْكِكَ . فَأَحْصُوا بِثَمَانِمَائَةٍ وَقَدَّمَ عَلَيْهِمْ أَفْضَلَهُمْ وَأَعْظَمَهُمْ بَيْتًا وَأَكْبَرَهُمْ نَسَبًا وَكَانَ وَهْزَرَ ٱلدَّيْلَمِيَّ . فَتَوَاقَفُوا لِلْحَرْبِ وَأَمَرَ وَهْزَرُ ٱبْنَهُ أَنْ يُنَاوِشَهُمُ ٱلْقِتَالَ فَقَتَلُوهُ وَأَحْفَظَهُ ذٰلِكَ . وَقَالَ : أَرُونِي مَلِكَهُمْ فَأَرَوْهُ إِيَّاهُ عَلَى فِيلٍ عَلَيْهِ تَاجُهُ وَبَيْنَ عَيْنَيْهِ يَاقُوتَةٌ حَمْرَاءُ . فَرَمَاهُ بِسَهْمٍ فَصَكَّ ٱلْيَاقُوتَةَ بَيْنَ عَيْنَيْهِ وَتَعَلْغَلَ فِي دِمَاغِهِ وَتَنَكَّسَ عَنْ دَابَّتِهِ وَدَارُوا بِهِ . فَحَمَلَ ٱلْقَوْمُ عَلَيْهِمْ وَٱنْهَزَمَ ٱلْحَبَشَةُ فِي كُلِّ وَجْهٍ . وَفَنِيَ مُلْكُهُمْ فِي ٱلْيَمَنِ بَعْدَ أَنْ تَوَارَثَهُ مِنْهُمْ أَرْبَعَةٌ فِي ثِنْتَيْنِ وَسَبْعِينَ سَنَةً . (٦٠١) وَٱنْصَرَفَ وَهْزَرُ إِلَى كِسْرَى بَعْدَ أَنْ خَلَّفَ سَيْفًا عَلَى ٱلْيَمَنِ فِي جَمَاعَةٍ مِنَ ٱلْفُرْسِ ضَمَّهُمْ إِلَيْهِ . عَلَى فَرِيضَةٍ يُؤَدِّيهَا كُلَّ عَامٍ . وَجَعَلَهُ لِنَظَرِ ٱبْنِ ذِي يَزَنَ وَأَنْزَلَهُ بِصَنْعَاءَ . وَٱنْفَرَدَ ٱبْنُ ذِي يَزَنَ بِسُلْطَانِهِ وَنَزَلَ قَصْرَ ٱلْمُلْكِ وَهُوَ رَأْسُ غُمْدَانَ . يُقَالُ إِنَّ ٱلضَّحَّاكَ بَنَاهُ عَلَى ٱسْمِ ٱلزُّهْرَةِ وَهُوَ أَحَدُ ٱلْبُيُوتِ ٱلسَّبْعَةِ ٱلْمَوْضُوعَةِ عَلَى أَسْمَاءِ ٱلْكَوَاكِبِ وَرُوحَانِيَّتِهَا . خَرِبَ فِي خِلَافَةِ عُثْمَانَ . وَلَمَّا ٱسْتَوْثَقَ لِذِي يَزَنَ ٱلْمُلْكُ جَعَلَ يَعْتَسِفُ ٱلْحَبَشَةَ وَيَقْتُلُهُمْ حَتَّى إِذَا لَمْ يَبْقَ إِلَّا ٱلْقَلِيلُ جَعَلَهُمْ خَوَلًا وَٱتَّخَذَ مِنْهُمْ طَوَابِيرَ يَسْعَوْنَ بَيْنَ يَدَيْهِ بِٱلْحِرَابِ . فَخَرَجَ يَوْمًا وَهُمْ يَسْعَوْنَ بَيْنَ يَدَيْهِ . فَلَمَّا ٱنْفَرَدُوا بِهِ عَنِ ٱلنَّاسِ رَمَوْهُ بِٱلْحِرَابِ فَقَتَلُوهُ . فَأَرْسَلَ كِسْرَى عَامِلًا عَلَى ٱلْيَمَنِ وَٱسْتَمَرَّتْ عُمَّالُهُ إِلَى أَنْ كَانَ آخِرُهُمْ بَاذَانَ فَأَسْلَمَ وَصَارَتِ ٱلْيَمَنُ لِلْإِسْلَامِ (لابن خلدون)

٢ خبر الملوك المناذرة بني كهلان في العراق
تملك ملك بن فهم وجذيمة الابرش

٤٠٣ أَمَّا أَخْبَارُ ٱلْعَرَبِ بِٱلْعِرَاقِ فِي ٱلْجِيلِ ٱلْأَوَّلِ فَلَمْ يَصِلْ إِلَيْنَا تَفَاصِيلُهَا وَشَرْحُ حَالِهَا. إِلَّا أَنَّهُ لَمَّا حَدَثَ سَيْلُ ٱلْعَرِمِ تَمَزَّقَتْ عَرَبُ ٱلْيَمَنِ مِنْ مَدِينَةِ مَأْرِبَ إِلَى ٱلْعِرَاقِ وَٱلشَّامِ. فَكَانَتْ تَنُوخُ وَقُضَاعَةُ وَهُمَا حَيَّانِ مِنْ أَحْيَاءِ ٱلْأَزْدِ مِنْ بَنِي كَهْلَانَ مِمَّنْ تَمَزَّقَ إِلَى ٱلْعِرَاقِ. فَقَالَ مَلِكُ بْنُ فَهْمٍ ٱلْأَزْدِيُّ لِمَالِكِ بْنِ ٱلْقُضَاعِيِّ: نُقِيمُ بِٱلْبَحْرَيْنِ وَنَتَحَالَفُ عَلَى مَنْ نَوَانَا فَتَحَالَفُوا. فَسُمُّوا تَنُوخَ وَذٰلِكَ فِي أَيَّامِ مُلُوكِ ٱلطَّوَائِفِ فَنَظَرُوا إِلَى ٱلْعِرَاقِ وَعَلَيْهَا طَائِفَةٌ مِنْ مُلُوكِهَا وَهِيَ سَاغِرَةٌ فَخَرَجُوا عَنِ ٱلْبَحْرَيْنِ وَسَارَتِ ٱلْأَزْدُ إِلَى ٱلْعِرَاقِ مَعَ مَلِكِ بْنِ فَهْمٍ ٱلْأَزْدِيِّ. وَسَارَتْ قُضَاعَةُ إِلَى ٱلشَّامِ مَعَ مَالِكٍ ٱلْقُضَاعِيِّ

٤٠٤ وَأَوَّلُ مَنْ تَمَلَّكَ عَلَى تَنُوخَ فِي ٱلْعِرَاقِ مَلِكُ بْنُ فَهْمٍ (١٩٥ للمسيح) وَكَانَ مَنْزِلُهُ بِٱلْأَنْبَارِ فَبَقِيَ بِهَا إِلَى أَنْ رَمَاهُ سُلَيْمَةُ بْنُ مَالِكٍ رَمْيَةً بِٱللَّيْلِ وَهُوَ لَا يَعْرِفُهُ. فَلَمَّا عَلِمَ أَنَّ سُلَيْمَةَ رَامِيهِ قَالَ:

جَزَانِي لَا جَزَاهُ ٱللهُ خَيْرًا ... سُلَيْمَةُ إِنَّهُ شَرًّا جَزَانِي
أَعَلَّمَهُ ٱلرِّمَايَةَ كُلَّ يَوْمٍ ... فَلَمَّا ٱشْتَدَّ سَاعِدُهُ رَمَانِي

فَلَمَّا قَالَ هٰذَيْنِ ٱلْبَيْتَيْنِ فَاظَ وَهَرَبَ سُلَيْمَةُ ثُمَّ مَلَكَ مِنْ بَعْدِ مَلِكٍ جَذِيمَةُ ٱلْأَبْرَشُ. (٢٥١ ب م) وَكَانَ ثَاقِبَ ٱلرَّأْيِ بَعِيدَ ٱلْمَغَارِ شَدِيدَ ٱلنِّكَايَةِ ظَاهِرَ ٱلْحَزْمِ. وَهُوَ أَوَّلُ مَنْ غَزَا بِٱلْجُيُوشِ وَشَنَّ ٱلْغَارَاتِ عَلَى

قَبَائِلِ ٱلْعَرَبِ وَكَانَ بِهِ بَرَصٌ فَأَكْبَرَتْهُ ٱلْعَرَبُ عَلَى أَنْ تَنْعَتَهُ بِهِ إِعْظَامًا فَسَمَّتْهُ جَذِيمَةَ ٱلْأَبْرَشَ وَجَذِيمَةَ ٱلْوَضَّاحَ . وَٱسْتَوْلَى عَلَى ٱلسَّوَادِ مَا بَيْنَ ٱلْحِيرَةِ وَٱلْأَنْبَارِ وَسَائِرِ ٱلْقُرَى ٱلْمُجَاوِرَةِ لِبَادِيَةِ ٱلْعَرَبِ وَكَانَ يَجْبِي أَمْوَالَهَا . وَغَزَا طَسْمًا وَجَدِيسًا فِي مَنَازِلِهَا مِنَ ٱلْيَمَامَةِ . وَفِيهِ قَالَ ٱلشَّاعِرُ :

أَضْحَى جَذِيمَةُ فِي أَشْرَفِ مَنْزِلَةٍ ... قَدْ حَازَ مَا جَمَعَتْ فِي عَصْرِهَا عَادُ

فَطَالَ مُلْكُهُ إِلَى أَنْ أَدْرَكَ مُلْكَ سَابُورَ بْنِ أَشَكَ . وَكَانَ جَذِيمَةُ مَلِكَ مَعَدٍّ وَبَعْضِ ٱلْيَمَنِ وَغَزَا فِي آخِرِ عُمْرِهِ ٱلشَّامَ فَقَتَلَ عَمْرَو بْنَ حَسَّانَ ٱبْنِ أُذَيْنَةَ وَالِدَ ٱلزَّبَّاءِ مَلِكَةِ ٱلطَّوَائِفِ . فَٱنْطَوَتْ لَهُ ٱلزَّبَّاءُ عَلَى طَلَبِ ٱلثَّأْرِ حَتَّى قَتَلَتْهُ . وَكَانَ مُلْكُ جَذِيمَةَ نَحْوَ سِتِّينَ سَنَةً بِٱلتَّقْرِيبِ (الحمزة الاصفهاني)

ملك عمرو بن عدي

٤٠٥ فَوَرِثَ ٱلْمُلْكَ مِنْ بَعْدِهِ ٱبْنُ أُخْتِهِ عَمْرُو بْنُ عَدِيٍّ (٢٦٨) وَأُمُّهُ رَقَاشِ وَهُوَ أَوَّلُ مَنِ ٱتَّخَذَ ٱلْحِيرَةَ مَنْزِلًا مِنْ مُلُوكِ ٱلْعَرَبِ . وَأَوَّلُ مُلُوكٍ يَعُدُّهُ ٱلْحِيرِيُّونَ فِي كُتُبِهِمْ مِنْ مُلُوكِ عَرَبِ ٱلْعِرَاقِ وَمُلُوكُ ٱلْعِرَاقِ إِلَيْهِ يَنْتَسِبُونَ وَهَمَّ عَمْرٌو بِطَلَبِ ٱلثَّأْرِ مِنَ ٱلزَّبَّاءِ بِخَالِهِ جَذِيمَةَ . فَلَمَّا أَحَسَّتِ ٱلزَّبَّاءُ بِنِيَّتِهِ تَحَصَّنَتْ فِي مَعْقِلٍ فَصَارَتْ أَمْنَعَ مِنْ عُقَابٍ . فَعَمَدَ عَمْرٌو إِلَى قَصِيرٍ وَزِيرِهِ فَجَدَعَ أَنْفَهُ بِمُوَاطَأَةٍ مِنْهُ عَلَى ذٰلِكَ . فَلَحِقَ بِٱلزَّبَّاءِ يَشْكُو مَا أَصَابَهُ مِنْ عَمْرٍو وَأَنَّهُ ٱتَّهَمَهُ بِمُدَاخَلَةِ ٱلزَّبَّاءِ فِي أَمْرِ خَالِهِ جَذِيمَةَ فَقَالَ : وَمَا رَأَيْتُ بَعْدَمَا فَعَلَ بِي أَنْكَى لَهُ مِنْ أَنْ أَكُونَ مَعَكِ . فَأَكْرَمَتْهُ وَقَرَّبَتْهُ حَتَّى إِذَا رَضِيَ مِنْهَا مِنَ ٱلْوُثُوقِ بِهِ غَرَّهَا وَأَسْلَمَ حِصْنَهَا إِلَى عَمْرٍو . فَلَحِمَهَا

بِالسَّيْفِ وَأَصَابَ مَا أَصَابَ مِنَ الْمَدِينَةِ وَانْكَفَأَ رَاجِعًا . فَبَقِيَ عَمْرٌو مَلِكًا مُدَّةَ عُمْرِهِ مُنْفَرِدًا بِمُلْكِهِ مُسْتَبِدًّا بِأَمْرِهِ يَغْزُو الْمَغَازِيَ وَيُصِيبُ الْغَنَائِمَ وَتُجْبَى إِلَيْهِ الْأَمْوَالُ وَتَفِدُ عَلَيْهِ الْوُفُودُ دَهْرَهُ الْأَطْوَلَ . لَا يَدِينُ لِمُلُوكِ الطَّوَائِفِ بِالْعِرَاقِ حَتَّى قَدِمَ أَرْدَشِيرُ بْنُ بَابَكَ فِي أَهْلِ فَارِسَ أَرْضَ الْعِرَاقِ . فَضَبَطَهَا وَقَهَرَ مَنْ كَانَ لَهُ بِهَا مُنَاوِئًا حَتَّى حَمَلَهُمْ عَلَى مَا أَرَادَ مِمَّا يُوَافِقُهُمْ وَمِمَّا لَا يُوَافِقُهُمْ . فَكَرِهَ كَثِيرٌ مِنْ تَنُوخَ مُجَاوَرَةَ الْعِرَاقِ عَلَى الصَّغَارِ . فَخَرَجَ مَنْ كَانَ مِنْهُمْ مِنْ قَبَائِلِ قُضَاعَةَ الَّذِينَ كَانُوا أَقْبَلُوا مَعَ مَلِكٍ فَلَحِقُوا بِالشَّامِ وَانْضَمُّوا إِلَى مَنْ هُنَاكَ مِنْ قُضَاعَةَ . فَكَانَ أُنَاسٌ مِنَ الْعَرَبِ يُحْدِثُونَ أَحْدَاثًا فِي قَوْمِهِمْ أَوْ تَضِيقُ مَعِيشَتُهُمْ فَيَخْرُجُونَ إِلَى رِيفِ الْعِرَاقِ وَيَنْزِلُونَ الْحِيرَةَ فَكَانَ ذٰلِكَ عَلَى أَكْثَرِهِمْ هُجْنَةً . فَصَارَ أَهْلُ الْحِيرَةِ ثَلَاثَةَ أَثْلَاثٍ . أَلثُّلُثُ الْأَوَّلُ تَنُوخُ وَهُمْ مَنْ كَانَ يَسْكُنُ الْمَظَالَّ وَبُيُوتَ الشَّعَرِ وَالْوَبَرِ فِي غَرْبِيِّ الْفُرَاتِ مَا بَيْنَ الْحِيرَةِ إِلَى الْأَنْبَارِ فَمَا فَوْقَهَا . وَالثُّلُثُ الثَّانِي الْعِبَادُ وَهُمُ الَّذِينَ سَكَنُوا رُقْعَةَ الْحِيرَةِ فَابْتَنَوْا بِهَا . وَالثُّلُثُ الثَّالِثُ الْأَحْلَافُ . وَعَمَرَتِ الْحِيرَةُ أَيَّامَ مُلْكِ عَمْرِو بْنِ عَدِيٍّ بِاتِّخَاذِهِ مَنْزِلًا إِيَّاهَا . وَعَظُمَ شَأْنُهَا إِلَى أَنْ وُضِعَتِ الْكُوفَةُ وَنَزَلَهَا عَرَبُ الْإِسْلَامِ (للنويري وحمزة الاصفهاني)

ملك امرئ القيس البدء والمحق والنعمان الاعور السائح

٤٠٦ ثُمَّ مَلَكَ مِنْ بَعْدِ عَمْرِو بْنِ عَدِيٍّ امْرُؤُ الْقَيْسِ الْبَدْءُ وَهُوَ الْأَوَّلُ فِي كَلَامِهِمْ (٢٨٨ ـ ٣٣٨ ب م) وَهُوَ أَوَّلُ مَنْ تَنَصَّرَ مِنْ مُلُوكِ آلِ

نَصرٍ وعُمَّالِ الفُرسِ. ثُمَّ وَلِيَ مَكانَهُ ابْنُهُ عَمْرٌو (٣٣٨ـ٣٦٣) ثُمَّ عَقَبَهُ أَوْسُ بْنُ قَلَّامٍ العِمْلِيقيُّ خَمْسَ سِنِينَ. ثُمَّ ثَارَ بِهِ حَجْبَا أَحَدُ بَنِي فَازَانَ فَقَتَلَهُ. (٣٦٨ ب م) ووَلِيَ مَكانَهُ مُدَّةً ثُمَّ وَلِيَ مِنْ بَعْدِهِ امْرُؤُ القَيْسِ (الثَّانِي). (٣٦٨ـ٣٩٠ ب م) ويُعْرَفُ امْرُؤُ القَيْسِ هٰذا بالمُنْذِرِ والمُحَرِّقِ لِأَنَّهُ أَوَّلُ مَنْ عَاقَبَ بالنَّارِ وهُوَ الَّذِي ذَكَرَهُ الأَسْوَدُ ابْنُ يَعْفُرَ فِي قَوْلِهِ: مَاذَا أُؤَمِّلُ بَعْدَ آلِ مُحَرِّقٍ. ثُمَّ مَلَكَ بَعْدَهُ ابْنُهُ النُّعْمَانُ الأَعْوَرُ السَّائِحُ وهُوَ بَانِي الخَوَرْنَقِ والسَّدِيرِ (*) وكَانَ النُّعْمَانُ هٰذا فِي أَيَّامِ يَزْدَجِرْدَ فَدَفَعَ إِلَيْهِ ابْنَهُ بَهْرَامَ لِيُرَبِّيَهُ وأَمَرَ بِبِنَاءِ الخَوَرْنَقِ مَسْكَنًا لِابْنِهِ فَأَسْكَنَهُ إِيَّاهُ. وأَحْسَنَ تَرْبِيَتَهُ وتَأْدِيبَهُ. وجَاءَهُ بِمَنْ يُلَقِّنُهُ الخِلَالَ مِنَ العُلُومِ والآدَابِ والفُرُوسِيَّةِ حَتَّى اشْتَمَلَ عَلَى ذٰلِكَ بِمَا رَضِيَهُ. وكَانَ النُّعْمَانُ مِنْ أَشَدِّ مُلُوكِ العَرَبِ نِكَايَةً فِي الأَعْدَاءِ وأَبْعَدِهِمْ مَغَارًا قَدْ أَتَى الشَّامَ مِرَارًا كَثِيرَةً وأَكْثَرَ المَصَائِبَ فِي أَهْلِهَا وسَبَى وغَنِمَ. وكَانَ مَلِكُ فَارِسَ يُنْفِذُ مَعَهُ كَتِيبَتَيْنِ الشَّهْبَاءَ وأَهْلَهَا الفُرْسَ ودَوْسَرَ وأَهْلَهَا تُوخَ. فَكَانَ يَغْزُو بِهِمَا مَنْ لَا يَدِينُ لَهُ مِنَ العَرَبِ. وكَانَ صَارِمًا حَازِمًا ضَابِطًا لِمُلْكِهِ قَدِ اجْتَمَعَ لَهُ مِنَ الأَمْوَالِ والخُوَلِ والرَّقِيقِ مَا لَمْ يَمْلِكْهُ أَحَدٌ مِنْ مُلُوكِ الحِيرَةِ. والحِيرَةُ يَوْمَئِذٍ سَاحِلُ الفُرَاتِ. ولَمَّا أَتَى عَلَى النُّعْمَانِ ثَلَاثُونَ سَنَةً تَنَصَّرَ عَلَى يَدِ بَعْضِ وُزَرَائِهِ ثُمَّ زَهِدَ وتَرَكَ المُلْكَ ولَبِسَ المُسُوحَ وذَهَبَ فَلَمْ يُوجَدْ لَهُ أَثَرٌ (*)

(*) (راجع الوجه ٢٢١ من الجزء الثاني) (*) (راجع الوجه ١٦ من هذا الجزء)

ملك المنذر الاول والنعمان الثاني والاسود وامرؤ القيس الثالث

٤٠٧ وَلَمَّا تَزَهَّدَ ٱلنُّعْمَانُ تَوَلَّى ٱلْأَمْرَ ٱبْنُهُ ٱلْمُنْذِرُ ٱلْأَوَّلُ (٤٢٠ ب م) وَكَانَ أَهْلُ فَارِسَ وَلَّوْا عَلَيْهِمْ شَخْصًا مِنْ وُلْدِ أَزْدَشِيرَ وَعَدَلُوا عَنْ بَهْرَامَ لِنَشْئِهِ بَيْنَ ٱلْعَرَبِ وَخُلُوِّهِ مِنْ آدَابِ ٱلْعَجَمِ. وَٱسْتَنْجَدَ بَهْرَامُ بِٱلْعَرَبِ فَجَهَّزَ ٱلْمُنْذِرُ ٱلْعَسَاكِرَ لِبَهْرَامَ لِطَلَبِ مُلْكِهِ. وَحَاصَرَ مَدِينَةَ ٱلْمُلْكِ فَأَذْعَنَ لَهُ فَارِسُ وَأَطَاعُوهُ. وَٱسْتَوْهَبَ ٱلْمُنْذِرُ ذُنُوبَهُمْ مِنْ بَهْرَامَ فَعَفَا عَنْهُ وَٱجْتَمَعَ أَمْرُهُ. وَرَجَعَ ٱلْمُنْذِرُ إِلَى بِلَادِهِ وَشُغِلَ بِٱللَّهْوِ إِلَى مَوْتِهِ. (٤٦٢ ب م) وَمَلَكَ مَكَانَهُ ٱلنُّعْمَانُ ٱلثَّانِي وَكَانَ وَزِيرُهُ عَدِيَّ بْنَ زَيْدٍ ٱلنَّصْرَانِيَّ فَتَزَهَّدَا (٤٦٩). (*) وَمَلَكَ مَكَانَهُ أَخُوهُ ٱلْأَسْوَدُ وَهُوَ ٱلَّذِي ٱنْتَصَرَ عَلَى عَسَاكِرِ عَرَبِ ٱلشَّامِ وَأَسَرَ عِدَّةً مِنْ مُلُوكِهِمْ ثُمَّ هَلَكَ (٤٩١). وَمَلَكَ أَخُوهُ مُنْذِرٌ ٱلثَّانِي سَبْعَ سِنِينَ ثُمَّ ٱبْنُ أَخِيهِ (٤٩٨) نُعْمَانُ ٱلثَّالِثُ. ثُمَّ ٱسْتُخْلِفَ أَبُو يَعْفُرَ بْنِ عَلْقَمَةَ ٱلذُّمَيْلِيُّ (٥٠٣) وَذُمَيْلُ بَطْنٌ مِنْ لَخْمٍ. ثُمَّ مَلَكَ أَمْرُؤُ ٱلْقَيْسِ ٱلثَّالِثُ (٥٠٦) هٰذَا هُوَ ٱلَّذِي غَزَا بَكْرًا يَوْمَ أُوَارَةَ فِي دَارِهَا فَكَانَتْ بَكْرٌ قَبْلَهُ تُقِيمُ أَوَدَ مُلُوكِ ٱلْحِيرَةِ وَتَعْضُدُهُمْ. وَهُوَ أَيْضًا بَانِي ٱلْعُذَيْبِ وَٱلصَّنَبَرِ وَفِيهِمَا يَقُولُ جُبَيْرُ بْنُ بُلُوغٍ:

لَيْتَ شِعْرِي مَتَى تَخُبُّ بِنَا ٱلنَّا قَةُ نَحْوَ ٱلْعُذَيْبِ وَٱلصَّنَبْرِ

ملك المنذر الثالث والنعمان قابوس

٤٠٨ وَلَمَّا هَلَكَ أَمْرُؤُ ٱلْقَيْسِ ٱلثَّالِثُ مَلَكَ ٱلْمُنْذِرُ ٱلثَّالِثُ ٱبْنُهُ وَهُوَ ذُو

(*) (راجع وجه ١٧ من هذا الجزء)

ٱلْقَرْنَيْنِ لِصَغِيرَتَيْنِ كَانَتَا لَهُ مِنْ شَعْرِهِ وَأُمُّهُ مَاءُ ٱلسَّمَاءِ. قَالَ ٱلْجَنَّابِيُّ: وَكَانَ هٰذَا لَقَبًا لِأَبِي عَامِرٍ ٱلْأَزْدِيِّ لِأَنَّهُ كَانَ يُقِيمُ مَالَهُ مَقَامَ ٱلْقَطْرِ أَيْ عَطَاءً وَجُودًا فَغَلَبَ عَلَى بَنِيهِ لِأَنَّهُمْ خَلَفٌ مِنْهُ. وَذُكِرَ أَنَّ مُرَّةَ بْنَ كُلْثُومٍ قَتَلَهُ لِخَمْسِينَ سَنَةً مِنْ مُلْكِهِ. (٥٦٢ ب م) ثُمَّ مَلَكَ مِنْ بَعْدِهِ ٱلْحَارِثُ ٱبْنُ عَمْرٍو ٱلْكِنْدِيُّ ٱلْمُلَقَّبُ بِآكِلِ ٱلْمِرَارِ. وَكَانَ شَدِيدَ ٱلسُّلْطَانِ غَزَا تَمِيمًا فِي دَارِهَا فَقَتَلَ مِنْ بَنِي دَارِمٍ مِائَةً يَوْمَ أُوَارَةَ ٱلثَّانِي بِأَخِيهِ أَسْعَدَ بْنِ ٱلْمُنْذِرِ وَكَانَ مُلْكُهُ سِتَّ عَشْرَةَ سَنَةً. (٥٧٨) ثُمَّ وَلِيَ شَقِيقُهُ قَابُوسُ أَرْبَعَ سِنِينَ فِي زَمَنِ أَنُوشَرْوَانَ. وَكَانَ فِيهِ لِينٌ وَكَانَ ضَعِيفًا مَهِينًا قَتَلَهُ رَجُلٌ مِنْ يَشْكُرَ وَسَلَبَهُ. (٥٨٢) ثُمَّ مَلَكَ ٱلْمُنْذِرُ ٱلرَّابِعُ أَخُوهُ ثَلَاثَ سِنِينَ ثُمَّ ٱلنُّعْمَانُ ٱلرَّابِعُ أَبُو قَابُوسَ (٥٨٢ ــ ٦٠٤) وَهُوَ صَاحِبُ ٱلنَّابِغَةِ ٱلذُّبْيَانِيِّ ٱلَّذِي بَنَى ٱلْغَرِيَّيْنِ وَتَنَصَّرَ (للنويري والمسعودي)

خبر تنصر النعمان

٤٠٩ كَانَ ٱلْمُنْذِرُ بْنُ مَاءِ ٱلسَّمَاءِ ٱلْمُلَقَّبُ بِأَبِي قَابُوسَ قَدْ نَادَمَهُ رَجُلَانِ مِنْ بَنِي أَسَدٍ أَحَدُهُمَا خَالِدُ بْنُ ٱلْمُضَلَّلِ وَٱلْآخَرُ عَمْرُو بْنُ مَسْعُودٍ فَأَغْضَبَاهُ فِي بَعْضِ ٱلْمَنْطِقِ. فَأَمَرَ بِأَنْ يُحْفَرَ لِكُلِّ وَاحِدٍ حُفَيْرَةٌ بِظَهْرِ ٱلْحِيرَةِ ثُمَّ يُجْعَلَا فِي تَابُوتَيْنِ وَيُدْفَنَا فِي ٱلْحُفْرَتَيْنِ. فَفُعِلَ ذٰلِكَ بِهِمَا حَتَّى إِذَا أَصْبَحَ سَأَلَ عَنْهُمَا فَأُخْبِرَ بِهَلَاكِهِمَا. فَنَدِمَ عَلَى ذٰلِكَ وَغَمَّهُ وَفِي عَمْرِو بْنِ مَسْعُودٍ وَخَالِدِ بْنِ ٱلْمُضَلَّلِ يَقُولُ شَاعِرُ بَنِي أَسَدٍ:

يَا قَبْرَ بَيْنَ بُيُوتِ آلِ مُحَرِّقٍ جَادَتْ عَلَيْكَ رَوَاعِدٌ وَبُرُوقُ

أَمَّا ٱلْبُكَاءُ فَقَلَّ عَنْكَ كَثِيرُهُ وَلَئِنْ بَكَيْتَ فَلَلْبُكَاءُ خَلِيقُ

ثُمَّ رَكِبَ ٱلْمُنْذِرُ حَتَّى نَظَرَ إِلَيْهِمَا فَأَمَرَ بِبِنَاءِ ٱلْغَرِيَّيْنِ عَلَيْهِمَا. فَبُنِيَا وَجَعَلَ لِنَفْسِهِ يَوْمَيْنِ فِي ٱلسَّنَةِ يَجْلِسُ فِيهِمَا عِنْدَ ٱلْغَرِيَّيْنِ يُسَمَّى أَحَدُهُمَا يَوْمَ نَعِيمٍ وَٱلْآخَرُ يَوْمَ بُؤْسٍ. فَأَوَّلُ مَنْ يَطْلُعُ عَلَيْهِ يَوْمَ نَعِيمِهِ يُعْطِيهِ مِائَةً مِنَ ٱلْإِبِلِ شُوْمًا أَيْ سُودًا. وَأَوَّلُ مَنْ يَطْلُعُ عَلَيْهِ يَوْمَ بُؤْسِهِ يُعْطِيهِ رَأْسَ ظَرِبَانٍ أَسْوَدَ ثُمَّ يَأْمُرُ بِهِ فَيُذْبَحُ وَيُغَرَّى بِدَمِهِ ٱلْغَرِيَّانِ. فَلَبِثَ بِذٰلِكَ بُرْهَةً مِنْ دَهْرِهِ حَتَّى مَرَّ بِهِ رَجُلٌ مِنْ طَيِّءٍ يُقَالُ لَهُ حَنْظَلَةُ بْنُ أَبِي عَفْرَاءَ. كَانَ آوَى ٱلنُّعْمَانَ فِي خِبَائِهِ يَوْمَ خَرَجَ إِلَى ٱلصَّيْدِ وَٱنْفَرَدَ عَنْهُ أَصْحَابُهُ بِسَبَبِ ٱلْمَطَرِ. فَرَحَّبَ بِهِ حَنْظَلَةُ وَهُوَ لَا يَعْرِفُهُ وَذَبَحَ لَهُ شَاةً فَأَطْعَمَهُ مِنْ لَحْمِهَا وَسَقَاهُ لَبَنًا. فَلَمَّا نَظَرَ إِلَيْهِ ٱلنُّعْمَانُ وَافِدًا إِلَيْهِ سَاءَهُ ذٰلِكَ وَقَالَ لَهُ: يَا حَنْظَلَةُ هَلَّا أَتَيْتَ فِي غَيْرِ هٰذَا ٱلْيَوْمِ. فَقَالَ: أَبَيْتَ ٱللَّعْنَ لَمْ يَكُنْ لِي عِلْمٌ بِمَا أَنْتَ فِيهِ. فَقَالَ لَهُ: أَبْشِرْ بِقَتْلِكَ. فَقَالَ لَهُ: وَٱللهِ قَدْ أَتَيْتُكَ زَائِرًا وَلِأَهْلِي مِنْ خَيْرِكَ مَائِرًا فَلَا تَكُنْ مِيرَتُهُمْ قَتْلِي. فَقَالَ: لَا بُدَّ مِنْ ذٰلِكَ فَٱسْأَلْ حَاجَةً أَقْضِيهَا لَكَ فَقَالَ: تُؤَجِّلُنِي سَنَةً أَرْجِعُ فِيهَا إِلَى أَهْلِي وَأُحْكِمُ مِنْ أَمْرِهِمْ مَا أُرِيدُ ثُمَّ أَصِيرُ إِلَيْكَ فَأَنْفِذْ فِيَّ حُكْمَكَ. فَقَالَ: وَمَنْ يَكْفُلُ بِكَ حَتَّى تَعُودَ فَنَظَرَ فِي وُجُوهِ جُلَسَائِهِ فَعَرَفَ مِنْهُمْ شَرِيكَ بْنَ عَمْرٍو فَأَنْشَدَ:

يَا شَرِيكُ يَا ٱبْنَ عَمْرٍو يَا أَخَا مَنْ لَا أَخَالَهْ
يَا أَخَا شَيْبَانَ فُكَّ ٱلْيَوْمَ رَهْنًا قَدْ أَنَالَهْ

يَا أَخَا كُلِّ مُصَابٍ وَحَيَا مَنْ لَا حَيَالَهْ
إِنَّ شَيْبَانَ قَبِيلٌ أَكْرَمَ اللهُ رِجَالَهْ
وَأَبُوكَ الْخَيْرُ عَمْرٌو وَشَرَاحِيلُ الْحَمَالَهْ
رَقَّيَاكَ الْيَوْمَ فِي الْمَجْدِ وَفِي حُسْنِ الْمَقَالَهْ

فَوَثَبَ شَرِيكٌ وَقَالَ : أَبَيْتَ اللَّعْنَ يَدِي بِيَدِهِ وَدَمِي بِدَمِهِ وَأَمَرَ لِلطَّائِيِّ بِخَمْسِ مِائَةِ نَاقَةٍ . وَقَدْ جَعَلَ الْأَجَلَ عَامًا كَامِلًا مِنْ ذٰلِكَ الْيَوْمِ إِلَى مِثْلِهِ مِنَ الْقَابِلِ . فَلَمَّا حَالَ الْحَوْلُ وَقَدْ بَقِيَ مِنَ الْأَجَلِ يَوْمٌ وَاحِدٌ قَالَ النُّعْمَانُ لِشَرِيكٍ : مَا أَرَاكَ إِلَّا هَالِكًا غَدًا فِدَاءً لِحَنْظَلَةَ . فَقَالَ شَرِيكٌ : فَإِنْ يَكُ صَدْرُ هٰذَا الْيَوْمِ وَلَّى فَإِنَّ غَدًا لِنَاظِرِهِ قَرِيبٌ . فَذَهَبَ قَوْلُهُ مَثَلًا . وَلَمَّا أَصْبَحَ وَقَفَ النُّعْمَانُ بَيْنَ قَبْرَيْ نَدِيمَيْهِ وَأَمَرَ بِقَتْلِ شَرِيكٍ . فَقَالَ لَهُ وُزَرَاؤُهُ : لَيْسَ لَكَ أَنْ تَقْتُلَهُ حَتَّى يَسْتَوْفِيَ يَوْمَهُ . فَتَرَكَهُ النُّعْمَانُ وَكَانَ يَشْتَهِي أَنْ يَقْتُلَهُ لِيُنْجِيَ الطَّائِيَّ . فَلَمَّا كَادَتِ الشَّمْسُ تَغِيبُ قَامَ شَرِيكٌ مُجَرَّدًا فِي إِزَارٍ عَلَى النَّطْعِ وَالسَّيَّافُ إِلَى جَانِبِهِ . وَكَانَ النُّعْمَانُ أَمَرَ بِقَتْلِهِ فَلَمْ يَشْعُرْ إِلَّا بِرَاكِبٍ قَدْ ظَهَرَ فَإِذَا هُوَ حَنْظَلَةُ الطَّائِيُّ قَدْ تَكَفَّنَ وَتَحَنَّطَ وَجَاءَ بِنَادِبَتِهِ . فَلَمَّا رَآهُ النُّعْمَانُ قَالَ : مَا الَّذِي جَاءَ بِكَ وَقَدْ أَفْلَتَّ مِنَ الْقَتْلِ . قَالَ : الْوَفَاءُ . قَالَ وَمَا دَعَاكَ إِلَى الْوَفَاءِ . قَالَ : إِنَّ لِي دِينًا يَمْنَعُنِي مِنَ الْغَدْرِ . قَالَ : وَمَا دِينُكَ . قَالَ : النَّصْرَانِيَّةُ . قَالَ : فَاعْرِضْهَا عَلَيَّ . فَعَرَضَهَا فَتَنَصَّرَ النُّعْمَانُ . وَتَرَكَ تِلْكَ السُّنَّةَ مِنْ ذٰلِكَ الْيَوْمِ وَعَفَا عَنْ شَرِيكٍ وَالطَّائِيِّ .

وَقَالَ : مَا أَدْرِي أَيُّكُمَا أَكْرَمُ وَأَوْفَى أَهٰذَا الَّذِي نَجَا مِنَ السَّيْفِ فَعَادَ إِلَيْهِ أَمْ هٰذَا الَّذِي ضَمِنَهُ. وَأَنَا لَا أَكُونُ أَلْأَمَ الثَّلَاثَةِ. قَالَ الْمَيْدَانِيُّ : وَتَنَصَّرَ مَعَ النُّعْمَانِ أَهْلُ الْحِيرَةِ أَجْمَعُونَ وَبَنِي النُّعْمَانِ فِي حَاضِرَةِ مُلْكِهِ الْكَنَائِسَ الْعَظِيمَةَ . وَقَتَلَهُ كِسْرَى بْنُ هُرْمُزَ أَبْرَوِيزَ (٦٠٤ ب م) وَانْقَطَعَ الْمُلْكُ عَنْ لَخْمٍ . وَلَمْ يَلْبَثْ أَنْ ظَهَرَ الْإِسْلَامُ بَعْدَ زَمَانٍ (الاغاني)

٣ الغساسنة ملوك الشام بنو كهلان

٤١٠ كَانَ آلُ جَفْنَةَ عُمَّالَ الْقَيَاصِرَةِ عَلَى عَرَبِ الشَّامِ كَمَا كَانَ الْمَنَاذِرَةُ آلُ نَصْرٍ فِي آخِرِ أَمْرِهِمْ عُمَّالًا لِلْأَكَاسِرَةِ عَلَى عَرَبِ الْعِرَاقِ. وَأَصْلُهُمْ مِنَ الْيَمَنِ مِنَ الْأَزْدِ بَنِي كَهْلَانَ لِأَنَّ الْأَزْدَ لَمَّا أَحَسَّتْ بِأَرِبِ انْتِقَاضِ الْعَرِمِ وَخَشِيَتِ السَّيْلَ تَفَرَّقَتْ. فَتَشَاءَمَ قَوْمٌ فَنَزَلُوا عَلَى مَاءٍ يُقَالُ لَهُ غَسَّانُ فَصَيَّرُوهُ شِرْبَهُمْ فَسُمُّوا غَسَّانَ . ثُمَّ أَنْزَلَهُمْ ثَعْلَبَةُ ابْنُ عَمْرٍو الْغَسَّانِيُّ بِبَادِيَةِ الشَّامِ وَالْمُلْكُ بِهَا مِنْ قِبَلِ الْقَيَاصِرَةِ. وَكَانُوا يَدِينُونَ بِالنَّصْرَانِيَّةِ . وَلَمَّا نَزَلَتْ غَسَّانُ فِي أَرْضِ الشَّامِ كَانَ لَهَا قَوْمٌ مِنْ سَلِيحٍ فَضَرَبُوا عَلَى الْغَسَاسِنَةِ الْإِتَاوَةَ وَكَانَ الَّذِي يَلِي جِبَايَتَهَا سُبَيْطًا مِنْهُمْ فَاسْتَبْطَأُوهُ. فَقَصَدَ سُبَيْطٌ ثَعْلَبَةَ رَأْسَهُمْ وَقَالَ : لَتُعَجِّلَنَّ لِيَ الْإِتَاوَةَ أَوْ لَآخُذَنَّ أَهْلَكَ . وَكَانَ ثَعْلَبَةُ حَلِيمًا فَقَالَ : هَلْ لَكَ فِيمَنْ يَرْبَحُ عَلَيْكَ بِالْإِتَاوَةِ قَالَ : نَعَمْ. قَالَ : عَلَيْكَ بِأَخِي جِذْعِ بْنِ عَمْرٍو. وَكَانَ جِذْعٌ فَاتِكًا. فَأَتَاهُ سُبَيْطٌ وَخَاطَبَهُ بِمَا كَانَ خَاطَبَ بِهِ ثَعْلَبَةَ فَخَرَجَ عَلَيْهِ وَمَعَهُ سَيْفٌ مُذَهَّبٌ وَقَالَ فِيهِ عِوَضٌ مِنْ حَقِّكَ إِلَى أَنْ أَجْمَعَ لَكَ الْإِتَاوَةَ . قَالَ :

نَعَمْ . قَالَ : فَخُذْهُ . فَتَنَاوَلَ سُبَيْطٌ جَفْنَ ٱلسَّيْفِ وَٱسْتَلَّ جِذْعَ نَصْلِهِ وَضَرَبَهُ بِهِ . فَقِيلَ : خُذْ مِنْ جِذْعٍ مَا أَعْطَاكَ فَذَهَبَتْ مَثَلًا . فَوَقَعَتِ ٱلْحَرْبُ بَيْنَ سَلِيحٍ وَغَسَّانَ فَأَخْرَجَتْ غَسَّانُ سَلِيحًا مِنَ ٱلشَّامِ وَصَارُوا مُلُوكًا . وَٱسْتَقَرَّ مُلْكُ ٱلْغَسَاسِنَةِ ٤٠٠ سَنَةٍ بِنَيِّفٍ (*) (لحمزة الاصفهاني)

ملوك كندة

* (لمَّا كان من قصدنا استيفاء أخبار العرب اضفنا اليها اخبار كندة) هم بنو زيد بن كهلان . وكانت كندة قبل أن يملك حجرٌ عليهم بغير ملكٍ فاكل القويُّ الضعيف حتى ملَك حجرٌ وكان تُبَّعٌ حين أقبل سائرًا الى العراق استعمله عليهم . فسدَّد أمورهم وساسهم احسن سياسة وانتزع من النخميين ارضهم وبقي وحده في مملكته مُطاعًا لحسن سيرته (٥٠٣ ب م). ثمَّ ملَك بعده ابنهُ المقصور لانهُ اقتصر على مُلك أبيهِ . ثمَّ استخلفهُ الحارث وعظم شأنهُ حتَّى طردهُ أنوشروان وتبعتهُ تغلب وعدَّة قبائل فظفروا باموالهِ وباربعين نفساً من بني حجرٍ . فقتلهم المُنذِر عن آخرهم وكان منهم ابنان من وُلد الحارث . وفي ذلك يقول امرؤ القيس:

بنو أَسَدٍ قتلوا ربَّهم ألا كلُّ شيءٍ سِواهُ خلَلْ

ثمَّ استنجدهُ امرؤ القيس ببكرٍ وتغلب على بني أسدٍ فانجدوهُ وهربت بنو أسدٍ منهم وتبعهم فلم يظفر بهم . ثم تخاذلت عنهُ بكرٌ وتغلب وتطلَّبهُ المُنذر بن ماء السماء . فتفرَّقت جموع امرىء القيس خوفًا من المُنذر وخاف امرؤ القيس من المُنذر . وصار يدخل على قبائل العرب وينتقل من أُناسٍ الى أُناسٍ حتَّى قصد السموءَل بن عادياء اليهودي فاكرمهُ وأنزلهُ . وأقام امرؤ القيس عند السموءل ما شاء الله . ثم سار امرؤ القيس الى قصر ملك الروم مستنجدًا بهِ وأودع أدراعهُ عند السموءل بن عادياء المذكور . ومرَّ على حماة وشيزر وقال في مسيرهِ قصيدتهُ المشهورة

بكى صاحبي لمَّا رأى الدرب دونهُ وأُلحق إنَّا لاحقانِ بقَيصرا
فقلتُ لهُ لا تبكِ عينُك إنَّما نحاولُ مُلكًا أَو نموتَ فنُعذَرا

فمات امرؤ القيس بعد عوده من عند قيصر عند جبلٍ يقال لهُ عسيبٌ . ولمَّا علم بموتهِ هناك قال:

أَجارَتَنا إنَّ الخطوبَ تنوبُ وإني مُقيمٌ ما أَقامَ عسيبُ

ولما مات امرؤ القيس سار الحارث بن أَبي شمَر الغسَّانيُّ الى السموءل وطالبهُ بادرع امرىء القيس وما لهُ عندهُ وكانت الأَدراع مائةً وكان الحارث قد أَسر ابن السموءل . فلمَّا امتنع السموءل من تسليم ذلك الى الحارث قال الحارث : إمَّا أَن تُسلِّم الأَدراع وإمَّا قتلتُ ابنك . فقال السموءل : لستُ أَخفِرُ ذمَّتي فاصنع ما شئتَ . فذبح ابنهُ والسموءل ينظر اليهِ

٤١١ وهُمْ بنو عدنان بن إسماعيل ونزلوا الحجاز وتولّوا سدانة الكعبة . وإنما الحجاز والكناف كانت ديار العمالقة . وكان لهم ملك هنالك وكانت جرهم من تلك الطبقة . وكانت ديارهم اليمن مع إخوانهم من حضرموت . وأصاب اليمن قحط فقروا نحو تهامة يطلبون الماء والمرعى وعثروا في طريقهم بإسماعيل مع أمه هاجر . فاحتلوا أسفل مكة واقتتلوا مع العمالقة فأبادوهم . ونشأ إسماعيل بين جرهم وتكلم بلغتهم وتزوج منهم ودعاهم إلى التوحيد وتوفي لمائة وثلاثين سنة من عمره . ولم يزل أمر جرهم يعظم بمكة ويستفحل حتى ولوا البيت الحرام . وكانوا ولاته وحجابه وولاة الأحكام بمكة . ولما طالت ولاية جرهم استحلوا من الحرم أمورا عظاما واستخفوا بحرمة البيت العتيق قطع الله دابرهم لأنه لما خرب سد مأرب سار عمرو ابن عامر وقومه من بلد إلى بلد لا يطؤون بلدا إلا غلبوا عليه . فلما قاربوا مكة أبت جرهم أن تفسح لهم واستكبروا في أنفسهم وقالوا : ما نحب أن تنزلوا فتضيقون علينا مراتعنا ومواردنا فارحلوا عنا حيث

وانصرف الملك على يأس . فضرب العرب به المثل في الوفاء . وقال السموءل :

وفيتُ بأدرع الكنديّ إني ... إذا ما خانَ أقوامٌ وفيتُ
بنى لي عاديا حصنا حصينا ... وماءً كلما شئتُ استقيتُ
رفيعاً تزلق العقبان عنهُ ... إذا ما نابني ضيمٌ أبيتُ
وأوصى عاديا قِدماً بألّا ... تُهدّم يا سموءل ما بنيتُ (لابي الفداء)

أَحْيَيْتُمْ فَلَا حَاجَةَ لَنَا بِجِوَارِكُمْ . فَاقْتَتَلُوا ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ وَانْهَزَمَ جُرْهُمُ فَلَمْ يَنْفَلِتْ مِنْهُمْ إِلَّا الشَّرِيدُ فَهُدِرَ دَمُهُ . (٢٠٧) ثُمَّ تَفَرَّقَتْ قَبَائِلُ الْيَمَنِ وَانْجَزَعَتْ خُزَاعَةُ بِمَكَّةَ فَوَلُوا أَمْرَ مَكَّةَ وَحِجَابَةَ الْكَعْبَةِ . وَسَأَلَ بَنُو إِسْمَاعِيلَ السُّكْنَى مَعَهُمْ فَأَذِنُوا لَهُمْ . وَتَمَلَّكَ عَلَيْهِمْ لُحَيٌّ وَهُوَ رَبِيعَةُ ابْنُ حَارِثَةَ وَكَانَ فِيهِمْ شَرِيفًا سَيِّدًا مُطَاعًا وَبَلَغَ بِمَكَّةَ مِنَ الشَّرَفِ مَا لَمْ يَبْلُغْ عَرَبِيٌّ قَبْلَهُ . وَكَانَ قَدْ ذَهَبَ اسْمُهُ فِي الْعَرَبِ كُلَّ مَذْهَبٍ وَقَوْلُهُ فِيهِمْ دِينًا مُتَّبَعًا . وَكَانَ أَوَّلَ مَنْ أَطْعَمَ الْحَاجَّ بِمَكَّةَ سَدَائِفَ الْإِبِلِ وَلُحْمَانَهَا عَلَى الثَّرِيدِ . وَعَمَّ فِي تِلْكَ السَّنَةِ جَمِيعَ حَاجِّ الْعَرَبِ بِثَلَاثَةِ أَثْوَابٍ مِنْ بُرُودِ الْيَمَنِ وَهُوَ الَّذِي بَحَرَ الْبَحِيرَةَ . وَوَصَلَ الْوَصِيلَةَ وَحَمَى الْحَامَ وَسَيَّبَ السَّائِبَةَ . وَنَصَبَ الْأَصْنَامَ حَوْلَ الْكَعْبَةِ . فَكَانَتْ قُرَيْشٌ وَالْعَرَبُ تَسْتَقْسِمُ عِنْدَهُ بِالْأَزْلَامِ . وَهُوَ أَوَّلُ مَنْ غَيَّرَ الْحَنِيفِيَّةَ دِينَ إِبْرَاهِيمَ . وَأَقَامَتْ خُزَاعَةُ ثَلَاثَ مِائَةِ سَنَةٍ فِي سِدَانَةِ الْبَيْتِ حَتَّى قَامَ قُصَيٌّ الْقُرَشِيُّ مِنْ بَنِي إِسْمَاعِيلَ . وَعَظُمَ شَرَفُهُ فَرَأَى أَنَّهُ أَحَقُّ بِالْكَعْبَةِ وَبِأَمْرِ مَكَّةَ . وَكَانَتْ وِلَايَةُ الْكَعْبَةِ لِأَبِي غَبْشَانَ الْخُزَاعِيِّ فَبَاعَهَا مِنْ قُصَيٍّ بِزِقِّ خَمْرٍ فَقِيلَ فِيهِ أَخْسَرُ مِنْ صَفْقَةِ أَبِي غَبْشَانَ . ثُمَّ دَعَا قُصَيٌّ إِلَيْهِ رِجَالَاتِ قُرَيْشٍ وَأَجْمَعَ لِحَرْبِ خُزَاعَةَ فَتَنَاجَزُوا وَكَثُرَ الْقَتْلُ . ثُمَّ صَالَحُوهُ عَلَى أَنْ يُحَكِّمُوهُ الْكَعْبَةَ (٥٠٧ ب م) . فَصَارَ لِقُصَيٍّ لِوَاءُ الْحَرْبِ وَحِجَابَةُ الْبَيْتِ وَتَيَمَّنَتْ قُرَيْشٌ بِرَأْيِهِ وَصَرَفُوا مَشُورَتَهُمْ إِلَيْهِ فِي قَلِيلِ أُمُورِهِمْ وَكَثِيرِهَا . فَاتَّخَذُوا دَارَ النَّدْوَةِ إِزَاءَ

الْكَعْبَةِ فَكَانَتْ مُجْتَمَعَ الْمَلَإِ مِنْ قُرَيْشٍ فِي مُشَاوَرَاتِهِمْ وَمَعَاقِدِهِمْ . ثُمَّ تَصَدَّى لِإِطْعَامِ الْحَاجِّ وَفَرَضَ عَلَى قُرَيْشٍ خَرَاجًا يُؤَدُّونَهُ . ثُمَّ هَلَكَ قُصَيٌّ وَقَامَ بِأَمْرِهِ بَنُوهُ مِنْ بَعْدِهِ بِالْقِيَادَةِ فِي كُلِّ مَوْسِمٍ حَتَّى جَاءَ الْإِسْلَامُ (ملخَّص عن كتاب اخبار مكَّة للازرقي)

(ملحق بتأريخ العرب)

١ ادیان العرب

٤١٢ كانت العرب في أوَّل أمرها على دين ابرهيم واسماعيل حتى قدِم عمرو بن لحيّ بصنم يقال لهُ هُبَل . وكان من أعظم اصنام قُريش عندها فكان الرجل اذا قدِم من سفرٍ بدأ بهِ على أهلهِ بعد طَوافهِ بالبيت وحلق راسهُ عندهُ . وكان لهُبَل من خرز العقيق على صورة انسان وكانت يدهُ اليمنى مكسورةً فأدركتهُ قريش فجعلت لهُ يدًا من ذهب . وكانت لهُ خزانة للقربان . وكانت لهُ سبعة قِداح يضربون بها اذا مستَهم الحاجة ويقولون : إنَّا اختلفنا فيهِ السَراحا . ان لم تقلهُ فُمُر القِداحا . ولما دخل محمد الكعبة يوم فتح مكَّة كان بها ثلاثمائة وستّون صنمًا فجعل يطوف على راحلتهِ ويطعنها ويقول : جاء الحق وزهق الباطل . فجُمِعت ثم حُرِقت بالنار . وكان بالكعبة على يمنها حجر اسود . وما زال هذا الحجر معظَّمًا في الجاهليَّة والاسلام . تتبرَّك الناس بهِ وتمرُّ دونهُ وتقبّلهُ . وكان بأسفل مكَّة قد نُصِب صنم يُعرَف بالخَلَصة فكانوا يُلبسونها القلائد ويُحدون اليها الشعير والحِنطة . ويصبّون عليها اللبن ويذبحون لها ويعكفون عليها بيض النَّعام . وكان لهم اصنام نصبوها على اسم السيَّارات من الكواكب . وهي المشتري وقيل ان اصل اسمهِ ذوشراء اي ساطع النور . والزهرة وزُحَل والمرّيخ وغيرها من الثوابت . ومن معبوداتهم أيضًا المَناة واللات وعزّى . وكانت المناة على ساحل البحر مما يلي قُدَيد . وكانت صخرةً تُراق عليها دماء الذبائح ويلتمسون منها المطر في الجَدب . وكانت اللات ايضًا صخرةً صنمًا للشمس اذا مرَّ عليها الحاج يلتّوتها بالسَويق . وقيل أصلها من لاهَ اي علا وعظُم ومنهُ اسم الجلالة . وأمَّا العزّى فكانت شجرة يعظمها قريش وبنو كِنانة . ويطوفون بها بعد طَوافهم بالكعبة ويعكفون عندها يومًا . قال الكلبيُّ : وكانت اللات والعُزّى ومَناة في كل واحدة منهنَّ شيطان يكلمهم . وتراءى للسدَنَة وهم الحَجَبَة وذلك من صنيع إبليس وأمرهِ . وكان بنو حنيفة في الجاهلية اتخذوا الهًا عبدوهُ دهرًا طويلًا ثم أصابهم مجاعة فاكلوهُ . فقيل في ذلك :

اكلت حنيفةُ ربَّها زمن التقحّم والمجاعه
لم يحذروا من ربّهم سوء العقوبة والتّباعه

ومن اديانهم المجوسيّة والصابئة ونصبوا بحسب تلك الآراء الصابئيّة اصنام الذهب الشمس وأصنام الفضة للقمر . وقسموا المعادن والأقاليم للكواكب . وزعموا ان قُوَى الكوكب تفيض على تلك الأصنام . فتتكلم تلك الأصنام وتفهم وتوحي للناس اعني الأصنام . وتعلم الناس منافعهم وكذلك قالوا في الأشجار التي هي من قسمة تلك الكواكب . إذا أُفردت تلك الشجرة لذلك الكوكب وغرست لهُ وفعل لها كذا فاضت روحانية ذلك الكوكب على تلك الشجرة . وتوحي للناس وتكلمهم في النوم . ومن أديانهم اليهودية في حمير وكنانة وبني الحارث ابن كعب وكندة . واما النصرانيّة فكانت انتشرت فيهم . قال الفير وزابادي : ان قبائل شتّى من بطون العرب اجتمعوا على النصرانيّة بالحيرة وهم العباد . وإن كثيرًا من ملوك اليمن والحيرة تنصّروا . وأمّا ملوك غسّان فكانوا كلهم نصارى وكانت النصرانيّة في ربيعة وقُضاعة وبهرا وتنوخ وتغلب وبعض طي . وكانت قريش نصبت في جملة أصنامها في الكعبة تمثال مريم مزوّقًا وابنها عيسى في حجرها قادحًا مزوّقًا . وذلك في العمود الذي يلي باب الكعبة ولم تُطمَس صورتها لما دخل محمد الكعبة بل بقيتا الى عهد ابن زُبير فهلكتا في الحريق (للنويري والازرقي)

٢ علوم العرب وآدابهم

٤١٣ فاما علم العرب الذي كانوا يتفاخرون بهِ فعلم لسانهم واحكام لغتهم ونظم الأشعار وتأليف الخطب . وكانوا موسومين بين الامم بالبيان في الكلام والفصاحة في المنطق والذلاقة في اللسان . وكان لهم مع هذا معرفة بأوقات مطالع النجوم ومغاربها وعلمٌ بانواء الكواكب وامطارها . على حسب ما أدركوهُ بفرط العناية وطول التجربة لاحتياجهم الى معرفة ذلك في اسباب المعيشة لا على طريق تعلّم الحقائق . واما علم الفلسفة فلم يمنحهم الله شيئًا منهُ ولا هيّأ طبائعهم للعناية بهِ . وكان الشعر ديوان خاصّة العرب ومنتهى حكمتها والمنظوم من كلامها والمقيّد لأيامها والشاهد على حكامها . بهِ يأخذون واليهِ يصيرون . وكانوا لا يُهنّئون الّا بغلام يولد او شاعر ينبغ فيهم او فرس تنتج . قال الصفديُّ : بل ما كان للعرب ما تفتخر بهِ الّا السيف والضيف والبلاغة . وكانوا كل حول يتقاطرون الى سوق عكاظ ويتبايعون ويتناشدون ويتفاخرون ويتحاكظون . ولقد بلغ من كَلَف العرب بالشعر وتفضيلها لهُ أن عمدت الى سبع قصائد من الشعر القديم فكتبتها بماء الذهب في القباطيّ المُدرجة . فقيل لها مذهّبات وقد يقال لها معلّقات لانها علّقت في أستار الكعبة . أمّا الكتابة فحكموا أنّ ثلاثة نفر من طيّءٍ كانوا على دين عيسى فوضعوا الخط وقاسوا هجاء العربيّة على هجاء السريانيّة . فتعلّمهُ قومٌ من الأنبار وجاء الإسلام وليس أحد يكتب بالعربيّة غير بضعة عشر إنسانًا . ولقلّة القراطيس عندهم عمدوا الى كتف الحيوان فكتبوا عليها . وكان الناس فرقتَين أهل الكتاب والاميّون . والاميُّ من كان لا يعرف الكتابة . فكانت اليهود والنصارى بالمدينة والاميّون بمكّة (لابي الفرج والجوهري)

تمّ بحولهِ تعالى

فهرس الجزء الثالث من كتاب مجاني الادب

	وجه
الباب الاوّل في التديُّن	٣
في كمالاتهِ تعالى	٣
الدعاء لله	٤
منتخب من قصيدة عليّ بن ابي طالب	٧
محبة الله والثقة بهِ	٩
الاستغفار الى الله	١٢
العالم العقلي	١٥
الباب الثاني في الزهد	١٦
في الخوف زهد النعمان بن امرئ القيس	١٦
عدي بن زيد والنعمان	١٧
ذلة الدنيا وزوالها	١٨
الراهب الجرجاني والشيخ عمر الصيني	١٩
حفظ الحواس	٢٩
الدهر وحوادثهُ	٣٠
ذكر الموت	٣٢
التوبة الى الله	٣٥
الباب الثالث في المراثي	٣٨
الباب الرابع في الحكم	٤٦
نوادر بزرجمهر حكيم الفرس	٥٠
حكم شاناق الهندي	٥٢
اشعار حكميّة	٥٤
الباب الخامس في الامثال	٦٢
فصل من نوادر كلام العرب	٦٢
نبذ من كلام الزمخشري والبستي	٦٣
ما ضُرب بهِ المثل من الحيوان وغيرهِ	٦٣
اشعارٌ جارية مجرى المثل	٦٤
الباب السادس في امثال عن السنة الحيوانات	٦٨
البازي والديك برغوث وبعوضة	٦٨
اللبؤة والغزال والقرد	٦٩
ساعة	٧٢
قرد وغيلم	٧٦
الضبعة والرجل اسد وذئب وغراب	٧٩
الجدي السالم والذئب النادم	٨٣
فارة وهرّ	٨٥
الهدهد الغير المتروّي	٩١
مالك الحزين والسمكة	٩٢
الديك والثعلب	٩٤
الجمل والملح	٩٧
البستاني والاربعة العابثون بجنتهِ	٩٩
الباب السابع في الفضائل والرذائل	١٠٣
الصبر	١٠٣
القناعة	١٠٥
العدل	١٠٧
الكرم	١٠٩
الوفاء الراي والمشورة	١١٠
الحسد	١١٣
حفظ اللسان وكتمان السرّ	١١٤
الغيبة	١١٧
الصدق والكذب	١١٩

	وجه
المزاح	١٢٠
الصداقة وخلوص المودَّة	١٢١
المطل في الوعد التواضع والكبر	١٢٧
الباب الثامن في الذكاء والادب	١٢٩
في العقل وماهيتهِ وشرفهِ	١٢٩
في العلم وشرفهِ	١٣٣
وصف الكتاب	١٣٨
في البيان والبلاغة والفصاحة	١٤١
في الشعر	١٤٢
في الأدب	١٤٤
الآداب الظاهرة	١٤٧
الباب التاسع في اللطائف	١٥٠
الحدَّاد والامير	١٥٠
الحجَّاج والفتية	١٥١
ابو العلاء وكتاب الفصوص	١٥٢
فتًى فصيح عليّ بن الجهم والمتوكل	١٥٣
درواس بن حبيب وهشام	١٥٤
الشاعر المتروّي	١٥٥
المنصور وابن هبيرة	١٥٦
ابو عبادة البحتري عند المتوكل	١٦٠
الرَّكَّاض والرشيد	١٦٢
الأعمى والأعور	١٦٤
اولاد نزار عند الافعى	١٦٦
الباب العاشر في المديح	١٦٧
الباب الحادي عشر في الفخر والهجو	١٧٦
ابن كندة عند كسرى	١٨١

	وجه
الباب الثاني عشر في الالغاز	١٨٢
الباب الثالث عشر في الوصف	١٨٧
الباب الرابع عشر في الحكايات	١٩٤
ابن الزبيري ومعاوية	١٩٤
المنصور ومحمد بن جعفر	١٩٥
عمر بن الخطَّاب والعجوز	١٩٦
معاوية والزرقاء	٢٠٠
كريمان حصلا على الامارة بكرمها	٢٠٣
يزيد بن المهلَّب عند سليمان بن عبد الملك	٢٠٨
احسان كريم الى من قتل اباهُ	٢٠٩
جود معن بن زائدة	٢١١
ابرهيم الموصلي والمهدي	٢١٢
المرأة المتظلمة وابن المأمون	٢١٤
المرأة الكريمة	٢١٥
الاعرابي ومالك بن طوق	٢١٨
الخارجيّ والمعتصم	٢١٩
قصَّة رجل اجار رجلًا استغاث بهِ	٢٢٠
الباب الخامس عشر في الفكاهات	٢٢٥
سيِّد العرب ابن المغازلي عند المعتضد	٢٢٥
ابرهيم الموصلي وابرهيم المهدي عند الرشيد	٢٢٨
ثقيلٌ وظريفٌ	٢٣٠
سنان بن ثابت والطبيب القرويّ	٢٣١
حذاء ابي القاسم الطنبوري	٢٣٢
الباب السادس عشر في النوادر	٢٣٥
ابن مقلة والواشي	٢٣٥

	وجه
معجزة ظهرت في حصار مدينة وبذ	٢٣٥
مشهد الحسين	٢٣٦
مروءة اسماعيل الهزرجيّ	٢٣٧
جود حاتم الطائي	٢٣٩
إيثار ابن مامة الاياديّ	٢٤٠
صنم سومناة	٢٤١
الباب السابع عشر في الاسفار	٢٤٢
مدح السفر	٢٤٢
ذمّ السفر	٢٤٤
سفرة ابن جبير الى جزيرة صِقِلِيَة	٢٤٤
الباب الثامن عشر في عجائب المخلوقات	
في شرح عجب الموجودات	٢٥٥
في جرم الشمس ووضعها	٢٥٩
في كسوف الشمس وبعض خواصها	٢٦١
فصل في القمر وخسوفهِ وتأثيراتهِ	٢٦٢
في المجرّة والكواكب الثوابت	٢٦٤
فصلٌ في ارباع السنة	٢٦٥
فصلٌ في تولّد الانهار	٢٦٨
جسم الارض ودورانها وهيئتها	٢٦٩
في السحاب والمطر وما يتعلّق بهما	٢٧٠
في الرعد والبرق وما يتعلّق بذلك	٢٧١
الباب التاسع عشر في المراسلات	٢٧٣
في المراسلات بين الملوك والامراء	٢٧٣
في الاشواق وحسن التواصل	٢٧٧
فصول في التهنئة	٢٨١
في التوصية	٢٨٢
فصول في الذمّ	٢٨٤

	وجه
فصل في المدح والشكر	٢٨٧
فصول في التعازي	٢٨٨
فصول في وصاة	٢٩٠
الباب العشرون في تاريخ العرب	٢٩١
نظر في امة العرب وطباعهم وسكناهم	٢٩١
ذكر نسب العرب وتقاسيمهم	٢٩٢
اخبار عرب العاربة او البائدة	٢٩٢
العرب المتعربة بنو قحطان	٢٩٤
ملك يعرب ويشجب وسبا بني قحطان	٢٩٤
سد مأرب وتفرع بني سبا	٢٩٥
ملك التبابعة بني حمير في اليمن	٢٩٦
ملك شدّاد وتبّع وافريقس وذي الاذعار	٢٩٦
ملك بلقيس وناشر النعم وشمر مرعش	٢٩٧
ذو نواس وشهداء النصرانيّة في نجران	٢٩٩
استيلاء الحبشة على ملك اليمن	٣٠١
اخبار سيف بن ذي يَزَن	٣٠٢
ملك المناذرة بني كهلان في العراق	٣٠٤
ملك بن فهم وجذيمة الابرش وابن عدي	٣٠٤
امرؤ القيس البدء والمحرق والنعمان	٣٠٦
المنذر والنعمان والاسود وامرؤ القيس	٣٠٨
ملك المنذر الثالث والنعمان قابوس	٣٠٨
خبر تنصّر النعمان	٣٠٩
الغساسنة ملوك الشام بنو كهلان	٣١٢
ملوك كندة	٣١٣
ذكر العرب المستعربة بنو اسماعيل	٣١٤
ملحق بتاريخ العرب	٣١٦
اديان العرب	٣١٦
علوم العرب وآدابهم	٣١٧

UNIVERSITY OF TORONTO
3 1761 00893835 9

PJ
7631
C538
1913
v.3